



مهرجان
القراءة
للجميع



المسلمون في الهند

من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني

الجزء الأول

ترجمة عن الفارسية

د. أحمد عبد القادر الشاذلي



المُسلمون في الهند

من الفتح العربي إلى الإستعمار البريطاني

الترجمة الكاملة لكتاب طبقات أكبرى

لنظام الدين أحمد بخشي الهروي

الجزء الأول

ترجمة عن الفارسية

د. أحمد عبد القادر الشاذلي



مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة

برعاية السيدة / سوزان مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الإشراف الطباعى

محمود عبد المجيد

الغلاف والإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

تقديم

- منذ خمسة عشر عامًا أطلقت السيدة الفاضلة سوزان مبارك فكرتها الرائدة عن مشروع القراءة للجميع، هادفة إلى إتاحة فرصة القراءة لجميع أفراد الشعب، بعد أن كانت أسعار الكتب قد وصلت إلى أرقام كبيرة لا تحتملها ميزانية كل راغب في القراءة والمعرفة.
- ولا شك أن أى مؤرخ للحركة الثقافية في مصر سوف يتوقف كثيرًا عند فكرة هذا المشروع، وأثره الكبير على الثقافة والمثقفين في مصر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين.
- وقد أسهمت الهيئة المصرية العامة للكتاب في هذا المشروع «بمكتبة الأسرة» التى تصدر بانتظام منذ أحد عشر عامًا، وتستعد لخطوة أخرى من التطوير فى عامها الثانى عشر.
- لقد قدمت هيئة الكتاب على مدى السنوات من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٤م ومن خلال مكتبة الأسرة بسلاسلها المختلفة ٣١١٣

عنواناً فى مختلف فروع المعرفة، طُبعت منها أكثر من ٣٧ مليون نسخة وطرحتها فى الأسواق بأسعار زهيدة فى متناول الجميع، تبدأ من عشرة قروش وتتدرج، ولا تزيد عن ثلاثة أو أربعة جنيهات للكتب الكبيرة الحجم، أو متعددة الأجزاء.

● وهذه الأرقام تعطى دلالة لعدد المستفيدين من القراء، ولعل جزءاً كبيراً منهم من القراء الجدد.

● ولكن المستفيد لم يكن القارئ وحده فقد عادت الفائدة أيضاً على مجموع الكُتَّاب الذين أسهموا فى مكتبة الأسرة، وقد بلغ عددهم ١٣٦٨ كاتباً كما عادت الفائدة أيضاً على المطابع، ودور النشر الأخرى التى شاركت فى المشروع. وبالتالي فالفائدة قد عمّت كل الأوساط الثقافية المهتمة بالكتاب.

● وقبل انطلاق مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٥م خلال الشهر القادم نعيد طرح حوالى مائة عنوان فى ثوب جديد، ويُعتبر ذلك مقدمة لانطلاقة أخرى لمكتبتنا.

● فإلى اللقاء مع مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م الشهر القادم بإذن الله.

ناصر الأنصارى

القاهرة

مايو ٢٠٠٥ .

إهداء

- الى كل من أسهم فى بناء الحضارة الاسلامية الزاهرة ..
- الى كل من شارك فى اثراء تراثنا الفكرى ..
- الى كل من نقب فى دورنا الثقافية الاسلامية ..
- الى كل من أزاح الستار عن نتاجنا العلمى والأدبى ..
- الى كل صناع الحضارة *

د • أحمد الشاذلى

منهج ترجمة طبقات أكبرى

طبقات أكبرى كتاب جامع ، يتناول أكثر من عصر ، ويدور بأحداثه فى أقاليم شتى ويمتد بأحداثه من القرن الأول الهجرى حتى القرن العاشر الهجرى ، ونظرا لهذا التنوع والشمول ، فقد تعددت مصادره ، وتنوعت الأصول التى استمد منها مادته العلمية وقد لزم هذا أن أعود بالنص إلى أصوله ومصادره بقدر المستطاع عند الترجمة وتحقيق الأحداث والأعلام .

وقد راعيت فى الترجمة الجوانب التالية :

أولا : أن طبقات أكبرى كتاب نادر ، لا تتوافر نسخه ، ولا يوجد بين يدي سوى نسختين ، أحدهما ناقصة والثانية كاملة ، وقد اتخذت هذه النسخة الكاملة بمثابة النسخة « الأم » وهى نسخة « أوده » أما النسخة الناقصة فهى نسخة كلكتا ، واختيارى نسخة أوده كنسخة أم يرجع لاعتبارين :

الأول : أنها النسخة الوحيدة الكاملة .

الثانى : أنها أقدم نسخة موجودة فهى منشورة سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م بينما نسخة كلكتا نشرت سنة ١٩١١ م .

ثانيا : على الرغم من أن نسخة أوده هى النسخة الأقدم كما أنها النسخة الوحيدة الكاملة فإنها مليئة بالألفاظ المحرفة والمصحفة ، وهذا ناتج عن جهل الناشر بأصول تحقيق النص .

ثالثا : ومن أجل ترجمة سليمة ، وتحقيق للأحداث والأعلام والمسميات تحقيقا ضحيما اتبعت ما يلى :

١ - مراجعة مصادر المؤلف :

ذكر نظام الدين أحمد أنه رجع إلى عدة مصادر ومراجع ، وهذه المصادر للأسف الشديدا لا تتوافر بين يدي ما عدا ثلاثة مراجع وهى :

زين الأخيـار ، وروضـة الصفا ، وتاريخ يمينى بالعربية ، وأحداث
هذه الكتب الثلاثة تتلاقى مع أحداث طبقات أكبرى فى النذر اليسير ، وقد
أثبت هذا فى موضعه بالحواشى .

٢ - مراجعة المؤلفات المماثلة :

صنفت عدة مصنفات فى عهد نظام الدين على شاكلة كتابه ، وإن
كانت تختلف عنه فى خطة البحث ، وهذه المصنفات أهمها : منتخب
التواريخ وأكبر نامه وتاريخ كجرات وقد استخدمت هذه المصنفات فى
تحقيق الأسماء والأعلام والأحداث وأثبت ذلك فى الحواشى ، وأوضحت
الاختلاف والاتفاق بين هذه المصنفات وبين طبقات أكبرى .

٣ - مراجعة النقول من الكتاب :

نقل العديد من الكتاب والمؤرخين عن نظام الدين أحمد ، وقد جاءوا
من بعده بزمان قصير ومن هؤلاء ملا عبد الباقي صاحب مآثر رحيمى
ومحمد قاسم فرشته صاحب تاريخ فرشته وقد أوردت مدى الاتفاق
والاختلاف وأثبت ما قام به المؤرخون من بعده من نقل خبرفى عنه أو
اختلاف فى بعض الأحداث .

٤ - تخريج النص :

وهذا التخرىج يقوم على تحقيق الأعلام والمسميات والأحداث التى
لم ترد ذكرها فى المصادر السابقة ، وشرح بعض المعلومات من المراجع
القديمة منها والحدِيث والمعاجم منها والقواميس وقد أثبت ذلك فى
الحواشى .

٥ - مقابلة نسخة أوده بنسخة كلكتا :

نسخة أوده غير محققة وغير مطبوعة ، كثرت فيها التصحيفات
والتحريفات غير المتعمدة ، أما نسخة كلكتا « فهى نسخة مطبوعة وغير
محققة » أيضا وقد قابلت النص بين النسختين وأثبت مدى التحريف
والتصحيح فى حواشى الترجمة ، إلا أنه للأسف فإن نسخة كلكتا أيضا
لا تساوى سندس نسخة أوده حيث أنها توقفت بالأحداث عند ذكر السلطان
فيروزشاه وهو ما يعادل مائة وثلاث عشرة صفحة من نسخة أوده .

٦ - مقابلة نسخة أوده بما ترجمة اليوت الى الانجليزية :

قام اليوت بترجمة نماذج من الكتب التى ألفها وكتبها مؤرخون من
الهند ، ومن ضمن هؤلاء نظام الدين أحمد وقد ترجم اليوت الى الانجليزية

جزءاً من طبقات أكبرى ، أسقط فيه كثيراً من الأحداث وأضاف فقرات وجعل أخرى غير موجودة فى نسخة أوده « وقد أثبت ما أضافه اليوت فى الحواشى ، ولم أذكره فى متن الترجمة العربية والجزء المترجم فى الجزء الخامس من كتاب :

« History of India As Told By Its Own Historians »

وهو كتاب يقع فى ثمانية مجلدات ضخمة .

كما أن هناك نسخة أخرى لترجمة اليوت نشرتها الهند تحت عنوان « أكبر » Akbar

٧ - النقد الموضوعى :

واقصد به نقد النص لنفسه ، وهو ما يتعلق بذكر الأعلام والمسميات ، فهو يذكر الاسم أكثر من مرة يقع فى التصحيف مرة أو أكثر وبذلك يكون الاسم الأصوب هو حالته على ما ذكر به أكثر من مرة ، وهذا ينسحب على السنوات التى أخطأ فيها فالمعروف أن الكتاب يتسلسل تاريخياً من سنة الى أخرى ، فى بعض الأحوال يذكر إحدى السنوات خطأ فعند مقارنتها بالسنة التى قبلها والتى بعدها يتضح الصواب .

٨ - بقى لى أن أوضح اننى فى الترجمة أبقيت على المسميات الهندية والتركية والفارسية والمغولية كما هى مع اثبات ترجمتها فى الحاشية فى المرة الأولى مثل كلمة « مندوى » المسئول عن السوق ، أو ذكر كوتوال « رئيس المدينة » أو « بخشى » وأخته بيكى وخاصة خيل ، وداكجوكى . نظرا لأن اللفظ له دلالات تفوق دلالة اللفظ المترجم .

٩ - نسخة أوده يرمز لها بالرمز « ١ »

نسخة كلكتا يرمز لها بالرمز « ك »

ترجمة اليوت وهى ترجمة طبعة الهند وأخرى طبعة لندن ، وقد أثبت ما هى طبعة الهند (ط - الهند) .

هذه هى ملامح ترجمة طبقات أكبرى ، وأسأل الله التوفيق والسداد ، فانه نعم المولى ونعم النصير .

وفى الختام أقدم خالص شكرى وتقديرى لهؤلاء الذين بذلوا جهداً من أجل أن يرى هذا العمل الضخم النور وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور السباعى محمد السباعى أستاذ اللغات الشرقية بأداب القاهرة ومدير

مركز الدراسات الشرقية لما بذله من جهد فى مراجعة ومتابعة هذا
العمل العلمى الكبير .

كما أقدم الجهود الطيبة التى بذلها الأستاذ الدكتور عبد العظيم
رمضان المؤرخ والأستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية لما بذله من جهد
لاظهار هذا العمل التاريخى الى النور . فجزاهما الله خير الجزاء .

د . أحمد عبد القادر السمانلى

كلية الآداب جامعة المنوفية

مصطلحات

وردت بالكتاب عدة مصطلحات هندية وفرنسية وتركية وهي
أفتابكير : عاكس الشمس

آلاع : جواد البريد

استيفاء كل : المستوفى العام

أشرفى : عملة ذهبية نسبة الى السلطان أشرف

أمراء بلينى : أمراء السلطان بلىن

أمراء شمسية : أمراء السلطان شمس الدين التمش

امير صده : امير مائة

امير هزاره : امير الف

ايلك : لفظ أولغورى بمعنى امير

باره : عملة نحاسية

بخشى : المسئول عن رواتب الجند

بتوارى : المحاسب

تنخواه : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية يحصل منها صاحبها على
رزقه .

تنكه : عملة فضية

تواجيان : المسئول عن خيل السلطان

توره : جوال ملهى بالقرب

جتر : مظلة ترفع فوق الحاكم

جريب : مساحة تعادل ٢٥٠٠ متر

جلالى : نسبة الى جلال الدين اكبر

جمعكى : أيام الجمع

جودهري : المسئول الهندي المشارك لرئيس القرية

جوه : حساء هندي

جوهر : طريقة قتل جماعى كان الهنادكة يستخدمونها عندما يضيق بهم الحال فيشعلون نارا ويحرقون نساءهم وأولادهم قبل القدوم على الحرب .

جيتل : عملة

خالصة : أرض تابعة للسلطان

خالصات : أرض تابعة للسلطان

خان : أمير

خان خانان : أمير الأمراء - (وظيفة)

ختا = خطا : قبيلة تركية

دارونكى : مختار القرية ومسئول العسس

داكجوكى : جواد البريد

دبير : كاتب

دكن : أرض الجنوب ، وتطلق على جنوب الهند

دورباش : عصاة يمسكها الحاكم فى يده

دولت خانه : مقد الحكومة

راجا : ملك هندوكى

راجوات : ملوك هنادكة

رانا : ملك هندوكى

رومى خان : الأمير المسئول عن المدفعية

زمنيداران : حكام القرى والمقاطعات من أهل البلاد

سرای عدل : قصر العدل

سرجاندار : رئيس حرس السلاح

سلحدار : أمير السلاح

سيرى : مكيال

الشالى : أرز غير مقشور

شاهرخى : عملة ذهبية نسبة الى الساطان هـامرخ

شحنة بازار غله : مسئول سوق الغلال

شحنة شهر : حاكم المدينة

شحنة قيل : المسئول عن الأفيال

شقدار : حاكم ناحية - اقليم

شكاريك : أمير الصيد

صوبه دار : حاكم اقليم

صولجان : لعبة يلعبها الملوك وهى عبارة عن كرة تضر = بعصاة معقوفة
واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الأفيال .

عارض الممالك : المسئول عن المالية

عراق عجمى : ايران

علوف : ما يقدمه السلطان من مقاطعة أو قرية أو مزرعة يعيش صاحبها
على ما تفرله .

عمال : ولاية

فرمان : أمر وحكم

فرمانات : أحكام

فيلخانه : دار الأفيال

قزلباش : أصحاب القبعات الحمراء وتطلق على الجنود الفرس

قمرغه : طريقة صيد مغولية تعتمد على الالتفاف حول منطقة الصيد في دائرة تضيق بالتدريج على الحيوانات داخل الدائرة .

كرور : عشرة ملايين

كوتوال : حاكم القلعة

لك . لكم : عشرة آلاف

انكاه : جماعة هندية مقاتلة

مدد معاش : معاش شهري أو سنوي يؤخذ من البلاط دون مقابل يقدم للشعراء والأدباء والعلماء وكبار السن .

مست : نوع من الأقيال الهندية القوية يقوم على خدمته خمسة أفراد وصنفي .

مشرف ديوان : المسئول عن الإيرادات والمنصرف في الدين

مشرف الممالك : المسئول عن الشئون المالية ؛

مقدم : رئيس قرية

مندل : قلعة

مندوي : المسئول عن السوق

مهر : نوع من العملة

مير آخور : أمير الاصطبل

مير الحاجب : المسئول عن شئون البلاط

مير عرض : المسئول عن الشئون المالية للقوات

مير صده : أمير مائة

مير هزاره : أمير ألف

نقاره : فرقة الطبول

نو مسلم : المسلم الجديد (المغول المسلمون)

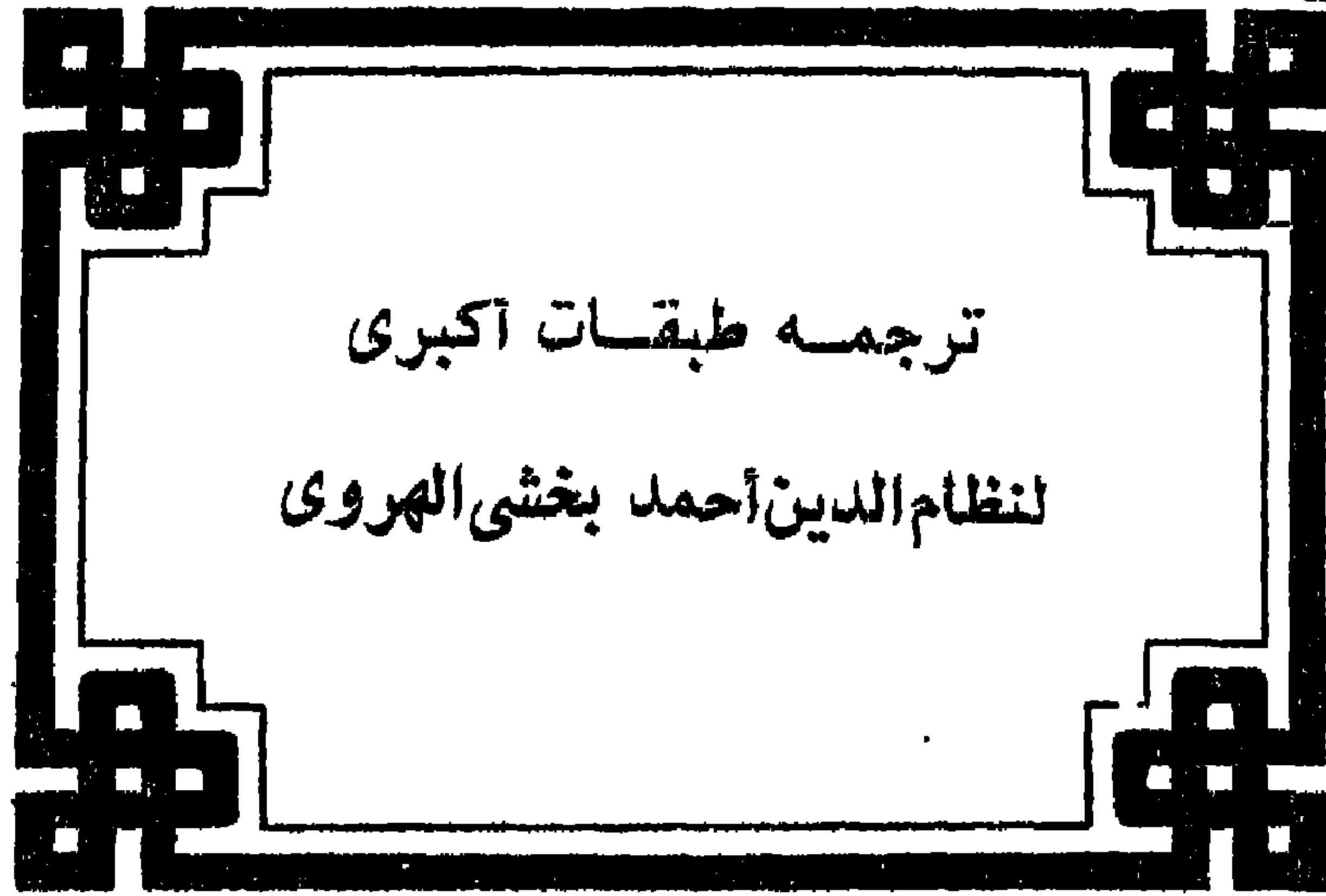
هزارستون : اسم قصر - الألف عمود

هندوستان : بلاد الهند وتطلق على الشمال

وقايح نويس : كاتب الوقائع

وكيل نويس : نائب البلاط

يوزباشي : أمير مائة



- ديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الرفعة أساس الملك الحقيقى ، وسلم زمام حل وعقد نظام العالم ، وضبط وريط بنى آدم ، فى الوجود العالى لأهل العدل والانصاف ، وجعل استمرار قوانين الدين والدولة واستحكامها فى أثر جلال وجمال ، ولطف وقهر ورحمة وسياسة هذه الطبقة العالوية ، وهداهم ليصعدوا بالعرش على قافلة الصراط المستقيم ، ويرشدوا الناس من ظلمات الضلالة الى نور الهداية ، وأفاض بالأنوار الربانية والأسرار الالهية على المنزل المقصود لهداية الضالين فى بادية الحيرة ، وأخص أكمل أفراد الكون وأتم مظاهر التأييد والعون ، من هو جوهره عالى ، ونوره ربانى وعطره غالى وجوهره قدسى ، السماء والأرض ظل نوره ، الكون والمكان من نور ظهوره ، هو قدوة المرشدين الذين سلكوا سلوكه والتحقوا بركابه .

أما بعد ، يعرض العبد الفقير نظام الدين أحمد بن محمد مقيم الهروى ، من أتباع يلاط وأحاب جلالة السلطان الأعظم ، سلطان سلاطين العالم ، الظل الجليل للحق ، خليفة الله المطلق ، مشيد أركان العالم ، مؤسس قوانين العالمين ، ملك الدنيا والناس ، رب الزمان وأهل الزمان ، جامع الأسرار الالهية ، صاحب الملكات الروحانية ، الفاتح عظيم الضوالة ، الملك قوى الدولة ، الأسد المقاتل الغازى ، أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بادشاه غازى (١) خلد الله سلطانه ، وأيد موائده عدله وإحسانه ، انه منذ صغره السن (٢) وبموجب إشارة الأب العزيز (٣) بأن يهتم بقراءة كتب التواريخ التى هى عقل أرباب الاستعداد ، وعبرة أصحاب البصيرة ، وأن يطالع أحوال المسافرين فى رحلة الوجود وهى السير المعنوية ، ولنا كسان السواد الأعظم للهندوستان مملكة واسعة مركبة من عدة إقاليم ومساحات

(١) بادشاه غازى - بالباء المفردة أو المثلثة بمعنى واحد - السلطان الغازى .

(٢) يقصد نفسه - نظام الدين أحمد .

(٣) محمد مقيم الهروى والد المؤلف .

بسيطة غيراء يقولون انها أركان العالم الأربعة ، وقد استولى فى أكثر الأزمنة والأوقات فرد من الأفراد على ناحية من هذه المملكة الواسعة ولعب نفسه بالسلطان ، وظل يحكم ، وأرخ مؤرخو هذا العصر التسواريخ فى أحوال حكم وملك هذه الناحية ، تركوها ذكرى ، ونظسرا لان تاريخ دهلئ (٤) وتاريخ كجرات ، وتاريخ مالوه وتاريخ البنغال وتاريخ السسند وامثالهم من تواريخ سائر أقطاع واكتاف ممالك الهندوستان قد ذكر منفصلا فى الكتب ، والأكثر من ذلك عجباً هو أنه ما من كاتب تصدى لمكتابة تاريخ يكون جامعاً لأحوال ناحية من النواحي . كما أنه لم يولف كتاب جامع قط فى الماضئ أيضاً عن الهندوستان ، وعاصمة هذه الممالك دار الملك دهلئ ، والكتاب الذى اشتهر هو طبقات ناصرى الذى كتبه منهاج (٥) عن السلطان معز الدين غورى وتاريخ بهادرشاهى وتاريخ يهنئ، وتاريخ ناصرى، مظفر شاهى، وتاريخ ميرزا حيدر (٦)، وتاريخ كشمير، وتاريخ السند، ووقعات بابرى (٧)، وتاريخ بابرى، وتاريخ ابراهيم شاهى ووقعات مشتاقئ ، ووقعات حضرت جنت أشياني همايون (٨) بادشاه انار الله برهانه ، ولما كان هذا المؤلف مشتملاً على طبقات جميع حكام الهندوستان وانتهاء جميع الطبقات بالطبقة العالية لجلالة السلطان ، لذا سمئ بطبقات أكبر شاهى ومن جملة الصدف السعيدة أن لفظ نظامئ ، وهو نسب اسم المؤلف ، هو تاريخ لهذا الكتاب (٩) ، وآمل أن يصبح هذا الكتاب موجباً لمزيد من المعرفة لأرباب العلم وجالبا للسعادة .

وموضوع هذا الكتاب اشتمل على مقدمة وتسع طبقات وخاتمة .

المقدمة : « فى بيان أحوال الغزنويين »

(٤) سقطت كلمة « تاريخ دهلئ من نسخة كلكتا » ط٢ ص ٢ .

(٥) أبو عمرو منهاج بن سراج الدين الجوزجائئ صاحب كتاب طبقات ناصرى وهو كتاب يقع فى ثلاثة وعشرين فصلاً ، ويدور حول تاريخ بنئ اسرائيل والمسيح ومحمد عليه السلام والمسلمين الأوائل والخلفاء الراشدين وبنئ أمية وبنئ العباس وملوك الفرس واليمن والدويلات الاسلامية فى ايران والهندوستان ، وكانت هناك نسخة بدار الكتب المصرية برقم س ٦١٧٤ ولكنها فقدت .

(٦) تاريخ رشيدئ ويقع فى ٧٢٩ صفحة .

(٧) واقعات بابرى أو توزك بابرى الفه بالتركية السلطان بابر ، وهو سيرة ذاتية لصاحبه ، ترجم فى عهد السلطان أكبر على يد عبد الرحيم خانخانان .

(٨) يوجد ثلاثة كتب باسم همايون نامه ، أحدهما لجوهر والآخر لخواند مير والثالث كلبدن بيكم .

(٩) بحساب الحروف = سنة ١٠٠١ هـ .

من بداية سيكتكين سنة ٣٦٧ هـ حتى سنة ٥٨٢ هـ (١٠) ، مائتان وخمس عشرة سنة ، خمسة عشر حاكما .

طَبَقَةُ دَهْلِي :

من بداية عهد السلطان معز الدين غوري الذي استولى على بلاد دهلي وحكمها ، حتى عهد السلطان خليفة الهى ، ستة وثلاثون حاكما من سنة ٥٧٤ هـ حتى سنة ١٠٠٢ هـ ، أربعمئة وثمان وأربعون سنة (١١) .

طَبَقَةُ الدَكْن :

سنة وثلاثون حاكما ، من بداية سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ١٠٠٢ هـ . مائتان وأربع وخمسون سنة .

طَبَقَةُ الكَجَرَات :

مدة سلطنتهم من سنة ٧٩٣ هـ حتى سنة ٩٨٠ هـ ، مائة وسبع وثمانون سنة ، وستة عشر حاكما .

طَبَقَةُ البَنْغَال :

واحد وعشرون حاكما ، مائة وثمان وتسعون سنة ، من سنة ٧٤١ هـ الى سنة ٩٢٩ هـ .

طَبَقَةُ مَالِوَه :

اثنا عشر حاكما ، مائة وثمان وخمسون سنة .

طَبَقَةُ جُونِـيـور :

سبع وتسعون سنة ، خمسة حكام .

طَبَقَةُ السِنْد :

واحد وعشرون حاكما ، مائتان وست وثلاثون سنة .

طَبَقَةُ كَشْمِير :

سنة وعشرون حاكما ، مائتان وخمس وأربعون سنة .

(١٠) أهمل المؤلف وضع علامة هجرى عقب التواريخ في أغلب المخطوط ، مع العلم أن هناك مدة تقاويم كانت موجودة في تلك الفترة أشهرها التقويم المسمى بالالهى .
(١١) الصواب هو أربعمئة وثمان وعشرون سنة .

-طبقة المتبان :-

خمسة حكام ، ثمانون سنة .

-خاتمة :-

في ذكر بعض خصوصيات الهندوستان ومقالات متفرقة .

- مقدمة

مقدمة فى ذكر الغزنويين

ناصر الدين سبكتكين : مدة سلطنته عشرون سنة ، يمين الدولة السلطان محمود ومدته خمس وثلاثون سنة ، محمد بن السلطان محمود ومدة حكمه خمسون يوما ، السلطان مسعود بن السلطان محمود ومدة حكمه احدى عشرة سنة ، السلطان مودود بن مسعود ومدة حكمه تسع سنوات ، السلطان محمد بن مودود ومدة حكمه خمسة أيام ، السلطان على بن مسعود ومدة حكمه ثلاثة أشهر ، عبد الرشيد بن مسعود ومدة حكمه أربعة أعوام ، فرخ نژاد بن مسعود (١) ومدة حكومته ست سنوات ، ابراهيم بن مسعود ، ومدة حكمه ثلاثون عاما ويقول آخر اثنتان وأربعون سنة ، مسعود بن ابراهيم ومدته ست عشرة سنة ، أرسلان شاه بن مسعود (٢) وحكومته ثلاث سنوات ، بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم ومدة حكومته خمس وثلاثون سنة ، خسرو شاه بن بهرامشاه ومدة حكومته ثمانى سنوات ، خسرو ملك بن خسرو شاه ، ومدة حكومته ثمان وعشرون سنة .

ذكر الأمير ناصر الدين سبكتكين :

غلام تركى الأصل ، وهو معلوك البتكين غلام الأمير منصور بن نوح السامانى ، وقد بلغ درجة أمير الأمراء فى خدمة منصور بن نوح ، وقد وصل الأمير ناصر الدين الى بخارى مع أبى اسحق ابن البتكين فى أيام

(١) فرخ نژاد - نسخة ك من ٣٢ .

(٢) حكم شيرزاد قبل أرسلان شاه (بداوى جلد اول ص ٣٨) .

حكومة الأمير منصور (٣) ، وبلغ في خدمته درجة الوكالة ، « وعندما حكم أبو اسحق حكومة غزنين نيابة عن الأمير منصور ، ترك أمر الحكومة للأمير ناصر الدين ، واستقل بها استقلالاً تاماً » (٤) ، وعندما طوى أبو اسحق لباس أقامته الى العالم الآخر ، ولم يكن له وريث ، اختار الجيش والرعية راضين حكومة ناصر الدين ، واهتم بأمر الأمانة ، ورفع راية الحكم .

وفي سنة ٣٦٧ هـ قر طغان نامى - الذى كان يحكم ولاية بست - من يد بايتور نامى - الذى استولى على بست ، وجاء الى الأمير ناصر الدين ، وطلب منه المساعدة ، وقاد الأمير ناصر الدين الجيش ، وخلص بست من يد بايتور وسلمها لطغان ، وقبل طغان تقديم هدايا كثيرة ، وعاهد الا يخرج عن طريق الولاء ، ولما لم يف بوعده ، وصدر منه نقض العهد ، استولى الأمير ناصر الدين على بست وتركها لمنائيه (٥) ، ولما كانت قلعة قصدار (٦) فى جوار مملكته وكان حاكمها مستقلاً ، غافله الأمير ناصر الدين ، وقبض عليه ، وأخيراً انتظم فى سلك التابعين ، فعينه على « قصدار » ضمن ولاياته ، وعقد العزم على الغزو والجهاد ، فاتجه صوب الهندوستان ، وعاد بالأسرى والغنائم ، وبنى مسجداً فى كل مكان فتحه ، يرفع الأذان فى خراب ولاية راجه (٧) جيبال (٨) ، الذى كان فى ذلك الوقت « راي » الهندوستان (٩) ، وضاق راجه جيبال بالخراب والدمار الذى أحدثه الأمير ناصر الدين بولايته ، فتوجه لمهاجمة الأمير ناصر الدين بجيوش منظمة وأفيال ضخمة وأسرع ناصر الدين أيضاً لاستقباله والتقى على حدود ولايته بجيبال ، ووقعت معركة حامية ، وأبدى الأمير محمود بن ناصر الدين فى هذه المعركة شجاعة وبطولة ، ومرت عدة أيام والطرفان فى قتال وجدال ، ويقال انه كان فى هذه النواحي عين ماء ، وكان من المتفق عليه أن تلقى القاذورات والأوساخ فى العين ، وهبت الرياح وهطلت الأمطار وسقطت الثلوج ، وأمر السلطان محمود أن يلقوا القاذورات فى العين ، وسقطت أمطار وثلوج كثيرة ، واستاء جيش جيبال الذى لم يعتد البارد ،

(٣) حكم من ٣٥٠ هـ - ٣٦٥ هـ ويلقب بالامير الشديد . (تاريخ بخارى - هامبرى ترجمة أحمد الساداتى ص ١١٧) .

(٤) الجزء بين علامتى التنصيص ورد بنسخة « ك » فقط ص ٥ .

(٥) تاريخ يمينى : العتبى ص ١٧ .

(٦) قصدار : احدى مدن السند (المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٥٧) .

(٧) راجه وراجا لفظ هندی لا يستخدم الا فى الهند ويطلق على ملوك الهنداكة فقط .

(٨) اجيبال : زين الاخبار لابی سعيد عبد الحق بن الضحاك بن محمد كرديزى

تحقيق محمد ناظم ص ٦٦ .

جيبال : روضة الصفا لمحمد بن خاوند شاه بمبى ١٣٧١ هـ جلد چهارم ص ١٣٦٧ .

(٩) راي ورانه ورانا لفظ هندی بمعنى ملك ومؤنثه رانى .

ونفقت جياد وحيوانات كثيرة ، واضطر جيبال عقد الصلح ، وقرر أن يرسل خمسين فيلا ومبلغا كبيرا الى الأمير ناصر الدين ، وترك عدة أشخاص ذوي شأن رهينة ، وأرسل عدة أشخاص الى الأمير ناصر الدين لدفع المال وتقديم الأفيال ، وعندما وصل الى مكانه ، نقض العهد ، وقيد نواب الأمير ناصر الدين عوضا عن رجاله الذين كانوا رهينة ، وعند سماع هذا الخبر قاد الأمير ناصر الدين الجيش بهدف الانتقام ، وطلب جيبال أيضا المساعدة من راجوات الهند ، وجمع قرابة مائة ألف فارس وأفيال كثيرة ، وأسرع للقتال ، ووقعت في نواحي لمغان معركة حامية بين الفريقين ، وحقق الأمير ناصر الدين الفتح والظفر ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والأفيال والأموال ، وفر جيبال الى الهند ، واستولى الأمير ناصر الدين حتى لمغانات ونشر سكتته وخطبته في هذه الديار ، وبعد ذلك توجه لمساعدة الأمير نوح ابن نصر الساماني ، واتجهت الفتوحات الى خراسان وما وراء النهر (١٠) وفي شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة لبي دعوة الحق ، وكانت أيام حكمته عشرين سنة .

ذكر السلطان محمود سيكتكين :

بعد وفاة سيكتكين ، حل الأمير اسماعيل الابن الأكبر لسيكتكين محل والده ، وأراد أن يحرم الأمير محمود من الميراث ، وتغلب الأمير محمود عليه ، وحل محل أبيه ، وقاد الجيش الى بلخ ، واستولى على ولاية خراسان ، وبعد أن طهر هذه البلاد من الأخصاء والأراذل المعارضين ، وبلغ صوت طبول دولته الى الأطراف ، أرسل خليفة بغداد القادر بالله العباسي (١١) ، خلعة فاخرة جدا لم يرسل مثلها قط خليفة الى أي سلطان من قبل ، ولقبه بأمين الملة ويمين الدولة (١٢) وتوجه السلطان في أواخر ذي القعدة سنة تسعين وثلاثمائة من بلخ الى هرات ، ومن هناك ذهب الى سيستان ، وأدخل خلف بن أحمد حاكمها في طاعته ، وجاء الى غزني ، وتوجه من غزني الى الهندوستان ، واستولى على عدة قلاع ، وعاد ، وتقارب مع أيلك خان وقرر أن تكون ما وراء النهر لأيلك خان (١٣) والباقي للسلطان ، وفي شوال سنة ٣٩١ هـ عاد من غزني الى الهندوستان ، وهجم

(١٠) ما وراء النهر ، سقطت من نسخة ١ ص ٥ .

(١١) القادر بالله تولى الخلافة من ٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ (الحضارة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية أحمد الحفناوي ، ص ٥٢) .

(١٢) يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود ولي أمير المؤمنين (زين الاخبار

٦٢) .

(١٣) أيلك أو أيلك لفظ ايغوري بمعنى أمير أو حاكم أو وصي (تاريخ بخارى

ص ١٢٠) .

على « برشاور » بعشرة آلاف فارس ، وتقدم راجه جييال بعشرة أو اثني عشرة ألف فارس ومشاه كثيرين وثلاثمائة قيل لمواجهة ، وأعد هيدان المعركة ، والتحم الفريقان ، وقاتلا ببسالة . وكان الفتح والنصر احيرا من نصيب السلطان محمود ، وأسر راجه جييال وخمسة عشر شخصا من ابنائه وأخوته ، وقتل خمسة آلاف كافر في هذه المعركة ، ويقال أنه كان في رقبة جييال حمائل مرصعة يستمونها بلغة الهندوستان « مالا » وقيمها من شاهدوها بمائة وثمانين ألف دينار ، ووجدوا في رقاب اخوته الآخرين أيضا حمائل قيمة ، وكان هذا الفتح يوم السبت الثامن من المحرم سنة ٣٩٢ هـ ، وتوجه من هناك الى قلعة بالهند (١٤) كانت مقرا لجييال ، واستولى على هذه الولاية ، وعندما حل الربيع عاد الى غزنين .

وفي المحرم سنة ٣٩٣ هـ ، عاد الى سيستان ، وأدخل خلف (١٥) في طاعته ، وأحضره الى غزنين ، وتوجه ثانية الى الهند ، وقصد بهاريتيه (١٦) وكان بجرا (١٧) راجه هناك مغرورا بكثرة جيشه ، وأفياله ومقانة قلعته ، وترك جيشه لمواجهة السلطان ، وتوجه بنفسه مع عدد محدود الى شاطيء نهر السند ، وأدرك السلطان هذا الأمر ، فأرسل جيشا لمهاجمته ، وعندما أحاط به جيش السلطان ، انتجر بطعنة خنجر ، وأحضره رأسه الى السلطان ، ولاحق السلطان تابعيه بالسيف البتار ، وقتل خلقا كثيرين ، واستولى على غنائم كثيرة من أسرى وأفيال ، ونفائس الهندوستان وتوجه الى غزنين وكان من جملة الغنائم مائتان وثمانون فيلا .

ويروى أنه لما كان حاكم الملتان داود بن نصر (١٨) من الملاحدة ، ويدرك ما لدى السلطان من حمية دينية وأنه أيضا سيسعى لتأديبه ، لذا عزم التوجه الى الملتان ، ومن الملاحظ أنه لم يكن يدرك أنه يسير على طريق العداء ، وكان آندبال بن جييال يقف حائلا على رأس الطريق ، وأمر السلطان الجيش بالقتال والنهب والسلب ، وهزم آندبال ، وفر الى كشمير وتوجه السلطان من طريق الهند الى الملتان ، وحاصرها سبعة أيام ، وقبل حاكم الملتان دفع عشرين ألف درهم سنويا (١٩) ، وتعهد بتنفيذ الأحكام

(١٤) « قلعة نهدة » « ١ » ص ٥ ، « قلعة بهند » « ك » ص ٨ ، بويهند (زين الاخبار ٦٦) .

(١٥) خلف بن أحمد (زين الاخبار ٦٦) و (تاريخ يمينى ١٥٠) .

(١٦) بهاتيه « ك » ص ٨ ، بهاطية (زين الاخبار ٦٦) .

(١٧) بحيرا « ك » ص ٨ ، مجراو (زين الاخبار ٦٧) .

(١٨) سباسند (زين الاخبار ٦٧) .

(١٩) داود بن نصر من غلاة الاسماعيلية الذين استغلوا ضعف الحكومة العربية بالسند فأخذ الدعوة لمذهب الاسماعيلية ، وقد سبقه في دعواه جلم بن شيبان والإشيع حميد (تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية وحضارتهم ، أحمد الساداتى ص ٥٧ .

٥٨) (زين الاخبار ٦٨) .

الشرعية ، وقاب ، وعاد ، وبناء على هذا الصلح عاد السلطان الى غزنين ،
وكان هذا فى سنة ٣٩٦ هـ .

ولما كان السلطان قد انشغل فى سنة ٣٩٧ هـ بميدان الحرب مع
الأتراك ، طبقا لما هو مسطور فى الكتب باسهاب ، وفرغ من هذه الحرب
فى ربيع الآخر سنة ٣٩٨ هـ بالنصر المظفر ، علم أن سوكبال حفيد راجه
الهند (٢٠) الذى كان قد وقع أسيرا فى يد أبى على سمجورى (٢١) واسلم
قد سلك طريق الارتداد وفر ، وتعقبه السلطان محمود ، وأسره ، وحبسه
حتى مات فى هذا الحبس .

توجه السلطان محمود فى سنة ٣٩٩ هـ الى الهندوستان مرة أخرى ،
وتقاتل مع آنديال ، وهزمه ، وغنم منه ثلاثين فيلا وغنائم كثيرة ، وتوجه
من هناك الى قلعة بهيم نكر ، وحاصرها وطلب أهلها الأمان ، وفتحوا
الباب ، ودخلها السلطان مع عدد من خاصته ، واستولى على خزائن
الذهب والفضة وما كان مخفيا منذ عهد بهيم ، وعاد ، وأمر أن يضعوا
الذهب والفضة فى البلاط ، وأن يصبوا جميع هذه الأموال فى ميدان
فسيح ليتمتع الجيش والرعية بالتفرج عليها ، وكانت هذه الواقعة فى أوائل
سنة ٤٠٠ هـ .

وتوجه السلطان محمود (٢٢) الغازى سنة ٤٠١ هـ من غزنين قاصدا
الملتان ، واستولى على ما كان قد بقى من ولاية الملتان ، وقتل أكثر
القرامطة والملاحدة الذين كانوا هناك ، وقطع دابرهم ، وسجن البعض
بالقلعة حتى ماتوا هناك ، وفى هذه السنة حمل داود بن نصر الى غزنين ،
وأرسله حبيسا الى قلعة غورك حتى مات هناك ، وعندما علم السلطان
أن تهانيسر مدينة بالهند بها معبد أصنام كبير فيه صنم اسمه « جكرسوم »
يعبده أهل الهند ، جمع السلطان الجيش للجهاد ، وتوجه الى تهانيسر سنة
٤٠٣ هـ ، وعلم نرو جيال (٢٣) ، فأرسل سفارة ورسالة قائلا « لو رجع
السلطان عن هذا العزم ، أرسل اليه خمسين فيلا هدية » ، ولم يهتم
السلطان بهذا العرض ، وعندما وصل الى تهانيسر ، رأى المدينة خالية ،
فأغار على الجنود الذين كانوا بها ، وحطم الأصنام ، وحمل صنم جكرسوم
الى غزنين ، وأمر السلطان أن يضعوا هذا الصنم تحت العتب ليطلع
الناس .

(٢٠) سوكبال بن راجه هند « ١ » ص ٦ ، سوكبال حفيد راجه هند « ك » ص ٩ .

(٢١) أبو على سيمجورى بن أبى الحسن سيمجورى ، ويشتهر بسوء الخلق مثل

أبيه (تاريخ بخارى ص ١١٩) .

(٢٢) سقطت كلمة « محمود » من نسخة « ١ » ص ٦ .

(٢٣) بروجيال (زين الاخبار كرديزى (٧١) .

وفي سنة ٤٠٣ هـ فتح السلطان غرجستان ، وأسر « شار » حاكمها ،
وفي أواخر هذه السنة لجأ أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٢٤) الى السلطان
محمود من غلبة تسلط الأخوة ، وكتب السلطان الرسائل ليعقد الصلح
بينهم ، وفي هذه السنة أيضا وصل رسول عزيز مصر (٢٥) الذي كان
ماهرا في الحديث ، وأسر العلماء والفقهاء الى السلطان من أن هذا
الرسول على مذهب القرامطة ، فأمر السلطان بالتشهير به وطرده (٢٦) .

في سنة ٤٠٤ هـ هاجم السلطان قلعة نندنه في جبل بالناتيه (٢٧) ،
وترك تروجييال رجلا محنكا للحفاظ على القلعة ، ودخل بنفسه وادي
كشمير ، ووصل السلطان الى نندنه ، وحاصر القلعة ، وشرع في النقب
والحصار ، فطلب أهل القلعة الأمان ، وسلموا القلعة ، فدخلها السلطان
محمود مع عدد من خاصته (٢٨) ، وحمل الأمتعة والأموال التي كانت
هناك كلها ، وأعطى صرة منها للكوئوال (٢٩) واتجه صوب وادي كشمير
حيث كان نروجييال هناك ، وفر نروجييال من هناك ، ودخل السلطان هذا
الوادي ، واستولى على غنائم كثيرة من الأسرى والذهب ، ودخل كثير
من الكفار دين الاسلام ، ورفع راية الاسلام ، وعاد الى غزنين ، واتجه الى
كشمير في سنة ٤٠٧ هـ وحاصر قلعة كوة كوت (٣٠) التي كانت مشهورة
بالرفعة والمتانة ، وعندما انقضى زمن على هذا واشتد البرد والمطر ،
ووصل المدد الى الكشميريين ، ترك السلطان الحصار ، وعاد الى غزنين
في فصل الربيع .

في نفس هذه السنة كتب أبو العباس بن مأمون خوارزم شاه من
خوارزم رسالة الى السلطان محمود ، طالبا أخته ، ولبي السلطان محمود
طلبه ، وأرسل أخته الى خوارزم ، وفي سنة ٤٠٧ (٣١) هـ هجم جمع من

(٢٤) أبو الفوارس بن بهاء الدولة « أ » ص ٦ .

(٢٥) عزيز مصر - وهو حاكم مصر ، وكان الحاكم بأمر الله هو الخليفة في ذلك
الوقت (٣٨٦ - ٤١٤ هـ) وكان المذهب الشيعي الاسماعيلي الفاطمي هو مذهبهم ، بينما
محمود الغزنوي سني المذهب (القاهرة من جوهر القائب الى الجبرتي - أحمد زكي
ص ٢٢) .

(٢٦) أمر أن يسلموه لحسن بن طاهر بن مسلم العلوي (زين الاخبار ٧١) .

(٢٧) بالتائه أ ص ٧ .

(٢٨) ينقل نظام الدين كثيرا عن زين الاخبار في أحوال الغزنويين .

(٢٩) كوئوال هو حاكم المدينة أما حاكم القرية فهو مقدم ، والفضل استخدام كلمة
كوئوال في الترجمة لأن كوئوال هو الحاكم المدني والعسكري وهو لفظ هندي ولا يستخدم
الا في الهند (ماجمدار - ص ٥٥٨) .

(٣٠) لوه كوت « ٦ » ص ١١ ، زين الاخبار ٧٢ .

(٣١) سنة ٤٠٦ ، (زين الاخبار ٧٣) .

الأوباش على خوارزمشاه ، وقتلوه ، وجاء السلطان من غزنین الى بلخ ، وتوجه الى خوارزم ، وعندما وصل الى « حصريند » على حدود خوارزم عين ابراهيم الطائي على مقدمة الجيش وأرسله أمامه ، وعندما اتخذوا أماكنهم ، وانشغلوا بأداء صلاة الفجر ، هجم عليهم خمارتاس (٣٢) الذي كان قائدا للخوارزميين (٣٣) من كمين ، وقتل جمعا كبيرا ، وفرق هذا الجماعة وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان ، عين جيشا كبيرا من خاصة غلمانه لتعقبه وتعقبوه ، وأسروه وأحضروه عند السلطان ، وعندما وصل السلطان الى قلعة « هزاراسب » تجمع جيش خوارزم يكامل استعداداته وقامت معركة حامية ، وأخيرا وقعت الهزيمة على جيش خوارزم ، وأمر اليتكين بخارى قائدهم ، وتوجه السلطان بجيشه الى خوارزم ، واقتصر أولا من قتلة أبي العباس ، ولقب أمير حاجب التونتاش (٣٤) بلقب « خوارزمشاه » وولاه ولاية خوارزم واركنج (٣٥) وجاء من هناك الى بلخ ، وأعطى ولاية مرات لابنه الأمير مسعود ، وأرسل يرفقته أبا سهيل محمد بن حسين روزني وكيلا له ، وأعطى ولاية جرجان (٣٦) أمير محمد وجعل أبا بكر قسهتاني برفقته .

وفي سنة ٤٠٩ هـ . قاد السلطان محمود الجيش بعزيمة ، فتح ولاية قنوج ، وعبر سبعة أنهار كبيرة (٣٧) وعندما وصل الى حدود قنوج ، أطاعه « كوره » حاكمها ، وطلب الأمان ، وقدم الهدايا واتجه السلطان من هناك الى قلعة « برن » (٣٨) فسلم « هروت » القلعة الى قومه واختفى ، ولم يستطع أهل القلعة المقاومة ، فطلبوا الأمان وقدموا « ألف » حمل وألف درهم بما يعادل مائتين وخمسين ألف رويية ، وثلاثين فيلا هدية ، واتجه السلطان الى قلعة مهاون (٣٩) الواقعة على شاطئ جون (٤٠) ، فركب رأى هذه القلعة كلجنذر فيلا وأراد أن يعبر النهر ، ويقر وهجم عليه جيش السلطان ، وعندما وصلوا اليه ، انتحروا .

-
- (٣٢) خمارتاس « ١ » ص ٧ ، خمار تاش (زين الاخبار ٧٢) .
 (٣٣) سبه سالار .
 (٣٤) النوبتاس « ١ » ص ٧ .
 (٣٥) كركانج (زين الاخبار ٧٤) .
 (٣٦) كوركمان (زين الاخبار ٧٤) .
 (٣٧) عبر نهر السند المتجه الى بشاور ثم نهر جهيلم وبياه وجيتاب وداري ودالي وستلج .
 (٣٨) برنه ١ ص ٧ ، زين الاخبار ٧٥ .
 (٣٩) بهاون ص ٧ .
 (٤٠) نهر جون فرع من نهر الجانج ويعبر بدهلي وأكرا .

« عندما تكون الحياة بفضل العدو
فالموت أفضل كثيرا من الحياة »

وفتحت القلعة ، وسقط خمسة وثمانون فيلا وغنائم لا حصر لها في
يد جيش الاسلام ، ووصلوا من هناك الى مدينة متورة (٤١) ، ومتورة ،
هذه مدينة كبيرة تضم معابد أصنام كثيرة ، وهي موطن ميلاد كشن
ابن ياس ديو ، الذي يبجله الهنود تبجيلا كبيرا ، المهم ، عندما وصل
السلطان الى هذه المدينة لم يتقدم أحد للمقاتلة ، وأغار جيش السلطان على
المدينة كلها ، وحرقوا المعابد ، واستولوا على أموال لا حصر لها ،
وحطموا بأمر السلطان صنما ذهبيا وزنه ثمان وتسعون ألف وثلاثمائة
 وخمسون مثقالا من الذهب ، ووجدوا قطعة ياقوت كحلية ، وكان وزنها
أربعمائة وخمسين مثقالا ، ويقولون أن « جنداري » أحد ملوك الهندوستان ،
كان لديه فيلا قويا جدا ومشهورا ، وأراد السلطان أن يشتريه بسعر
مرتفع ، ولكنه لم يتيسر له ، وتصادف أنه عند العودة من رحلة قنوج ،
فر هذا الفيل ذات ليلة بدون سائسه ، ووصل الى خيمة السلطان وأمسك
به السلطان ، فهدأ الفيل ، وأسماه « خداداد » (٤٢) ، وعندما وصل
الى غزنين أحصوا (٤٣) غنائم رحلة قنوج ، فكانت عشرين « داند » (٤٤)
أو ألف درهم وثلاثمائة وخمسين ألف أسير وثلاثمائة وخمسين
« داند » فيل .

ويزوي أنه عندما سمع السلطان محمود أن نندا نام راجه قد قتل
راى قنوج بسبب اطاعته ، وولائه للسلطان محمود ، صمم السلطان على
استئصال نندا ، وتوجه الى الهندوستان سنة ٤١٠ هـ وعندما وصل الى
نهر جون ، جاء نروجييال (٤٥) الذي فر عدة مرات من جيش السلطان ،
لمساعدة ومعاونة نندا في مواجهة السلطان ، ولما كان النهر بينهما عميقا ،
لم يدع السلطان أحدا يعبر النهر دون أمر ، وتصادف أن عبر النهر ستون
شخصا من خاصة غلمان السلطان ، وهجموا على جيش نروجييال
وهزموه ، وفر نروجييال مع عدة أشخاص من الكفار ، ولم يأت الغلمان
الى السلطان وتوجهوا الى مدينة كانت في هذه الناحية ، ووجدوا المدينة

(٤١) ماتوره (زين الاخبار ٧٥) .

(٤٢) هبة الله .

(٤٣) غير معروف . ما هو المقصود من « داند » ربما يقصد بها « جمل » وربما
يقصد بها دائق ، لكن المعنى الأول أقرب للصواب ، واند (زين الاخبار ٧٥) . وربما
يعنى «ونيف» .

(٤٤) لم ترد كلمة « هزار » في نسخة « ١ » ص ٨ ، وزين الاخبار ٧٦ .

(٤٥) جاءت هكذا نزيه ونزي . في نسخة « ١ » .

خالية ، فانتهبوها ، وحطموا معابدها ، وتوجه السلطان الى ولاية نندا ، وكان نندا مستعدا للقتال وجمع جيشا كبيرا ، ويقال انه كان لديه ستة وثلاثون ألف فارس ، ومائة وخمسة وأربعون ألف من المشاة ، وثمانمائة وأربعون فيلا ، وعندما نزل السلطان في مواجهته ، أرسل اليه في البداية رسولا ليدعوه الى الطاعة والاسلام ، ولوى نندا عنقه عن الطاعة ، وقرر القتال ، بعد ذلك صعد السلطان على ربوة ، ليحصى جيش نندا ، وعان كثرة جيشه ، وندم على المجيء ، وخفض جبينه خاشعا ، وطلب العون والمدد من الله ، وعندما حل المساء ، تسلل رعب كبير في نفس نندا ، فترك متاعه وأدواته ، وسلك طريق الفرار مع خاصته .

وفي اليوم التالي علم السلطان بهذا الأمر ، فركب ، وأرسل عدة كمائن لتعقب جيشه ، لما يعلمه من مكره وغدره ، وأطلق يد السلب والنهب ، وسقطت غنائم كبيرة في يد جيش الاسلام وتصادف أن وجدوا في غابة خمسمائة وثمانين من أفيال جيش نندا ، فأخذوهم غنيمة ، وعاد السلطان بالظفر والنصر الى غزنين .

في هذه الأيام وصل الخبر أن قيرات ونور واديان أهلها جميعا كفار ، ولديهم حصون محصنة ، فأمر السلطان بجمع الجيوش ، وأخذ يرفقته كثيرا من الحدادين والنحاتين والنحاسين ، وتوجه الى هذه البلاد ، وعندما اقترب من هذا المكان ، قصد أولا قيرات ، وهو مكان بارد وملىء بالثمار وأهالى هذه المدينة يعبدون الخمر (٤٦) ، وسلك حاكمها طريق الولاء وأسلم ، وسعد جميع أهالى هذه البلاد بالاسلام ، وأرسل صاحب على بن ألت أرسلان (٤٧) لتسخير نور ، وذهب ، وفتح هذه البلاد وبنى القلعة ، وعين على بن قدر جوق كوتوالا لهذه القلعة ، وانتشر الاسلام في هذه الديار طوعا أو كرها ، وفي سنة ٤١٢ هـ توجه الى كشمير ، وحاصر كوه كوت ، وأقام هناك شهرا ولم يستطع تسخير القلعة لاستحكامها وارتفاعها ، وتوجه من هناك الى لاهور وباكره ، وأشاع الجيش النهب والسلب في هذا الجبل ، وسقطت غنائم لا حصر لها في يد جيش الاسلام ، وعاد الى غزنين بالنصر والظفر في أول الربيع .

وفي سنة ٤١٣ هـ توجه الى ولاية نندا ، وعندما وصل الى قلعة كواليار ، حاصرها وأرسل حاكمها الرسل بعد مرور أربعة أيام ، وقدم خمسة وثلاثين فيلا هدية ، وطلب الأمان وقبل السلطان هذا الصلح وتوجه الى قلعة كلنجر (٤٨) التي لا يوجد مثلها في الحصانة والاستحكام

(٤٦) زين الاخبار ٧٨ .

(٤٧) على بن أيل أرسلان (زين الاخبار ٧٨) .

(٤٨) كلينجر ، كالنجر ، كلنجر : قلعة حصينة في الهندوستان .

وحاصرها ، وقدم نندا حاكم هذه القلعة ثلاثمائة فيل بعد مرور فترة على الحصار ، وطلب الأمان ولما كان قد قدم هذه الأفيال بدون حراسها ، أمر السلطان أن يركب الأتراك هذه الأفيال ويأخذونها ، وتعجب أهل القلعة مما يشاهدونه ، وأخذوا العبرة من الأتراك ، وقال نندا شعرا باللغة الهندية في مدح السلطان ، وأرسله وعرض السلطان هذا الشعر على قسحاء الهند والشعراء الآخرين الذين كانوا في ركابه (٤٩) ، وأثنوا عليه جميعا ، فسر السلطان ، وأرسل منشور حكومة خمس عشرة قلعة مع تحف أخرى إليه على سبيل الصلة ، وأرسل نندا أيضا مالا وجواهر لا حصر لها إلى السلطان ، وعاد السلطان من هناك إلى غزنين منصورا وظافرا .

وفي سنة ٤١٤ هـ استعرض السلطان جيشه والجيش التي كانت في الأطراف فكانت أربعة وخمسين ألفا من الفرسان وألف وخمسمائة فيل .

وفي سنة ٤١٥ هـ توجه إلى بلخ ، وتظلم أهالي ما وراء النهر في ذلك الحين من على تكين ، وعبر السلطان جيحون لدفعه ، وأسرع حكام ما وراء النهر قرادى للاستقبال ، يقدمون الهدايا كل حسب سمته ، واستقبل يوسف قدر خان ، الذي كان سلطانا على جميع التركستان ، والتقى على طريق المحبة والصداقة ، وسر السلطان لمجيئه ، ونظم الاحتفالات ، وقدم كل منهما إلى الآخر الهدايا ، وقدم السلطان من نفائس الهندوستان الجواهر القيعة والأفيال الضخمة واقتربنا بالصلح والرضا ، وعلم على تكين (٥٠) بالخبر ، وأرسل السلطان أشخاصا لتعقبه وأسره ، وحبسه السلطان وأرسله إلى قلعة من قلاع الهندوستان ، وعاد من هناك إلى غزنين وقضى الشتاء فيها (٥١) .

وكعادته قاد الجيش إلى الهندوستان قاصدا تسخير سومنات ، وسومنات هذه مدينة كبيرة على ساحل البحر المحيط (٥٢) وهي معبد للبراهمة ، وكانت في المعبد أصنام ذهبية ، ويسمونها الصنم الأكبر « منات » (٥٣) وورد في القواريف أن هذا الصنم رفع في عهد خاتم

(٤٩) عرض الشعر على شعراء الهندية والفارسية والعربية (زين الاخبار ٨٠)

(٥٠) على تكين « ١ » ص ٩ ، زين الاخبار ٨١ .

(٥١) يلاحظ أن نظام الدين ينقل عن زين الاخبار .

(٥٢) يقصد به المحيط الهندي .

(٥٣) يقصد ضم مناة الذي ورد ذكره في الآية الكريمة « أفرايم اللات والعزي ومناة

الثالثة الأخرى » النجم ٢٠ .

الأنبياء صلى الله عليه وسلم من الكعبة ، وأحضر الى هنا ، ولكن فى كتب السلف من البراهمة يتضح أنه ليس كذلك ، وأن هذا الصنم من عهد كشن الذى كان منذ أربعة آلاف سنة ، وهو معبود البراهمة ، ويقول البراهمة أن كشن قد اختفى هناك .

المهم ، عندما وصل السلطان الى مدينة نهرواله بقن (٥٤) رأى المدينة خالية ، فأمر بحمل الخلال ، وتقدم صوب سومنات (٥٥) وعندما وصل سومنات ، أغلق أهلها باب القلعة فى وجه جيش السلطان ، وبعد قتال وجدال فتحت القلعة ، وقام بالنهب والسلب وقتل وأسر خلق كثيرون ، وحطم المعابد واقتلعها من أساسها وكسر سومنات الى أجزاء ، ووضعوا جزءا تحت عتبة المسجد الجامع بغزنين ، وظل هذا الحجر هناك منذوات .

رفع السلطان لواء العودة من هناك ، وبسبب وجود « برم ديو » واجه من راجوات الهندوستان على الطريق ، وجد أن الوقت ليس فى صالحه للقتال فتوجه الى الملتان عن طريق السند ، وفى هذا الطريق واجه الجيش صعوبات بالغة فى بعض الأماكن بسبب نقص الماء وفى أخرى بسبب نقص العلف (٥٦) ، وجاء الى غزنين سنة ٤١٧ هـ بمشقة بالغة .

فى هذه السنة كتب القادر بالله رسالة الى السلطان محمود ، وأرسل لواء خراسان وهندوستان ونيمروز وخوارزم ، ولقب السلطان وأبناءه واخوته فى هذه الرسالة بالألقاب ، لقب السلطان بكهف الدولة والاسلام ، والأمير مسعود بشهاب الدين وجمال الملة (٥٧) والأمير محمد جلال الدولة وجمال الملة والأمير يوسف بعضد الدولة ومؤيد الملة ، وكتب أن أى شخص توليه العهد ، نحن نرضى به أيضا ، ووصلت هذه الرسالة الى السلطان فى بلخ ، وفى هذه السنة قاد جيشا عظيما لتأديب الجته الذين أصابوا الجيش أثناء العودة من سومنات بأضرار ، فى الملتان وعندما وصل الى الملتان ، أمر بأن يصنعوا ألفا وأربعمائة مركب ، ويضعوا على كل مركب ثلاثة قرون حديدية كاملة وقوية ، الأول فى مقدمة المركب والاثنان على جانبيها ، وكلما كانت تقترب سفينة من هذه القرون

(٥٤) ترواله بقن ١ ص ٩ .

(٥٥) سومنات بالصاد المهملة أو السين المهملة التعريف ببلاد « السار » وهى فى ناحية داخلية فى البحر . (العرب والهند فى عهد الرسالة - القاضي أظهر مباركهورى ص ٩٢) .

(٥٦) فى أدبيى ص ٩ .

(٥٧) جلال ك ص ١٧ .

تتحطم وتغرق ، وألقى بهذه المراكب فى نهر واسع (٥٨) وأجلس فى كل مركب عشرين شخصا بالسهام والأقواس وقارورة نبط ، وتوجه لاستئصال الجثة وعلم الجثة بالخبر فأرسلوا أهاليهم وعيالهم الى الجزر ، وتجردوا للمواجهة ، وألقوا بأربعة آلاف وبرواية أخرى ثمانية آلاف مركب فى النهر ، واستقرت جماعة مسلحة فى كل مركب ، وأسرعوا للمقاتلة ، وعندما التقى الطرفان ، والتحما فى قتال ، كانت كل مركب من مراكب الجثة تتحطم وتغرق عندما تقترب من مركب رجال السلطان ويصلها القرن ، حتى غرق الجثة جميعا ، وصار البقية منهم علفا للسيوف ، وتوجه جيش السلطان الى عيالهم ، وأسره جميعا ، وعاد السلطان الى غزنين ظاهرا .

وفى سنة ٤١٨ هـ أرسل السلطان محمود أمير طوس أبا الحرب (٥٩) إرسالن ليستأصل التركمان وكتب أمير طوس الى السلطان بعد معارك عظيمة ، ان تدارك فسادهم غير ممكن بدون توجه السلطان بنفسه ، وتوجه السلطان بنفسه لاستئصال التركمان ، ومن هناك اتجه الى الري ، واستولى بدون مشقة على خزائن ودفائن الري التى كان حكامها قد أودخروها فى سنوات طويلة ، وقتل كل من يثبت عليه أنه من أتباع مذهب القرامطة ، وأعطى ولاية الري وأصفهان للأمير مسعود الى غزنين .

وفى فترة وجيزة أصيب بمرض السيل ، وكان يزداد عليه يوما بعد يوم ، وكان يتحامل على نفسه أمام الناس ، حتى وصل الى بلخ ، وعندما حل الربيع ، توفى بنفس المرض فى غزنين يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ رحمة الله عليه ، وكانت مدة حكمه خمس وثلاثون سنة .

ويقال أن السلطان أمر وهو فى سكرات الموت أن يجمعوا الخزائن والأموال النفيسة أمامه وتحسر على مفارقتها ، وتأوه ، ولم يعط أحدا دنانقا (٦٠) سافر اثنتا عشرة مرة الى الهند للجهاد .

(٥٨) سيحون (زين الأخبار ٨٨) .

وربما يقصد نهر السند . جيحون فى ما وراء النهر وليس فى الملتان ، كما أن الجثة هؤلاء من الأقوام التى سكنت الملتان والسند ويسمون الزط والجات (العرب والهند فى عهد الرسالة تأليف ، القاضى أظهر مباركجورى الهندى ترجمة عبد العزيز عزت ص ٤٥) .

(٥٩) أبو الحرب ١ ص ٩ ، أبو الحرث (زين الأخبار ٨٩) .

(٦٠) أقل شيء حيث أن المثلقال = ٦ دنانق (أبو الفضل بن المبارك : أثين اكبرى

ج ٢ ص ١٤) .

ذكر جلال الدولة جمال الملة محمد بن محمود سيكتكين (٦١) :

حين رحل السلطان محمود كان الأمير مسعود في « سياهان » (٦٢)، والأمير محمد في كوركمان (٦٣)، استدعى الأمير علي بن أيل (٦٤) أرسلان - وكان قريبا للسلطان محمود - الأمير محمد، وأجلسه على العرش في غزنين، اهتم الأمير محمد أولا بالمظلومين، وبحث شكواهم واهتم بتعمير الولاية، وفتح الخزائن، وأفاد الوضيع والشريف، وجعل يعقوب بن يوسف بن ناصر الدين عمه « سبه سالار » وأنعم عليه بالخلع، واختار خواجه أبا سهيل أحمد بن الحسن الحمدوي (٦٥) للوزارة، وسلمه جميع مهام المملكة، وظهر الغنى في عهده، وتوجه التجار من الأطراف إلى غزنين، ونعم بالرفاهية الرعية والجيش، وعلى الرغم من ذلك كانت قلوب الناس تميل إلى سلطنة الأمير شهاب الدين أبي سعيد مسعود، وبعد مرور خمسين يوما من وفاة السلطان محمود اتجه الأمير أياز مع الغلمان إلى مسعود، وأقسم الأيمان، وأرسل شخصا إلى أبي الحسن علي بن عبد الله المسمى بعلي دايه، واتفقوا معه أيضا وفي اليوم التالي تجمع الغلمان وركبوا الجياد الخاصة وخرجوا جميعا، واتجهوا من طريق بست، وأرسل الأمير محمد سونديراي هندو (٦٦) بجيش جرار لتعقبهم، وعندما وصل سونديراي إليهم، قامت المعركة، وقتل سونديراي وجمع كبير من الهنود، وقتل أيضا جمع كبير من الغلمان، وأرسلوا رؤوسهم إلى الأمير محمد، وتوجه أياز وعلى دايه بسرعة مع الغلمان حتى وصلوا إلى الأمير مسعود في نيشابور، وقدموا الولاء، وسر الأمير مسعود، واعتذر بسبب الأحوال.

اهتم الأمير محمد في غزنين باللهو والمرح، وعندما مرت عليه أربعة أشهر، أمر أن يقيموا معسكرا في جانب بست، وخرج الجميع من غزنين، وعندما وصل إلى تيكيناباد (٦٧)، اتفق جميع قواد الجيش، وأرسلوا رسالة إلى الأمير محمد أنه « لما كان جميع الناس طائعين وموالين للأمير مسعود، فمن الأجدر ألا تقاومه والصواب هو أن يحل محلك، وسنذهب إليه، وسنعتذر نيابة عنك، وسيدعوك، حتى تأمن على ».

(٦١) لم ترد كلمة سيكتكين في نسخة « ١ »، ص ١٠.

(٦٢) سياهان اسم مدينة أصفهان القديمة.

(٦٣) كوركمان (زين الأخبار ٩٢)

(٦٤) أصل أرسلان « ١ »، أيل أرسلان حاجب (زين الأخبار ٩٣)

(٦٥) الميمندي - « ٦ »، ص ١١، الحمدوي (زين الأخبار ٩٣)

(٦٦) سونديراي (زين الأخبار ٩٤)

(٦٧) نيكيناباد « ١ »، ص ١١، تيكينا ياد « ٢ »، تيكيناباد (زين الأخبار ٩٤)

أرواحنا وروحك » ، ولم يجد الأمير محمد أحدا بجانبه ، رحل الأمير يوسف وعلى حاجب وقواد آخرون لجيش الأمير محمد إلى قلعة ذنج ، وتوجهوا بالجيش كله والخزائن إلى الأمير مسعود ، وتوجهوا إلى هرات ، ولم تتعد حكومته خمسة أشهر .

ذكر أبي سعيد مسعود بن يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي (٦٨) :
عندما التحق إياز بن إيماق وعلى دايه بالأمير مسعود في نيشابور ، قوى ساعده ، وسعى للعدل والانصاف ، وبعد مرور عدة أيام ، جاء أبو سهيل مرسل بن منصور بن أفلح كرديزي (٦٩) بلواء من أمير المؤمنين القادر بالله ، فقال الانعام والاكرام ، وجاء الأمير مسعود من نيشابور إلى هرات ، ووصل على حاجب في ذلك الوقت إلى الأمير مسعود ، ونال كل الاكرام ، ووصل جميع حشم وخزائن الأمير مسعود من هرات إلى بلخ ، وقضى الشتاء هناك ، واستدعى أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندي : الذي كان قد سجن في قلعة كلنجر بأمر السلطان محمود ، وعينه على الوزارة ، وأمر الأمير جنك ميكائيل بالرحيل ، واستئصال شافة الأشخاص الذين خالفوا الأمير مسعود واتفقوا مع الأعداء ، ونفى الأمير أحمد بن نياتكين (٧٠) خازن السلطان محمود ، وأخذ منه أموالا كثيرة ، وأرسله إلى الهندوستان (٧١) وعندما وصل أحمد إلى الهندوستان أعلن العصيان .

جاء أبو طالب رستم مجد الدولة بأمر الأمير مسعود من الهند إلى غزنين ، وحضر الأمير حسين بن معدان أمير مكران إلى الأمير مسعود للشكوى من أخوته ، فأمر الأمير مسعود أمير تاش فراش بالاقتصاص من أخوته وانصاف الأمير حسين ، ويجلسه على مكران ، وجاء الأمير مسعود من بلخ إلى غزنين ، وفرح أهل المدينة واستقبلوه ، ونشروا الدراهم والدنانير ، واتجه من غزنين إلى سباهان والري ، وعندما وصل إلى هرات اشتكى أهالي سرخس وباورد (٧٢) من التركمان فأرسل الأمير أبا سعيد عيدروس (٧٣) بن عبد العزيز بجيش جرار لمهاجمة التركمان ، ووصل اليهم وقامت المعركة ، وقتل كثيرون من الطرفين ، وقاتل جيش الأمير مسعود عدة مرات ، وعاد .

(٦٨) ذكر أبي سعيد مسعود يمين الدولة السلطان محمود « ١ » ص ١١ .
(٦٩) كردي « ١ » ص ١١ ، أبو سهل مرسي بن منصور بن أفلح كرديزي (زين الاخبار ٩٥) .

(٧٠) أحمد بن ماليك « ١ » ص ١١ ، نياتكين (زين الاخبار ٩٧) .

(٧١) محل الياروق (أرياق) حاجبها (زين الاخبار ٩٧) .

(٧٢) اعتقد أنها أبيورد وهي قرب سرخس .

(٧٣) عيدروس « ١ » ص ١١ ، أبو سعيد عيدروس بن عبد العزيز (زين الاخبار ٩٨) .

وفى سنة ٤٢٣ هـ (أصدر أمرا الى خواجه أحمد بن حسن بالتوجه الى خوارزم) (٤٧) ووزر محله خواجه أبا نصر أحمد بن محمد عبد الصمد الذى كان مشهورا برأيه الصائب وحسن تدبيره ، وتوجه الى خوارزم ، وعمر هذه النواحي ، وعاد من هناك الى الأمير مسعود ، وعاد الأمير مسعود الى غزنین .

وفى سنة ٤٢٤ هـ توجه الى الهندوستان ، وهجم على قلعة سرستى ، التى كانت فى وادى كشمير ، وحاصرها ، وفتح القلعة فى النهاية ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعاد من هناك الى غزنین .

وفى سنة ٤٢٥ هـ توجه الى أمل وسارى ، وتجمع أهالى هذه البلاد ، واستعدوا للقتال ، ونال جيش غزنین الفتح والنصر ، وأرسل كاليخا (٧٥) أمير طبرستان الرسل ، وقبل الخطبة باسم الأمير مسعود ، وأرسل ابنه بهمن وابن أخيه شروين بن سرخاب (٧٦) رهائن ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى غزنین ، وعندما وصل نيشابور ، تظلم الأهالى من التركمان (٧٧) ، فأرسل الأمير مسعود بكتعدى (٧٨) وحسين بن على بن ميكائيل بجيش جرار لمهاجمتهم .

وعندما وصل الجيش الى « شنيد انفاق » جاء رسل التركمان ، وقدموا رسالة « اننا عبيد وطائعو البلاط ، فلو حددت لنا حدود المرعى ، فلن يكون لنا علاقة بأحد ، ولن نؤذى أى شخص » ولكن يكتعدى أجاب الرسل بجفاء وقال « ليس بيننا وبينكم الا السيف ، فان أطعتم وعدتم عن أعمالكم القبيحة ، أرسلوا رسولا الى الأمير مسعود ، واحضروا من عنده مكتوبيا ، وعندئذ أكف عنكم » ، سمع التركمان هذا القول من أفواه الرسل ، وتقدموا ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على التركمان ، فتقهقروا ، وتغلبهم يكتعدى ، وأسر أهاليهم وزوجاتهم ، واستولى على غنائم كثيرة ، وأثناء العودة حيث كان جيش يكتعدى متفرقا وراء الغنائم هجم داود تركمان من ممرات الجبل على جيش يكتعدى ، واستمرت الحرب ليلتين ويوم ، وقال يكتعدى لحسين بن على ، « ان التوقف ليس مناسبا » وثبت حسين وقامت الحرب ، وأسر فى يد التركمان ، وفر يكتعدى الى الأمير مسعود .

(٧٤) جملة غير موجودة فى نسخة « ك » ص ٢١ ، وموجودة بزين الاخبار ٩٩) .

(٧٥) كالنجار (زين الاخبار ١٠٠) .

(٧٦) شروين سرخاب (زين الاخبار ١٠٠) .

(٧٧) ينقل نظام الدين أحمد عن كردبى بتصرف .

(٧٨) بكمندى « ١ » ص ١٢ بكتعدى (زين الاخبار ١٠٢) .

(٧٩) أحمد بن ماليكن « ١ » ص ١٢ ، أحمد بنالتكين ، يذال تكين (زين الاخبار

(١٠٢) .

وعندما وصل الأمير مسعود إلى غزنين ، بلغه خبر طغيان أحمد بن نياتكين (٧٩) فأرسل الأمير مسعود بانتته بن محمد على قائد الهندو لهاجمته ، وعندما التقيا ، والتحما في القتال قتل بانتته (٨٠) وتفرق جيشه ، وعندما وصل هذا الخبر الأمير مسعود أرسل تلك بن حسين (٨١) قائد قواد الهندو ، فذهب وحارب ، وهزم أحمد ، وقطع أذن وأنف كل من وقع في يده من جيش أحمد ، وفر أحمد إلى منصوره (٨٢) بالسند وأراد أن يعبر نهر السند ، وتصادف أن حدث سيل ، فغرق وفقد ، وعندما ألقاه الماء على الشاطئ ، قطعوا رأسه ، وأحضروها إلى تلك (٨٣) ، وأرسل تلك هذه الرأس إلى الأمير مسعود .

وفي سنة ٤٢٧ هـ تم بناء القصر الجديد ، ووضعوا عرشا ذهبيا مرصعا بالجواهر في هذا القصر ، وعلقوا تاجا ذهبيا مرصعا بجواهر وزنها سبعون منا (٨٤) يتدلى من أعلى هذا العرش بجنزير ذهبي ، وجلس السلطان على هذا العرش ووضع هذا التاج المعلق على الرأس ، وأعلن العفو العام ، وفي نفس هذه السنة سلم « الطبل والعلم » للأمير مودود ، وأرسله إلى بلخ ، وقاد الجيش نحو الهندوستان ، وعندما وصل إلى قلعة هانسي (٨٥) فتحها ، وغنم غنائم كثيرة ، وقاد الجيش من هناك إلى قلعة « سنوني بت » وعلم حاكمها دانيال هرنام (٨٦) ، ففر ، واختفى في الغابات ، وفتح جيش الاسلام هذه القلعة ، وحطم جميع المعابد ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعندما عرفوا بخبر دانيال ، هاجموه ، وأدرك ذلك ، ففر وحيدا وأصبح جميع جيشه ما بين قتيل وأسير ، وتوجه من هناك إلى وادي « رام » وعندما علم رام قدم هدايا كثيرة وأرسل رسالة اعتذر فيها لشيخوخته وضعفه ، وقبل الأمير مسعود عذره وكف يده عنه ، وأعطى « الطبل والعلم » للأمير أبو الحمد (٨٧) بن مسعود وأرسله إلى لاهور وعاد إلى غزنين .

وفي سنة ٤٢٨ هـ جاء من غزنين إلى بلخ لتدارك فساد التركمان ، وترك التركمان بلخ بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوجهوا إلى الأطراف ،

(٨٠) تنته « ١ » ص ١٢ ، بانه بن محمد مللي (زين الاخبار ١٠٢) :

(٨١) تلك بن جهلن (زين الاخبار ١٠٢) .

(٨٢) يناها محمد بن القاسم سنة ٩١ هـ ، منصوره وسند (زين الاخبار ١٠٣) .

(٨٣) ملك « ١ » ص ١٢ .

(٨٤) المن نوع من المكاييل والأوزان مازال مستعملا حتى الآن في بعض الدول وكان

المن في ذلك الوقت يساوي ٥٠ سيرا .

(٨٥) قلعة هاسي « ١ » ص ١٢ .

(٨٦) ديبال هريانه (زين الاخبار ١٠٤) .

(٨٧) أبو الحمد « ١ » ص ١٢ ، مجدود (زين الاخبار ١٠٤) .

وفى تلك الأثناء ، جاء الخبر أنه بعد أن مات قدرخان وحل بورتكين محله نفر الرعية منه ، واضطريت جميع بلاد ما وراء النهر ، وغير نهر جيحون على أمل أن يسيطر على ولاية ما وراء النهر ، واتجه نحوها ، وأخلى المنردون جميعا منازلهم وقرروا ، ولم يتقدم شخص قط للقتال ، وبعد أن مرت عدة أيام أرسل خواجه أحمد بن محمد عبد الصمد الوزير رسالة من بلخ ، وهى أن داود تركمان قد قصد بلخ بجميع جيشه ، وليس لدى مقدرة لمقاومة هذا العدو وهذه الآلات « ففضل الأمير مسعود العودة من ولاية ما وراء النهر فى ساعته وتوجه الى بلخ ، وانحرف داود تركمان صوب مرو ، ووصل الأمير مسعود الى بلخ ، وتوجه عقب داود الى جورجيان (٨٨) ، وهناك جاء عدة أشخاص الى الأمير مسعود للشكوى من ظلم على هندرى (٨٦) وكان على قندرى هذا ظالما وعيارا ، وأطلق يده فى هذه النواحي ودعا الأمير مسعود لطاعته ، ولم يقبل ، وظل يؤذى الناس ، وحمل أهله وزوجاته الى قلعة ، كانت فى هذه النواحي وتحصن ، وأرسل الأمير مسعود جيشا ، وسخر هذه القلعة ، وحملوه الى الأمير مسعود ، فقتله ، وعندما سمع التركمان بخبر تحرك الأمير مسعود الى مرو ، أرسلوا رسالة « اننا مازلنا اتباعك ، فلو حددت لنا مرجعانا حتى يكون فيها دوابنا وأهلنا وعيالنا ، نكون دائما فى خدمتك (٩٠) » وقبل الأمير مسعود التماسهم ، وأرسل رسولا الى بيغو قائدهم ، ليوثق العهد ، والا يرتكبوا مثل هذه الأعمال القبيحة ، وعين لهم حدود مرجعاهم ، وأقروا هذا العهد ، وتوجه الأمير مسعود من هناك الى هرات ، وتعرض فى الطريق جماعة من التركمان لجيش الأمير مسعود فقتل بعضهم ، وسلب بعض أمتعتهم ، وأرسل الأمير مسعود جماعة لتعقبهم ، فقتلوهم جميعا وأسروا أهاليهم وزوجاتهم ، وأحضروا رؤوسهم الى الأمير مسعود ، فأرسل الأمير مسعود كل هذه الرؤوس على حمير الى بيغو ، وأرسل رسالة « أن هذا هو مصير من ينقض العهد » واعتذر بيغو بأنه ليس عنده علم ، ولا نريد لهذه الجماعة الا ما أراداه الأمير ، وتوجه الأمير مسعود من هرات الى نيشابور ومن نيشابور الى طوس ، وتقدم بالقرب من طوس جماعة من التركمان للقتال ، فقتل أكثرهم ، وعلم فى ذلك الوقت أن أهالى باورد قد سلموا قلعته للتركمان ففتح الأمير مسعود هذه القلعة ، وقتل أهلها ، وعاد الى نيشابور وقضى الشتاء هناك .

وعندما حل الربيع فى سنة ٤٣٠ هـ توجه الى طغرل تركمان بجانب

(٨٨) داود تركمان (زين الاخبار ١٠٥) .

(٨٩) على قندرى « ١ » ص ١٣ ، على قندرى (زين الاخبار ١٠٥) .

(٩٠) وردت هذه العبارة من قبل « ١ » ص ١١ ، وردت بزين الاخبار ١٠٦) .

باورد (٩١) ، وعلم طغرل فتوجه الى ترن باورد ، وعاد الأمير مسعود من طريق مهته الى سرخس ، ولما كان أهالى مهته (٩٢) لم يدفعوا الخراج فقد قبض عليهم وقتل جماعة منهم ، وقطع أيادى جماعة أخرى وضرب قلعتهم وتوجه صوب ديدانقان (٩٣) وعندما وصلها ، هجم التركمان من جميع النواحي ، وسدوا الطريق أمام جيش غزنين ، رتب الأمير مسعود الصفوف واستعد للقتال ، ونظم التركمان أيضا صفوفهم وتقابلا ، ووقعت معركة حامية ، وأثناء ذلك تقهقر أكثر قواد جيش غزنين ، والتحقوا بالعدو وظل السلطان (٩٤) وحيدا فى الميدان ، وضرب عدة أشخاص من قواد التركمان بالسيف والدبوس والحربة ، وتقهقر جمع من جيش غزنين خلف المعركة ، وفر الى غزنين ، ولما لم يبق أى شخص بجوار الأمير مسعود ، خرج من هذه المعركة بقوته وشجاعته ، ولم يستطع أى شخص أن يتعقبه لقتله ، وقد حدثت هذه الواقعة فى الثامن من رمضان سنة ٤٣١ هـ ، وعندما دخل مرو (٩٥) التحق به عدد من جنوده ، وتوجه من هناك عن طريق الغور الى غزنين ، وقبض على القواد الذين كانوا قد تقهقروا فى المعركة النكرة وهم على داية وحاجب برك سباهى ومكتعدى (٩٦) حاجب ونفاهم الى الهندوستان ، وحبسهم فى القلاع ، وماتوا فى هذا الحبس جميعا ، وأراد الأمير مسعود أن يرحل بجيشه الى الهند حتى يستعيد قوته ، وتجمع حوله جيش كبير ، وهجم على التركمان لكى يضعهم فى ذيل الزمان ، ثم أمر مودود امارة بلخ ، وأرسل برفقته خواجه محمد ابن عبد الصمد (٩٧) الوزير ، وعين وارتيكين (٩٨) حاجب حاجبا له ، ورافقه أربعة آلاف شخص ، وعين الأمير محمد مع ألفين على الملتان ، وأرسل أمراء البلاد الى كوه بايه غزنين لكى يطلعوا على الأفغان العصاة هناك ولا يدعوهم يضررون البلاد ، وأحضر جميع خزائن السلطان محمود التى كانت فى القلاع الى غزنين وحملها على الجمال واتجه صوب الهند ، وأرسل أثناء الطريق رسولا ليحضر أخيه الأمير محمد من قلعة ترغند (٩٩)

(٩١) ماورد « ١ » ص ١٣ .

(٩٢) مهند « ١ » ص ١٣ .

(٩٣) دامغان « ١ » ص ١٣ ، داندانقان (زين الاخبار ١٠٧) .

(٩٤) أول مرة يطلق عليه لقب سلطان ، أمير شهيد (زين الاخبار ١٠٧) .

(٩٥) مروا الرود : (زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٦) ورد من قبل باسم يكتعدى ، على دايه وحاجب برك شباش ويكتعد ، حاجب

(زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٧) هو أحمد بن محمد عبد الصمد .

(٩٨) وارتيكين (زين الاخبار ١٠٨) .

(٩٩) برغند (زين الاخبار ١٠٩) .

وعندما وصل الى رباط باريكله (١٠٠) وصل غلمانه بالخزانة ، وسلبوا الجمال ، واثناء ذلك وصل الأمير محمد الى هناك ، وعندما أدرك الغلمان أن هذا التعدي لن يمر الا اذا كان هناك أمير آخر فتوجهوا الى الأمير محمد ، وجعلوه يقبل السلطنة ، وهجموا على الأمير مسعود ، وتحصن الأمير مسعود في هذا الرباط ، وهجم الجيش في اليوم التالي مرة أخرى ، وأخرجوا الأمير مسعود من داخل الرباط ، وحبسوه في قلعة كرى ، وظل هناك حتى الحادي عشر من جمادى الأول سنة ٤٣٢ هـ وأرسلوا رسالة كاذبة بلسان الأمير محمد الى كوتوال كرى ليقتل الأمير مسعود ، وأن يرسل رأسه اليه ، وبموجب هذه الرسالة فصل كوتوال رأسه وأرسلها الى الأمير محمد ، وبكى الأمير محمد كثيرا ، ولام هؤلاء الذين سعوا هذا السعى .

ذكر شهاب الدين والدولة وقطب الملة أبي الفتح مودود بن مسعود :

عندما وصل خبر قتل الأمير مسعود الى ابنه الأمير مودود في قهستان ، أراد أن يتوجه الى باريكله للانتقام لأبيه ، واثناءه أبو نصر أحمد ابن محمد بن عبد الصمد عن عزمه ، وجاء الى غزنين ، واستقبله أهالي غزنين جميعا ، وعزوه ، وبأيعوه ، وتوجه من هناك بجيش جرار قاصدا عمه الأمير محمد ، وعندما وصل الى دنتور ، استقبله الأمير محمد ، وأعد الصفوف ، وتقاتلا ، وكانا يتقاتلان طوال النهار ، وعندما يحل المساء ، يبتعد كل منهما عن غريمه ، ويعود الى مكانه وأرسل الأمير مودود في ليلة الى ميراجل (١٠١) سيد منصور ، الذي كان في جيش الأمير محمد رسولا وجعله يأزره ، وعندما اتخذ ميراجل سيد منصور أثناء الحرب جانبا ، وأخذ يتفرج ، لم ير شجاعة في أي جانب ، والتقى الطرفان في اليوم التالي ، وتقاتلا ببسالة وأخيرا ضار النصر حليفا للأمير مودود ، وأرسل الأمير محمد ابنه أحمد وسائر أعيان الجيش ، وقتلهم وبني الأمير مودود هناك رباطا وسوقا ، وأسماه فتح آباد (١٠٢) ، وأمر باحضار

(١٠٠) أباركه « ١ » ص ١٤ ، أما الرباط فهو منطقة على الحدود ، وقد أنشئت الرباط في الاسلام لجمع الأهالي للعلم والجهاد ، وهو مكان يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات ، وهي أيضا منشأة دينية وحرية والرباطات تعد من الثغور الاسلامية .

(١٠١) مراحل « ١ » ص ١٤ ، سيد أبو منصور (زين الأخبار ١١١) .

(١٠٢) فتح باد « ١ » ص ١٤ .

قابوت أبيه وأخوته من كرى (١٠٣) الى غزنين ، وكان هذا النصر فى شهر شعبان سنة ٤٣٢ هـ .

وفى سنة ٤٣٣ هـ استاء الأمير مودود من خواجه أحمد عبد الصمد ، فحبسه فى قلعة غزنين ، ومات فى الحبس ، واختار أبا طاهر بن محمد مستوفى للوزارة ، وأرسل فى نفس هذه السنة أبا نصر محمد بن أحمد الى الهند لمحاربة نامى محمد بن محمود ، وقتل نامى فى هذه الحرب وفى سنة ٤٣٤ أرسل الأمير مودود ارتكين الى طخرستان (١٠٤) وعندما وصل ارتكين (١٠٥) الى طخرستان علم أن ابن أبى داود تركمان جاء الى « أرمن » فهاجمه ، وعندما اقترب منه تنبه ، فترك الجيش هناك ، وفر مع عدد معدود ، وتعقبه ارتكين وقتل كثيرا من جيشه ، وعاد من هناك الى مدينة بلخ ، واستولى عليها ، وقرأ الخطبة باسم الأمير مودود ، وبعد فترة توجه اليه التركمان ، واقترحوا من بلخ ، ولما لم يكن جيشه كبيرا ، طلب المدد من الأمير مودود ، ولما لم يجد قبولا لطلبه ، جاء الى غزنين بجيشه ، وفى سنة ٤٣٥ هـ بوشاية البعض استاء من أبى على « كوتوال » غزنين وحبسه ، وأخيرا عندما علم براءته ، أطلق سراحه وجعله « ديوانا للمملكة » وكوتوالا « لغزنين ، وحبس سورى بن العبر الذى كان ديوانا من قبل حتى مات فى الحبس ، وصنشرت من ارتكين أشياء ساءت خاطر الأمير ، فأطاح برأسه أمام الجميع .

وفى سنة ٤٣٦ هـ وزر خواجه (١٠٦) طاهر ، وعين خواجه امام (١٠٧) سيد أبا الفتح عبد الرازق بن أحمد حسين محله بالوزارة ، وأرسل فى نفس السنة طغرل حاجب الى بست ، وأسر أخو أبى الفضل درنكى (١٠٨) أبا منصور ، وجاء الى غزنين ، وفى سنة ٤٣٧ هـ تجمع التركمان ، واتجهوا الى غزنين ، وعندما مروا من بست ، وانتهبوا رباط الأمير (١٠٩) وصل اليهم جيش غزنين ، ووقعت معركة حامية ، وأصابته الهزيمة التركمان ، وقتلوا أكثرهم ، وبعد هذا النصر توجه طغرل الى كرمسير ، وقتل تركمان هذه الولاية والذين يسمونهم « سرخ كلاه » (١١٠)

(١٠٣) كراى « ١ » ص ١٤ .

(١٠٤) طخرستان « ١ » ص ١٤ . وربما يقصد طخرستان .

(١٠٥) وردت ارتكين ووارتكين بالكاف الفارسية .

(١٠٦) خواهر « ١ » ص ١٥ .

(١٠٧) أيام « ١ » ص ١٥ .

(١٠٨) ورنكى « ١ » ص ١٥ .

(١٠٩) رباط أمر « ١ » ص ١٥ .

(١١٠) أصحاب العمامة الحمراء .

وأسر كثيرين وعاد إلى غزنين ، وفي سنة ٤٣٨ هـ أرسل الأمير مودود طغرل ثانية بجيش جرار إلى هذه الناحية ، وعندما وصل طغرل إلى بتكينا باد (١١١) أبدى العصيان ، وعلم الأمير مودود بهذا الخبر ، فأرسل عدة أشخاص إليه لاستمالته ، فأجاب طغرل : « طالما أن الجماعة التي تلازم الأمير تضم على العداة فلن أستطيع الملازمة » وبعد هذا أرسل الأمير مودود على ابن ربيع بعشرة (١١٢) ألف فارس طالبا طغرل ، وعندما اقترب على ابن ربيع من طغرل ، فر طغرل مع عدة أشخاص ، واقتحم على جيشه ، وانتهبه ، وأسر عدة أشخاص ، وجاء إلى غزنين ، وفي نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود حاجب بزرگ بايتكين إلى الغور ، وعندما توجه إلى الغور ، اتبعه بشيربجه ، ووصل إلى قلعة « أبي على » وفتح هذه القلعة ، وأسر أبا على ، وهذه القلعة لم يستطع أحد أن يسيطر عليها منذ سبع مائة سنة ، وقيد شيربجه أبا على ، وجاء إلى غزنين ، وفي نفس هذه السنة أرسل الأمير مودود أمير حاجب بايتكين لمهاجمة « بهرام سبال » قائد التركمان ، والتقى الطرفان في نواحي بست ، وتقابلا ، وفر التركمان مهزومين ، وفي سنة ٤٣٩ هـ تمرد أمير قزدار (١١٣) فأرسل الأمير مودود ، حاجب بزرگ بايتكين لمهاجمته ، وقاتل قزدار ، وهزم ، وبعد فترة ، دخل من طريق الطاعة وقبل دفع الخراج فعاد أمير حاجب إلى غزنين .

وفي سنة ٤٤٠ هـ ، سلم الأمير مودود ولديه أبا القاسم محمود ومنصور في يوم واحد « الخلعة والطبل والعلم » وأرسل أبا القاسم محمود إلى لاهور ، ومنصور إلى برشور (١١٤) وأرسل أبا على حسن كوتوال غزنين إلى الهندوستان ، ليؤدب المتمردين في الهند ، واتجه أبو على إلى قلعة ماهية (١١٥) وعندما علم أهني حاكم القلعة ، فر وحيدا ، وفر كل قائد هندي كان يلزمه في عهد السلطان محمود وقضى عمره في خدمته ، وبسبب بعض الأمور استاء ، وفر إلى الهندوستان ، واختفى في جبال كشمير ، وأرسل الكوتوال رسولا إليه ، واستماله كثيرا ، واستدعاه لديه ، وعاهده وأرسله إلى غزنين ، ورعى الأمير مودود مقامه ، واهتم به ، وخلال هذه المدة التي كان فيها أبو على كوتوال في الهند ، سعى الأعداء بالوشاية به عند مودود ، وعندما جاء أبو على

(١١١) بكتناباد « ١ » ص ١٥ .

(١١٢) دو « ١ » ص ١٥ ، ده « ك » ص ٢٩ .

(١١٣) أمير قزدار « ١ » ص ١٥ ، قزدار (روضة الصفا جلد چهارم ٣٧٤) .

(١١٤) يرسوز (١) ص ١٥ . برشور « ك » ص ٣٠ .

(١١٥) ما هيته « ١ » ص ١٥ .

كوتوال الى غزنين ، أمر الأمير مودود بحبسه ، وسلمه الى ميرك حسن ، وبعد عدة أيام قتله الأعداء فى هذا الحبس ، ولما كان ارتكاب هذا الفعل دون موافقة الأمير مودود ، سعوا لاختفاء هذا الأمر وحرصوا الأمير على السفر ، لأنه لو سافر الأمير من غزنين فان عملهم سيظل مستورا ، وأخيرا فضل الأمير السفر الى كابل ، وعندما وصل الى قلعة سانكوه ، أصابه مرض القولنج وأخذ المرض يزداد يوما بعد يوم ، واضطر الأمير مودود للعودة الى غزنين ، وعندما وصل الى غزنين ، كلفه ميرك وهو فى أثناء المرض ، ان يطلق سراح أبى على كوتوال من الحبس ويحضره ، واحتال ميرك ، وطلب أسبوعا مهلة ولم يكد يمر أسبوع حتى توفى الأمير مودود وفى الرابع والعشرين من رجب سنة (١١٦) هـ ، ووصلت أيام حكومته تسع سنوات ، وجلس ابنه محمد بن مودود ، الذى كان فى الثالثة من عمره بسعى على بن ربيع على عرش السلطنة ، وبعد خمسة أيام تغير رأى الأمراء ، ورفعوا على بن مسعود على السلطنة .

ذكر على بن مسعود :

عندما استقر على الحكم كان عبد الرزاق بن أحمد ميمندى ؛ الذى كان الأمير مودود قد عينه فى سيستان ، قد وصل الى قلعة بين بست واسفراين (١١٧) ، وعلم أن عبد الرشيد محبوس فى هذه القلعة بأمر الأمير مودود ، فأطلق سراح عبد الرشيد ، وجعله يقبل السلطنة ، وأمر الجنود أيضا بطاعته ، وأخذ منهم البيعة ، وأيام حكومة على قرابة ثلاثة أشهر .

ذكر عبد الرشيد بن مسعود :

بعد أن وصل الى الحكم ، توجه مع عبد الرزاق والجنود الآخرين الى غزنين ، وعندما وصلوا الى غزنين ، فر على بن مسعود من المعركة ، وحكم عبد الرشيد واتجه طغرل حاجب الذى كان من أفراد السلطان محمود الى سيستان ، وسخر طغرل سيستان ، وتجمع له جمع ، وتوجه من هناك الى الأمير عبد الرشيد ، للغدر به وعندما اقترب من غزنين أدرك الأمير عبد الرشيد غدره فدخل غزنين مع تابعيه وتحصن ، وأخذ طغرل المدينة ، وقتل الأمير عبد الرشيد مع أولاد السلطان محمود الآخرين ، وتزوج ابنة مسعود ، وجلس يوما على العرش ، وأعلن العفو

(١١٦) روضنا الصفا جلد چهارم ١٣٧٤ هـ

(١١٧) صفراین ١٦٩ ، اسفراين ك ٣١ .

العام ، ولكن جماعة من الأبطال الغيورين دخلوا عليه ، ومزقوه أربا بالسيف والقدح على تراب المذلة ، وأيام حكومته (١١٨) أربع سنوات .
ذكر فرخ بن مسعود (١١٩) .

عندما قتل طغرل ، أطلق أمراء وأعيان الدولة سراح فرخ زاد الذي كان محبوسا ، وأجلسوه على العرش ، وتوجه جيش كبير من السلاجقة (١٢٠) الى غزنين وأرادوا النهب والسلب ، وتوجه « حرخر » بأمر فرخ زاد لاستقبالهم ، وقتل أكثرهم ، وأسر عددا من أعيانهم ، وأحضرهم أمام الأمير (١٢١) فرخ زاد ، فأمر الأمير بحبسهم ، وتوجه إلى أرسلان مرة أخرى بجيش عظيم لمحاربة الغزنويين ، وغلبهم ، وأسر كثيرا من قواد غزنين ، وحملهم إلى خراسان ، وأخيرا قرر الصلح وتحرر الأسرى من الطرفين ، ولم تكد تمر ست سنوات على حكم فرخ زاد حتى انتقل من العالم الفاني ، وجلس أخوه إبراهيم بن مسعود مكانه على الحكم .

ذكر إبراهيم بن مسعود ابن السلطان محمود :

كان سلطانا عادلا وزاهدا ، اشتهر بحسن التدبير واصابة الرأي ، وكان يكتب خطا جميلا ويرسل كل عام مصحفا وأموالا كثيرة إلى مكة ، المهم ، بعد ما عقد الصلح مع السلاجقة ، ارتاح خاطره ، وتوجه إلى الهندوستان ، وفتح كثيرا من القلاع والبقاع منها مدينة في نهاية المعمورة كان سكانها من نسل الخراسانيين ، الذين طردهم أفراسياب (١٢٢) من خراسان ، وكان في هذه المدينة حوض ، قطره نصف فرسخ ، مهما شرب منه الانسان والحيوان ، لا ينضب ماؤه قط ، وبسبب كثرة الغايات ، التي كانت حول القلعة ، لم يظهر طريق الذهب والياقوت ، وفتح هذه القلعة بالقوة ، وأسر مائة ألف شخص ، وجاء إلى غزنين ، واستولى على غنائم أخرى ، وكانت وفاته سنة ٤٨١ هـ ، حكم ثلاثين عاما ، ورواية صاحب (١٢٣) بناكتي اثنتين وأربعين سنة .

(١١٨) أيام حكومة عبد الرشيد ، اعمل محمد خاوندشاه ذكر على بن مسعود وعبد الرشيد .

(١١٩) فرخزاد « له » ص ٣٢ .

(١٢٠) وهم الترك الغز في بلاد ما وراء النهر من سنة ٣٩٥-٥٢٨ هـ (تاريخ

بخارى ص ١٢٧) .

(١٢١) روضة الصفا ٤/ ٣٧٥ .

(١٢٢) بطل أسطوري توراني حارب رستم حروبا طويلة وأخيرا قتل على يديه .

(١٢٣) لم ترد كلمة « صاحب » بنسخة « ٦ » .

ذكر مسعود بن ابراهيم :

حل محل الأب ، ولقب بالسلطان جلال الدين ، ولم نجد أحوالا له أكثر من ذلك مدة حكمته ست عشرة سنة (١٢٤) .

ذكر أرسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم :

حل محل أبيه ، وقفز على كرسي الحكم ، وقبض على جميع أخوته ، وحبسهم الا بهرامشاه الذي فر وتوجه الى السلطان سنجر (١٢٥) بخراسان ، وكلما كتب الرسائل والحول أمر بهرامشاه يرفض أرسلان شاه ، واخيرا هجم السلطان سنجر بجيش جرار على أرسلان شاه ، وبمجرد أن اقترب بمسافة فرسخ من غزنين حتى خرج أرسلان شاه بثلاثين ألفا ، وصف الجيش ، ووقعت معركة حامية ، ووقعت الهزيمة على أرسلان شاه ، وتوجه الى الهندوستان ، ودخل السلطان سنجر غزنين ، وتوقف هناك أربعين يوما ، وسلم هذه الولاية لبهرامشاه ، وعاد الى ولايته ، وعلم أرسلان شاه بعودة السلطان سنجر ، فجاء الى غزنين بجيش جرار من الهندوستان ، ولم يجد بهرامشاه نفسه قادرا على المقاومة فترك غزنين ، وذهب الى قلعة باميان ، وعاد لمهاجمة غزنين بمساعدة جيش السلطان سنجر ، فاخلى أرسلان شاه المدينة خوفا من جيش السلطان سنجر ، واختفى ، وتعبه السلطان سنجر ، وقبض عليه ، وسلمه الى أخيه بهرامشاه ، وقتل بيد أخيه ، وكانت مدة حكمته ثلاث سنوات .

ذكر بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم :

كان سلطانا صاحب شوكة ، صاحب العلماء والفضلاء ، وقال الشيخ ثنائي شعرا باسمه ، وصنفت في عهده كتب كثيرة ، والى باسمه كلية ودمنة ، وأنشد سيد حسن غزنوي يوم جلوسه قصيدة مطلعها :
« هبط النداء من السماء السابعة ، ان بهرامشاه ملك للعالم »

قاد النجوش التي بلاد الهند ، وسخر الأماكن التي لم يستطع أن يستولى عليها أسلافه ، وترك أحد أمرائه لضبط ممالك الهندوستان (١٢٦) ، وعاد الى غزنين ، وبعد فترة طويلة كفر هذا الوالي بالنعمة ، وسلك طريق العصيان ، وتوجه بهرامشاه بمجوز سماع هذا الخبر الى

(١٢٤) مدة سلطنة مسعود خمس عشرة سنة (روضة الصفا جلد جهازم ١٣٧٥) .

(١٢٥) بحكم من سنة ٤٨٢ هـ - ٥٢٢ هـ .

(١٢٦) كان هذا أول والي من قبل الغزنويين يحكم الهندوستان .

الهندوستان لدفعه ، وعندما وصل الى الملقان ، وقعت بين الطرفين معركة حامية ، وأسر هذا الشخص من شؤم بغيه ، وقتله ، وتوفى سنة ٥٤٧ هـ كانت مدة حكمه خمسة وثلاثين سنة .

ذكر خسروشاہ بن بہرامشاہ بن مسعود بن ابراهيم :

ارتقى السلطان بعد أبيه ، وعندما توجه علاء الدين غورى الى غزنین ، فر الى الهندوستان ، وحكم فى لاهور ، وعندما فضل علاء الدين حسين العودة ، عاد خسروشاہ الى غزنین ، وعندما أسر « الغز » السلطان سنجر توجهوا الى غزنین ، ولم يجد خسروشاہ طاقة لمقاومتهم ، وتوجه الى لاهور ، وتوفى سنة ٥٥٥ هـ ، وامتدت حكومته الى ثمانى سنوآت (١٢٧) .

ذكر خسروملك بن خسروشاہ :

جلس فى لاهور بعد وفاة والده ، واتصف بالحلم والحياء ، وأصاب الفساد التام المملكة بسبب كثرة اللهو والطرب :

« شاع الفساد فى هذا العرش والملك ، لأن تدبير الملك كان اقل من راعى الغنم » .

وعندما اتخذ السلطان معز الدين محمد سام غزنین حاضرة له ، وقاد الجيش الى الهند استولى على ما هو حول لاهور ، وطلب خسروملك الأمان ، وتوجه اليه فى سنة ٥٨٣ هـ ، وأرسله السلطان معز الدين محمد الى غزنین ، وتجرع من كأس الغناء ، وكانت مدة حكومته ثمان وعشرين سنة ، وولت دولة الغزنويين ، وانتقل السلطان من أسرتهم ٠٠٠ والله أعلم (١٢٨) .

(١٢٧) وردت بنسخة « ١ » « د بیست » وهى خطأ ص ١٧ ، وفى نسخة « ك » بهشت ص ٣٥ .

(١٢٨) والله أعلم وردت بنسخة « ١ » ص ١٧ ، ولم ترد فى نسخة « ك » .

- طبقة سلاطين دہلی
حتى جلال الدين أكبر

طَبَقَةُ سَلَاطِين دَهْلِي

ذَكَرَ السَّلْطَانُ مَعَزُ الدِّينِ مُحَمَّدُ سَامُ غُورِي :

اشْتَهَرَ بِشَهَابِ الدِّينِ ، كَانَ لَهُ أَخٌ يُسَمَّى شَمْسُ الدِّينِ ، أَصْغَرُ مِنْهُ ، أَطْلَقُوا عَلَيْهِ بَعْدَ السَّلْطَنَةِ غِيَاثُ الدِّينِ ، بَعْدَ أَنْ وَصَلَ السَّلْطَانُ غِيَاثُ الدِّينِ إِلَى حَكْمِ الْغُورِ وَضَمَّ بَعْضَ الْوَلَايَاتِ ، تَرَكَ أَخَاهُ الْأَصْغَرَ مَعَزَ الدِّينِ فِي تَكْنَابَادٍ مِنْ بِلَادِ كَرْمَسِيرِ ، وَعِنْدَمَا حَكَّمَ السَّلْطَانُ مَعَزَ الدِّينِ تَكْنَابَادَ أَخَذَ يَهَاجِمُ غَزْنِينَ ، وَيَقُودُ الْجَيْشَ مِنْ تَكْنَابَادَ ، وَأَخَذَ فِي مَضَايِقَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ ، حَتَّى سَنَةِ ٥٦٩ هـ حَيْثُ فَتَحَ السَّلْطَانُ غِيَاثُ الدِّينِ غَزْنِينَ ، وَتَرَكَ أَخَاهُ الْأَصْغَرَ سَلَاطَانَ مَعَزَ الدِّينِ مُحَمَّدَ هُنَاكَ .

وَعِنْدَمَا حَلَّتْ سَنَةُ ٥٧٠ هـ حَكَّمَ مَعَزُ الدِّينِ حُكُومَةَ غَزْنِينَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيهِ « وَبَعْدَ سَنَةِ قَادَ الْجَيْشَ صَوْبَ أَجِه » (١) وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَلْتَانِ مِنْ يَدِ الْقَرَامِطَةِ ، وَتَحَصَّنَتْ طَائِفَةٌ بِهَاتِيهِ (٢) فِي قَلْعَةِ أَجِهَ ، وَحَارَبَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ (٣) وَأَخِيرًا قَامَ الْفَتْحُ ، وَسَخَّرَ الْمَلْتَانِ أَيْضًا ، وَسَلَّمْ أَجِهَ وَالْمَلْتَانِ إِلَى عَلَى كَرْمَاخَ ، وَعَادَ إِلَى غَزْنِينَ ، وَفِي سَنَةِ ٥٧٤ هـ عَادَ إِلَى أَجِهَ وَالْمَلْتَانِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَجَرَاتِ مِنْ طَرِيقِ صَحْرَاوِي ، وَتَقَدَّمَ رَأَى بِهِيمَ دِيُو حَاكِمَ هَذِهِ الْوَلَايَةِ لِمَقَاتَلَتِهِ ، وَبَعْدَ الْمَقَابِلَةِ وَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَى السَّلْطَانِ ، وَعَادَ السَّلْطَانُ بِمَشَقَّةٍ بِالْمَغَةِ إِلَى غَزْنِينَ ، وَاسْتَقَرَّ عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَفِي سَنَةِ ٥٧٥ هـ قَادَ الْجَيْشَ إِلَى نَاحِيَةِ بَشَاوَرِ ، الَّتِي تَشْتَهَرُ فِي كُتُبِ السَّلَفِ بِبِكْرَامِ (٤) وَبِرَسُورِ وَفَرَشُورِ ، وَسَخَّرَ هَذِهِ الْبِلَادَ .

وَفِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ هَاجَمَ لَاهُورَ ، وَتَحَصَّنَ السَّلْطَانُ خَسْرُومَلِكَ ، وَكَانَ مِنْ نَسْلِ السَّلْطَانِ مُحَمَّدِ الْغَزْنَوِي ، وَيَحْكُمُ لَاهُورَ ، فِي قَلْعَتِهَا ،

(١) سَقَطَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ نَسْخَةِ « ١ » ص ١٨ .

(٢) مَهْنَتُهُ « ١ » ص ١٨ .

(٣) سَيِّدُ رُوزِ « ١ » ص ١٨ ، جَنْدُ رُوزِ « ١ » ص ٣٦ .

(٤) بِكْرَامِ « ١ » ص ١٨ .

وبعد الرسل والرسائل أرسل خسرو ملك ابنه بفيل هدية ، وعقد السلطان معز الدين الصلح ، وعاد ، وفى السنة التالية قاد الجيش الى ديول وهى جزء من تهته (٥) واستولى على جميع بلاد شاطيء البحر ، واستولى على أموال كثيرة ، وعاد ، وفى سنة ٥٨٠ هـ دخل ولاية لاهور ثانية ، وتحصن خسرو ملك مرة أخرى وانتهب السلطان معز الدين نواحي لاهور ، وبنى قلعة سيالكوت (٦) وهى بين نهر راوى ونهر جناب وعين حسين خرميل عليها ، وعاد ، بعد ذلك حاصر خسرو ملك بالاتفاق مع كهوكران وقبائل أخرى قلعة سيالكوت مدة وعاد خائبا ، وعاد السلطان معز الدين فى سنة ٥٨٢ الى لاهور ثانية ، وتحصن خسرو ملك ، وحارب عدة أيام وأسرع فى آخر الأمر لمقابلة السلطان معز الدين لعجزه ، وحمله السلطان معه الى غزنين ، وأرسله عند أخيه غياث الدين فى فيروزكوه ، وحبسه غياث الدين فى احدى قلاع غرجستان ، وتوفى فى حبسه ، وسلم السلطان معز الدين لاهور ، لعلى كرمخ (٧) حاكم الملتان وعاد .

وفى سنة ٥٨٧ هـ توجه من غزنين الى الهندوستان ، وسخر قلعة سرهند التى كانت فى هذه الأيام حاضرة راجوات عظام ، وترك ملك ضياء الدين توكلى أو تولكى (٨) ، مع ألف ومائتين فارس من خيرة الفرسان فى هذه القلعة ، وسلمهم مقام القلعة وعندما أراد العودة سمع بخبر مجيء راي بتهورا راجه اجمير ، فاستقبله فى قرية تراين (٩) على نهر سرستى وهى على مسافة سبعة فراسخ من تهانيسر ، وتشتهر الآن بتراورى ، وهى على مسافة أربعين فرسخا من دهلى ووقعت معركة حامية ، وأصابته الهزيمة جيش الاسلام ، وأبدى السلطان فى هذه المعركة شجاعة ، وتقدم فى مواجهة كهاندى راي أخى بتهورا والى دهلى ؛ والذى كان راكبا على فيل ، وأصابه بحربة فى فمه ، وضرب السلطان أيضا بحربة ، فجرح ساعده ، وكان خليج بجه قريبا من السلطان يسير مترجلا ، فشاهده فأركب السلطان خلفه على جواده وأخذه وخرج من المعركة ووصلا الى المعسكر ، وسكنت الغوغاء التى حدثت فى الجيش لعدم مجيء السلطان ، وعندما عاد السلطان الى غزنين ، جاء راي بتهورا ، وحاصر قلعة سرهند ، التى كان ضياء الدين

(٥) تهه « ١ » ص ١٨ .

(٦) سيالكوت « ١ » ص ١٨ ، سيالكوت « ك » ص ٢٧ .

(٧) قلى كرمخ « ١ » ص ١٨ .

(٨) توكلى فقط فى نسخة « ١ » ص ١٨ .

(٩) تراين « ١ » ص ١٨ .

توكلى فيها ، لمدة عام وشهر ، وتصالحا ، وفى سنة ٥٨٨ هـ توجه
السلطان معز الدين الى الهندوستان ثانية ، وفى نفس قرية تراين (١٠)
التقى مع بتهورا ، ووقعت معركة حامية ، وقسم السلطان جيشه اربعة
افواج ، وقاتلوا على دفعات وحقق النصر ، واسر بتهورا وقتله ، وهزم
كهاندى راي اخوه فى المعركة ، وقتل ، وفتح قلعة سرستى وهانسى ،
وانتهب اجمير التى كانت دار ملك بتهورا ، وترك ملك قطب الدين ايبك
غلامه وخليله فى قصبة كهرام على مسافة سبعين فرسخا من دهلى ،
ونهب جبل سوامك شمال الهندوستان ، وعاد الى غزنين ، وسخر ملك
قطب الدين ايبك فى نفس السنة المذكورة قلعة دهلى وميرت (١١)
واستولى عليهما من يد اقارب بتهورا وكهاندى راي وفى سنة ٥٨٩ هـ
سخر قلعة كول ، واتخذ دهلى دارا للملك ، واستقر هناك ، واستولى
على نواحى دهلى ، ومنذ هذا التاريخ صارت دهلى حاضرة السلاطين ،
وفى السنة المذكورة توجه السلطان معز الدين من غزنين الى الهندوستان ،
وسار الى قنوج ، واستقبله راي جيجند والى قنوج بثلاثمائة ونيف من
الافىال ، وحارب فى نواحى قصبة جندوار (١٣) واشاوه ، وهزم ،
واستولوا على افياله وحشمه ، وترك السلطان ملك قطب الدين فى
دهلى ، وعاد الى غزنين بغنائم كثيرة ظافرا منتصرا واستولى ملك قطب
الدين ايبك على قلعة تهنكر وكواليار وبداون ، وقاد الجيش الى
نهرواله (١٤) بالكجرات لينتقم للسلطان من راي بهيم ديو واليها ،
واستولى على غنائم كثيرة .

كان السلطان معز الدين فى طوس وسرخس : حين وصله خبر وفاة
اخيه الاكبر السلطان غياث الدين ، وتقلد السلطنة ، وتوجه الى بادغيس ،
وتلقى العزاء ، وقسم ممالك اخيه على آل سام ، فأعطى ابن عمه ملك
ضياء الدين عرش فيروزكوه والغور ، لأنه كان صهر السلطان غياث
الدين وأعطى بست وقره (١٥) واسفراين الى السلطان محمود بن
غياث الدين ، وسلم حكومة هرات وتوابعها لناصر الدين غازى ابن
أخته ، وجاء من بادغيس الى غزنين ، وتوجه الى خوارزم لتسخيرها ،

(١٠) تراين « ١ » ص ١٩ .

(١١) هرت « ١ » ص ١٩ .

(١٢) راي جند « ١ » ص ١٩ .

(١٣) راي جند « ١ » ص ١٩ .

(١٤) قصة جند « ١ » ص ١٩ .

(١٥) بهرواله « ١ » ص ١٩ .

(١٥) قره « ك » ص ٤٠ .

وهزم خوارزمشاه ، ودخل خوارزم ، وعندما وصل السلطان الى خوارزم ، قامت المعركة عدة أيام ، وبدأ أهل خوارزم القتال على شاطئ نهر كان محفورا شرقي خوارزم ، واستشهد كثير من أمراء الغور في هذه المعركة ، ولما لم يتيسر فتح خوارزم ، عاد من واديها وشط جيحون الى بلخ ، وكان جيش الخطا وملوك التركستان قد جاءوا لمساعدة السلطان محمد على شاطئ نهر جيحون ، وقطعوا الطريق على السلطان معز الدين ، وعندما وصل السلطان الى « اندخود » وقعت معركة حامية بين الطرفين ، وحارب السلطان في هذه المعركة بشجاعة وبطولة مع مائة فارس بقوا معه ، ولما لم يستطع المقاومة ، دخل قلعة اندخود ، وتحصن ، وسلمهم القلعة مقابل الصلح وطلب الأمان ، وعاد الى غزني ، وفي هذه الأثناء أعلنت جماعة كهوكهران في نواحي لاهور العصيان ، وقاد السلطان جيشه لمهاجمة كهوكهران ، وتوجه قطب الدين أيبك اليه من دهلي لتقديم الخدمة ، وأدب كهوكهران ، وعاد الى غزني ، وأثناء العودة استشهد في دميك ، وهي قرية من توابع غزني بيد فدائي كهوكهراني وقالوا هذه القطعة في تأريخه :

« شهادة ملك البحر والبر ، شهاب الدين الذي لم يأت مثله منذ بداية العالم »

« سقط في الثالث من شعبان سنة ٦٠٢ هـ في طريق غزني بقرية دميك » .

كانت أيام سلطنته من بداية فتح غزني (١٦) حتى آخر العمر ، اثنتين وثلاثين سنة وعدة أشهر ، ولم يبق له وريث سوى أخته ، ويقال أنه ترك خزائن من الذهب والفضة والجواهر من جملتها خمسمائة « من » (١٧) من الماس وهي جواهر نفيسة ، وترك نقودا أخرى وأموالا تفوق الحصر ، سافر الى الهند تسع مرات ، وهزم مرتان ، ونال التوفيق في آخر حياته ، كان سلطانا عادلا رحيفا على الخلق ، يخاف الله ، وكان يكرم العلماء والصالحين ، ويرعاهم .

ذكر السلطان قطب الدين أيبك :

كان غلام السلطان معز الدين سام ، أحضره من التركستان في أول الأمر القاضي فخر الدين عبد العزيز الكوفي وهو من أولاد الامام

(١٦) سقطت كلمة « فتح » من نسخة « ك » ، ص ٤٠ .

(١٧) نوع من الوزن والمكيال مازال مستعملا حتى الآن في بعض الدول الاسلامية ومنها دول الخليج .

ابى حنيفة الكوفى الذى اشتراه ، وعلمه القرآن مع أبنائه ، وأكسبه الأدب ، واشتراه بعد ذلك تاجر بثمان مرتفع ، وقدمه هدية الى السلطان معز الدين فى غزنين ، فاشتراه منه بثمان باهظ ، وعندما انكسر أصبعه الخنصر قالوا له « أيبك » ؛ كان يخدم السلطان باخلاص لذا نال فى فترة قصيرة القرب والاختصاص ، وذكروا أن السلطان معز الدين عقد ذات ليلة حفلا ، وجلس مع المقربين والخاصة ، وأنعم فى هذا الحفل على خاصته والمقربين جميعا بانعامات كثيرة ، وخص ملك قطب الدين بمزيد من الانعام ، وعندما انفض المجلس ، قسم ملك قطب الدين ما كان قد ناله من انعام على جميع الفراشين والخدم ، وعلم السلطان بالخبر صباحا ، فأثنى عليه وأكرمه ورفعته الى درجة الامارة ، ونال الاكرام من الحاضرين وأهل البلاط وأخذ نجمه فى الارتفاع .

وفى الأيام التى قاد سلاطين الغور وغزنين وباميان جيوشهم لدفع سلطان خوارزم فى خراسان ، كانوا قد تركوا ملك قطب الدين أيبك على حدود مرو ، أى نهر مرغاب ، والتقى بجيوش سلطانشاه ، وقاتل بشجاعة ، ولما كان جيشه قليلا ، سقط فى أيديهم ، وحملوه الى سلطانشاه وقيده السلطان ، وعندما قامت الحرب بين سلاطين الغور وسلطانشاه ، وهزم سلطانشاه أحضروا ملك قطب الدين جالسا فى هودج على ظهر جمل لملازمة السلطان ، وأكرمه السلطان معز الدين محمد سام ، وأنعم عليه .

وعندما عاد من الهند الى غزنين ، تركه نيابة عنه فى كهرام ، وقد ذكرت الأعمال التى قام بها ملك قطب الدين فى أيام حياة السلطان ، وبعد استشهاده السلطان معز الدين أرسل السلطان غياث الدين محمد خليفة السلطان غياث الدين محمد جترو اماراة السلطنة (١٨) من فيروزكوه الى ملك قطب الدين ، ولقبه بلقب « سلطان » وفى سنة ٦٠٢ هـ جاء من دهلى الى لاهور ، وجلس يوم الثلاثاء السادس عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة على عرش السلطنة وفتح يد العطاء والانعام والسخاء ، وأنعم بمئات الآلاف وأعطى المستحق أكثر مما يتوقع ، وفى هذا الصدد قال بهاء الدين أوشى أحد فضلاء عصره :

« يا واهبا مئات الألوف ، فتحت باب الدنيا ، وجعلت كفيك منجما »
« من ثقل كفك أخذ الدم من قلب المنجم ، وقدم من الياقوت الكثير »
وقد لقبه أهل زمانه بقطب الدين « لكبخشى » وحتى الآن فان أهل

(١٨) اشارت « ١ » ص ٢٠ ، امارت « ك » ٤٢ . وجتر مظلمة ترجع على السلطان .

الهند يمتدحون الشخص الكريم السخى فيقولون « كل قطب الدين » (١٩) ويقولون كل بكاف عربية مفتوحة ولام مكسورة زمانه ، يعنى قطب دين زمانه ، وبعد مدة اتجه لمهاجمة لاهور تاج الدين يلدوز أحد المماليك المعزية وكان قد حكم غزنين بعد السلطان معز الدين ، وأطلق على نفسه لقب السلطنة ، وقصد كل منهما الآخر ، واشتعلت نار الحرب ، وبعد القتال والجدال هزم تاج الدين ، فتوجه الى كرمان ، وذهب السلطان قطب الدين الى غزنين ، وأقام أربعين يوما وأمر باللهو واللعب ، ونظرا لكثرة اللهو واللعب ولغفلته أرسل أهالى غزنين رسولا خفية الى السلطان تاج الدين ، واستدعوه ، وعندما وصل السلطان تاج الدين فجأة لم يستطع السلطان قطب الدين مقاومتها ، واتجه الى لاهور من طريق سنك سوراخ :

« عندما يتمايل السلطان من الخمر ، يسقط تاج الملك سهوا من فوق رأسه » .

وفى سنة ٦٠٧ هـ سقط من فوق الجواد وهو يلعب «الصولجان» (٢٠) ودخلت فى صدره حديد السرج فأصاب قلبه ، مدة ملكه من فتح دهلى حتى آخر عمره ست سنوات ، من جملتها أربع سنوات كان فيها سلطانا .

ولما كان سبعة أشخاص من مماليك وأمراء السلطان شهاب الدين سام قد بلغوا السلطنة فمن المناسب ذكرهم فى هذا المكان .

ذكر السلطان تاج الدين يلدوز :

كان سلطانا كبيرا كريما صاحب أخلاق حميدة ، يمتاز بجمال زائد ، اشتراه السلطان معز الدين وهو صغير السن ، وخصه بالقرب ، ورفع درجته ، وميزه عن سائر مماليكه بالرعاية والاهتمام ، وكان كلما سافر السلطان الى الهندوستان وكرمان استضافه ملك تاج الدين ومعه جميع أمرائه وقدم ألف قلنسوة وعباءة هدية ، وأنعم على جميع الحشم

(١٩) الكل لغة بمعنى التعب ، وشرعا الشخص الذى لا أب له ولا ابن ، ولا أب يعوله فى الطفولة ولا ابن يرعاه فى العجز والشيخوخة ، والكل أيضا هو الاكليل ، وهو ما يلف حول الرأس ويقصد به من يحيطون بالشخص ولا اتصال بدم به ويعيشون عالة عليه وعلى نعمته ، قال تعالى « وهو كل على مولاة » والكل أيضا اليتيم (مختار الصحاح ص ٥٧٦) .

(٢٠) لعبة الجولف وهى لعبة عبارة عن كرة تضرب بعصاة معقوفة واللاعبون يركضون وراءها وهم يركبون الخيول .

كل حسب سعة حاله ، وكان لديه اختان وبفرمان السلطان كانت احدهما زوجة للسلطان قطب الدين أيبك والثانية زوجة لملك ناصر قباجه (٢١) وكان لملك تاج الدين ولدان سلم أحدهما لمعلم ، ورفع المعلم جرة قاصدا تأديبه ، وضربه ، ولما كان أجل الابن قد حان ، فقد توفى بأثر الضربة ، وعندما وصل الخبر الى ملك تاج الدين ، أعطى المعلم نفقة الطريق ، وودعه ، وقال له : ينبغي أن تختفى بسرعة قبل أن تعلم والدك الابن ، وفضل السفر ، وهذه الحكاية دليل واضح على حسن سيرته وعندما جاء السلطان معز الدين في أواخر سلاسلته الى كرمان ، خص ملك تاج الدين يلدوز (٢٢) بكسوة خاصة ، وأعطاه شارة سوداء ، وكان في خاطره أن يكون ولي عهد غزنين بعد وفاة السلطان .

وعندما توفى السلطان ، أراد ملوك وأمراء الترك أن يستدعوا السلطان غياث الدين محمود بن محمد سام من نواحي كرمشير ليجلسوه على عرش عمه في غزنين ، وكتبوا هذا المعنى وعرضوه على السلطان غياث الدين محمود ، فأجابهم السلطان غياث الدين محمود « ان عرش أبي ، هو فيروز كوه وممالك الغور أولى » . وأرسل الى السلطان تاج الدين خلعة ، وأعطاه مرسوم العتق ، وسلمه عرش غزنين ، وبحكم هذا الفرمان دخل ملك تاج الدين غزنين وجلس على العرش ، وحكم هذه الممالك ، وقد ابتعد مرة عن غزنين وعاد واستقر بها ، وقاتل السلطان قطب الدين أيبك على حدود البنجاب وهزم ، ودخلت غزنين تحت سيطرة السلطان قطب الدين ، وعاد الى حكومة غزنين ثانية طبقا لما ذكر ، وذات مرة أرسل جيشا لمساعدة السلطان غياث الدين لمهاجمة هرات ، وهزم ملك هرات عز الدين حسين خرميل ، ومرة قاد الجيش صوب سيستان ، وحاصرها ، وعاد ملك تاج بعد عقد الصلح ، وأثناء الطريق اختلف مع ملك نصير الدين حسين « ميرشكار » (٢٣) وحاربه وهزم ، وبعد فترة قاد الجيش الى الهندوستان وتقاتل مع السلطان شمس الدين على حدود تراين ، وأسر ، وكانت مدة حكومته تسع سنوات (٢٤) .

ذكر السلطان ناصر الدين قباجه :

من ممالك السلطان معز الدين ، سلطان كبير في غاية الذكاء والكياسة والمهارة ، خدم السلطان في كل المجالات ، وأبدى مقدرة على قيادة الجيش والحكم ، وعندما حارب جيش الخطا السلطان معز الدين ،

(٢١) قباجه « ١ » ص ٢١ .

(٢٢) يذكره مرة بملك ومرة بسلطان .

(٢٣) أمير الصيد .

(٢٤) سه سال « ١ » ص ٢٢ ، نه سال « ك » ص ٤٥ .

وأسثشهد ملك ناصر الدين أيتمز (٢٥) حاكم آجه فى هذه المعركة نصب السلطان ملك ناصر الدين قباجه محله على آجه ، كان صهرا للسلطان قطب الدين بأختيه (٢٦) ودخل تحت سيطرته آجه والملتان وسائر القلاع والقصبات ، ومملكة السند وتبرهنده (٢٧) وكهرام حتى سرستى بعد وفاة السلطان قطب الدين ، وأستولى على لاهور عدة مرات ، وحارب جيش السلطان تاج الدين يلدوز الذى جاء من غزنين ، وهزم مرة من خواجه مؤيد (٢٨) الملك سنجرى وزير مملكة غزنين ، وعندما استقر أمر مملكة السند له التحق بخدمته كثير من أكابر خراسان والغور ، وغزنين من ممر حادثة جنكيزخان ، وبذل الانعام والاكرام لكل واحد منهم ، وفى سنة ٦٢١ هـ جاء جيش المغول وحاصر مدينة الملطان أربعين يوما ، وفتح السلطان ناصر الدين خزانته ، وأنعم على الناس ، فأبدوا شجاعة وبطولة ، وبعد ذلك بسنة وستة أشهر استولى جيش الخلق وجيش خوارزم على حدود سوسستان التى تشتهر بسهسوان ، وتوجه ملك ناصر الدين لصددهم ، ووقعت معركة حامية ، وأخيرا انهزم جيش الأعداء ، وقتل خان الخلق ، وعاد السلطان ناصر الدين قباجه الى الملطان ، وبقية أحواله مذكورة ضمن أحوال السلطان شمس الدين (٢٩) مدة حكومته اثنتان وعشرون سنة .

ذكر السلطان بهاء الدين طغرل :

كان من المماليك الكبار والأمراء المشاهير للسلطان معز الدين محمد سام ، يتصف بأوصاف حميدة وأخلاق سديدة ، عندما فتح السلطان معز الدين محمد سام قلعة تهنكر (٣٠) عين ملك بهاء الدين طغرل عليها ، وبنى قلعة فى ولاية بيانه ، وفضل الإقامة هناك ، وكان يركب دائما الى كوالير ، ويهاجم نواحيها ، وأثناء عودة السلطان معز الدين محمد سام من جانب قلعة كواليار قال لملك بهاء الدين طغرل ، لو فتحت هذه القلعة سأسلمها لك ، وبنى على مسافة فرسخين من كواليار قلعة حصينة ، وجمع فيها جيشه ، وأخذ يهاجم هذه النواحي ، وعندما مر عام على هذا وضاق الحال بأهل القلعة أرسلوا الرسل

(٢٥) أتميز « ١ » ص ٢٢ .

(٢٦) أى تزوج أختين له واحدة بعد الأخرى .

(٢٧) سر هند « ١ » ص ٢٢ .

(٢٨) وردت كلمة مؤيد فى « ١ » « ك » .

(٢٩) السلطان بهاء الدين طغرل « ١ » ص ٢٢ .

(٣٠) قلعة بهكر « ١ » ص ٢٢ .

بالتحلف والهدايا الى السلطان قطب الدين أيك ، وسلموا القلعة له ، وكان هذا المعنى سببا في العداء بين السلطان قطب الدين أيك وملك بهاء الدين طغرل ، ومات بعد مدة وجيزة .

ذكر حكومة اذتيار الدين محمد بختيار خلجي : (٣١)

كان من اكابر بلاد الغور وكرمسير ، امتاز بالسخاء والشجاعة واصابة الراى ، وصل فى عهد السلطان معز الدين محمد سام الى غزنين ، ومن هناك توجه الى الهندوستان ، والتحق بخدمة ملك معظم حسام الدين وغلبك (٣٢) الذى كان حاكما على بعض المقاطعات بين النهرين ، وعندما ظهرت عليه اثار الشجاعة ، سلمه مقاطعات كنيلى ویتیالى (٣٣) ، وبسبب شجاعته وبطولته كان يركب دائما الى نواحي بهار ومنير ، ويهاجمها ، ويأتى بالغنائم ، وعندما وصلت أخبار شجاعته الى السلطان قطب الدين أرسل اليه لواء السلطنة ، وفتح ملك اختيار الدين بمعونته واهتمام ورعاية السلطان قطب الدين قلعة بهار ، ونهب هذه الولاية كلها ، واستولى على غنائم كثيرة ، وأطاح برقاب أهالى هذا المكان الذى كانوا جميعا شيوخا براهمة كبارا ، وصاروا علفا للسيوف ، ويطلقون عليهم بلغة الهند (٣٤) « مدرسة بهار » ، ولأنها موطن العلم اشتهرت ببهار .

بعد ذلك التحق بخدمة السلطان قطب الدين ، ونال أنواع الانعام والاکرام ، ولما كان محل حسد الأمراء أخذ الأمراء الضعاف يجرون على السننهم فى مجلس السلطان كلمات تتضمن الاهانة والاحتقار لشأنه ، وتصادف ذات يوم أن كان السلطان قطب الدين فى القصر الأبيض وعقد مجلسا وأعلن العفو العام ، وأحضروا فيلا « مستى » (٣٥) يقال انه فى جميع ممالك الهند لا يستطيع أن يواجهه أى فيل ويتحمل قوته ، وأشار السلطان لمحمد بختيار بمحاربة هذا الفيل ، وأحال محمد بختيار الحربة التى كانت فى يده الى هذا الفيل ، وعندما طعنه فى خرطوم الضربة الأولى ، سلك طريق الفرار ، وتعجب السلطان من هذا المنظر ، وأنعم

(٣١) ذكر ماك بختيار الدين خلجي « ١ » ص ٢٢ .

(٣٢) أو عليك « ١ » ص ٢٢ .

(٣٣) بتهالى « ١ » ص ٢٢ .

(٣٤) ربما يقصد بها اللهجة البنغالية التى بدأت تظهر تدريجيا فى البنغال وبهار .

(٣٥) « مستى » نوع من الأفيال يقوم على خدمته خمسة أفراد وصبى وهو أقوى

أنواع الأفيال (اقبالنامه اكبرى ، ٦٦٣/٥ .

عليه بأنواع الانعامات ، وفوضه على حكومة بلاد لكهنوتى ، وعينه لتسخير هذه الناحية .

ولما كان قد فتح قلعة بهار من قبل ، فان أخبار شجاعته وبطولته وصلت الى أهالى هذه البلاد وجاء جميع البراهمة والمنجمين الى لكهيمينه (٣٦) ابن راي لكهن الذى كانت عاصمته مدينة «نوديا» (٣٧) وكان جميع ملوك الهند يعتبرونه قائدهم ، ويحترمونه ، ويكرمونه كثيرا ، وعرفوا أنه مكتوب فى الكتب القديمة أن الأتراك ، أى المسلمين (٣٨) سيستولون على هذه البلاد ، وهذا الوعد قد اقترب ، لأنهم استولوا على بهار ، وفى السنة القادمة سيستولون على المملكة كلها ، وسألهم لكهيمينه ، من سيستولى على هذه البلاد ، وأى علامة مسطورة فى كتب التنجيم ؟ قالوا : نعم يقف على قدميه مستقيما ، ويده مفرودتان ، وأنامله تظهر من مرآه ساعده (٣٨) ، وأرسل راي لكهيمينه أشخاصا لاستكشاف هذه العلامات والآثار ، ولما ظهر أن هذه العلامة تتحقق فيه ، انتقل جميع البراهمة والمنجمين وتوجهوا الى بلاط كامرور (٣٩) وجكناته ، ولم يجد راي لكهيمينه مصلحة فى ترك مملكته ، وفى السنة التالية توجه ملك محمد بختيار من بهار وتوجه برحيل متواتر بجماعة قليلة الى مدينة نوديا ، فاضطرب راي لكهيمينه وركب مركبا وحده ، وسلك طريق الفرار ، وسقطت خزانته وحشمه كله فى يد ملك محمد بختيار وكانت تفوق الحصر ، وخرب مدينة نوديا وبنى بدلا منها مدينة أخرى بمكان قرب لكهنوتى ، واتخذها دارا للملك ، والآن هذه المدينة خربة ، وتشتهر بكور (٤٠) ، المهم رفع « جتر » وقرأ الخطبة وسك العملة باسمه ، وأحدث المساجد والخوانق والمدارس مكان معابد الكفار ، وأرسل من هذه الغنائم التى وقعت بيده نفائس كثيرة الى السلطان قطب الدين ايبك .

وبعد مرور فترة ، وصلت قوته وشوخته الى درجة أن فكر فى حكم التبت والتركستان ، وأخذ برفقته اثنى عشرة ألف فارس مسلح ، واتجه الى التركستان والتبت بإرشاد أمير على ميج (٤١) الذى كان قد أسلم

(٣٦) لكيشن بن راي لكهن « ١ » ص ٢٣ .

(٣٧) نوديار « ١ » ص ٢٣ .

(٣٨) نظرا لأن الغزاة الأوائل كانوا أتراكا .

(٣٩) كامرو « ١ » ص ٢٣ .

(٤٠) كور « ١ » ص ٢٣ . وهى مدينة فى البنغال تقع على نهر براهماپترا اتخذها

ملوك البنغال مقرا لحكمهم .

(٤١) أمير على شيخ « ١ » ص ٢٤ .

على يديه ، ووصل الى مدينة يسبحونها « بردهن » (٤٢) وكان أمام هذه المدينة نهر مثل البحر عمقه وعرضه يعادل الكنك أربع مرات ، ويسمى بيكمتى « (٤٣) ، ويقال انه عندما عاد شاه كرشاسب (٤٤) من بلاد التركستان الى الهندوستان من طريق بروهن (٤٥) أقام على هذا النهر جسرا ، وعبر عليه ، وتوجه الى كامرود ، المهم ، عندما وصل ملك محمد بختيار الى رأس هذا الجسر ، ترك أميرين أكفاء من أمرائه هناك ليحرسا الجسر ، وعبر بنفسه من النهر ، ودخل أرض التبت ، وقطع الطريق فى عشرة أيام بين جبال صعبة ، ووصل الى صحراء ، حيث كان هناك قلعة حصينة فى غاية الاستحكام ، وتقدم أهل هذه القلعة للقتال ، وامتد القتال حتى آخر النهار ، وقتل كثير من جيشه ، وتعبوا ، وعندما حل المساء أقام معسكرا هناك ، وترك حصار القلعة ، وعندما تفقد هذه الولاية ووقف على أحوالها وخصوصياتها ، وتأكد أنه على بعد خمسة فراسخ توجد قرية كرم سين بها خمسون ألف تركى متوحشين ومقاتلين أشداء ، وعندما قطع جيش الاسلام الطريق ، لم يجدوا فى أنفسهم طاقة للمقاومة والقتال ، فانتقلوا من هذا المكان بعد استماع هذا الخبر ، ووصلوا الى جسر بردهن (٤٦) وحدث أن أصيب الجسر بفتحتين بسبب نزاع الأميرين هناك ، فأختاروا ، وقرروا أن يتحصنوا فى مكان حصين حتى يتم صناعة السفن وأدوات العبور ، وأورد العيون خبرا انه فى هذه الناحية معبد أصنام فى غاية الارتفاع والاستحكام ، ودخل ملك محمد بختيار وجميع الأمراء فى هذا المعبد وتحصنوا ، وأثناء ذلك علم رأى كامرود أن محمد بختيار وحيد ومضطرب ، وأنه دخل المعبد الفلانى وتحصن ، ونادى الرأى فى ممالكه حتى يأتى الناس جماعات ، ويلتفون حول المعبد وأطبقوا على جدار المعبد ، عندما رأى ملك محمد بختيار نفسه أسيرا فى فخ البلاء ، خرج من المعبد ، ونزل على شاطئ نهر بيكمتى (٤٧) واهتم بالعبور، وفجأة قفز فى النهر بفرسه وسار مقدار رمية سهم ، وأدرك الناس أن القاع سيبتلعهم مرة واحدة ، وألقوا بأنفسهم فى الماء ولما لم يكن أكثرهم سباحا فقد غرق الكثير رحمة الله عليهم ، وبعد غرق جيش ملك محمد بختيار ، عبر من نهر بيكمتى مع عدد محدود بصعوبة بالغة ووصل الى ديوكوت (٤٨) .

(٤١) دهن « ١ » ص ٢٤ .

(٤٢) بتمكدى « ١ » ص ٢٤ - .

(٤٣) كرشاسب .

(٤٤) بروهن « ١ » ص ٢٤ .

(٤٥) أبروس « ١ » ص ٢٤ .

(٤٧) بتمكندى « ١ » ص ٢٤ .

(٤٨) ديوكوت « ١ » ص ٢٤ .

ولما كان الفكر قد تسلل الى خاطره من شدة الحزن ، فقد مرض ، وكان يقول : « لو واجهت هذه الحادثة السلطان معز الدين محمد سام لما ولى عنا الزمان ، وأفل بختنا » ، وتصادف أن كانت نفس هذه الأيام هى أيام شهادة السلطان معز الدين ، ورحل ملك محمد بختيار بنفس المرض الى منزل الخلود ، ويروى أن على مردان ، وهو من الأمراء الكبار لملك محمد بختيار عندما علم بهذه الحادثة جاء من مقاطعة بارسول الى ديوكوت ، وفى هذا الوقت كان ملك محمد بختيار طريح الفراش ، ولم يكن أحد يقترب منه ، وتوجه اليه على مردان ، ورفع الغطاء عنه وأنهى أمره بخنجر ، وكانت هذه الحادثة فى سنة ٧٠٢ هـ (٤٩) .

ذكر عن الدين محمد شروان :

كان هو وأخوه من الأمراء الكبار لمحمد بختيار ، وكان محمد شروان هذا فى غاية الشجاعة والبطولة والذكاء ، ومثال ذلك أنه عندما فتح محمد بختيار مدينة نوديا (٥٠) وهزم لكهيمينه ، وفرق جيشه كان محمد شروان قد احتفظ بثمانى عشرة فيل مع حراسها فى غابة وحده ، وعندما مر على هذا ثلاثة أيام ، وعلم ملك محمد بختيار بالخبر ، أرسل عددا من الفرسان ليقودوا جميع الأفيال ويحضرونها عنده .

عندما قاد ملك محمد بختيار الجيش الى التبت وكامرود ، أرسل محمد شروان وأخاه مع جماعة من الحشم الى جاجنكر ، وبعدما حدث ما حدث لملك محمد بختيار ، جاء محمد شروان وأخوه من جاجنكر الى ديوكوت ، وقدموا العزاء ، وذهب محمد شروان وأخوه مع جماعة من حشم جاجنكر الى بارسول ، وقبضا على على مردان قاتل ملك محمد بختيار ، وسجنه ، وسلمه الى كوتوالى يقال له « بابا كوتوال اصفهانى » (٥١) وعاد الى ديوكوت ، وقبل جميع أمراء الخليج قيادته ، وقدموا له الطاعة ، الى أن أطلق الكوتوال المذكور على مردان من قيده ، والتحق بخدمة السلطان قطب الدين أييك فى دهلى ، والتمس أن يعين السلطان قطب الدين قيمان رومى (٥٢) على لكهنوتى ، وصدر فرمان لكى يستقر كل أمير من أمراء الخليج فى المقام المناسب من هذه النواحي ، وتوجه قيمان رومى واستقر كل أمير من أمراء الخليج بناء على فرمان فى المكان المناسب ، وأسرع ملك حسام الدين عوض خلجى الذى كان يحكم أقطاع

(٤٩) ٦٠٢ هـ .

(٥٠) نوديار « ١ » ، ٢٤ .

(٥١) باباى كوتوال اصفهانى « ١ » ، ص ٢٥ .

(٥٢) قيمان رومى « ١ » ، ص ٢٥ .

« كلوانى » من قبل ملك محمد بختيار لاستقبال قيماز رومى ، ورافقه الى ديوكوت ، وتقررت له ديوكوت مقاطعة له ، ولما كان قيماز رومى قد توجه من ديوكوت الى اوده ، وتوجه ملك محمد شروان وسائر أمراء الخليج الذين كانوا معا صوب ديوكوت ، وعندما وصل هذا الخبر الى قيماز رومى ، عاد من الطريق ، وأصطف أمراء الخليج ، وهزم محمد شروان وسائر أمراء الخليج ، وتوجهوا الى طوس ، وهناك ظهر خلاف بينهم ، واستشهد محمد شروان ومدفنه هناك .

ذكر على مردان خلجى : (٥٣)

كان مشهورا بالشجاعة والبطولة والنخوة وعلو الهمة ، وعندما تخلص من الحبس ، التحق بالسلطان قطب الدين ، وتوجه فى ركابه الى غزنين ، وهناك أسره التركمان (٥٤) وسجن فى كاشغر وظل هناك ويقال انه ذات يوم خرج السلطان تاج الدين يلدوز للصيد ، ورافقه على مردان أيضا فقال لأحد أمراء الخليج ويدعى « سالار ظفر » ماذا يحدث لو أنهيت أمر السلطان تاج الدين بحربة واحدة . وأجعلك سلطانا ؟ وكان سالار ظفر رجلا عاقلا وطيبا ، وليس لديه هوس السلطنة ، فمنعه عن هذه الفعلة ، وأعطاه جوادا عربيا وسمح له بالتوجه الى الهندوستان ، وعندما وصل الى السلطان قطب الدين نال العناية والرعاية ، وأقر له ممالك لكهنوتى ولاية له ، وتوجه الى لكهنوتى ، وبعد أن عبر نهر كوسى ، استقبله ملك حسام الدين عوض خلجى من ديوكوت ، ووصل الى ديوكوت وتمكن هناك من كرسى الامارة ، واستولى على جميع بلاد لكهنوتى ، وبعد ذلك التحق السلطان قطب الدين برحمة الله فرفع « جتر » وضرب السكة وقرأ الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، ووصل تكبره لدرجة أن قسم ولايات ايران وتوران بين أمرائه ، ومن كثرة ظلمه وقسوته لم يصاحبه أحد قط ، حتى لا تخرج هذه الولايات منه ، « طالما لا تفعل السوء ، تأمن الآفات ، ومن الواجب مكافأة الطبيعة » ، وعندما تعدى الظلم والجور والحدود ، اتفق أمراء الخليج ، وقتلوه ، ويروى أن تاجرا جاء اليه يشكو الافلاس ، فسأل من أين هذا الرجل ؟ قالوا من أصفهان ، فأمر أن يكتبوا أمرا أن تكون أصفهان ضمن أملاكه ، ورفض التاجر هذا ، ولم يستطع الوزراء عرض هذا المعنى من الخوف ، وحينئذ قرروا أن حاكم أصفهان محتاج لنفقة الطريق وجمع الحشم لضبط هذه الولاية ،

(٥٣) ذكر مروان خلجى « ك » ص ٣٥ .

(٥٤) تركان « ١ » ص ٢٥ .

فأمر أن يعطوه مبلغا كبيرا ، أكبر مما يتوقع وبعد قتله اتفق الأمراء أن يجلسوا على كرسي السلطنة ملك حسام الدين عوض خلجي ، وكانت مدة حكم على مردان سنتين .

ذكر ملك حسام الدين عوض خلجي :

كان من أمراء خلج كرمسير (٥٥) ويتصف بأوصاف حميدة وفضائل مرضية ، وعندما اختار السفر من بلاده ، وتوجه الى حدود تركستان على هضبة تسمى « هضبة فيروز » ، هناك وصل صوفيان كانا بلا زاد ، يسيران متوكلين في الصحراء والجبل ، قال ملك حسام الدين : هل لدى خواجه أى زاد ؟ فقدم لهما ملك حسام الدين عدة أرغفة وطعاما شهيا ، تناول الصوفيان الطعام بشهية تامة ، وقالوا : ينبغي أيها السيد أن تتجه الى الهندوستان ، لأنه سيودعون اليك سلطنة اقليم الهندوستان .

« تمدد الصوفي على الأرض ، وأعطى للشحاذ ملك الضحاك » (٥٦)

وتيمن ملك حسام الدين بهذه البشارة ، وتوجه الى الهند ، والتحق بخدمة ملك محمد بختيار الى أن أعطاه الله الواهب ملك بلاد لكهنوتى ، وسمى بالسلطان غياث الدين ، وفى أيام عدالته استراح الجيش والرعية جميعا ، وظهرت آثار الخير لهذا السلطان ، وظلت آثار كثيرة فى عصره شاهدا على حسن نيته ، وحكم ولاية البنغال وترهت وكامرود وجاجنكر ، وتوجه فى شهور سنة ٦٢٢ هـ السلطان شمس الدين الى البنغال ، والتقى الطرفان ، وقرر الصلح بشرط أن يقدم ثمانية وثلاثين فيلا ، وثمانية آلاف تنكه (٥٧) الى السلطان شمس الدين وأن يقرأ الخطبة باسمه ، وعندما عاد السلطان شمس الدين فوض ملك بهار لملك علاء الدين خانى ، وبعد ذلك دخل غياث الدين بهار من لكهنوتى ، واستولى عليها ، الى أن توجه ملك ناصر الدين محمود بن السلطان شمس الدين من أوده بغواية ملك خانى لكهنوتى بجيش جرار فى شهور سنة ٦٢٤ هـ . واثناء ذلك قاد غياث الدين عوض جيشا جرارا من لكهنوتى الى كامرود ، واستولى ملك ناصر الدين على لكهنوتى ، وعاد غياث الدين عوض ، وقاتل ، وأسر مع أكثر أمرائه ، وقتل ، ويقولون ان السلطان شمس الدين التمش طيب الله ثراه ، أرسل ملك ناصر الدين محمود ليسكن فتنة ملك اختيار

(٥٥) كه بر « ٦ » ص ٢٦ .

(٥٦) ملك أسطورى عربى يعنى نمت بين منكبيه حيتان مكان تقبيل الشيطان ، وأشار عليه الأطباء باطعام الحيتين مخ آدمى كل يوم ، وقد قضى عليه الهريديون .

(٥٧) تنكه ك هـ ٥٤ .

الدين فى بلاد لكهنوتى وبعد وفاة ابنه ، وشاهد الآثار الطيبة التى أحدثها ملك حسام الدين عوض خلجى ، وجرى على لسانه من أجل الأوصاف الحميدة لهذا الملك ، وتأسف لما كان لهذا الرجل صاحب الخبرات والأفعال الطيبة ، كانت مدة سلطنته اثنتى عشرة سنة .

ذكر السلطان آرامشاه بن قطب الدين :

عندما توفى السلطان قطب الدين ، لأنه لا مفر للناس من الله ، أجاجس أمراء وأركان الدولة آرامشاه على عرش لاهور لأنه لم يكن هناك ابن غيره وريثا ، وأرسلوا الأحكام والمنشورات الى الأطراف والنواحي وبشروا بالعدل والانصاف ، وإثناء ذلك أرسل « سبه سالار » على اسماعيل أمير بلاد دهلى بالاتفاق مع جماعة من الأمراء رسولا لاستدعاء ملك التمش وكان مملوك وصهر والابن بالتبني للسلطان قطب الدين حاكما لبداون ، واستدعوه للسلطنة ، وجاء ملك التمش الى دهلى ، واستولى على المدينة ، وجمع آرامشاه الذى كان خارج دهلى ، الجيش وأمراء أبيه ، وجاء الى دهلى وصف ملك التمش جيشه فى صحراء « جود » وحارب ، وهزم آرامشاه .

كان للسلطان قطب الدين ثلاث بنات ، تزوجت اثنتان بالتوالى ملك ناصر الدين قباجه ، وكانت احدهن زوجة لملك التمش ، وبعد وفاة السلطان قطب الدين توجه ملك ناصر الدين قباجه الى السند ، واستولى على المملكتان وأجه وبهكر وسيوستان (٥٨) ، ودخلت دهلى تحت سيطرة ملك التمش بمساعدة أمير على (٥٩) وأمراء آخرين ، وحكم ملك حسام الدين خلج بلاد لكهنوتى والبنغال ولم يمتد مدة حكم آرامشاه الى سنة .

ذكر السلطان شمس الدين التمش :

يروى أن أباه يسمى ايلم خان ، كان يحكم قبائل تركستانية كثيرة ، وكان اخوته وبرواية أخرى أبناء اخوته يحسدون التمش منذ حداثة سنه ، وحملوه مثل يوسف الى الصحراء والغابات الكثيفة ، وباعوه لتاجر عابر ، وحمله التاجر الى بخارا (٦٠) وباعه الى تاجر

(٥٨) سيوستان مدينة بالسند (ابن خرداذبه المسالك والممالك ص ٥٧) وهي غير سيستان التى تقع غرب السند .

(٥٩) أميرداد « ك » ص ٥٥ ،

(٦٠) بخاره ك ص ٥٦ ،

من بخارا ، ونال فى بيوت أهل المروءة أحيانا أنواع التربية والرعاية ، وحسب التقدير فان حاجى بخارى التاجر الذى اشتراه باعه الى حاجى جمال الدين جست قبا ، وحمله حاجى جمال الدين الى غزنين ، ولما لم يكن قد وصل الى غزنين فى تلك الأيام فتى تركيا أجمل منه ، فقد وصل ذكره الى السلطان محمد سام فطلب السلطان أن يشتروه بالسعر الذى يحدده ، وكان معه غلام آخر يسمى أيبك ، فقيموا كلا منهما بألف دينار ركنى ، فرفض خواجه جمال الدين بيعهما ، فأمر السلطان ألا يشتريه أحد قط ، وعطل عليه ، وبعد سنة توجه خواجه جمال الدين الى بخارا ، ورافقه التمش ، وعاد وأقام فى غزنين سنة ، وكان شراؤه دون إذن السلطان يضايق الأهالى ، الى أن جاء السلطان قطب الدين أيبك بعد فتح نهر والى لتسخير الكجرات مع ملك ناصر الدين خرميل الى غزنين ، وسمع عن أحوال التمش ، استأذن السلطان لشراؤه ، فقال السلطان لما كنت قد منعت أى شخص أن يشتريه فى غزنين فليس من اللائق أن تشتريه ، فأحمله الى بلاد دهلى واشتريه ، وعندما عاد السلطان قطب الدين من غزنين ، وترك نظام الدين محمد لبعض المهام ، وأمره أنه لو أراد جمال الدين جست قبا أن يرافقه لكى يشتري منه التمش ؟ وعندما جاءوا ، اشترى السلطان قطب الدين التركيين أى التمش وأيبك بمائة ألف (٦١) جيتل ، وسمى أيبك ظغماج ، وجعله أميرا لسرهند ، وقتل فى الحرب التى وقعت بين السلطان تاج الدين يلدوز والسلطان قطب الدين وتبنى التمش ، وقربه منه ، وبعد فتح كواليار ، رفعه لامارة هناك ، وبعد ذلك فوضه على برن ونواحيها ، وعندما رأى بالتدريج علامات الشجاعة والقيادة عليه ، أنعم عليه بولاية بداون . وعندما جاء السلطان معز الدين سام الى الهند لتسكين فتنة كهوكهران ، وحسب أمر السلطان معز الدين توجه السلطان قطب الدين أيضا بجيشه اليه ، والتحق التمش بجيش بداون ، بالسلطان قطب الدين ، وفى أثناء المعركة أبدى التمش شجاعة وبطولة ، فقد قفز ذى النور بجواد مسلح وهاجم العدو ، وعندما رأى السلطان معز الدين هذه الشجاعة والهمة ، طلبه وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وأكد على السلطان قطب الدين برعاية أحواله ، وفى نفس هذا الوقت كتب أمر السلطان مرسوم العتق ، وبالتدريج وصل الى درجة « أمير الأمراء » .

عندما توفى السلطان قطب الدين فى لاهور ، جاء الى دهلى باستدعاء « سبه سالار » اسماعيل وأمير ديار (٦٢) دهلى والأعيان

(٦١) الكه ١ ص ٢٧ ، لك ك ص ٥٧ .

(٦٢) أميرداد « ١ » ص ٥٧ .

الآخرين بجيش بداون ، واستولى على دهلى ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين ، وجلس على العرش سنة ٦٠٧ هـ وتبعه أكثر الملوك والأمراء القطبية ما عدا بعض الأمراء المعزية والقطبية الذين طغوا فى نواحى دهلى ، وتجمعوا ، وأعلنوا العصيان ، لكن طالما أن مصباح دولته قد أضىء من نور التأييد الإلهى فإنه لن يجنى الأعداء الجهلاء من إطفاء هذا النور الا الخزلان ، وصاروا جميعا علفا للسياق البتار ، وظهر ساحة سلطنته من الأخساء والأراذل .

« تعلق بسعداء الحظ ، لأن سقوط المحظوظين صعب » .

بعد ذلك أرسل السلطان تاج الدين يلدوز المعزى سلطان غزنين اليه « بجتر » « وامارة السلطنة » وبعد فترة وجيزة هزم السلطان تاج الدين من جيش خوارزم ، واستولى على لاهور ، استقبله السلطان شمس الدين ، ووقعت معركة حامية على حدود تراين فى شهور سنة ٦١٢ هـ ، وهزم السلطان تاج الدين وأسر وأحضره الى دهلى ، وحبس به فى بداون الى أن توفى هناك .

وفى سنة ٦١٤ هـ حارب السلطان شمس الدين ملك ناصر الدين قباچه صهر السلطان قطب الدين ، وحقق السلطان شمس الدين النصر هناك ، وتقاتل مع ملك ناصر الدين عدة مرات فى لاهور ، وكان كل مرة يحقق النصر ، وآخر مرة هجم السلطان شمس الدين على ملك ناصر الدين ، وحاصر قلعة أجه ، وتوجه الى قلعة بهكر ، وعين نظام الملك الوزير وعددا لتعقب ملك ناصر الدين ، وإبراهيم بمحاصرة قلعة أجه ، وفتحها فى شهرين وخمسة وعشرين يوما ، وعندما وصل خبر تسخير القلعة الى ملك ناصر الدين (٦٣) أرسل ابنه علاء الدين بهرامشاه لخدمة السلطان شمس الدين ، وطلب الصلح ، وأعقبه خبر فتح بهكر ، وقالوا : انه بعد تسخير القلعة غرق ملك ناصر الدين فى النهر ، وبعد هذه الحادثة وفى سنة ٦١٨ هـ هزم السلطان جلال الدين خوارزمشاه أمام جنكيرخان ، وتوجه الى لاهور ، وسار اليه السلطان شمس الدين بجيش جرار ، لم يستطع السلطان جلال الدين مقاومته فأتجه الى السند وسيوستان ، ومن هناك سار الى كج (٦٤) ومكران .

بعد ذلك فى سنة ٦٢٢ هـ قاد السلطان شمس الدين الجيش الى لكهنوتى وبهار ، فدخل السلطان غياث الدين خلجى الذى ذكر على حده وكان حاكما مطلقا على هذه البلاد فى طاعته ، وجعل الخطبة والسكة

(٦٣) نصير الدين « ١ » ، ص ٢٨ .

(٦٤) كج أو كجه من بلاد الكجرات .

باسمه ، وأخذ ثمان وثلاثين فيلا وثمانين ألف تنكة فضة من السلطان غياث الدين ولقب ابنه الأصغر بالسلطان ناصر الدين ، ورعيته على ولاية لکهنوتى ، وسلمه « جتروودورباش » (٦٥) وتركه فى أوده ، وعاد الى دار الملك دهلى ، وحارب ملك ناصر الدين غياث الدين خلجى ، الذى كان يحكم هذه البلاد فى ذلك الوقت ، وغلبه ، وأسره ، وقتله ، وغنم منه غنائم كثيرة ، وأرسل الهدايا الى أكثر أهالى وأعيان ومشاهير دهلى الذين يذكروهم .

وفى سنة ٦٢٢ هـ توجه لفتح زنتهبور ، وقاد الجيش الى هذه الناحية ، وفتح هذه القلعة وفى سنة ٦٢٤ هـ قاد الجيش لفتح قلعة مندور (٦٦) ، واستولى على هذه القلعة ، وعدة مئات الألوف (٦٧) ، وعاد فى نفس السنة الى دار الملك دهلى .

وكان أمير روحانى وهو من أفاضل هذا الزمان قد جاء الى دهلى من بخارا فى أحداث جنكيزخان وهناه بهذه الفتوحات بأشعار بليغة ، منها هذه الأبيات .

« حمل جبريل الأمين الجتر الى أهل السماء ، برسالة نصر السلطان شمس الدين » .

« انه أيها الملائكة المقدسين فى السماء ، فلتبشرون هذا بالمتاج والقانون » .

« لأن سلطان الاسلام قد فتح قلعة سبهرائين من بلاد الملاحدة » .
« انه الملك المجاهد الغازى الذى أثنت روح حيدر الكرار (٦٨) على يده وسيفه » .

وفى سنة ٦٢٦ هـ (٦٩) أحضر رسل العرب لباس الخلافة الى السلطان شمس الدين ، وقدم السلطان الطاعة ، ولبس دار الخلافة ، وبدأت سعادة وفرحة غامرة عليه ، عند ارتداء الخلعة وخلع السلطان الخلع على أكثر الأمراء ، وعقد الأفراح فى المدينة ، ودقوا طبول الفرح وفى هذه السنة وصل خبر وفاة السلطان ناصر الدين حاكم لکهنوتى ، فقدم

(٦٥) عصاة تمسك فى يد السلطان .

(٦٦) مندور « ك » ص ٥٩ .

(٦٧) بأجملة سؤالك « ك » ص ٥٩ ، بأجملة سؤالك « ١ » ص ٢٩ .

(٦٨) الامام على بن أبى طالب .

(٦٩) وردت ٦١٦ « ١ » ص ٢٩ .

السلطان شمس الدين العزاء ، وأطلق اسمه على ابنه الصغير ليأخذ الأمان ، وطبقات ناصري (٧٠) ألف باسمه ، المهم في سنة ٦٢٧ هـ قاد الجيش الى لكهنوتى ، وسكن الفتنة التى قامت بعد وفاة السلطان ناصر الدين ، وعين عز الملك ملك علاء الدين خانى على لكهنوتى ، وعاد الى دار الملك دهلى .

وفى سنة ٦٢٩ هـ توجه لفتح قلعة كواليار ، وحاصر هذه القلعة مدة سنة ، وأخيرا فر ملك ديوبسيل (٧١) والى هذه القلعة ليل ، ودخلت القلعة تحت سيطرته ، وأسروا خلقا كثيرا ، وقتلوا ثلاثمائة شخص ، وأنشد ملك تاج الدين ريزه كاتب المملكة هذه الرباعية فى فتح القلعة وحفروها على حجر بوابة القلعة .

« كل قلعة أخذها سلطان السلاطين ، أخذها بعون الله ونصرة الدين » .

« أخذ قلعة كواليار ، هذا الحصن الحصين فى سنة ستمائة وثلاثين »

وبعد ذلك عاد السلطان من هناك ، وفى سنة ٦٣١ (٧٢) اتجه صوب ولاية مالوه ، وسخر قلعة بهيلسا ، واستولى على مدينة أجين (٧٣) أيضا ، وخرب معابد « مهاكال » التى اقيمت منذ ستمائة سنة وكانت فى غاية الحصانة والمتانة ، واقتلعها من أصولها ، وأحضر من أجين نكر تمثال بكرماجيت (٧٤) الذى يؤرخ الهنود تاريخهم به ، وتماثيل أخرى كانوا قد صبوها من الذهب ، ووضعوها أمام باب المسجد الجامع فى دهلى ، ليطأها الناس ، وقاد الجيش مرة أخرى الى الملتان ، وفى السفر المشثوم سقط ، وأصيب ، وعندما وصل الى دهلى ، انتقل الى العالم الآخر فى العشرين من شعبان سنة ٦٣٣ هـ .

وفى مذكرات خواجه قطب الدين بختيار رحمة الله عليه ، وجامعها هو الشيخ فريد شكرنج قدس سرهما ، أورد أنه أراد أن يعمل حوضا ، وذهب الى خدمة خواجه لتحديد وتعيين المكان المناسب للحوض ، ويستشيريه ، وكان السلطان يمر من كل أرض يصل اليها حتى وصل الى مكان حوض شمس ، واختار هذا المكان ، وعندما حل الليل ، رأى

(٧٠) لنهاج الدين الجوزجاني قاضى الهندوستان فى عهد محمد الغورى .

(٧١) ملك ديوبيل « أ » ص ٢٩ .

(٧٢) ٦٠١ « أ » ص ٢٩ .

(٧٣) أجين نكر ، مدينة أجين وهى باقليم أجمير .

(٧٤) راجا هندوكى حكم الهند قديما وله تقويم باسمه مازال مستعملا حتى الآن فى

الهند .

السلطان الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ، يقف وسط هذه الأرض ، ويقول : ماذا تريد يا شمس الدين ؟ قال السلطان : أريد يا رسول الله أن أقدم حوضاً ، قال : أفعل هنا ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض بعود ، فانبجست عين ماء ، واستيقظ السلطان من نومه ، وما زال في الليل بقية ، فجاء إلى خواجه قطب الدين قدس سره ، وقص الواقعة ويقول خواجه قدس سره ان السلطان حمله إلى هذه الأرض ، فرأينا نور مصباح حيث يتدفق ماء العين ، ويروى أنه في الأيام التي كان ملك شمس الدين التمش في بغداد (٧٥) عند صديق ، اجتمع في منزل صاحب جماعة من الدراويش ، وكان الدراويش وأهل الحال في حالة سماع ، وكان ملك التمش في هذا المجلس يقوم كل ليلة بالخدمة ، ويبكي عند السماع ، وكان القاضي حميد الدين ناكوري عمدة هذا المجلس وبعدما خدم ملك التمش الدراويش نظروا إليه ، والحق سبحانه وتعالى أوصله إلى السلطنة ببركة هذه النظرة ، وبعد فترة جلس على عرش ملك الهند ، وكان القاضي حميد الدين ناكوري مشغولاً بإرشاد المريدين وكان الدراويش في مجلسه يقومون بالرقص والسماع وأنكر السماع اثنان من علماء الظاهر أحدهما يسمى ملا عماد الدين والآخر ملا جمال الدين ، وأخبرا السلطان لكي يمنع القاضي من السماع ، فاستدعى السلطان القاضي ، وأجلسه باعزاز واجلال ، وسأله هذان الشخصان هل السماع حلال أم حرام ؟ قال القاضي : حرام على أهل قال (٧٦) وحلال على أهل حال (٧٧) ، ونظر إلى السلطان وقال : هل جرى بخلد السلطان أنه ذات ليلة في بغداد كان الدراويش وأهل الحال يقومون بالسماع ، وقمت بأمر صاحبك في هذه الليلة بخدمة أهل المجلس ، وبكيت عند السماع ، ونظر إليك المتصوفة ، وقد بلغت إلى هذا السلطان ببركة هذه النظرة ، ففكر السلطان بهذا الأمر ، ورق ، فاحتض القاضي ، وأكرمه ، بعد أن حقق من السماع ما يريد وكان يعتقد في نفع المتصوفة .

كان السلطان شمس الدين مولعاً بالطاعة والعبادة ، وكان يذهب إلى المسجد في أيام الجمع ، ويقوم بأداء الفرائض والنوافل ، وكان ملاحدة دهلبي يدركون هذا المعنى ، فاتفقوا أن يقتلوا السلطان أثناء أداء الصلاة والخلائق مشغولون عنه ، فاجتمع جماعة ، ورفعوا الحراب يوم

(٧٥) ورد من قبل أنه انتقل إلى بلاد التركمان إلى بخارا إلى غزني ، إلى الهندوستان فقط وربما تكون هناك مدينة تسمى بغداد في الهند .

(٧٦) أهل قال : الفقهاء .

(٧٧) أهل حال : المتصوفة .

الجمعة ودخلوا المسجد ، وضربوا السيوف فاستشهد عدة أشخاص ،
ونجا الحق سبحانه وتعالى السلطان من شرهم ، وصعد الأهالى على
الأسطح والجدران وقتلوا هؤلاء القوم بضربات الحجارة والسهام ،
وطهروا العالم من عار وجودهم .

« سىء الفكر يضمم الشر دائما ، مثل (٧٨) حية نادرا ما تبيت
فى منزل » .

فى آخر عمره جاء فخر الملك عصامى الوزير البغدادى الذى قام
بمنصب الوزارة لمدة ثلاثين عاما فى بغداد ، وكان مشهورا بالفضائل
الضورية والمعنوية ، وبسبب من الأسباب الدنيوية التى هى أساس المتاعب
والمال لأرباب الدولة ، جلا عن وطنه وجاء الى دهلى ، وأكرمه السلطان
ودخل المدينة مكرما ، وسلمه منصب الوزارة ، وأنعم عليه انعامات
ملكية ، كانت مد سلطنة السلطان شمس الدين التمش ستا وعشرين
سنة .

ذكر السلطان ركن الدين فيروز شاه ابن السلطان شمس الدين :

فى سنة ٦٢٥ هـ أعطاه والده مقاطعة بداون ، وأنعم عليه « بجتر
ودورباش » وبعد أن عاد السلطان من فتح كواليار الى دهلى ، عينه على
ولاية لاهور ، وعندما عاد السلطان من رحلته الأخيرة من سيوستان (٧٩) ،
أخذ برفقته ركن الدين فيروز شاه من لاهور ، وعندما توفى أجلس
أمراء وأعيان الدولة فيروز شاه على عرش دهلى فى يوم الثلاثاء (٨٠)
سنة ٦٢٣ هـ وقدم لوازم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد
الغراء فى مدحه وتهنئته ، ونالوا الانعام والصلوات ، ومن جملتها : أن
ملك تاج الدين ريزه وكان كاتباً للسلطان ، مدحه بقصيدة طويلة ونال
انعامات وصلة ، ويذكر هذان البيتان على سبيل الذكرى :

« ليباركك الله أيها الملك الخالد ، لك الملك وأنت فى عهد الشباب »

« جاء يمين الدولة ركن الدين ، بلاطه من اليمن مثل ركن اليمانى »

وعندما جلس على العرش ، انشغل باللهو والمرح عن الملك ، وفتح
أبواب الخزائن ، وقدم العطايا والهبات ، وترك حكم الهندوستان لأمه .

(٧٨) كزدم « أ » ص ٣٠ ، « ك » ص ٦٣ . والصحيح كزدم .

(٧٩) سيوستان « أ » ص ٣٠ .

(٨٠) سقط الشهر من النسختين .

وكانت جارية تركية (٨١) وثشتهر بشاه ترکان وقد سيطرت عليه لدرجة أنها أخذت في إيذاء الحريم الآخرين الذين حملت لهم الحقد أيام حياة السلطان ، وقتلت الابن الأصغر للسلطان وكان يسمى قطب الدين ، وخوت الخزانة ، وأكثر من الانعام على الأرانل والأوباش والسكارى .

واستاء خاطر الصغير والكبير والوضيع والشریف منها ، ولوى ملك غياث الدين محمد شاه وكان أخوه الأصغر ويحكم ولاية أوده ، رأسه عن طاعته ، وراسل ملك عز الدين كبير خان والى الملتان وملك سيف الدين كوجى (٨٢) حاكم هانس ، ورفعوا لواء المعارضة ، وتحرك السلطان ركن الدين بجيش كبير من دهلى لدفعهم ، ونزل في « كيلوكهرى » وفى تلك الأثناء ، فر نظام الملك محمد جنديرى وزير المملكة من كيلوكهرى لخوفه وذهب الى قسبة كول ، والتحق بملك عز الدين محمد سالارى ، وفضل السلطان ركن الدين تسكين الفتنة فى نواحى البنجاب ، وتوجه ناحية كهرام ، وعندما اقترب من منصوربور وتراين (٨٣) انفصل عن الجيش من الأمراء الذين كانوا معه تاج الملك محمد دبیر (٨٤) وبهاء الدين حسين ، وملك كريم الدين زاهر (٨٥) وضياء الملك سروانى (٨٦) وخواجه رشيد وأمير فخر الدين ، وجاءوا الى دهلى ، وبايعوا السلطانة رضية وهى الابنة الكبرى لسلطان شمس الدين ، وأجلسوها على عرش السلطنة ، وقبضوا على شاه ترکان أم السلطان ركن الدين ، وحبسوها ، وكانت هذه السلطانة رضية تتصف بالخصال الحميدة مثل الشجاعة والسخاء والعقل والفراسة ، وتتصف بصفات الرجولة ، وكان والدها يهتم بها ، وفى عهد أبيها كان لها تدخل فى مهام الملك ، وكانت تشارك فى الحكم .

عندما وصل الخبر الى السلطان ركن الدين ، وعاد الى دهلى ، ووصل كيلوكهرى ، وأرسلت السلطانة رضية جيشا لاستقباله ، وأسرتة ، وأحضرتة ، وحبستة ، وتوفى فى مدة وجيزة فى سجنه وكانت مدة حكمه ستة أشهر وثمانية وعشرين يوما .

(٨١) كنيز « ك » ص ٦٣ .

(٨٢) كوسى « ا » ص ٣١ .

(٨٣) منصور بور وتراين « ا » ص ٣١ .

(٨٤) محمد دبیر « ا » ص ٣١ .

(٨٥) ملك كريم الدين حسين زاهر « ا » ص ٣١ .

(٨٦) سروانى « ا » ص ٣١ .

تذكر السلطانة رضية (٨٧) :

فى السنة التى فتح فيها السلطان شمس الدين قلعة كواليار ، أوصى بعض الأمراء بأن يجعل رضية (٨٨) ولاية للعهد لما شاهدوه فيها من غل وافر وفراسة ، فقال أمراء : ما الحكمة فى أن يجعل ولاية العهد لصبية مع وجود أبناء على وشك الرشد ؟ قال السلطان : لأننى أرى ابنائى وقد أبتلوا بشرب الخمر وأنواع المناهى والأناية ، ولا أجدهم أهلا لعبء السلطنة ، ورضيه مع أنها على هيئة امرأة لكنها رجل بالمعنى ، وفى الحقيقة هى أفضل من الأولاد .

المهم عندما جلست السلطانة رضية فى سنة ٦٣٥ هـ على عرش السلطنة ، أحيت القواعد والأحكام الشمسية (٨٩) التى أهملت واندرست فى أيام سلطنة ركن الدين ، وسلكت طريق الكرم والعدل .

أبدى نظام الملك محمد جنيدى وزير المملكة وملك جانى وكوجى رملك عزيز الدين اياز العصيان وقد تجمعوا من الأطراف حول بلاط رضية ، وكفروا بالنعمة ، وكتبوا الرسائل للأمراء فى الأطراف ليرغبوهم فى التمرد ، وأثناء ذلك توجه ملك عزيز الدين هانى حاكم أوده لمساعدة السلطانة رضية فى دهلى ، وعندما عبر الجانج ، استقبل الأمراء المتمردين الذين سبق ذكرهم ، فقبضوا عليه ، وبسبب الضعف الذى كان عليه توفى فى هذا الوضع ، وبعد ذلك وفى مدة وجيزة ضربت السلطانة رضية بتدبيرها اللائق ورأيها الصائب الأمراء المزيفين فى بعضهم ، فاختلفوا ، وفر كل منهما فى ناحية ، وتعقبت السلطانة رضية الفارين ، وقبضت على ملك كوجى وأخيه ، وقتلتهمما وقتل ملك جانى فى نواحى بابل (٩٠) وأحضروا رأسه الى دهلى ، ودخل ملك نظام الملك فى جبل « سرسور » (٩١) وتوفى هناك .

عندما قويت دولة السلطانة رضية ، وانتظمت مملكتها ، عينت خواجه مذهب (٩٢) ، وكان نائبا لنظام الملك جنيدى ، وزيرا ، ولقب بنظام الملك ، وفوضت أمر الجيش لملك سيف الدين أيبك ولقبته بقتلخان ، وأحالت ولاية لاهور لملك كبيرخان اياز ، وعينت الأمراء على ممالك لكهنوتى

(٨٧) سلطان رضية « ك » ص ٦٥ « ١ » ص ٣١ .

(٨٨) در طيئه « أ » ص ٣١ .

(٨٩) نسبة الى شمس الدين التمش .

(٩٠) بابل « أ » ص ٣٢ .

(٩١) سرسور « ١ » ص ٣٢ .

(٩٢) خواجه مذهب « أ » ص ٣٢ .

وديول ودربنى وسائر البلاد والبقاع ، وفى نفس هذه الأيام توفى سيف الدين أيبك ، ونصبت محله قطب الدين حسن ، وأرسلته بجيش جرار لمهاجمة قلعة رنثنبور ، وأخرج قطب الدين حسن المسلمين الذين كانوا فى القلعة والذين كان الهنود يحاصرونهم بعد وفاة السلطان شمس الدين ، ولم يهتم بحكم القلعة ، وبعد توجيهه الى رنثنبور صار ملك اختيار الدين ابتكين (٩٣) أمير حاجب (٩٤) وتقرب جمال الدين ياقوت حبشى « مير آخور » (٩٥) كثيرا من السلطنة رضيه وصار محسودا من الأمراء ، وارتفع الى درجة « صاحب نسبت » لأنه كان يتأبط السلطنة رضيه أثناء السير ويرفعها عند الركوب ، وكشفت السلطنة رضية الحجاب ، ولبست لباس الرجال ، وكانت تجلس على العرش والعباءة عليها والقلنسوة على رأسها ، وتعلن العفو العام ، وفى سنة ٦٣٧ هـ لوى ملك عز الدين أياز حاكم لاهور رأسه عن الطاعة ، ووضع أساس التمرد ، وتوجهت اليه السلطنة رضيه ، وجاء اليها مخلصا ، ودخل ضمن التابعين ، وأحالت السلطنة رضيه ولاية ملطان التى كان يحكمها ملك قارقش الى ملك عز الدين ، وعادت ، وتوجهت فى نفس السنة بجيش جرار الى تبرهنده (٩٦) وأثناء الطريق خرج عليها أمراء الترك ، وقتلوا جمال الدين ياقوت حبشى الذى كان أميرا للأمراء ، حبسوا السلطنة رضيه فى قلعة بترهنده (٩٧) ورفعوا معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين على السلطنة ، واستولى على دهلى ، وفى ذلك الوقت تزوج ملك اتيار الدين التونية حاكم تبرهنده (٩٨) السلطنة رضيه ، وجمعت رضيه مع جيش القونية جماعة كهوكهران وجاتوان (٩٩) وسائر أعيان الأطراف والنواحي فى مدة وجيزة ، واتفق معها عدة أمراء ، وقادت الجيش الى دهلى ، وأرسل السلطان معز الدين بهرامشاه ملك تكين (١٠٠) خورده بجيش جرار لمواجهة رضيه ، وتقابل الجيشان فى الطريق ، وهزمت السلطنة رضيه ، وعادت الى تبرهنده ، وبعد مدة جمعت الجيش المبعثر ، وتقدمت للحرب من جديد ورفعت اللواء صوب

(٩٣) ابتكين « ١ » ص ٣٢ .

(٩٤) مير حاجب : المسئول عن شئون البلاط .

(٩٥) أمير الاصطبل .

(٩٦) سر هند « ١ » ص ٣٢ .

(٩٧) ترهنده « ١ » ص ٣٢ وقد وردت أيضا تبرهنده وبترهنده .

(٩٨) ترهنده « ١ » ص ٣٢ .

(٩٩) خاتوان « ١ » ص ٣٢ .

(١٠٠) تكين أو تكين « ١ » ص ٣٣ ، « ك » ٦٨ .

دهلى ، وأرسل السلطان بهرامشاه ملك تكين مرة ثانية بجيش جرار لقتال رضىه ، وتلاقى الطرفان فى نواحى كيتهل (١٠١) ووقعت الهزيمة على جيش رضىه مرة أخرى ، ووقعت رضىه وملك التونيه فى يد الحكام ، وقتلوهما ، وبزواية أسروهما ، وأحضرهما عند بهرامشاه وقتلهما بهرامشاه ، وكانت هذه الواقعة فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٦٣٧ هـ مدة سلطنة السلطنة رضىه ثلاث سنوات وستة أشهر وستة أيام .

ذكر السلطان معز الدين بهرامشاه ابن السلطان شمس الدين :

جلس السلطان معز الدين بهرامشاه على العرش بمساعدة الأكابر والأمراء والملوك ، يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٣٧ هـ ، وعندما قبض ملك اختيار الدين على جميع أمور المملكة بالاتفاق مع وزير المملكة نظام الملك مهذب الدين ، وتزوج أخت السلطان معز الدين ، وكانت من قبل زوجة للقاضى اختيار الدين ، وكان دائما يربط فيلا كبيرا على باب منزله ، ولما لم يكن هناك شخص آخر فى هذا الزمان لديه فيل سوى السلطان ، فقد أثار هذا المعنى سوء ظن السلطان ، فأمر السلطان معز الدين بعض الفدائيين (١٠٢) ليقتلوا ملك اختيار الدين بطعنة سكين ، وطعنوا ملك مهذب الدين أيضا بطعنيتين فى جنبه ، ومات وبعد ذلك عين ملك بدر الدين سنقر رومى « أمير حاجب » وانتظمت جميع أمور المملكة كما كان من قبل ، وحدث أن جمع ملك بدر الدين سنقر بغواية جماعة من أهل الفتنة والأعيان والكبار ، يوم الاثنين السابع عشر من صفر فى منزل صدر الملك تاج الدين « مشرف الممالك » (١٠٣) وتحديثوا فى أمر تبديل السلطنة وأرسلوا صدر الملك لاستدعاء نظام الملك ، لكى يستشيرونه أيضا ، وأطلع صدر الملك السلطان معز الدين على هذا الأمر ، وأخفى السلطان فى ناحية عند شخص ثقة ، وذهب الى نظام الملك ، وعلم من كان هناك فى الاجتماع كالقاضى جمال الدين كاشانى ، والقاضى كبير الدين ، والشيخ محمد ساوجى والأشخاص الذين كانوا هناك ، وأراد نظام الملك كسب الوقت ، وأجل قدومه الى وقت آخر ، وعرض صدر الملك حقيقة الأمر على السلطان بواسطة خادم السلطان الذى كان قد اختفى عنده وهاجم السلطان هذه الفئة بسرعة ، وفرقهم ،

(١٠١) كنيهل « ١ » ص ٣٣ .

(١٠٢) جند فدائى « ك » ص ٦٨ ، جنيد راي « ١ » ص ٣٣ .

(١٠٣) مشرف الممالك وهو المسئول عن المالية ويسمى أيضا « عارض الممالك » ،

« وبخشى » .

وأرسل ملك بدر الدين سنقر الى بداون ، وعزل القاضي جلال الدين كاشاني عن القضاء ، وبعد فترة جاء ملك بدر الدين من بداون الى البلاط ، فقتله السلطان ومعه ملك تاج الدين موسى ، وألقى القاضي شمس الدين قاضي قصبه باريهره (١٠٤) تحت أقدام الفيل ، وسبب هذا زيادة خوف ورعب الأهالي .

وفي تلك الأثناء ويوم الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٣٩ هـ جاءت جيوش المغول الجنكيزية ، وحاصرت لاهور ، وعندما رأى ملك قراقش (١٠٥) حاكم لاهور عدم اتفاق الأهالي فخرج من لاهور في منتصف الليل وتوجه الى دهلي ، وخربت مدينة لاهور من ظلم الجنكيزخانيين ، وأسر خلق كثير ، وعندما وصل هذا الخبر السلطان معز الدين ، جمع الأمراء في القصر الأبيض وجدد البيعة ، وأرسل ملك نظام الملك وزير المملكة مع أمراء آخرين لدفع شر المغول الى لاهور ، وعندما وصل الجيش الى شاطئ نهر بياه قرب قصبه سلطانپور ، عرض نظام الملك الذي كان منافقا للسلطان في الباطن ، أساس الغدر والمكر وأبعد الأمراء عن السلطان ، وقال أننا لن نستطيع فعل شيء مع هذه الجماعة بسبب مرافقة جماعة من أهل الفتنة ولن تسكن هذه الفتنة الا اذا توجه السلطان بنفسه الى هذه الناحية ، وأجابه السلطان بسذاجة لأنه كان يعتمد عليه بأن يقتل هذه الجماعة حين يجد الفرصة المناسبة ، وأخفى نظام الملك الفرمان عدة أيام ، ثم أعلنه على أمراء الجيش ، فاتفقوا معه جميعا .

عندما أطلع السلطان على هذا الحال ، أرسل شيخ الاسلام شيخ قطب الدين بختيار أوشى لترضية الأمراء ، ولم يرض الأمراء بأى شيء ، وعاد الشيخ الى دهلي ، وبعد ذلك جاء نظام الملك وسائر الأمراء لمحاربة السلطان معز الدين في دهلي ، وحاصروه ، وأخذوا في قتاله يوميا ، وعندما اتفقوا مع أهالي المدينة ، استولوا على دهلي في السبت الثامن (١٠٦) من ذي القعدة من السنة المذكورة ، وحبسوا السلطان معز الدين عدة أيام ، وقتلوه ، وكانت مدة حكمه سنتين وشهرا وخمسة عشر يوما .

(١٠٤) مانهره « ١ » ص ٣٣ .

(١٠٥) قراقش « ١ » ص ٢٣ .

(١٠٦) ششم « ١ » ص ٣٤ ، هشتم « ك » ص ٧٠ .

(١٠٧) ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه « ك » ص ٧٠ .

ذكر السلطان علاء الدين مسعود شاه (١٠٧) :

عندما قتلوا السلطان بهرامشاه ، جلس ملك عز الدين بلبن على عرش دهلي . ونودي في المدينة ولم يرض الأمراء والملوك ، وفي الحال أطلقوا سراح السلطان ناصر الدين والسلطان جلال الدين أبناء شمس الدين التمش ، والسلطان علاء الدين مسعود شاه ابن السلطان ركن الدين وكانوا محبوسين في القصر الأبيض ، وأجلسوا السلطان علاء الدين مسعود شاه على عرش دهلي في ذي القعدة سنة ٦٣٩ هـ ، وعين ملك قطب الدين حسن نائباً له وملك مذهب الدين نظام الدين بمنصب الوزارة ، وصار ملك قارقش أمير حاجب ، وعندما احتضن ملك نظام الملك عروس السلطنة بلا مشارك ، اتفق الأمراء والأعيان أن يقتلوه يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأول سنة ٦٤٠ هـ .

« لا ينبغي أن يكون الحاكم حاداً ، مثل الورد ، لأن السيل الجارف سيهدم الجسر » ، وعين أبا بكر نجم الدين صدر الملك على الوزارة ، وجعل غياث الدين بلبن ، الذي كان حتى هذا الوقت الخ خان « أمير حاجب » وعهد لملك عز الدين بلبن الكبير بباكور والسند وأجسير ، وفوض مقاطعة بداون لملك تاج الدين ، وقسم سائر مقاطعات الممالك أيضاً على الأمراء كل حسب حالته وانتظم أمر المملكة ، وظهر الهدوء والاستقرار بين الناس .

في ذلك الوقت أرسل ملك عز الدين طغاخان الذي كان قد جاء من كره (١٠٨) إلى لکهنوتی ولايته شرف الملك أشعري إلى السلطان علاء الدين ، وأرسل السلطان « جتر » ياقوتية وخلعة خاصة مع القاضي جلال الدين حاكم أوده إلى لکهنوتی عند عز الدين طغاخان ، وأطلق سراح عميه من الحبس ، وأحال إقليم قنوج لملك جلال الدين ، وأضاف لملك ناصر الدين حكومة بهرايج وقد تركا أثارا طيبة في هذه البلاد على مر الأزمان .

في سنة ٦٤٢ هـ جاءت جيوش المغول إلى ديار لکهنوتی ، وكانوا قد جاءوا من الطريق الذي كان قد سلكه محمد بختيسار إلى التبت والختا (١٠٩) وأرسل السلطان علاء الدين تيمور خان وقرابيك بجيش جرار إلى لکهنوتی لمساعدة عز الدين طغاخان ، وبعد ذلك هزم المغول ، وتركوا لکهنوتی ، ووقع خلاف بين عز الدين طغاخان وملك قرابيك ، فأعطى السلطان لکهنوتی لتيمورخان ووصل طغاخان لخدمة السلطان في

(١٠٨) كره ١ ، ص ٣٤ .

(١٠٩) الختا أو الخطا : وهي قبائل تركية .

دهلى ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن جيش المغول قد وصل نواحى أجه وجمع السلطان أمراءه ، واتجه بسرعة الى نواحى أجه ، وعندما وصل الى شاطئ نهر بياه ، تراجع جيش المغول الذى كان يحاصر قلعة أجه ، وعاد السلطان ظافرا ومنتصرا الى دهلى ، وبعد ذلك انحرف السلطان علاء الدين عن طريق العدل والانصاف وسلك طريق القتل والسلب ولهذا تجمع جميع الأمراء والأكابر ، واتفقوا جميعا أن يكتبوا الى السلطان ناصر الدين محمود ابن السلطان شمس الدين الذى كان فى بهرائيج (١١٠) واستدعوه ، وعندما وصل السلطان ناصر الدين محمود الى دهلى ، قبضوا على السلطان علاء الدين مسعود شاه فى سنة ٦٤٤ هـ وحبسوه ومات فى هذا السجن ، مدة سلطنته أربع سنوات وشهر ويوم واحد .

ذكر السلطان ناصر الدين محمود (١١١) :

الأخ الصغير للسلطان شمس الدين التمش ، كان سلطانا عادلا ومتدينا ومتصوفا ، صاحب العلماء والصالحين ، وأكسرم الأكابر والأفاضل ، وتظهر محاسنه ومحامده فى طبقات ناصرى الذى ألف باسمه ، جلس على العرش فى دهلى سنة ٦٤٤ هـ وبإيعه أمراء وملوك عصره جميعا ، وقدم الانعام للصغار والكبار ، ونظم الشعراء القصائد الغراء ، وأسعدهم بالانعام . وقد نظم القاضى منهاج (١١٢) قصيدة طويلة ، أعرض منها بعض الأبيات :

« أيها الملك الذى هو حاتم (١١٣) فى البذل ورستم (١٤٤) فى السعى ، ناصر الدنيا والدين محمود بن التمش » .

أيها الحاكم الذى هو سقف الفلك من أيوانه فى علو الدرجة كأنما هو فروردين » .

« كم تفخر السكة بإلقابه الميمونة ، وكم تكرم الخطبة باسمه السعيد ؟ » .

قلد ملك غياث الدين بلبن بمملوك وصهر أبيه منصب الوزارة ، ولقبه بلقب « ألغ خانى » (١١٥) وأعطاه « جتروديورباش » وأسلم جميع

(١١٠) بهرايج « ١ » ص ٢٥ .

(١١١) ذكر حكم السلطان ناصر الدين محمود « ١ » ص ٢٥ .

(١١٢) منهاج السراج الجوزجاني صاحب طبقات ناصرى .

(١١٣) حاتم الطائى الشاعر العربى المشهور بكرمه .

(١١٤) رستم البطل الايرانى الأسطورى .

(١١٥) ألغ خانى « ١ » ص ٣٥ .

أُمور المملكة لرأبة الرزين ، ويقال « أنه قال أثناء تفويض الغ خان بالمهام « اننى جعلتك نائبى ، وأسلمت أمور السلطنة لك ، فلا تفعل الأمر الذى تعجز عن الرد عليه أمام الله تعالى ، ولا تخجلنى وتخجل نفسك ، ووضع ملك بلبن الغ خان قواعد نيابة الملك وقبض على جميع الأمور الملكية ، ولم يكن لأحد قط حرية التصرف فى أمر المملكة » .

فى رجب سنة الجلوس قائد السلطان ناصر الدين الجيش الى الملتان ، وعبر نهر لاهور (١١٦) فى أول شهر ذى القعدة ، وجعل الغ خان على رأس الجيش ، وأرسله الى ناحية جبل جود (١١٧) وأطراف نذنه ، وتوقف على شاطئ نهر السند عشرة أيام ، وبعد ذلك انتهب الغ خان جبل جود وجميع بلاد هذه الناحية ، وقتل كهوكهران والمتمردين هناك ، ووصل الى خدمة السلطان ، وعاد السلطان من هناك الى دهلى بسبب نقص العلف ، وفى الثانى من شعبان سنة ٦٤٥ هـ عاد الى ما بين النهرين (١١٨) وفى نفس السنة اتجه الى كره (١١٩) فى العاشر من ذى القعدة وجعل الغ خان على مقدمة الجيش ، وانتهب الغ خان قرى دلخى وملكى ، وعاد الى السلطان بغنائم كثيرة ، وعاد السلطان الى دهلى ، وتوجه فى السادس من شعبان سنة ٦٤٦ هـ الى رنتهنيور ، وأدب المتمردين هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى نفس السنة أتهم القاضى عماد الدين شغور خانى (١٢٠) ، وعزله عن القضاء ، وقتله بسعى عماد الدين ريسان ، وفى سنة ٦٤٧ هـ (١٢١) تزوج السلطان ابنة الغ خان ، وفى سنة ٦٤٨ هـ قاد الجيش الى الملتان ، والتحق به شيرخان على شاطئ نهر بياه ، وفى السادس من ربيع الأول من نفس السنة وصل الى الملتان ، وأذن لملك عز الدين بالتوجه الى أجه بعد عدة أيام ، وعاد الى دهلى .

وفى سنة ٦٤٩ هـ لوى ملك عز الدين بلبن حاكم ناكور رأسه عن الطاعة ، وأعلن العصيان ، وتوجه السلطان ناصر الدين الى ناكور لتسكين هذه الفتنة ، ولم يستطع ملك عز الدين المقاومة فطلب الأمان ، والتحق بالبلاط وعاد فى ركاب السلطان ناصر الدين الى دهلى ، وفى نفس السنة فى الخامس من شعبان ، تحرك صوب كواليار وجنديرى

(١١٦) ربما يقصد نهر السند .

(١١٧) جودو « ١ » ص ٣٥ .

(١١٨) ما بين نهر الكنك نهر السند .

(١١٩) كوه « ١ » ص ٢٥ .

(١٢٠) سفنور خانى « ١ » ص ٣٥ .

(١٢١) ٦٤٠ « ١ » ص ٣٥ .

وَمالوه بجيش جرار ، واستقبله جاهر ديوراجه هذه البلاد بخمسة آلاف فارس ومائتى ألف من المشاه ، وقاتل السلطان قتالا مريرا ، وهزم ، وفتح قلعة زورور بالقوة ، وعاد السلطان بالنصر والظفر الى دهلى ، وأبلى الغ خان بلبن فى هذه المعركة بلاء حسنا ، وبعد ذلك توجهه شيرخان من الملتان للاستيلاء على أجه وجاء أيضا ملك عز الدين بلبن من ناكور الى أجه ، وتسلم شيرخان قلعة أجه ، وتوجه الى السلطان ، ونال ولاية بداون مقاطعة له .

توجه السلطان فى الثانى والعشرين من شوال سنة ٦٥٠ هـ (١٢٢) الى أجه من طريق لاهور ، والتحق بالسلطان فى هذه المرحلة قتلخان من ولاية سهوان وكشلو خان عز الدين من بداون بجيوشها ، ورافقوه حتى نهرياه (١٢٣) وفى سنة ٦٥١ هـ سمح لألغ خان بالتوجه الى سرالملك وهانس وكانتا مقاطعة له وعهد لعين الملك محمد جنيدى بمنصب الوزارة ، وجعل ملك عز الدين كشلوخان « أمير حاجب » وأعطى لأبيك أخى خان أعظم ولاية كره ، وجعل عماد الدين ريحان وكيلا للبلاط ، وجاء السلطان الى دهلى ، وفى أوائل شوال من نفس السنة توجه من دهلى الى نواحى نهرياه ، وكانت بترهنده وأجه والملتان مازالت فى يد شيرخان وقد هزم شيرخان من السنديين ، فتوجه الى تركستان ، فأرسل السلطان جيشا ، وفتح البلاد المذكورة وأحالها لأرسلان خان وعاد .

وفى سنة ٦٥٢ هـ توجه الى نواحى كوه بايه ونال غنائم كثيرة وعبر الجانج من معبر « ميان يور » ووصل الى نهر رهب على سفح جبل ، وفى « بكلة مانى » استشهد ملك عز الدين رضى الملك بيد المواطنين هناك « وهو ثمل » (١٢٤) فى يوم الأحد الخامس عشر من صفر سنة ٦٥٢ هـ وتوجه السلطان الى نواحى كتهيل (١٢٥) وكهرام للانتقام لدمه ، وأدب المتمردين هناك ، وتوجه الى بداون ، وبقي هناك عدة أيام ، وجاء الى دهلى ، واستقر خمسة أشهر ، قضاه فى اللهو والمرح ، وعندما وصل الخبر أن بعض الأمراء أمثال أرسلان خان (١٢٦) وبتخان أيبك ختائى والغ خان أعظم قد شرعوا فى العصيان فى نواحى بترهنده بالاتفاق مع ملك جلال الدين ، توجه السلطان من دهلى الى بترهنده بالاتفاق مع ملك

(١٢٢) خمس وستمئة « ١ » ص ٣٦ .

(١٢٣) بياه « ١ » ص ٣٦ .

(١٢٤) مستى

(١٢٥) كتهيل وكتهيل وكتهيل « ١ » ص ٣٦ ، ٣٧ .

(١٢٦) أرسلان خان « ١ » ص ٣٧ .

جلال الدين وتوجه السلطان من دهلى الى بترهنده ، وعندما اقترب من هانسى ، توجه المذكورون الى كهرام وكيتهل ، وحاصروا الجماعة وعقدوا الصلح ، ولأزموا السلطان بعد العهد والقسم ، وفوض السلطان ملك جلال الدين على حكومة لاهور ، وعاد الى دهلى ، وفى سنة ٦٥٣ هـ انصرف مزاج السلطان على والدته (١٢٧) ملكة جهان التى كانت زوجه لقتلخان (١٢٨) فعين قتلخان على ولاية أوده ، وسمح له بالرحيل الى هذه الناحية ، وعزله من هناك بعد فترة قصيرة وأرسله الى بهرايج ، ففر قتلخان من هناك وذهب الى سنتور (١٢٩) ورافقه ملك عز الدين كشلوخان وبعض الأمراء الآخرين ووضعوا أساس البغي ، فعين السلطان ألغ خان بلبن على رأس جيش جرار لمهاجمتهم ، وعندما اقترب الفريقان ، رغب جماعة من دهلى ، مثل شيخ الاسلام سيد قطب الدين والقاضى شمس الدين بهرائيجى ، قتلخان وكشلوخان للحضور الى دهلى والاستيلاء عليها ، وسعوا أيضا خفية لتحريض أهالى دهلى لمبيعتهم ، وعندما أطلع ألغ خان بلبن على هذا الأمر أخبر السلطان بحقيقة الأمر ، وعرض أنه سيتفق مع الجماعة المذكورة ، وعلى السلطان أن يصدر أمرا بأن يذهب هؤلاء القوم الى مقاطعاتهم ، وخلال ذلك قطع قتلخان ، وملك كشلوخان مسافة مائة فرسخ خلال يومين ، وجاءوا من سامانه الى دهلى ، وعندما رأوا أن هذه الجماعة ليست فى دهلى ، تفرقوا أيضا ، وتعقبهم ألغ خان بلبن .

وفى أواخر هذه السنة جاء جيش المغول الى نواحى أجه والملتان وتوجه السلطان لصددهم وعاد جيش المغول دون قتال ، وعاد السلطان أيضا ، وخلع على ملك جلال الدين جاني وسمح له بالسفر لكهنوتى ، وفى سنة ٦٥٧ هـ وصلت جواهر وأقمشة كثيرة وفيلان من لكهنوتى وتوفى ملك عز الدين كشلوخان الذى سبق ذكره فى رجب من نفس السنة .

ويروى أن السلطان ناصر الدين كان يكتب كل سنة مصحفين ، يصرف ثمنهما على قوته الخاص وذات مرة تصادف أن اشترى أحد الأمراء مصحفا كتبه السلطان بسعر مرتفع ، وعندما علم السلطان بذلك ، لم يسره هذا ، وأمر أنه بعد هذا عليهم أن يبيعوا ما يكتبه خفية بسعر متعارف عليه ، ويروى أيضا أنه لم يكن لدى السلطان أى جارية أو خادمة سوى زوجته ، وكانت تطبخ الطعام للسلطان قالت يوما للسلطان : انه

(١٢٧) وردت قتلخان وقتلخان

(١٢٨) والده «خویش» ك «ص» ٧٦ ، والده لوبش «ا» بن ٣٧

(١٢٩) سور «ا» هـ ٣٧

بسبب اعداد الخبز فان يداى دائما تصاب بالآذى ، فلو اشتريت جارية
لكى تخبز الخبز ، لا يكون هناك قصور قط ، أجابها السلطان ان بيت
المال حق لمعبود الله ، وليس لى ، فليعظنا الله واشترى فأصبرى ولسوف
يجزيك الله تعالى أحسن الجزاء فى الآخرة :

« الدنيا حلم أمام العين اليقظة ، وحلم القلب لا يقيد الرجل الذكى »
وفى سنة ٦٦٣ هـ ، مرض السلطان ناصر الدين ، وانتقل من الدنيا
الى الآخرة فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٤ هـ ، ولم يبق من
أولاده أحد ، وكانت مدة سلطنته تسع عشرة سنة وستة أشهر وعدة أيام .

ذكر السلطان غياث الدين بلبن (١٣٠) :

عندما توفى السلطان ناصر الدين فى سنة ٦٦٤ هـ اجلس الأمراء
وملوك المدينة ألغ خان بلبن الذى يسمى « بلبن خورد » على عرش
السلطنة فى القصر الأبيض وانعقدت له البيعة العامة والخاصة .

كان السلطان غياث الدين مملوك السلطان شمس الدين ، ومن جملة
ممالك جهلكانى (١٣١) وكان للسلطان شمس الدين أربعون غلاما
تركيا ، وصل كل واحد منهم الى درجة الامارة ، ويطلق على هذه الجماعة
« جهلكانى » وكان السلطان غياث الدين سلطانا ، عالما ومجربا ، وصاحب
حنكة ، وكان يزن الأمور ويعقلها :

« المعرفة هى المتاع الجميل ، فلا تكن خاليا من مال العالم هذا »

« يرفع الشخص رأسه الى العالم ، لأنه فى نظر العالم عاقل »

لم يدع أمر المملكة الا للأكابر والعلماء ، ولم يسمح للأراذل بالتدخل
فى الأمور ، وإذا لم يرق الشخص الى الصلاح والتقوى والتدين والنسب ،
لا يطلب منه عملا ، وكان يتشدد فى تصحيح النسب ، ويدقق كثيرا ،
وإذا وجد فى شخص عيبا ذاتيا أو نقصا فى صفاته ، بعد أداء العمل
يعزله فى الحال ، وحتى آخر أيام السلطنة ، وهى اثنتان وعشرون سنة ،
لم يخاطب الأراذل واللئام ولم يسمح بالهزل والمسخرة فى مجلسه .

ويروى ان فخر أمانى قد عمل عدة سنوات فى خدمة البلاط ولجا
الى أحد المقربين من السلطان ، وقدم اليه مالا كثيرا على أنه اذا تحدث
مع السلطان ، فسوف يهديه مالا كثيرا نقدا وعينا ، وعندما وصل هذا

(١٣٠) ذكر السلطان غياث الدين « ١ » ، ص ٣٧ .

(١٣١) الأربعون .

المعنى الى السلطان ، قال لأمير السوق « ان مهابة السلطنة تقل في قلب العوام ، من حديث السلطان معه ، ويأخذ الخلل في حشمه وعظمته ، وكانت جميع أوصاف السلطان غياث الدين محبوبية ، ولم يكن يعادله أى سلطان من السلاطين السابقين في عدله وانصافه ، ويروى أن ملك بقبق سرجاندار (١٣٢) ضرب خادم فراشه عدة سياط ، وتوفى هذا الخادم تحت السوط ، فاقتصر من ملك بقبق المذكور بالسوط ، وقتل هيبت خان ، والد ملك قيران غلامى مملوك السلطان بلبن ، شخصا ، وهو في حالة سكر ، وجاء أهل المقتول الى السلطان ، وطلبوا القصاص ، فأمر السلطان أن يضربوا هيبت خان خمسمائة سوط ، ويسلموه لزوجته المقتول ، وتوسط الناس للصلح مقابل عشرين ألف تنكه ، وخلصوه من يد هذه المرأة ، ولم يخرج هيبت خان من المنزل حتى يوم وفاته ، واقتصر أيضا من عدد من الأمراء لما كان قد وقع منهم من قتل غير مشروع ، وهكذا لم يصبح القتل من الأمراء والملوك للأهالى سهلا وميسورا ، وكان يصاحب أهل الوعظ ، ويسمع المواعظ ، ويبكى ، وكان يرمى الأوامر والنواهي كما ينبغي وجدده وأحيا وأقام أحكام السلطنة وقوانين المملكة التي كانت قد رست أيام السلاطين أبناء شمس الدين التمش ، ولم يستطع أحد قط أن يخرج عن جادة الطاعة خوفا من القهر والعقاب ، وهكذا سلك طريق العدل والانصاف ، ولهذا صار كافة الخلائق وجميع الرعايا في ممالك الهند طائعين وتابعين طواعية ، وأجبر أكثر (١٣٣) القواد والرؤساء الذين رفعوا رؤوسهم بالخلاف بعد وفاة شمس الدين لضعف ابنائه ، على الطاعة والولاء :

« العدل هو عندما تشعل الشمع ويعرف الحمل الذئب »

وكان يبالغ في زينة اللباس ومراعاة الحشمة والأبهة السلطانية في وقت الظهور والخلوة ، وكان يبدى سلوك العظمة والأبهة والجلال في الوقوف والجلوس ، لكى يرتعب المشاهدون من رؤيته ، ويقذف الخوف في قلوب المتمردين في القرب والبعد من جلال عظمته ، وكان السلطان يردد دائما « انه كان من الكبار الذين لهم اعتبار كامل في مجلس السلطان شمس الدين وكنت أسمعهم يقولون : ان السلطان (شمس الدين) لا يحافظ على آداب وعادات السلطنة في الاحتفالات ، ولا يبدى الحشمة في أحواله وأقواله ، لذا فان هيئته لا تتمكن من قلوب أعداء المملكة ورعايا الممالك ، وسلك الفساد في أمر المملكة » وكان السلطان بلبن

(١٣٢) بقبق بسر جاندار « ١ » ص ٣٨ .

(١٣٣) أكثر : « ك » ص ٧٩ .

يبالغ في اعداد مجالس الأفراح من اعداد للأبسة المزخرفة والأواني الفضية والذهبية ، والستائر المنسوجة بالذهب ، وأنواع الفواكه والطعام والشراب ٠٠٠ ، وكان يجلس يوم الحفل حتى آخر اليوم ، ويستعرض هدايا الملوك والأمراء ، وعندما يقدم أحد الأعيان هدية ، يعرض ، الحاضرون في المجلس صفاته الطيبة ، وخدماته الجليلة ، وكانوا ينشدون الأغاني في مجالس الاحتفال ، ويقدم الشعراء قصائد المدح ، وينالون الصلوات والانعامات ، ويقولون : « انه لم ير شخص قط بدون قلنسوة وحذاء خاص وثوب واقى للمطر ، ولم يضحك أحد بملء فيه ذي مجلسه » وكان يقول : ان هذا القدر من الرعب والهيبة تمكن السلطان من قلوب الخلائق وان عدم الهيبة هي سبب طغيان وتمرد الرعايا ، واذا بقى هذا السلطان فترة على العرش فانها لن تطول لأن الفساد سيظهر ، وتبرز الفتنة ، وتختل قواعد العدالة ، وتفتح أبواب الظلم والتعدي ، وكان السلطان غياث الدين يرعى الاعتدال في كل حال ، ويأتي باللفظ والغضب في محلها . وكان يقول : « ان السلطان الذي يسير سيرة الجبابة في أوضاعه وأحواله فهذا اشراك لله وخلاف لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يكافىء هذا الا بالعقاب والعذاب ، ولا يمكن تلافي هذا الا بأربعة أشياء أولها : أن يستغل قهره وسطوته في محلها لا يفض النظر عن رفاهية الخلق وخوف الحق ، وثانيها : ألا يدع الفسق والفجور يسرى في ممالكه علانية ، ويسد هذا الباب ، ويخذل دوما الفاسقين والنجساء ، وثالثها : أن يفوض الأعمال والأشغال للناس عقلاء ومتدينين ومناسبين ، ولا يدع للناس أهل الود مجالا في مملكته لأنهم سبب اخلال خلق الله ، ورابعها : أن يتبع العدل والانصاف الى درجة ألا يترك أثرا للظلم والتعدي في بلاده :

« الاستقرار يكون بالعدل والانصاف ، وظلم الملك يكون مثل مصباح في الرياح »

عندما وصل السلطان بلبن قصر بابل مع رفاقه وأقاربه (١٣٤) توقف هناك ، وعين الأمراء وأركان المملكة الذين كانت أعمدة الدولة بيدهم ، وجعل أولا المرضى والمشايخ والنساء ، والأطفال والحيوانات الضعيفة تمر دون مزاحمة الأقوياء ، وكان الناس مشغولين بأفيالهم وحيواناتهم وتوقف عدة أيام في هذه الأماكن ، ليمر الخلائق بسهولة ، وعلى الرغم من أن السلطان بلبن في أيام امارته كان يرغب في الشراب

(١٣٤) وقتيكة سلطان بلبن بر آبي ما ملي با خيشي و خلايى رسيد « ١ » ص ٤٠ ، أما في كلكتا جاءت الجملة على هذا النحو « وقتيكة سلطان بلبن بر سرائى يا بلى با خيشي و خلايى رسيدى » ص ٨١ .

وعقد الحفلات ومصاحبة الأمراء والملوك المهمين ولعب القمار ، ونثر ذهب القمار على أهل المجلس ، وكان دائماً في مجلسه الخدماء اللطاف والمطربون والظرفاء ولكن بعد أن صار سلطاناً لم يرغب في هذه الأعمال وقضى على اسم الشراب والمدمنين وسائر المناهى في مملكته ، واهتم بصيام النفل وقيام الليل والمواظبة على الجمعة والجماعة وصلاة الضحى والظهر والتهجد ، ولم يكن بلا وضوء أبداً ، ولم يمد يده إلى طعام دون حضور العلماء والصالحين وأثناء تناول الطعام كان يتحقق من العلماء في المسائل الشرعية ، وكان يذهب إلى منازل الكبار ويزور المقابر بعد صلاة الجمعة ، ويحضر جنازة الأكابر ، ويذهب للعزاء وينعم على أبناء وأقارب الميت ، ويقر وظيفة الميت لورثته ، وإذا علم أثناء الركوب مع كل هذه الحشمة والعظمة أن في المكان الفلانى مجلس وعظ ، كان ينزل من ساعته ويسمع الذكر ويبكى :

« نهضت عظمة الملك من هنا ، ونظم العالم بالعدل والعلم »

« كان يرتدى الرداء الخشن يوم الخلوة ، ويجاهد بالصلاة والانكسار »
« الوجه على الرمال ، والقلب مثل قدر يغلى ، فأبسط القلب وأصمت »
« حتى ترى قلبه بعين السر (١٣٥) ، وتعلو المراءى هذا التشيب »

ومع وجود كل هذه الأفعال الحسنة ، اختفى أهل البغى والطغيان ، وقضى على أهل القهر والجبروت ، ولم يكن يرنو إلى عادات الجبايرة ، وكان يقضى على مدينة بسبب بغى أحد الأشخاص وكان يقدم مصالح الملك على كل شيء ، ولهذا قضى على أكثر الملوك الشمسية الذين كانوا شركاء له بكل أنواع الحيل والتدبير (١٣٦) ، وعندما تهيأت له أسباب السلطنة والشوكة ، عرض بعض الأمراء الشمسية أنه طالما بلغت هذه القوة والقدرة فمن المناسب ألا تدع الكجرات ومالوه وبلاد الهند الأخرى ، فرد عليهم السلطان : انه بسبب قدوم المغول الذين يحضرون سنوياً للسلب فانه لا يمكن أن انشغل بعيداً عن دهملى ، فالأولى أن تهتم بولايتك ، وبعد ذلك فكر فى أخرى ، وهو كلام السلاطين السابقين ، وانه من الأفضل أن توفر الأمن والأمان للملك ، بدلاً من أن تسيطر على ملك الآخرين ، ولم يدع لحظة تمر دون تفكير فى أمن ملكه .

وفى سنة الجلوس أى سنة ٦٦٤ هـ أرسل تئارخان بن أرسلان خان ستمائة وثلاثة أفيال من لکهنوتى ، وعقدوا الأفراح فى المدينة ، وأعلن

(١٣٥) زان ١ ، ، ران دك ، ص ٨٢ .

(١٣٦) يلاحظ أن جميع الأفعال فى الماضى الاستمرارى الناقص .

السلطان بلبن العفو عن جيوتره ناصرى وهو خارج بوابة بداون ، وحضر الأمراء والملوك والصدور والأكابر ، وقدموا الهدايا ، وأنعم عليهم بالصلوات ، ولما كان السلطان بلبن يميل الى الصيد ، فقد أمر أن يحافظوا على الصيد حول المدينة بعشرين ميلا ، وكان « ليرشكار » أمير الصيد عنده درجة عالية واستخدم كثيرا من الصيادين ، وكان أيام الشتاء يركب كل يوم وقت السحر ، ويتوجه حتى قصبة ريوارى ويصطاد وكان يقضى جزءا من الليل ، ويأتى الى المدينة ولا يخرج فى الليل ، وكان ألف فارس ممن يعرفهم السلطان وألف شخص من حملة السهام والنبال يتناوبون فى ركابه ، ويأكلون جميعا على مائدة السلطان ، وعندما وصل خبر مواظبة السلطان على الصيد الى هولاكو فى بغداد ، قال : « ان بلبن سلطان ، يظهر للناس أنه يذهب الى الصيد وفى الحقيقة فان الركوب للصيد رياضة ويعطى لجيشه مثالا ، ويحمى ملكه » ، وعندما وصل هذا الكلام الى بلبن ، سر ، واثنى على ذكاء هولاكو وقال : « يعلم قواعد الملك أشخاص حكموا العالم واستولوا على الملك » .

ولما كان الفساد الكلى قد سرى فى جميع أمور الملك بسبب غفلة واستهتار أبناء شمس الدين ولم يبق أثر قط لقوانينهم وأحكامهم ، فان جماعة « ميوان » الذين كانوا حول المدينة ، وبسبب الغابات التى تحيط بهذه النواحي ، قد وضعوا أساس الفساد والتمرد ، وعملوا على قطع الطريق ، وكانوا يتسللون الى المدينة ليلا ، وينقبون المنازل ، ويحملون أموال الناس ، وانتهبوا بالقوة والغلبة القرى التى كانت حول المدينة ، وسدوا الطريق من الأربعة جهات ، حتى لم يبق للتجار من مجال للمعاملات ، وكانوا يغلزون أبواب المدينة التى كانت ناحية القبلة بعد صلاة العصر خوفا منهم ، ولم يستطع أحد أن يذهب فى زيارة طويلة بعد صلاة العصر وهجموا على حوض السلطان عدة مرات ، وضيقوا على السقايين والجوارى حاملات المياه ، وقد فضل السلطان فى نفس هذه السنة دفعهم عن مصالح أخرى ، وقطع جميع الغابات ، وأطاح برقاب كثير من المفسدين ، وبنى قلعة حصينة فى « كوالكر » ، وأقام عدة حصون حول المدينة وقسم أراضي الحصون بين رجال جيشه ، وعلم كل شخص بحصته ، وبعد ذلك ارتاح الأهالى من فساد « ميوان » وعندما فرغ السلطان من قطع الغابة وقمع ميوان ، سلم القصبات والقرى بين النهرين للحكام الأقوياء ، حتى يقتلوا المتمردين الذين يقومون بالتهب والسلب ، وأسر أولادهم وأتباعهم ، وقضى تماما على فساد هذه الطائفة ، وبعد ذلك خرج السلطان مرة ثانية من المدينة وتوجه الى ناحية كيتهل

وبتيالى (٣٧) وقضى على المتمردين والمفسدين فى هذه الناحية ، وفتح طريق الهندوسنان وهو باصطلاح اهل الهند ، جونيور وبهار وبنكاله وقد كان مسدودا ، وغنم من هذا النهب والسلب الكثير من الأسرى والمواشى ، وبنى فى كنبيل وبنياالى وبهوجيور التى كانت مأوى لقطاع الطريق ، القلاع الحصينة والمساجد العالية ، وسلم القلاع الثلاثة للافغان ، وحكم جماعة الأفغان هذه القصبات .

فى هذه الأيام عمر قلعة جلالى التى كانت مأوى لقطاع الطرق ، ووطنها بالمسلمين ، ولم يكد ينتهى من هذه المهمة حتى وصل الى السلطان خبر فتنة وفساد أهالى كاتهر (١٣٨) وسيطرتهم وعجز حاكم بداون وأمروهة ، وعاد السلطان من كنبيل وبتياالى الى المدينة ، وأمر باعداد الجيش ، وأعلن فى الخلق « انه سوف يتجه الى ناحية الجبل » وحملوا الخيمة الخاصة وخرجوا بخمسة آلاف فارس على وجه السرعة وعبر من معبر كاتهر كنك ، ودخل ولاية كاتهر (١٣٩) وأمر بالقتل والسلب ، ولم يدع أحدا حيا سوى النساء والأطفال ، وجعل كل من بلغ سن الثامنة من الذكور علقا للسيف ، وكوم القتلى ، ومنذ ذلك الحين وحتى عهد جلالى (١٤٠) لم يظهر مفسد قط فى كاتهر ، وسلمت ولاية بداون وأمروهة من شر الكاتهرين ، وبعد ذلك عاد السلطان بلبن مظفرا ومنصورا الى المدينة ، وبعد فترة قاد الجيش صوب جبل جود ، وانتهب ما حول هذا الجبل ووقع فى يد الجيش جياذ كثيرة فى هذا الفتح علما بأن سعر الجواد وصل الى ثلاثين وأربعين تنكة ، وعاد السلطان بلبن منصورا الى دهلى ، وكان كلما عاد كان الأكابر والعظماء فى المدينة يستقبلوه على مسافة اثنين أو ثلاثة فراسخ ، ويقيمون الأفراح ويعقدون الحفلات ، وينشرون ما هو خير ، وكان يرسل كثيرا الى أطراف البلاد لتوزع على أهل الاستحقاق .

وبعد مدة توجه الى جانب لاهور ، وبنى قلعة لاهور ، التى كان قد خربها المغول ، وعمر القرى نواحى لاهور ، والتى أصابها المغول بالأضرار ، وعاد الى دهلى ، وفى ذلك الوقت عرض البعض على السلطان بلبن أن جماعة كبيرة من القواد الذين كانوا قد نالوا مقاطعات فى عهد السلطان شمس الدين ومازالت حتى الآن تحت تصرفهم وأن هناك كثيرا

(١٣٧) كنبله وبنسالى « ١ » ص ٤١ .

(١٣٨) أهل كهتر « ١ » ص ٤١ .

(١٣٩) ولايت كاتهر « ١ » ص ٤١ .

(١٤٠) جلال الدين اكبر .

من الخلافات في مقاطعاتهم فأمر السلطان بالعفو عن الأشخاص كبار السن والذين أصبحوا ضعافاً من الجندية ، وقسّر لهم « مدد معاش » (١٤١) واسترد ما زاد ولهذا السبب حدث بين الأهالي اضطراب وتحسر ، وقدمت جماعة تحف إلى أمير الأمراء (١٤٢) وشرحوا حقيقة حالهم ، ورفض ملك الأمراء تحفهم وقال « إذا أخذت منكم رشوة ، فإنه لن يكون لكلامي أثر ، وتوجه من ساعته إلى السلطان ووقف مكانه مفكراً مبهموماً ، وأدرك السلطان حزنه ، فسأله السبب ، فعرض أنني سمعت أن السلطان رد المشايخ (كبار السن) وقطع عنهم دخلهم ، ففكرت لو أن القيامة رفضت أيضاً الكبار في السن ، ماذا يكون حالي ؟ فأدرك السلطان ما يقوله ، واستحسن كلام ملك الأمراء واحتضنه وهو يبكي ، وأمر أن تبقى رواتب (١٤٣) هؤلاء القوم كما هي ، ولا يسترد منهم شيء .

« قرب السلطان المبارك هذا الشخص الصادق لأنه أصلح حال المحتاجين »

بعد فترة توفي شيرخان عم السلطان بلبن ، ويرون أن السلطان أمر أن يذسوا له السم في الخمر ، وكان شيرخان هذا مملوك التمش ، ومن ممالك « جهلكاني » وصل إلى درجة الامارة ، وعمر قلعة بترهنده وبهتنير (١٤٤) وبنى قبة عالية في بهتنير ، وكان شيرخان هذا يحكم منذ عهد السلطان ناصر الدين حتى زمان السلطان بلبن سنام ولاهور وديبالبور وسائر الاقطاعات التي تقع في جهة دخول المغول ، وقد هاجم المغول عدة مرات ، وهزمهم وكان يقرأ الخطبة في غزني باسم السلطان ناصر الدين ، وبسبب شجاعته ويطولته وكثرة حشمه لم يكن المغول يدخلون الهندوستان ، وعندما أدرك أن السلطان بلبن يسعى للقضاء على الممالك الشمسية ، فلم يأت إلى دهلي ، وبعد وفاته ، أحال السلطان بلبن سنام وسامانه إلى تيمور خان ، وكان أيضاً من ممالك « جهلكاني » وعين أمراء آخرين على الولايات الأخرى ، والمغول الذين لم يستطيعوا أن يهاجموا الهندوستان في أيام حكومة شيرخان ، عادوا لتهديد حدود الهند ، ومن أجل تدارك هذا الأمر ، عين السلطان بلبن ابنه الكبير محمد سلطان المشهور « بخان شهيد » الملقب بقا آن ، والذي كان يتصف بالكمال الصوري والمعنوي ، واليا للعهد ، وفوضه

(١٤١) مدد معاش : هو معاش شهري أو سنوي يأخذه من البلاط دون مقابل .

(١٤٢) فخر الدين كوتوال د ١ ، ص ٤٢ .

(١٤٣) تلخواه وعلوفه : وهو رأس المال الذي يقدمه السلطان وهو عبارة عن مقاطعة أو قرية أو مزرعة يحصل منها صاحبها على رزقه ، أما مدد معاش فهو معاش يقدم للأدباء والعلماء وكبار السن دون أن يقدموا مقابلاً لهذا المعاش .

(١٤٤) ترهنده وبهير د ١ ، ص ٤٢ .

على السند وتوابعها وسلمه « جتروودورباش » وأرسله مع جماعة من الأمراء والعلماء بجيش كامل الى الملتان ، وكان محمد سلطان هذا عزيزا عند السلطان أكثر من الأخوة الآخرين ، وكان يجالس ويصاحب أهل الفضل والكمال دائما ، وقد ظل أمير خمرو وأمير حسن في خدمته لمدة خمس سنوات ، ونالا الانعام في سلك ندمائه ، وكان يصادقهما أكثر من الندماء الآخرين ، وكان يثنى كثيرا على نظمهما ونثرهما ، ولما كان مؤدبا ومهذبا فانه كان يجلس في مجلس القيادة طوال اليوم والليل ولا يضع رجله على الآخرين ، كان قسمه دائما حقا ، ولم يكن يجرى على لسانه في مجلس الشراب وأوقات الغفلة والسكر كلمة غير مناسبة .

« أذت تشهد للرجل بالأدب الرفيع ، فتحل بالأدب لكى تصبح كبيرا »

وكان يمتدح كثيرا في المشايخ والعلماء ، ويروى أن الشيخ عثمان سرورى (١٤٥) وكان من كبار عصره جاء الى الملتان ، فقدم اليه الأمير التحية ، وأهداه هدية ، والتمس من الشيخ الإقامة في الملتان ، وأراد أن يبني له خانقاه ، ويوقف له القرى ، ولم يقبل الشيخ وسافر ، وذات يوم اجتمع الشيخ المذكور والشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا في مجلس ، وعند استماع أشعارهما العربية ظهر الوجد على الدراويش الآخرين ، ورقصوا جميعا ، وكان يضع يده على صدورهم ويبكي ، وكان أكثر من في مجلسه ينشد أشعارا عربية تتضمن الموعظة ، وترك الأعمال الأخرى ، وتوجه الى المركب والدمع يترقرق من عينيه .

يرون أن احدى بنات السلطان شمس الدين كانت في عصمة السلطان محمد ، وحدث أن جرى على لسانه الطلاق ثلاث مرات وهو في حالة سكر ، ولما لم يكن هناك علاج الا بالمحلل زوجوا هذه المرأة للشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا وبعد الزفاف ، كلفوا الشيخ بطلاقها ، قالت هذه المرأة ، اننى لجأت اليك من بيت هذا الفاسق ، والله لا يجيز أن تبلىنى به ثانية ، وأجابها الشيخ « لا يمكننى الاقتراب منك ، ولم يطلق ، ولم يطق سلطان ، واستعد للانتقام ، وتصادف أن جاء المغول في تلك الأثناء ، وفضل محمد سلطان دفعهم مجبرا ، وأسرع لمقاتلتهم ، واستشهد ، وأرسل رسولا من الملتان الى شيراز مرتين يستدعى الشيخ سعدى عليه الرحمة ، وأرسل مبلغا من المال ، وأراد أن يبني للشيخ خانقاة في الملتان ، وأوقف القرى ، ولم يستطع الشيخ الحضور بسبب الضعف والشيخوخة ، وكان في المرتين يكتب رسالة بخطه متضمنة

(١٤٥) مروي « ١ » ص ٤٢ ، سرمدى « ك » ص ٨٨ .

أشعاره ، ويرسلها لـ محمد سلطان ، ويقدم عذر عدم المجيء لسفارة أمير خسرو ، وكان محمد سلطان يأتي سنويا من الملتان الى دهلي لخدمة والده ، وكان يقدم الهدايا والتحف وينال التكريم ، ويعود ، وفي هذه السنة التي لم يعد فيها ، استدعى السلطان بلبن ابنه في الخلوة عند السفر ، وقال لقد قضيت عمري كله في الملك والسلطنة ، وحصلت على التجارب ، وأريد أن أوصيك عدة وصايا لازمة للحكم ، لتقوم بها من بعدى ، الوصية الأولى « هي أنه عندما تجلس على كرسي العرش ، فلا تستهن بأمر الملك لأنه يعنى خلافة الله عز وجل ، ولا تبدل عزة الأمر الجليل ، بالذل والفحش بارتكاب قبائح الأعمال وذنابل الأوصاف ، ولا تشارك أراذل ولئام الناس في هذا الأمر » .

« لا تدع سفينة الضعف تجوب في ساحتك ، ولا تنصب اللئام منصب الكرام » ، والوصية الأخرى هي ألا تدع للسطوة والقهر سيطرة عليك ، وتجذب أغراض نفسك ، ولا تعمل إلا لله ، وتصرف في الخزائن والدفائن ، وهي من العطايا الربانية الجزيلة في اعلان الحق ورفاهية الخلق والوصية الأخرى : هي ألا تتخانل وتهمل أعداء الدين والفساق والظلمة دائما ، وأخرى هي أن تعلم أحوال وأفعال الولاية وعمالك دائما ، وتحبذهم على محاسن الأفعال وفضائل الأخلاق وأخرى هي أن تعين القضاة والحكام الأتقياء المتدينين على الناس حتى يروج دين الله ورونق العدل بين الناس ، وأخرى وهي أن تراعى أمور الحشمة والعظمة السلطانية في الخلاء وعلى الملأ ، ولا تهتم في أى وقت من الأوقات باللهو وسائر ما لا يكون بذى أهمية .

« صن لوازم الحشمة الى حد ما لأن الهزل مع كل الناس يقلل المهابة »

وأخرى هي أن ترعى وتكرم وتنعم على المواطنين أهل الهمة وحسن التفكير وشاكرى النعمة ، ولا تهمل أفكارهم وأن تهتم بإعداد الرجال أصحاب الفضل والعقل فهم موجدون للازدهار ونظام المملكة ولا تهتم بالذين لا يخافون الله وأعلم أن صلاح الملك والدين في تجنب ابعاد هذه الطائفة .

« لا تفك الجوهر النفيس من العقد ، وتعفف عن هذا السوء الأصل »

« فان صاحب الجوهر السوء لا يفى مع أحد ، فأصل الخطأ لا يخطو الا في الخطأ »

والوصية الأخرى : هي أن الهمة والسلطنة لازمة وملزمة للآخرين ، والعقلاء والحكماء توأمان ويقولون أنه ينبغى لهمة السلطان أن تكون

مهم كبيرة ، ويقولون أن همة السلطان إذا كانت مثل هم سائر الناس فلن يكون هناك فرق بينه وبين الناس جميعا ، ولا يجتمع السلطان مع عدم الهمة ، وأخرى هي ألا تفعل إلا الكبير من الأمور ، ولا تفعل الخطأ ، فإن وقعت منك وانتشرت فإن المخلصين والتابعين لا يجدون ضرورة لمصلحة الملكة ، ولا تعادى الأصدقاء .

« أنت ترفع كل رأس اليك ، حتى يمكنك ألا تطأها »

ولو عاقبت شخصا حسب ضرورة الملك والدين ، فارح الصالح ، ولا تتعجل فى إيذاء الأشراف لأن جراحهم لا تلتئم سريعا ، ويصعب تداركها ، وأخرى لا تضع لكلام الجين (١٤٦) ، ولا تفتح مجال التعامل معهم حتى يخلصون ويطيعون الدولة فى خوف ، ولا يعيشون الفساد العظيم فى الملكة ، وأخرى ، طالما تعلم أن الأمر لن يتحقق ، فلا تسرع فيه لأن ترك الأمر ناقصا لا يليق بحال السلاطين .

« طالما لن تطأ القدم بثبات ، فلا تطأه فى طلب أمر قط »

وأخرى : لا تعتزم أمرا قط دون مشورة العقلاء ، وكل أمر ترجحه على الآخر ، اجتنب مباشرة بنفسك ، وعليك أن تقف على كل أمور الدنيا السيئة منها والحسن ، واحكم فى الأمور الوسطى لأن هناك نفور عام من القهر والظلم ، والمتمردون يطغون من الضعف والعجز ، واعمل طوال الوقت فى المحافظة التى تضمن الإصلاح العام ، واملأ بلاطك بالحراس والحجاب المخلصين أهل الثقة ، وكن رحيمًا فى حق أخيك ، ولا تسمع لأحد قط فى حقه ، واعتبره ساعدك وعينه على ولايته .

قص السلطان هذه النصائح على ابنه ، وسلمه إمارة السلطنة ، وسمح له بالتوجه الى الملتان ، وفى نفس هذه السنة لقب ابنه الأصغر بغراخان (١٤٧) بلقب ناصر الدين ، وأقطعه سامانه وسنام ، وأرسله الى سامانه ونصحه بعدة نصائح جرت على النحو التالى : « أن يزيد جيشه القديم ، ويرعى هذا الجيش الجديد الذى فى بلاطه ، وأن يستشير العلماء أهل العلم عند دخول المغول وفى القيام بالأمور الملكية ، وأن قابله أشكال فى عمله ، أن يعرضه علينا حتى نأمر بما ينبغى عمله ، ومنع عن بغراخان شرب الشراب ، وقال : إذا شربت خمرا بعد ذلك سأعز لك عن أقطاعك ، وسأبدلك بأقطاع أخرى ، وستكون دائما فى نظرى ضعيفا وذليلا » ، سمع بغراخان النصائح من والده ، ووضعها

(١٤٦) الجين : اما يقصد بهم اتباع الديانة الجينية أو الصينيين .

(١٤٧) بغراخان « ١ » ، ص ٤٤ .

فى أنن العقل ، واتخذ طريق الصلاح شعارا له ، وترك ما لا يفيد ، وهكذا كان كلما جاء المغول الى الهندوستان كان محمد سلطان يتوجه من الملتان ، وبغراخان من سامانه وملك باربك بيك ترس (١٤٨) من دهلى ويصلون الى نهر بياه قرب قصبة سلطانپور ، ويبعدون شر المغول .

بعد ذلك استقر أمر السلطان بلبن ، وقضى على المنازعين ، وعندما رأى طغرل ، وكان مملوكا تركيا ، يتصف بالشجاعة والمروءة والسخاء ، وكان حاكما على بلاد لكهنوتى ، ان السلطان كبر فى السن ، أرسل ولديه أمام المغول ، الذين يأتون كل سنة ، ولذا فقد وضع أسس البغى بسبب كثرة جماعته وأملاكه ، واستولى على المال والأفياال التى كان قد أحضرها من جاجنكر ، ولم يرسل حصة منها الى السلطان ، ورفع « جقر » (١٤٩) على رأسه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، ورفع لواء المعارضة ، ولما كان كريما وسخيا فقد أطاعه أهالى هذه البلاد ، وارتفع شأنه .

« كان الشاب رفيقا لشخص ، ولكنه لم يكن رفيقا لهذا الوضع »

عندما وصل خبر تمرد طغرل الى دهلى ، أرسل له السلطان جيشا ، وجعل على رأس الجيش ملك أيتكين موى دراز (١٥٠) الملقب بأمين خان وكان حاكما لأوده ، مع أمراء آخرين ، مثل تمرخان شمس وملك تاج الدين بن على خان شمس وتوجه لتأديب طغرل ، وعندما عبر ملك أيتكين بجيشه نهر سرو ، وتوجه الى لكهنوتى ، وجاء طغرل لمواجهة ، وبعد القتال هزم ، وتحقق لطرغل من هذا الأمر القوة والمكانة ، وحزن السلطان كثيرا عند سماع هذا الخبر ، وقتل ملك أيتكين ، وعلقه على بوابة أوده ، وأرسل جيشا آخر لمهاجمة طغرل ، وهزم طغرل أيضا هذا الجيش ، وازداد السلطان غضبا ، وقرر أن يتوجه بنفسه ، وأمر أن يصنعوا ويعدوا مراكب كثيرة فى جون والجانب ، وخرج للصيد الى سنام وسامانه ، وفوض أمر سامانه لملك سونج سرجاندار (١٥١) ورافقه بغراخان بجيشه الخاص ، وعاد من سامانه ، ودخل ما بين النهرين ، وعبر الجانب ، وسلك طريق لكهنوتى ، وترك ملك الأمراء نيابة عنه فى دهلى فى غيبته ، ولم يهتم بالمطر بسبب عزمه واهتمامه بالأمر ، وتوجه بزحيل متواتر الى لكهنوتى .

(١٤٨) باربك بيك ترس « ١ » ، ص ٤٤ .

(١٤٩) مظلمة الحكم .

(١٥٠) أيتكين موى دراز « ١ » ، ص ٤٤ .

(١٥١) سونج جاندار « ١ » ، ص ٤٥ .

« كل شيء حول الحاكم ، ساكن الا السلطان »

« كان العالم سريعاً ، لا يريسد التوقف »

وعندما توقف السلطان بسبب كثرة الامطار وصعوبة الطريق ،
انتهاز طغرل الفرصة ، وأعد جيشه ، وتوجه الى طريق جاجنكر ، ليستولى
عليها ، وظل فترة هناك ، وعندما عاد السلطان من لکهنوتى ، عاد ،
ودخلها ، وأطاعه القوم الذين يخافون عقاب السلطان بلبن وطمعا فى
المال طوعا وكرها ، وعندما وصل السلطان الى لکهنوتى ، توقف عدة
ايام ، وأعد الجيش ، وتعقب طغرل بجانب جاجنكر ، وسلم ولاية لکهنوتى
ليسيهسالار حسام الدين وكيل ملك باريك ، وعندما وصل الى حدود
سناركام (١٥٢) ، جاء بهو جرای حاكم سناركام لخدمته ، وانتظم فى
سلك تابعيه ، وتعهد ألا يدع طغرل يهرب من النهر ، وأسرع السلطان
الى جاجنكر ، وعندما سار عدة منازل ، انقطع أثر طغرل ، ولم يعط
أحد إشارة عنه ، فأمر ملك باريك بيكترس (١٥٣) بأن يأخذ سبعة آلاف
فارس ممتاز ، ويتقدم لمسافة عشرة أو اثني عشرة فرسخ ، وكلما تقدم
العيون (١٥٤) وتتبعوا طغرل لا يجدوا أثرا ، حتى جاء يوم تقدم ملك
محمد «تيرانداز» حاكم كول عن مقدمة الجيش ، ومعه أخوه ملك مقدر
وشخص آخر يشتهر بقاتل طغرل « طغرلكش » مع ثلاثين أو أربعين فارس
وكانوا يتبادلون الحديث ، وفجأة قبضوا على عدة أشخاص من جيش
طغرل ، فعرفوا منهم أن جيش طغرل لا يبعد عن هنا نصف فرسخ ،
وهم يقيمون اليوم وغدا سيرحلون الى جاجنكر ، وعندما صعد بعض
الفرسان من العيون على هضبة ، رأوا خيمة طغرل تحت قدمهم وجيشه
يستريح فى غفلة تامة ، فسلوا السيوف وهجموا على خيمة طغرل فى
غفلة ، وخرج طغرل من الخوف الذى استولى عليه من الحمام وركب
على جواد دون سرج ، وقفز فى نهر كان بالقرب من الجيش ، وتفرق
جيشه أيضا من الخوف والفرع ، وسلخوا طريق الهزيمة ، وتعقب ملك
مقدر وطغرلكش طغرل ، ووصلوا اليه عند شاطئ النهر ، وأصابه
طغرلكش بسهم فى جنبه ، فوقع عن الجواد ، فنزل ملك مقدر عن
الجواد ، وفصل رأسه ، وألقى جثته فى النهر ، ولف رأسه فى ذيل
قميصه (١٥٥) وانشغل بغسل يده ووجهه وفى نفس هذه الساعة وصل

(١٥٢) سازكام ، سنالكام « ١ » ص ٤٥ .

(١٥٣) بابك بيك رس « ١ » ص ٤٥ .

(١٥٤) يزكيان « ك » ص ٩٤ ، باركيان « ١ » ص ٤٥ .

(١٥٥) ته دا من « ك » ص ٩٤ ، تنوره « ١ » ص ٤٥ .

ملك باريك (١٥٦) على رأس جيش المقدمة ، وأرسل رأس طغرل مع رسالة نصر الى السلطان وفي اليوم التالي ، وصل ملك باريك بغنائم وأسرى جيش طغرل ، وعرض ما حدث ، ولم يستحسن السلطان التهور الذى حدث من ملك تيرانداز ، وأخيرا أنعم عليه ، وأكرم ملك تيرانداز (١٥٧) وسائر الاتراك كل حسب حالته ، وأعطى مقدر وطغرلكش قدرا مساويا من العطايا ، وبعد ذلك عاد السلطان من لكهنوتى ، وقتل الأقرباء والمقربين من طغرل ، وعلقهم فى المشانق فى سوق لكهنوتى ، حتى الصوفى الذى كان له مكانة فقد اقتصر منه مع المتصوفين الآخرين الذين كانوا رفاقا له ، وأمر بقتل الجنود الآخرين لطغرل فى دهلى ، وأعطى بغراخان جتر ودورباش (١٥٨) وسائر امارات السلطنة وتركه فى لكهنوتى ، ورفع لواء العودة .

وأوصى ابنه الحبيب عدة وصايا عند الوداع ، الوصية الأولى هي لا يلىق بحاكم لكهنوتى اثارة العداء مع سلطان دهلى سواء بإرادته أو إرادة الآخرين ، وإذا قصد سلطان دهلى لكهنوتى فينبغى على حاكم لكهنوتى الذى انصرف أن يذهب الى أماكن بعيدة ، وعندما يعود سلطان دهلى ، يرجع الى لكهنوتى ثانية ، وينفذ أوامره ، والوصية الثانية : وهي أن تسلك طريق الوسط فى أخذ الخراج من الرعايا ، ولا تأخذ القدر الذى يجعلهم يتمرّدون وليس القدر الذى يجعلهم عاجزين ومقهورين ، وينبغى أن تعطى قدرا للحشم أيضا ليكفيهم سنة بعد سنة ولا يتعسرون فى مسار حياتهم ، والوصية الأخرى هي ألا تشرع فى شيء من أمور الملك دون مشورة أهل الرأى المخلصين وأهل الخير .

« الرأى القوى خير من مائة سيف ، وتاج الملك أفضل من مائة قلنسوة ، ولا تجعل الجيش يتراجع ، فان سيفاً واحداً يعادل عشرة » (١٥٩)

وتجنب تنفيذ الأحكام على هواك ، لأن نفسك تخالف الحق ، والوصية الأخرى هي ألا تغفل أحوال الحشم لأنهم من لوازم الحكم ، واعتبر أن رعاية خاطرهم من الضروريات ، ولا تفرط فى أمورهم ، وأعلم أن من يحرضك فهو عدوك ولا تصنع لقوله ، والوصية الأخرى هي أن تلقى بنفسك فى حماية شخص يعرض عن الدنيا ويتجه الى الخالق .

(١٥٦) باريك ، باريك « ١ » ص ٤٥ .

(١٥٧) شرا بدار « ١ » ص ٤٩ .

(١٥٨) جتر مظلمة توضع فوق الحاكم ودورباش عصاة يمسكها فى يده .

(١٥٩) اشارة للآية الكريمة « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » الانفال ٦٧ .

« عليك أن تحمى وتؤمن الدرويش لأن قوته أكبر من مائة سد لاسكندر »
ان السلطان يتجنب الشخص الذى يجد فى نفسه ذرة من حب
الدنيا ولا يعتمد على قوله وفعله .

ملا أذن ابنه بالنصائح القيمة ، وودعه ، وعساده الى دهلى ،
واستقبله المشايخ والأعيان بكل مدينة وقصبة وصل اليها ، وهناؤه ،
وقدموا التحف والهدايا ، ونالوا الأنعام والأكرام ، وعقدوا فى المدن
الكبيرة الحفلات وأقاموا الأفراح ، وعندما عبر الجانج مارا من بداون ،
استقبله سادات وقضاة وسائر مشاهير دهلى ، وقدموا التهانى ، ونالوا
الرعاية السلطانية ، وعندما وصل الى دهلى ووزع الصدقات والبهيات ،
وسعد أرباب الاستحقاق ، وذهب الى بيوت العلماء والمتصوفة ، وقدم
الهدايا والندور الى كل منهم حسب حالته ، وأطلق سراح المسجونين بسبب
المال ، وعفا عن باقى الرعايا الذين كانوا فى حالة استعداد للمحاكمة ،
وكان ملك الأمراء ينوب عنه فى غيبته قد أبدى حسن تدبيره فى إدارة
المصالح الملكية ، وأعلام من شأنه بأنواع الأكرام ، وأمر بعد ذلك بنصب
المقاصل فى سوق دهلى ، لشنق أسرى جيش دهلى الذين ذهبوا اليه من
دهلى والتحقوا به فى لکهنوتى ، وحزن أهل المدينة بسبب أن أكثر الأسرى
أقرباء لهم ، وبكوا وتألوا لهم ، فذهب قاضى الجيش وكان من أتقياء
عصره الى السلطان ، وتوسط لهم بكلمات رقيقة ، فرق قلب السلطان ،
ووقع بقلم العفو على جرائمهم .

بعد هذا جاء محمد سلطان الابن الأكبر للسلطان بلبن من الملتان
لزيرة الأب ، وقدم الهدايا النفيسة والتحف اللائقة ، وسر السلطان من
مجيئه ، وشمله بأنواع الرعاية ، وسمح له بالانصراف ، فى هذه الأثناء
وصل تمر (١٦٠) بجيش عظيم الى ما بين لاهور وديابلور ، ووقعت
بينه وبين محمد سلطان معركة حامية ، واستشهد محمد سلطان مع عدد
من الأمراء ، وأسر مير خسرو فى هذه المعركة ، وتحرر ، وكتب خواجه
حسن هذه المراثية ، وأرسلها الى دهلى « على الرغم من أن الفلك الظالم
قد عقد الموافقة منذ مدة ، وربط عهد المصادقة ، مع الزمان الناشز ، قد
رضى بهذا العهد ، ووعد بالوفاء ، الا أن السناء الفاجرة عين معيبة
انسان عينها بالخسة والخساسة ، ومع أن السكير كالاول عندما يعطى
ليس هذا باعث كرم منه ، ولكن الثانى مثل الأطفال لا يمنعه أى حياء ،
وعادة الزمان الآن على هذا المنوال ، تسمع وترى اما التجارب واما
بالسامع ، لأن القمر عندما يرتفع يظلم وجه كماله بالنقصان ، ومثل

السحاب يصعد ويدور وتتفرق جواهره فى الآفاق ، وفى حديقة الحيرة
وبستان الحسرة لا ينمو ورد بلا أشواك ، ولا يتخلص قلب قط من الشوك ،
فيا أيها الخضر الخضيرة انه سيواجهك من الخريف آفة بدلا من
اللطافة ، ويا أيتها الأغصان النضرة ستتكسين من رياح الزمان فى
ثرى الأرض :

« انظر حديقة الخريف كم تصبح مروية ! ، وتجعل السرو الشباب سروا
بلا شباب »

وواحد من هذه الأمثلة الواقعية هو خسرو نامى قا آن ملك
غازى (١٦١) أنار الله برهانه وأثقل بالحسنات ميزانه الذى (توفى)
يوم الجمعة الثالث من ذى الحجة سنة ٦٨٣ هـ .

« القمر كالحب فى قلب الكافر ، لا يظهر فى مكان قط فى العالم »

صعد والشمس تصاحب جيش الاسلام ، وكان الأمير الأعظم
شمس سماء الملك ، ونور العزة فى غرته الغراء يلوح ، والجهاد فى
ضميره ثابت ، وضع قدمه المبارك فى الركاب ، وعرضوا عليه مشكلة
الفتح . وأن « تمر » بكل جيشه قد نزل على مسافة ثلاثة فراسخ .
وعندما حل الفجر ، عزم الرحيل من هذا المكان ، وتقدم لمسافة فرسخ
من هؤلاء الملاحين ، واختار مكانا للمعركة على حدود حديقة « سرير »
على شاطئ نهر « لهاور » (١٦٢) ، وعقد العزم على انه عندما يلتقى
بالكفار سيكون المستنقع فى صالح الجيش ، حتى لا يستطيع أحد الفرار
من هذا النهر ، وكى لا يصاب الجيش بآفة من هذه المخازيل ، والحق
كان هذا الاحتياط نهاية الحزم وغاية الإدراك لهذا الملك ، ولكن عندما
حل القضاء النحس ، وسرى الفساد بكل الأمور ، وانفلت ملك التدابير :
« كل من يقع فى الخط التمس ، يقع أمره فى الإرادة السيئة » .

« والخط عندما يفقد المجنون الطريق ، وعندما يسقط العقل فى الليل البهيم »

الشمس والقمر كانا يتعلقان فى ذلك اليوم بالملك ، والريخ وجهه
مثل دم أعيان الملكة ، الجميع انطلق من كنانة هذا البرج طوفانا ، وسقط
دم الجوزاء وكان أسدا من برج مائى لأن الخوف والخراب دلائل فتن
وظواهر فتور. هذا النوع الظاهر الباهر ورمز وإشارة إذا جاء القضاء
ضاق الفضاء « المهم. عند الظهر وصل الفلك فى ولاية نيمروز واقترب

(١٦١) خسرو ماضى قا آن ملك غازى « ك » ص ٩٨ .

(١٦٢) لهاور « أ » ص ٤٧ .

وقت زوال ملك العالم ، فجأة ظهر جمع من هؤلاء الكفرة ، وركب خان غازى فى ساعته ، وقدم مثالا للبطولة ، وقاد جميع الخيل والخدم والحشم والحاشية بناء على القول « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وأعد جيشا أقوى مائة مرة من سد الاسكندر ، وبعد تنظيم الميمنة واعداد الميسرة ، وقف بنفسه على القلب عندما اصطفت الكواكب جميعا للجهاد ، وعبر الكفار عليهم الخذلان والخسار نهر لاهور واصطفوا أمام المسلمين ، وحط اليوم على رأس هؤلاء الوحوش أهل الخراب والفساد ، وكان غزاة الاسلام من ملوك الترك والخليج مشاهير الهندوستان وسائر الجيوش فى مصلى المعركة بناء على قول المصطفى عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق بالجهاد « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ورفعوا الأيادى مكبرين ، وفى أول الهجوم هجم عدد من المقاتلين الشجعان على خيل المغول بالسيوف ، واستقرت عدة حراب فى الأعداء ، لأن حاملى الحراب كانوا فى مكان مرتفع ، وتابعهم ستون من الأتراك الخاصة وهجم على أهل التاتار :

« فى أول هجوم لبس الملك الدرع ، وقتل التاتاريين الضعفاء »

وهجم حملة السيوف كأنهم صف واحد من بين الصفوف وكان السيف يتراقص فى هذه الحرب ، وصار لجميع السيوف لسانا يردد : اليوم أحلنى على هؤلاء الملاعين خدمة للدولة ، ولا تبخل بالنفس والنفيس لأن للسيف نصلين ٠٠ لأنه يصل الى حد الكمال بقدرة القادر »

« لا ترحل حتى يملأ ترابك عينى ، لا تفعل وان أغلقت عين السوء »

« فأنت لم تر الفلك أمامك مضيئا ، وأشعلت عينى نارا عليه »

حتى أقام الحرب والجهاد فترة فى الميدان ، كان لابد أن يجرى اللسان فى القول والمقال ٠٠٠ أيها السلطان لا تقل من جهدى ، أن على لسانى سنان ، من كثرة القتال والجدال لم يطعنى خصم ، فلا كان لأنه طالما ظهرت منى حركة اضطراب ، وانطلق سهم ، فيا أيها العقد المعقود ، العقد كالزهرة مفتوح ، فلا تقصدينى لأننى أجعل رأسى فى التراب ، ولا ينبغى ترك عين الفلك على السطح الخامس ، واجعله فى المنزل الخامس للسهم فى القوس ، ٠٠٠٠٠

« اننى أضع رقبتى فى الحبل أمامك ، فأنت قوس ومن طرقت ، قيدنى »

عموما غزا هذا السلطان المتدين بقلب الجيش على هذه الفئة الضالة من الظهر حتى المساء وارتفع للسماء غوغاء ، وجلبة الغلاء ، وأراد الألسنة النارية ، وأراد السيوف البتارة التى لا تخطيء وجرى الأمر

على نحو هذه الآية « يوم يفر المرء من أخيه » (١٦٣) وإمتلأت الأرض دما ، وسرى في السماء مثلما يرفرف روح الأب غلى أبناء المقتول •
« أيها الأب أن حديدة السيف مثل النار مؤلمة ، حتى يضع ألم اليتيم على كبدى »

فى نفس هذه اللحظة ، وأثناء هذا الاضطراب ، وصل فجأة سهم من ابهام القضاء الى رأسى هذا النمر ، وانتقل طائر الروح من القفص الى جنة الجنان ، وروضة الرضوان ، انا لله وانا اليه راجعون ، وفى نفس هذه اللحظة كسر ظهر الدين المسمى عليه الصلاة والسلام مثل قلب اليتامى ، ووقع سد الملة الحمدي فى بئر الغرباء ، وفقد التأييد الذى كان مساعدا للملك ، وضاع ملك بيضة الاسلام ، وهبطت الشمس وقت الغروب الصادق ، وفنى وقت الغروب ، ولبس المعزون لباس الحزن ، وأسودت العين بالدمع ، وأخذ الخد يترقرق ، وصار زحلا مكسوا بالسواد موقوفا بالوفاء وشرطا للعزاء ، وناح على موته أهل الهندوستان ، ولبس المشتري لباس الحزن وعباءة دامية ، ومزق الدرع وطين العمامة ، وتقطع قلب المريح لموته مثل عين الأتراك ضيقا ووجه معيشتته مثل جعد الزنوج ••• ، وعندما وقع زحل فى قبضة قصاب ، ولم تستطع الشمس من الخجل أن تدفع هذه الحادثة وقمع هذه الواقعة ، ولم تتمكن ونزلت الى الأرض ، وعندما رأى الزهرة أن الاجرام لم تجد أياما بيضاء من الحرب ، فزاد فى الظهور نغمة الدفء ، وشرع فى السماع ، وأخذ يئن بلحن الأسى على وفاة ذلك الملك الكريم ، وأسود عطارده ، وسود وجهه من سواد دواقه ، وهو الذى خسط الغزوات والفتوحات ، وموافق على فتحنا ومزق أوراق دفتريه والقميص الورقى ، وكان قمر جلالى فى صورة هلال بقامة منحنية يطلع فى هذه القيامة على الأرض ، وينير الأفق فى مرؤة •

« دس الوجه فى التراب لانك لا تريد ، وقمر الزمان على الأرض لا يريد لى ذلك »

« اذا ذهبت للصيد فمكاني هو ترابك ، خلوتك الخاصة السعيدة لا تريدها روحى »

فليرفع الحق سبحانه وتعالى الروح المقدسة المطهرة الطيبة لهذا الأمير الغازى الى مدارج اعلى ومراتب ارقى ، وأذقه كل لحظة كأس التجلى لجمالك وجلالك ، واجعل كل شفقه ورحمة وأدب وعاطفة فى حق

هذا الضعيف المسكين سبباً. لمزيد من الدرجات ومحو خطاياہ ، أمين يارب العالمين » .

عندما وصل هذا الخبر الى السلطان بلبن ، حزن واغتم كثيرا ، وكان عمر السلطان في هذا الوقت ثمانين سنة ، وكان يتكلف في اظهار قوته وشجاعته ، وكانت آثار الضعف والعجز ظاهرة عليه في هذه المصيبة ، وأخذت قوته تخور يوما بعد يوم ، وبعد هذا الأمر ، أرسل السلطان بلبن كيخسرو بن محمد سلطان محل أبيه الى الملتان وأعطاه « جتروودورباش » واستدعى بغراخان من لکهنوتى الى دهلى ، وقال : ان فراق أخيك الكبير أضعفنى وآلمنى ، وأرى أن وقت الرحيل قد حان ، وغيبتك منى بعيد عن المصلحة لأنه ليس لدى وريث غيرك (١٦٤) وابنك كيقباد وابن أخيك كيخسرو صغار ، ويجهلان تجارب الحياة ، وإذا وقع الملك فى أيديهما لا يمكنهما المحافظة عليه أو تحمل عهده لمغلبة الشباب والهوى ، وكل من يجلس على عرش دهلى ينبغى أن تطيعه ، ولو تمكنت أنت من عرش دهلى سيطيعك حاكم لکهنوتى ، ولا ينبغى أن تغيب عنى ، ولما كان هوى لکهنوتى يلعب برأس بغراخان ، وتحسنت صحة السلطان قليلا ، فتوجه الى لکهنوتى بحجة الصيد بدون إذن السلطان ، ولم يكن يصل بغراخان الى لکهنوتى حتى عاود المرض السلطان ، واستدعى السلطان فى هذه المرة ملك الأمراء فخر الدين كوتوال دهلى ، وأوصى بولاية العهد لکيخسرو ، وبعد ثلاثة أيام التحق بجوار الحق ، ودفن فى دار الأمان (١٦٥) ، ولما كان فخر الدين كوتوال وأتباعه ليسوا على علاقة طيبة مع الأمير الشهيد والد كيخسرو ، أرسلوه بالحيلة الى الملتان ، وكانت أيام سلطنة السلطان غياث الدين اثنين وعشرين عاما وعدة أشهر .

ذكر السلطان معز الدين كيقباد :

بعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن ، رفعوا كيقباد بن بغراخان ، وكان فى الثامنة عشرة من عمره ، ولقب بالسلطان معز الدين كيقباد ، على السلطنة ، وكان هذا السلطان يمتاز بحسن الخلق ، ولما كان طوال الوقت تحت نظر وتربية السلطان بلبن ، وكان يوكل له المعلمين والمؤدبين القساة فإنه لم يتيسر له فى هذه الفترة الأخذ من اللذات والتمتع بالشهوات ، وفجأة أطلق العنان لشهواته ، وفتح باب اللهو والمرح لمغلبة عنفوان الشباب وهوى النفس ، ففضل التمتع باللذات على مصالح الملك ، واهتم بأمر البطالين والأنانيين ، وبناء على الحديث « الناس

(١٦٤) خبر تو « ١ » ص ٥٠ ، غير تو « ك » ص ١٠٣ .

(١٦٥) دوار الأمان « ١ » ص ٥٠ .

على دين ملوكهم » ، انشغل الصغير والكبير باللهو والمرح ، وخرج السلطان من دهلي ، واتخذ من كيلوكهرى على شاطئ نهرجون (١٦٦) دارا للسلطنة حيث بنى قصرا عاليا وحديقة كبيرة وبسبب غلبة لهو ومجون السلطان معز الدين فقد اتجه المهرج الفاجر والمطرب والمطربة من أطراف وأكناف العالم الى البلاط ، ولما كان أتباع هذه الطائفة كثيرة فى الهند ، فقد ازدهر أمر اللهو واللعب رواجاً عظيماً ، وفتحت أبواب الفسق والفجور ، ومحيت أسماء الغم والهم من قلوب الناس ، وكان السلطان دائماً مرافقاً ومصاحباً للوجوه الحسان والمطربين والظرفاء والندماء أهل اللباقة ، ولم يكن يقضى ساعة دون لهو ومجون ، وكان دائماً ينعم ويجزل العطايا .

وتقرب ملك نظام الدين ، وكان صهراً وابن أخى ملك الأمراء كوتوال ، من السلطان تقريباً كاملاً ، وفوض أمور السلطنة جميعاً له ، وصار ملك قوام الدين علاقة ، وكان لا مثيل له فى الزمان عمدة الملك ونائباً لوكيل البلاط . ولما كان ملك نظام الدين رجلاً مكاراً ونشطاً ، صار ملوك بلبن الذين كانوا أعواناً وأنصاراً لدولة معزى (١٦٧) فى خوف من تسلطه وتقربه ، وسعوا لارضاء خاطره ، وكانوا يراعون خاطره فى الأمور الملكية ، حتى لا يفقدون رعايته ، وعندما أدرك نظام الدين أن الأمراء والملوك مطيعون له ورأى السلطان معز الدين مستغرقاً فى اللهو والمرح ، فكر فى السلطنة والحكم الذى لم يكن أصلاً مناسباً لحاله ، وعقد العزم على استئصال أسرة بلبن وبسبب هذا التفكير الباطل والخيال الفاسد ، قال للسلطان معز الدين « ان كى خسرو شريكك فى الملك ، وهو جدير بأوصاف الملك وولاية العهد ، جعل رغبة الأمراء والملوك بجانب رغبته وقرر القضاء عليه ، واستمع السلطان معز الدين كلام الغدار هذا باذن صاغية ، وأرسل من ساعته فرماناً يستدعى كى خسرو من الملتان ، وأرسل جماعة لكى تقضى على هذا البريء فى الطريق وانقاد كى خسرو المظلوم للأمر ، وتوجه الى دهلي ، وفى قسبة رهتك استشهد ، وبعد ذلك اتهم خواجه خطير ، وكان وزيراً للسلطان معز الدين ، بتهمة كاذبة ، وأجلسه على حمار وشهر به ، واستحكم خوف الأمراء والملوك من ملك نظام الدين ، وازداد رعب الناس ، فى ذلك الوقت وصل خبر قدوم المغول الى لاهور ، فعين ملك باريك بيترس وخان جهان لدفع شرهم ، ووقعت معركة حامية فى نواحى لاهور ، وقتلوا أكثر المغول ، وأسروا جمعا ، وأحضروهم الى

(١٦٦) جون « ١ » ص ٥٠ .

(١٦٧) وردت مغزى فى « ١ » ص ٥٠ « ك » ص ١٠٤ .

دهلى ، وقال للسلطان معز الدين يوما « ان أمراء المغول هؤلاء جميعا جنس واحد لديهم حشيم كثير (١٦٨) وإذا اتفقوا سيغدرون بك (١٦٩) ، وعلاج هذا يكون صعبا ، ودخلت هذه الكلمات المزخرفة على السلطان ، وقتلهم ، وألقاهم لأسرهم ، وحبس أيضا بعض ملوك بلبن الذين كان لهم صداقة وقرابة مع أمراء المغول ، وأرسلهم الى قلاع بعيدة ، ولم يخش من فساد الأسر القديمة وقضى على ملك شاهيك ، أمير الملقان وملك يزكى حاكم برن اللذين كانا من أمراء السلطان بلبن ، بكل حيلة يعرفها ، ولما كان السلطان مسخرا له فانه كان يبلغ السلطان انماطا من سوء تفكير وفساد هؤلاء المخلصين وأتباع الدولة ، وقال السلطان لملك نظام الدين هذا الكلام مرة ، وكاد يقبض على ذلك الشخص ويسلمه له ، وظهرت سيطرة زوجة ملك نظام الدين وهى ابنة ملك الأمراء ، على حرم السلطان ، وصارت « مادر خوانده سلطان » وأصبح الأمراء والملوك منقادين وتابعين لملك نظام الدين لسيطرته واستيلائه ، وكانوا يبجلونه بكل وسيلة يعرفونها ويقدرّون عليها ، ويدفعون عن أنفسهم شره بلطائف الحيل وأضحى بلاطه مرجعا للخواص والعوام ، وانتهى رونق وبهاء البلاط المعزى (١٧٠) .

« الملك الذى رفع الدون ، وأعلى كل بلاء »

« يرفع اشتعال النار ، ويستهنىء بنفسه »

وعندما اطلع ملك الأمراء فخر الدين كوتوال على القصد الفاسد والخيال الباطل لملك نظام الدين ، وكان فى محل ابته ، استدعاه فى الخلوة ، وكلما أراد أن يحدثه بكلام معقول ودلائل عقلية ، لكى يخرج من رأسه التصور الباطل والخيال الفاسد ، ولكن لا فائدة ، ولم يتنبه هذا القصير الفكر السيء الطبع ، ورد عليه : « ان كل ما يخدم الملك صواب وخلافه خطأ ، لكننى جعلت الناس أعداء لى ، والكل يدرك ما هو فى صالحى ، ولو نقضت يدى عن هذا الداعية الآن فلن ينفض الناس اليد عنى » فاستاء منه ملك الأمراء ، وعندما وصل هذا المعنى الى الأكابر والمعارف ، أثنوا عليه جميعا ، وظهر لهم حسن تدبير ملك الأمراء .

المهم عندما سمع بغراخان ، والد السلطان معز الدين المنقبه بالسلطان ناصر الدين والذى يحكم ولاية لكهنوتى أن السلطان معز الدين مشغول باللهو واللعب ، ولا يهتم بالحكم وأن ملك نظام الدين ،

(١٦٨) بشيار « ١ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٦٩) عذرى وكبرى خيال كئند « ١ » ص ٥١ « ك » ص ١٠٥ .

(١٧٠) معز الدين كيقباد ، وردت فى « ١ » معزى « ص ٥١ .

قضى على أمراء وملوك بلبن جميعا ، وسائر الأعوان والأنصار المحنكين ويريد البغى ، فكتب عدة رسائل الى ابنه ينصحه ، وأطلعه تلميحا على الفكر الفاسد ملك نظام الدين والأمراء والملوك ، ولم يعر السلطان معز الدين لغرور الشباب ، وسبكر الشراب أذنه لكلام أبيه ، ولم يفكر فيه ، وعندما أدرك السلطان ناصر الدين أن موعظته لن يكون لها أثر فى غيبته ، أراد أن يلتقى بابنه ويقول له ما يشاء أن يقوله ، وكتب رسالة بخط يده ، بنى أن شوقى لرؤيتك لا يطاق ، فلا تدعنى أكثر من ذلك فى محنة الفراق ، واغتنم فرصة رؤيتى . ، وعندما قرأ السلطان معز الدين رسائل شوق أبيه ، تحرك عرق الشوق أيضا ، وأبدى اشتياقا له وأرسل رسائل حب مع المقربين الى أبيه ، وتحركت بين الطرفين رسائل الشوق ، وتقرر بعد الرسل والرسائل أن يتوجه السلطان معز الدين من دهلى الى أوده ، ويأتى السلطان ناصر الدين أيضا الى أوده ، ويلتقى السلطانان ، ويتمتع كلاهما برؤية الآخر ، ويكون قران السعدين (١٧١) أمير خسرو بين الأب والابن ، ويستفيدا من كلام أمير خسرو ، لأن السلطان ناصر الدين أراد أن يسخر دهلى ويدفع ابنه عن لکهنوتى ، وأسرع السلطان معز الدين أيضا لمقابلته وفى أوده يستقرا للصلح ، المهم أراد السلطان معز الدين أن يذهب وحيدا لملاقاة الأب ، فقال ملك نظام الدين : « ان تجردك لمقابلة الأب مسافة أمر بعيد عن المصلحة ، وأمر المملكة لا يعتمد على علاقة الأبوة والبنوة ، والمصلحة هى أن يعد السلطان حشمه وجيشه وأدوات سلطنته ، ويتوجه حتى يحدث الرعب والخوف فى قلوب الملوك والراجوات وزمينداران (١٧٢) عند مشاهدة كوكبة وجمهرة السلطان ، فيتقدمون للطاعة والولاء ، وتقديم الخدمة » وأعد السلطان ناصر الدين الجيش بناء على قول ملك نظام الدين ، وتحرك بأسباب السلطنة ولوازم الحشمة الى أوده ، وعندما أطلع السلطان ناصر الدين على هذا الحال ، وأدرك أن سبب هذا هو ملك نظام الدين فتوجه أيضا من لکهنوتى بالجيش والأقوال والحشم ، ونزل الجيشان على جانبى نهر سرو ، واستمرت المراسلات والمكاتبات ثلاثة أيام وتحدثوا عن كيفية اللقاء ، وأقر أخيرا أن يجلس الابن على العرش ، ويعبر السلطان ناصر الدين النهر ، ويقدم شروط الطاعة ، ويلتقى بابنه على العرش ، ونصب السلطان معز الدين خيمته ، وجلس على عادة كيخسروى ، وكيقبادى ، وأعد ميدان المعركة ، ونزل السلطان ناصر الدين فى المكان المقابل ، وقبل الأرض ثلاثا وعندما واجه العرش لم يرق السلطان معز الدين

(١٧١) احدى منظومات أمير خسرو دهلوى .

(١٧٢) زمين داران : حكام البلاد والقرى والمقاطعات من المواطنين .

ونزل من فوق العرش ، وانكب على قدم الأب ، واحتضن كل منهما الآخر ، وبكى ، وترقرق الدمع فى عيون الحاضرين أيضا عند مشاهدة حالهما ، وأخذ الأب بيد الابن وأجلسه على العرش ، وأراد أن يجلس أمام العرش ، فنزل الابن عن العرش ، وأجلس الأب عليه ، وجلس أمامه بأدب ، ونثر الذهب والفضة ، وعاد الشعراء لانشاد قصائد المديح والمطربين للغناء والنقباء والحاديين للهتاف ، ولما قدم لوازم الحشمة السلطانية وشروط عقد المجلس كما كان متعارفا عند هذه الجماعة ، حظى كل منهما بمكالمة ومحاورة الآخر ، وبعد فترة نهض السلطان ناصر الدين ، وعبر النهر ، وتوجه الى معسكره ، وتبادل الطرفان ارسال التحف والهدايا الغريبة والفواكه ، وكلاب البحر العجيبة (١٧٣) والأطعمة والأشربة اللطيفة ، وأمر رجال الجيشين ، أن يتبادل الأقارب الزيارات ، وأن يسلكوا ذلك فرادى ، وجاء السلطان ناصر الدين الى منزل ابنه عدة مرات ، وتحادث السلطانان ، وعقدا المجالس ، وتبادلا الأفراح واللهو ، وشربا الشراب ، وعندما اقترب يوم الوداع قال السلطان ناصر الدين لابنه ، « ان جمشيد كان يقول : ان السلطان بقدر ما يكون فى الخزانة من مال ، لأنه يوم غلبة الأعداء يقدم المدد لجيشه ، ويسيطر على القحط وبلاء الرعايا ، ولا يمكن القول بأن هذا السلطان هو سلطان العالمين » ، ونصحه نصائح أخرى لائقة بحال السلطنة ، قال السلطان معز الدين ، « كم أنا مهموم ومحزون فلقد أيقظتنى من نوم الغفلة ، ولا أدري كيف أكون مقبولا للسلطنة لقد نبهتنى لهذا حتى أنفذ قانون عملى ، ولا أجزى خلاف هذا ، واحتضن السلطان ناصر الدين ابنه بحب الأبوة ، وقال لقد تعبت كثيرا من هذا الطريق ، وهدفى أيضا أن تسمع بأذن واعية لنصائى الغالية ، وأوقظك من نوم الغفلة ، الذى هو لازم للشباب وحب المال ، وأن تحل محلها الحب والشفقة الأبوية ، واختلنى به وقال له ، « ان ملك نظام الدين وقوام الدين عمدة الملك كانا حاضرين فى المجلس حتى أقول ما قلته فى حضرتهما » وقال السلطان ناصر الدين برقة وشفقة ، « بنى اسمع لقد جلست على عرش دهلى ، وقضيت وقتا سعيدا جدا ، ورغبت فى ملك لكهنوتى ، وجاءنى ملك دهلى أيضا ، وإننى أسمع منذ سنين حكايات لهوك وغفلتك وتفاهتك وظللت فى حيرة ، كيف ظللت سالما حتى الآن ، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أعزىك ، وأرى ملك دهلى ولكهنوتى فى معرض الزوال ، وينفطر قلبى من قتل ممالك أبى الذين تربوا فى نعمته ، وأخلصوا له ، وحزنت لقتلهم واعتمادك على الآخرين ، وهكذا لم يصبح لى رجاء فى الملك ، بنى : ان أخى الأكبر كان لائقا للسلطنة ،

(١٧٣) سقلاب عجيب « ١ » ص ٥٣ ، تنقلاات عجيب « ك » ص ١٠٩ .

واستشهد في حياة أبى ، وقتلت ابنه الذى كان أهلا للسلطنة وكان ساعدك
بوشاية أعداء الدولة ، وهكذا رفعوك من بيننا ، وسقط ملك دهلى بيد قوم
وأهل غرباء ، وألقوا باسمنا وعلمنا على الأرض ، بنى : اذا لم يكن
لك رحم فارحم أولادك وأتباعك ، فلا تقامر بهم ، وتجرع همك ، وأعمل
بما أنصحك به ، والنصيحة الأولى هي ارحم نفسك ، واسع في معالجة
نفسك ، لكى يكون لون وجهك من الورد والياقوت الأحمر ، أكثر رونقا ،
من هذا اللون الأصفر الذى زاد صفرة ، من إفراط الشهوة التى أضعفتك ،
وجعلتك غير قادر على العمل ، لأن الروح وقعت فى الفساد ولن تشيع من
اللذة :

« لا يليق بالسلطان أن يسكر ، ولا يتعلق بالعشق والهوس »
« السلطان حارس للمخلق دائما ، ومن الخطأ أن يسكر الحارس »
« عندما يحل الماء فالليالى خراب من الخمر الصافية ، ويستقر
القطيع فى معدة الذئب » .
« فى القانون فان عادة الملك فى ثبات الأمور وثباتها فى العقل »

والنصيحة الثانية هي أن تتحرز فى قتل الملوك والأمراء ، حتى
لا يزول اعتمادك على الأعوان والأعضاء ، واختر من أمرائك اثنين آخرين
مثل هذين الرجلين ، أى نظام الدين وقوام الدين ، أصحاب تجربة
واشركهما ، واعتبر أن يكون أريعتهم هم أركان الدولة الأربعة ، وكل عمل
نقدم عليه أتمه باتفاقهم وصلاح رأيهم ، واعهد لأحدهم بديوان الوزارة
والثانى بديوان الرسائل ، والثالث بديوان المعروض ، والرابع بديوان
الانشاء ، وقربهم الأربعة بقدر متساو ، وعلى الرغم من أن درجاتهم
متفاوتة باعتبار أعمالهم ، فلا تدع لأحدهم السيطرة أكثر من الآخرين ،
حتى لا يطغى ويتمرد ، والنصيحة الثالثة هي أن كل سر من الأسرار
الملكية يكون افشاؤه ضروريا ، افشه بحضور الأربعة ، ولا تحرم أحد
سرا من أسرارك كي لا يحملون لك فى قلبهم ، والنصيحة الرابعة هي اد
الصلاة وصم رمضان لأن فى تركهما خذلانا فى الدنيا والآخرة يتعلق
بأذيالك ، سمعت أن محتالا من علماء عصرك أراد « أن يرضيك فرخص
لك الإفطار فى شهر رمضان ، وكان يقول لك ، لو اعتقت عشرة أو أطعمت
ستين مسكينا يمكن أن تتلافى الصوم ، فابتعد عن قول وفعل هذا النوع من
العلماء ، ولا يجب أن تستفسر فى أمور الدين من علماء طامعين وحريصين
لأن الدنيا معبودتهم ، بل ينبغى الاستفسار عن الأحكام الدينية من أشخاص
يعيدون عن أمور الدنيا ، المال لا قيمة له فى همهم » ، وقال هذه النصائح ،
وبكى ، واحتضن السلطان معز الدين وودعه ، وقال له اثناء عنائه :

« أبعد نظام الدين بسرعة لأنه اذا وجد الفرصة ، فلن يدعك يوما واحدا »
قال هذا وذهب باكيا الى مكانه ، ولم يذق طعام هذا اليوم وقال لحريمه ،
ودعت اليوم ابني الى دهلي الوداع الأخير ، وبعد ذلك ، عاد السلطان
معز الدين من أوده الى دهلي ، واهتم بنصائح ووصايا والده عدة أيام ،
وودع اللهو والطرب ، وبسبب الشوق الى الشراب الذي كان مجبولا
عليه ، أثار رفاقه بواعث الفساد ، ورغبوه ، وكان يخجل من نصائح
أبيه ويمتنع نفسه ، ولما كان صيت مجالس الفرح ، قد وصلت الى الأطراف
والأكثاف بسبب فرط اللهو وطرب السلطان ، لذا اتجه جماعة الفجرة
والمطربون الى بلاطه ، وكان يعقد المجالس يوميا ويرافقهم ، والتف حوله
مجموعة وانتظروا ملازمته ، ولما كان السلطان متعلقا بصحبة هذه الطوائف
وروحه مرتبطة بهواهم لذا أراد أن يرعى نصائح الأب ، ولكن بالتدريج
انفلت عنان القلب من يده ، وبالتدريج اشتعلت نار الشوق ، وبدون اختيار
انشغل بالوجه الحسن ، واهتم بأحوالهم وفجأة دخل مهرج صغير كان
ممتازا في النكات وبلا مثيل في عصره وعلى رأسه تاج مكلل ، ويرتدي
عباءة مذهبة ، وحوله حزام مرصع ، راكبا على جواد عربي أصيل ،
وأبدى كثيرا من الدلال والتمتع مقابل خيمة السلطان ، وأتى بفنون عجيبة
وأعمال غريبة أشبه بالسحر ، وأنشد هذا البيت بصوت جميل :

« ان أردت أن تضع القدم على عيني

فانني أضع العين في الطريق لكي تسير »

بعد ذلك قال : « انني أرى أن مطلع هذا الغزل أكثر تناسبا لهذه
الحالة ، لكن لا أستطيع قوله خوفا من سوء الأدب » فقال السلطان :
اقرأ ولا تخف ، فقراه :

« السرو الفضي ينمو في الصحراء ، الحسن والسوء زمن ينقضي
بدوننا » .

وظل السلطان حيرانا من مشاهدة هذا الجمال الفتان لهذا القمر ،
ومن رؤية الحركات المثيرة لهذا الغزال الرشيق ، وذهبت نصائح أبيه
جميعا أدراج الرياح ، ونزل بدون ارادة عن الجواد وطلب الشراب ،
واستقر في نفس المكان وعقد المجلس ، وانشغل باللهو والرقص ، وجرى
هذا البيت على لسانه :

« أتوب ليلا عن الخمر خشية دلال المشاهدين ،

لكن هذا السباقي الجميل يحضر مع الفجر

وعندما سمع هذا المهرج البيت على لسان السلطان أنشد على
السياق :

« انى أخشى غمزة العابد الزاهد مائة سنة ، أخذ شعر (١٧٤) الجبهة
وقدمها للخمار »

واحتار السلطان أكثر من حدة فهمه وحسن طبعه ، وجعله ساقيه ،
وقدم له شروط التواضع وأنشد هذا البيت :

« مع اننى أجمل من القمر ، فاننى عبد عبيد السلطان » .

وملأ الكأس ، وسلمه للسلطان ، وأخذ السلطان الكأس بيده ،
وأنشد هذه الأبيات لارتباطها بالسياق :

« عندما يدور القدر فاعطه الى المقربين من المجلس ، ودعنى حيرانا ،
عينى على الساق » .

« لو أراد ساقيك أن يسقينا ، فانه يقول ان شرب الخمر حرام » .

قال هذا ، وشرب الكأس ، واستغرق الملوك والأمراء فى اللهو
والطرب ، وفى اليوم التالى رحل السلطان من هناك ، وكان يعقد الأفراح
والجلس فى كل منزل ، وينشغل فى اللهو والطرب ، حتى وصل الى دهلى ،
ونزل فى قصر كيلو كهري ، وسر أهل المدينة من قدوم السلطان ، وعقدوا
الأفراح وأقاموا الحفلات ، وهكذا شاع الاحتفال واللهو والطرب فى أيام
السلطان معز الدين ، وأخذوا فى تناول الشراب علانية فى كل حارة
ومكان ، وانقض الغم والهم من على قلوب الناس ، وحل محله الغفلة ،
ولم تكد تمر عدة أشهر على هذا ، حتى مرض السلطان معز الدين ،
وأصابه كثرة الجماع ومداومة الشراب بالضعف والمرض ، وفى هذه
الأثناء أراد أن يقضى على نظام الدين بناء على وصية الأب ، ولم يستطع
أن يفكر فى هذا المجال بثبات ، وقال على البديهة ، « ينبغى أن أرسلك
الى الملتان ، وقم باتمام المهام هناك » ، وأدرك نظام الدين أن السلطان
يقصد إبعاده ، فأهمل الذهاب واعتذر ، وعندما أطلع المقربون على قصد
السلطان ، وكانوا دائما يتمنون هلاك ملك نظام الدين ، قتلوه بأمر واذن
السلطان .

« طالما لم يندم على دماء خلقه ، فلا بد أن يلوث السيف بدمه يوما ما »

واستدعى ملك جلال الدين فيروز نائب سامانه وهو مشهور فى
البلاط ، وجعله عارضا للممالك ، وسلمه أقطاع « برن » ولقبه بشايسته

خان ، وجعل ملك ايتمر كجن بوظيفة « بارك » وملك ايتمر سرخه وكيلا للبلاط وقسم سائر الأعمال أيضا من جديد بين الأمراء ، واثناء ذلك غلب المرض السلطان وأصابه الشلل والقراع ، وأصبح طريح الفراش ، وبرزت أمنية السلطنة في رأس الأمراء وأصحاب الشوكة ، وتمنى كل واحد في سويداء قلبه هذه الأمنية ، وأخرج بعض أمراء بلبنى من قبيل الملح الحلال ابن السلطان معز الدين من الحرم مع أنه كان طفلا ، ولقبوه بالسلطان شمس الدين وأجلسوه على العرش ، وأقاموا له خيمة السلطان شمس الدين ، والتف الأمراء والملوك حول هذه الخيمة ، ولما كان أمر السلطان معز الدين قد خرج عن المعالجة ، فقد نقلوه الى قصر كيلوكهرى للمعالجة ، ونزل ملك جلال الدين خلجى عارض الممالك مع جماعة الخليجيين وكانوا كثيرين فى بهابور واستعرض جيشه ، واتفق ملك ايتمر كجن باريك وملك ايتمر سرخه وكيل البلاط وسائر أمراء بلبنى ، أن يقضوا على بعض الأمراء الغرباء والذين ليسوا من أصل تركى ، وكتبوا قائمة بأسمائهم ، وكان على رأس القائمة ملك جلال الدين خلجى ، وعندما اطلع ملك جلال الدين على هذا الأمر جمع رجاله ، ووحد أمراء وملوك الخليج ، واتفق معه بعض الأمراء الآخرين ، وتوجه ملك ايتمر كجن (١٧٦) باريك ليخدع ملك جلال الدين فيروز ، ويحضره وينهى أمره ، ولما كان ملك جلال الدين فيروز يعلم هذا ، فعندما وصل ملك ايتمر كجن الى قصره ، أنزلوه عن جواده ، ومزقوه أربا « لا تخطو خطوة فى وادى المكرو والخداع ، لأنه سينتهى أمرك فى فخ البلاء » .

« فربما لم تسمع من سياح هذا الطريق بأنه من يحفر بئرا يقع فيها » (١٧٧) .

وكان أبناء ملك جلال الدين يتصفون بالشجاعة والمروءة ، فاقبضوا الخيمة السلطانية بخمسائة فارس ورفعوا السلطان شمس الدين عن العرش ، وأحضره مع أولاد ملك الأمراء فى بهابور عند أبيهم وقتلوا ملك ايتمر سرخه ، الذى كان يتعقبهم فى الطريق ، وواجه الخواص والعوام للمدينة قوة الخليجيين ، وخرجوا من المدينة لمساعدة السلطان شمس الدين ، وقرروا أن يجتمعوا أمام بوابة بدوان ، وتوجهوا لمهاجمة ملك جلال الدين فيروز ، وفرق ملك الأمراء الأهالى بسبب وجود أولاده فى يد ملك جلال الدين ، وفرق جمعهم ، والتحق أكثر الأمراء والملك بملك

(١٧٥) سرخو « ١ » ص ٥٦ .

(١٧٦) ورد ايتمر كجن واتمير كجين « ك » ص ١٦٥ .

(١٧٧) مثل عربى « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها »

جلال الدين ، وتوجه الملك : الذى قتل أباه السلطان معز الدين (١٧٨) الى قصر كيوكهرى ، وضرب السلطان الذى لم يبق فيه رمق عدة ضربات وألقاه فى نهر جون ، وكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات وعدة أشهر .

ذكر سلطنة السلطان جلال الدين خلجى :

ورد فى أحد التواريخ الموثوق بها أن طائفة الخلج من نسل قالج خان صهر جنكيزخان ، وقصته هى أنه لما مل خاطره من زوجته ، ابنة جنكيزخان ، ولم يجد مفرا من المداراة خوفا من جنكيزخان ، وكان دائما يبحث عن مخرج ، ولم تحصن الفرصة الا عندما هزم جنكيزخان السلطان جلال الدين على شاطئ نهر السند ، وارتاح خاطره من أمر توران وايران ، وعاد الى معسكره الأصلي وتوفى فى هذه الأيام ، وفكر قالج خان فى تحصين جبال الغور وخرجستان وحصن الأماكن المذكورة بأهله وقبيلته الذين كانوا قرابة ثلاثين ألفا (١٧٩) ، وعندما توفى جنكيزخان لم يترك أحدا من أبنائه بلا ولاية ، واختار لنفسه الإقامة هناك ، وكثر نسله ، ولما كان سلاطين الغور وأتباعهم يسخرون ممالك الهند ، لذا دخل الخلجيون الهندوستان بالتدريج بسبب الجوار ، واختاروا الملازمة وصاروا أصحاب اعتبار ، ووالد السلطان جلال الدين ووالد السلطان محمود خلجى مندوى (١٨٠) وهم من عظماء الملوك والسلاطين المشاهير من أحفاد قالج خان ، وحرف قالج وصار خالج وصار لكثرة استعماله « خلج » وبرواية صاحب سلجوقنامه أنه كان لترك بن يافت (١٨١) أحد عشر ولدا أحدهما يسمى خلج ، ويسمى أبنائه بالخلج .

المهم ركب السلطان جلال الدين من بهابور بجيش جرار ، ونزل فى قصر كيوكهرى ، وحكم عدة أيام نيابة عن السلطان شمس الدين ، وفى أوائل سنة ٦٨٨ هـ جلس على عرش السلطنة ، وأعطى ملك جهجو كشليخان ابن أخى السلطان غياث الدين ولاية كره ، وباع الأمراء جميعا المؤيدون والمعارضون السلطان جلال الدين طوعا وكرها ، ولكن لما كان أهالى المدينة لا يرغبون فى سلطنة السلطان جلال الدين ، لم يذهب اليهم لهذا السبب ، ولم يجلس على العرش الذى كان دائما مقر جلوس السلاطين ، وأقام فى كيوكهرى ، وأمر باتمام قصر معزى (١٨٢)

(١٧٨) يقصد به والد السلطان جلال الدين فيروزشاه .

(١٧٩) ثلاثون ألفا فقط « ١ » ص ٥٦ ، ثلاثون ألف أسرة « ك » ص ١١٦ .

(١٨٠) هندوى « ١ » ص ٥٧ .

(١٨١) يافت « ١ » ص ٥٧ ، « ك » ص ١١٧ .

(١٨٢) معز الدين كيقباد .

وأقام حديقة جديدة فى مقابل هذا القصر على شاطئ نهر جون ، وأقام الأمراء والملوك منازلهم هناك ، وأقام قلعة من الصخر ، وفى وقت قصير أنشئت المنازل والقلعة والمساجد والسوق ، وسميت بالمدينة الجديدة « شهرنو » وعندما استقر أمر السلطان جلال الدين ، وانتشر (١٨٣) خبر تدينه وحلمه وحيائه وعدله وإحسانه ، جاء أهل المدينة من كبيرهم لصغيرهم وبائعوه ، ونال العلماء والمشايخ ورؤساء الطوائف والانعامات ، وقسم حكومة الممالك وأشغال البلاط بين الأمراء ، ولقب ابنه الأكبر خان خانان والابن الأوسط أزكليخان (١٨٤) والابن الأصغر قدرخان ، وعين كلا منهم على ولاية ، ونال أخو السلطان لقب بقرسخان (١٨٥) وصار « عارضا للممالك » وصار كلا من ولدى أخى السلطان وصهره ، أحدهما أمير بزرک والثانى « أخريك » وصار ملك أحمد جب (١٨٦) ابن أخت السلطان « نائب باريك » وملك خرم وكيلا للبلاط ، وعين خواجه خطير وزيرا للممالك وملك الأمراء كوتوالا ، وظهر الهدوء والسكينة بين الخاص والعام .

ركب السلطان بكامل حشمه وأبتهته مع جيشه ، ودخل المدينة ، ونزل فى « دولت خانه » (١٨٧) وصلى ركعتين ، وجلس على عرش السابقين ، وقال : « لقد سجدت سنوات أمام هذا العرش واليوم أطاه يقدمى فكيف أستطيع تقديم شكرى ؟ » وركب من هناك وتوجه الى قصر الياقوت ونزل أيضا عن جواده على العتب كالمعتاد ، وعرض ملك أحمد جب باريك وكان عمدة الملك « لما كان القصر عن السلاطين السابقين ، لماذا لا تنزل فيه ؟ قال السلطان : « على كل حال فان مراعاة عزة ولى نعمتى أمر واجب » فقال ملك أحمد جب ثانية « ينبغى على السلطان أن يسكن فى هذا المنزل وهو دار الامارة » ، فأجابه السلطان « لقد أقام السلطان بلبن هذا القصر أيام امارته ، والآن هو ملك لأولاده ، وليس لى حق فيه » قال ملك أحمد جب (١٨٨) لا ينبغى التقييد فى الأمور الملكية الى هذا الحد . قال السلطان « كيف أخرج عن قواعد الاسلام وأفعل ما هو خلاف لهذا الأمر من أجل مصلحة الملك لعدة أيام ؟

« أين العقل الذى يفتى بالشرع ، ويبدل لأهل العقل الدين بالدنيا »

(١٨٣) انتشار نيافت د ١ ، ص ٥٧ ، انتشار يافت د ك ، ص ١١٧ .

(١٨٤) أزكليخان د ١ ، ص ٥٧ .

(١٨٥) بقرسخان د ١ ، ص ٥٧ .

(١٨٦) أحمد جب د ك ، ص ١١٨ .

(١٨٧) مقر الحكومة .

(١٨٨) يلاحظ أنه يذكر « أحمد جب » فى د ك ، .

وتترجل ودخل القصر الياقوتي ، ولم يجلس فى هذه الأماكن التى كان يجلس فيها السلطان غياث الدين مراعاة للحزمة ، وجلس فى الصفت المخصص للأمراء ، وقال للأمراء والملوك : « فلتخربوا منزل أيتمركجن وأيتمر سرخه لأنهما لو لم يمكرا ويغدرا بى لما وقعت فى هذا البلاء ، وجعلونى أقضى بقية عمرى فى الامارة والملك ، والآن أنا فى حيرة عما سيؤول اليه امرى ، وعلى الرغم من عظمة وأبهة السلطان بلبن وامتداد زمانه وغلبة أعوانه وأنصاره ، لم تبقى السلطنة لورثته ، فماذا سيبقى لنا ، وماذا سيحدث لأولادى وأتباعى من بعدى » ، وتأثر بعض الحاضرين وكانوا أصحاب عقل وتجربة ، من كلامه ، وأبدوا شفقة ، وذم البعض الآخر وكانوا من الشباب المتهورين السلطان وكانوا يرددون أن هذا الرجل ليس سلطاناً ، انه يفكر فى زوال ملكه ، ان القهر والشدة لازمين للحكم ، فكيف يحدثان من هذا الرجل ؟ وعاد السلطان جلال الدين آخر اليوم من المدينة ، وجاء الى كيلوكهرى ، واتخذها عاصمة له .

فى السنة الثانية للجلوس ، رفع ملك جهجو ابن أخى السلطان بلبن والذي كان يحكم مقاطعات كره ، لواء المخالفة ، وجعل الخطبة والسكة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين ، وأيده أمير على سرجاندار (١٨٩) حاكم أوده ، والملقب بحاتم خان ، وسائر ملوك بلبن الذين كانوا يحكمون فى الأطراف ، ملك جهجو ، على أمل أن يؤيده أهالى المدينة طالما كانوا ينفرون من حكم الخلجيين ، وتحرك الى دهلى بجيش جرار ، وترك السلطان جلال الدين بمجرد سماع هذه الواقعة « خان خانان » ابنه الكبير نيابة عنه فى دهلى ، وأعد الجيش وتوجه بأعوانه وأنصاره القدامى لدفع ملك جهجو ، وجعل ابنه الأوسط أركليخان (١٩٠) والذي يتصف بالشجاعة والبطولة على مقدمة الجيش ، وجعل برفقته شبابا شجعان وسجريين ، وحسب الأمر عبر أركليخان بجيشه نهر كلاسكر ، وقابله فى هذه الناحية ملك جهجو بأمراء وملوك بلبن وجيش جرار وزمينداران هذه البلاد ورجوات كبار ، ووقعت حرب ضروس ، وهزم (١٩١) وأسر أكثر رجال جيشه ، لجأ ملك جهجو بأحد أهالى مواس ، فأسر بيد « مقدم » (١٩٢) هذه القرية ، وقبض عليه وأخضروه الى السلطان ، وحمل أركليخان الأسرى على ابل ، وأرسلهم مكبلين بالأغلال

(١٨٩) أمير على شير جامدار « ١ » ص ٥٨ .

(١٩٠) ورد أركليخان وأركليخان .

(١٩١) ملك جهجو .

(١٩٢) مقدم هو رئيس القرية .

الى السلطان ، وعندما أحضروا الأسرى على هذه الحال الى السلطان ووقع نظره عليهم ، أمر أن ينزلوهم عن الابل ويفكوا الأغلال من رقابهم ، وأمرهم أن يحملوا الى الحمام عدة أشخاص من بينهم كانوا أصحاب منزلة ومكانة عند السلطان بلبن ، وغسلوا رؤوسهم ووجوههم ، وألبسوهم خلعا سلطانية خاصة ، وعطروهم بالعطر ، وأقام فى خيمته الخاصة مجلس شراب ، واستدعاهم الى هناك ، ونادمهم الشراب :

« من السهل أن تجزى السوء ، لكن الرجل أحسن الى من أساء » .
لم يرفعوا رؤوسهم من الخجل الذى أصابهم ، ولم يتفوهوا بكلمة ، فقال لهم السلطان لتهدئة خاطرهم : « لقد ضربتم بالسيف الى جانب ولى نعمتى ، وليس عيبا أن تقدموا حق الملح وشروط الوفاء » وأرسل ملكه جهجو جالسا على محفة (١٩٣) الى الملتان (١٩٤) وأمر أن يحافظوا عليه فى بيته وأن يهيئوا له من أسباب اللهو والطرب ، وما يريد طوال الوقت ، واستغرب ملك أحمد جب وسائر أمراء الخليج من هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق الأسرى ، وقالوا : « إن هذا التكريم الذى أمر به السلطان فى حق هذه الجماعة واجبة القتل أمر يخالف أسلوب الحكم ومناف لقواعد الملك ، وطالما لم يحدث عقاب لأهل الفتنة والفساد ، ولم يرق دماؤهم فإن هوى الملك وهوى السبلطنة سيراود كل شخص ، وطالما كانت تحدث الفتن كان القتل واراقة دماء هذه الطائفة من السلطان بلبن ، وكان يأمر بمعاقبة أشد ، والآن فقد نسي صلابته من القلوب ، وبالفرض اننا وقعنا فى يد هؤلاء ، فانهم كانوا سيمحون اسم وشارة الخليجين من على وجه الأرض ، والآن فان ترك قتلهم بعيد عن المصلحة :
« من الأفضل رأب صدع الملك ، ومن الأفضل تفريق الجيش السوء » .
« ان قطع الحصن الجديد جذع السرو أفضل من أن يطاح برقاب الحصن القديم » .

فأجابهم السلطان ، ان ما قلتموه كله صواب وموافق لتدبير الملك ، لكن ماذا أفعل قضيت سبعين عاما فى مسالمة ، ولم أرق دماء مسلم قط ، والآن صرت شيخا ، ولا أريد أن أريق دم المسلمين فى آخر العمر ، وأثبت على نفسى صفة القهار والجبار ، ولو وقعنا فى أيديهم ، وأزاقوا دماءنا فان عهدة اجابة ذلك عليهم غدا يوم القيامة ، ولما كنا لعدة سنوات ممالك السلطان بلبن ، وحقوق نعمته كثيرة فى رقابنا ، فاليوم استولينا

(١٩٣) وردت محافة فى « ١ » ، « ك » .

(١٩٤) ملطان « ك » ص ١٢٠ .

على ملكه ، ولو قتلنا أيضا أعوانه وأنصاره فان هذا يكون منتهى الخسة والظلم » .

عاد السلطان بعد ذلك من بداون ، وأعطى الملك علاء الدين صهره وابن أخيه ورييب نعمته كره وسمح له بالسفر ، وعاد ظافرا ومنتصرا ، وعقد الحفلات فى دهلى ونصبوا الأفراح ، ولما كان السلطان جلال الدين حليما ورحيما فان أكثر الأمراء والملوك كانوا يقولون ان هذا الرجل لا يعرف الحكم والسلطنة ويرون أنهم قبضوا على لصوص وقطاع طرق عدة مرات ، وأحضروهم اليه ، فجعلهم يقسمون ألا يسرقوا ثانية ، وأطلق سراحهم ، وكان يقول : على الرغم من أننى أستطيع قيادة الجيش وأسفك الدماء ، ولكن لا أستطيع أن أقدم على قتل الرجل الذى أسروه وأحضروه» ، وذات مرة أحضروا ألف قاطع طريق عند السلطان ، ولم يقتل واحدا منهم ووضعهم جميعا فى مركب ، وأرسلهم الى لكهنوتى ، ولم يقع منه فى مدة حكمه مصادرة أو مكابرة أو تعذيب أو تشديد أو طمع فى مال الناس مما هو شعار للجبابرة والظالمين ، ، ويرون أن بعض كافرى النعمة الذين تخمرت فى نفوسهم الشرور عقدوا المجالس وشربوا الخمر ، وتشاوروا فى دفع السلطان جلال الدين وعندما وصلت هذه الأخبار الى السلطان ، لم يقم من مكانه ، قال : « لا ينبغي أن نأخذ السكارى بالألفاظ التى صدرت منهم فى حالة السكر » ، وذات يوم استضاف ملك تاج الدين كوجى (١٩٥) فى بيته الأمراء الكبار ، وعقدوا مجلس شراب ، وعندما سكروا تماما قالوا « السلطان جلال الدين غير جدير بالسلطنة والجدير بها هو ملك تاج الدين » ، وبأيعوه جميعا ، وقال أحدهم « اننى سأنتهى على السلطان بحرية صيد صغيرة » وقال آخر « سأفصل رأسه عن جسده بهذا السيف » ، وجرى على لسان السكارى الآخرين أيضا مثل هذه الكلمات ، وعندما وصلت هذه الحكاية الى السلطان ، استدعى هذه الجماعة ، وسل سيفه من غمده ، وألقاه بجواره ، وقال « من منكم رجل فليأخذ هذا السيف ، ويواجهنى ليعرف كيف تكون الشجاعة » ، قال ملك نصرت صباح ، وكان رجلا ظريفا حسن الطبع وجرى على لسانه كلمات الندم فى هذا المجلس ، ان مولاي يعلم انه لا اعتبار لكلمات السكارى التى تصدر منهم فى حالة السكر ، وأنت تعلم أن السلطان قد ربانا مثل أبنائه ، ونحن نعلم أن السلطان يتسم بالحلم والوقار ، ولو أننا فكرنا فيه بالسوء الا أن السلطان لن يجد مثلنا ملوكا وأولاد ملوك مخلصين وتابعين ، واننى أعلم أنه لن يرض بقمعنا والقضاء علينا ، وتأثر السلطان من هذا القول ، ونزل عن عرضه ، وطلب الشراب ، وأعطى الكأس بيده لملك نصرت صباح ،

وأمر رفاقه الذين كانوا فى هذا المجلس بأن يذهبوا الى مقاطعاتهم ويبقون
” مدة هناك “

« ان سيف الحلم اشد حدة من السيف الحديدى ، بل انه أكثر ظفرا
من مائة جيش » ولم يأمر بضرب أو سجن أحد من المقربين الذين وقعت
منهم جرائم ، وكان يعطى لكل واحد مقاطعة ، ولا يغيره أبدا ، ويروى
انه عندما كان السلطان جلال الدين سرجاندار (١٩٦) السلطان بلبن ،
ونائبه على سامانه أعطى مولانا سراج الدين سادى (١٩٧) من شعراء
عصره قرية من قرى سامانه على سبيل « مدد معاش » (١٩٨)
وطلب السلطان جلال الدين من مولانا خراجا لأصحاب الوظائف الآخرين ،
فاستاء مولانا من هذا الأمر ، ونظم فى مدح السلطان ، وضمنها ظلم
العمال ، ويبدو أن السلطان جلال الدين لم يهتم بمولانا لكثرة المشاغل ،
فتضايق مولانا ونهض من المجلس ، ونظم شعرا فى هجاء السلطان
جلال الدين ، وأسماه « خلجنامه » وفى نفس هذه الأيام التى حكم فيها
السلطان جلال الدين سامانه بالانابة ، وصله « خلجنامه » المذكورة ،
وكان من ضمنها هجاء ركيك، فترك مولانا سراج الدين ساماته خوفا من
السلطان بأن يحبس فى السجن واختار مكانا آخر للإقامة ، وفى نفس هذه
الأيام التى كان السلطان ينتهب قرية من قرى « منداهران » خرج مندهرى
أمام السلطان وطعنه طعنة ظلت آثارها حتى آخر عمره ، وعندما وصل
السلطان جلال الدين الى السلطنة ، حضر مولانا سراج الدين ومنداهر
والقيود فى رقابهما الى بلاطه ، وأخبر السلطان ، فاستدعاه فى الحال
واحتضن مولانا ، وأنعم عليه بالخلع ، وقدم له أنواع التكريم وأمر أن
يأتى مثل المقربين الآخرين أمام العرش للسلام ، وأكرم منداهر (١٩٩)
هذا .

وذات يوم قال السلطان جلال الدين لزوجته « ملكة جهان » عندما يأتى
الأكابر والصدور ، لتنهئتى على باب الحريم قولى لهم كى يلتمسوا
منى أن يقرأوا فى الخطبة عنى « المجاهد فى سبيل الله » وفى نفس هذه
الأيام تزوج تدرخان الابن الأصغر للسلطان من ابنة السلطان معز الدين
وذهب الأكابر للتهنئة ، وقالوا هذه الرغبة العزيزة ، « انه طالما أن
السلطان قد حارب المغول عدة مرات ، فإن قراءة « المجاهد فى سبيل الله »
جائز بل واجب ، وعندما ذهب الأكابر الصدور لتنهئته بغرة شهر ، وقبلوا

(١٩٦) سر جاندار : رئيس حرس السلاح .

(١٩٧) ساوجى « ١ » ص ٦٠ .

(١٩٨) على سبيل الوقف وهى قرية يوقف دخلها لهذا الشخص .

(١٩٩) مندهر « ١ » ص ٦٠ .

الأيادي ، التمس القاضي فخر الدين بإقله وكان علامة عصره ، وطلب بلسان الحاضرين أن يقرأوا للسلطان فى الخطبة « المجاهد فى سبيل الله » قال السلطان : أعلم أنكم تذكرون هذا بناء على قول ملكه جهان ، وقد كنت أفكر فى هذا منذ زمن ، ولما لم يكن قد وقع منى جهاد لأعداء الله لوجه الله ودون شائبة وغرض دنيوى ، فأننى ندمت ورجعت عن هذه الارادة التى أردتها » .

فى هذه الأيام التى كان فيها السلطان جلال الدين « عارضا للممالك » أنعم على أمير خسرو وعينه بوظيفة « مصحفدارى » وخصه بلباس وحزام أبيض خاص بالأمراء والكبار ، وكان السلطان يختلط فى المجالس وأهلها وأصحابها دون تكليف ، وكان يراعى المساواة ، وكان من ندماء مجلس شراب السلطان ملك تاج الدين كوجى وملك فخر الدين كوجى وملك عز الدين غورى ، وملك قرابيك وملك نصرت صباح ، وملك أحمد جب ، وملك كمال الدين أبى المعالى ، وملك نصير الدين كهرامى (٢٠٠) وملك سعيد الدين منطقى ، وكان الملوك المذكورون لا مثل لهم فى لطافة الطبع وحسن المعاشرة والشجاعة والمروءة ، وانتظم فى سلك الندماء تاج الدين عراقى وأمير خسرو ومير حسن ومؤيد جاجرمى ، ومؤيد ديوانه ، وأمير أرسلان كاهى (٢٠١) واخيار باغ وياقى خطيب ، وكان كل واحد منهم ممتازا فى علم الشعر والتأريخ ، وكان مجلس السلطان دائما مليئا بالغزليين الحسان مثل أمير خاصه وحميد راجه والسقاه الذين يخلون العقول مثل أولاد هيت خان ونظام خريطة دار ، والمطربين الذين لا مثيل لهم مثل محمد شه جنكى (٢٠٢) وقتوخان ونصرت خان ، وكان أمير خسرو ينشد يوميا فى مجلس السلطان غزليات جديدة ، وينال الانعام .

ومن الوقائع الغريبة التى وقعت فى هذه الأيام كانت قضية سيدى موله وتفصيلها هو أن درويش يسمى بسيدى موله جاء من دهلى وأقام وأخذ فى الإطعام والانفاق على العلماء ، ولما لم يكن يأخذ شيئا من أحد وليس لديه وظيفة ولا دخل ، احتار الناس من كثرة انفاقه وبذله ، وقال أكثر الناس : انه يعلم علم الكيمياء ، وبنى خانقاه كبيرة ، وصرف مبالغ طائلة من أجل بنائها ، وكان أكثر المسافرين فى البر والبحر ينزلون فيها ، وكان الشيخ يقدم مائدة مرتين فى اليوم ، ينفق عليها ألفا من خبز وخمسائة من نباتج وثلاثمائة من سكر يوميا ، وكان العام والخاص

(٢٠٠) ملك نصير الدين كرامى « ١ » ص ٦١ .

(٢٠١) أمير أرسلان كلامى « ١ » ص ٦١ .

(٢٠٢) محمد شه جنكى « ١ » ص ٦١ .

يحضرون هذه المائدة ، ويجتمعون فى الخانقاه ، وصار أكثر ملوك وأمراء السلطان جلال الدين مریدین لسیدى موله ، وكان سیدى موله يقوم برياضات كثيرة ويكتفى من الطعام بالخبز الجاف والدقة (٢٠٢) وليس لديه زوجة ولا جارية ومع أنه كان يصلى ويصوم لكنه لم يكن يحضر صلاة الجمعة ، ولم يكن يعمل بشروط الجماعة المعمول بها من السلف ، وقبل أن يأتى الى دهلى كان قد ذهب « أجودهن » لخدمة القطب العالم فريد الحق والدين رحمة الله عليه ، وظل عدة أيام هناك ، وعند الاذن بالرحيل قال له الشيخ : أغلق طريق مجئ الملوك ، واجتنب هجوم العوام والشهرة :

« لا تضع القلب على النار حتى يحترق الوجه ، لأنه عندما يحين الوقت فان مائة أتون يحرقنى »

لكن سیدى موله لم يستطع أن يحافظ على نفسه :

« يسمع مائة حكاية ولا يدهش من الحرص ، فلن يدرك نقطة فى اذن الحرص » .

وجعل خاتخانان ابن السلطان الكبير معتقدا ومریدا ، ودعاه بالابن وجعل القاضى جلال كاشانى وكان من اكابر عصره مریدا ومحبا له ، ووصلت أرزاق بعض ملوك بلبن الذين كانوا بلا مقاطعة فى عدد السلطان جلال الدين وبلا مورد رزق ، من سیدى موله وكانوا دائما فى جوار الخانقاه ، وظن الناس أن سیدى موله بانفاقه على هذه الجماعة سيدعى الملك ، وعندما وصل هذا المعنى الى السلطان جلال الدين أمر أن يقبضوا على سیدى موله وجميع مریدیه ، وعلى الرغم من انكار البعض وقسم البعض : لم يأت بفائدة ، وأمر السلطان أن يشعلوا نارا فى صحراء بهابور ، تصل شعلتها الى السماء ، وجمع العلماء وأكابر المدينة هناك ، وأمر سیدى موله وأتباعه أن يدخلوا النار ، ليظهر دليل صدقه أو كذبه ، وقال العلماء الذين حضروا هذه الواقعة ، لما كانت النار بطبعها حارقة فان اعتبارها محك صدق وكذب هو خلاف للعقل ومذاف للشرع ، وسمع السلطان هذا الكلام من العلماء ، فترك هذا العزم ، وأرسل القاضى جلال وكان متهما باثارة الفتنة الى قضاء بداون ، وفرق الملوك الآخرين الذين يعتقدون فى سیدى موله الى أطراف الممالك ، وقتل البعض وعندما أحضروا سیدى موله مقيدا أمام السلطان ، فأقام السلطان عليه الحجة ، ورد عليه ، ولم يوجه الى سیدى موله تهمة من الناحية العقلية أو الشرعية ، فنظر السلطان الى الشيخ أبى بكر الطوسى الحيدرى ، وكان

على رأس جماعة الدراويش الحيدرية وقال ، أيها الدراويش خذوا حقي من هذا الظالم ، فهب بحرى نام قلندرى بجرأة ، وطعن سيدي موله بموس حلاقة عدة طعنات وجرحه عدة جروح ، وأشار كليخان الأب الأوسط للسلطان على سائس فيله ليطلق على سيدي موله ، واستشهد هذا المظلوم ومن المشهور أنه يوم قتل سيدي موله هبت ريح سوداء وأظلمت الدنيا ، وقل المطر فى هذا العام ، وأصاب دهلئ قحط شديد ، لدرجة أن الهنود كانوا يتحدون جماعات من الجوع ويلقون بأنفسهم فى نهر جون ، وغرقوا فى بحر الفناء .

وقاد السلطان الجيش فى سنة ٦٨٩ هـ الى رنتهنبور ، وترك ابنه أركليخان الأوسط نائبا عنه فى كيلوكهرى محل خانخانان ابنه الكبير الذى كان قد توفى فى هذه الأيام ، وبمجرد الوصول استولى على جهالين ، وحطم معابد أصنامها ، وانتهب أموالها ، واستولى على غنائم كثيرة ، وتحصن راجه رنتهنبور فى القلعة ، وحاصره السلطان عدة أيام وعاد ، وقال : الاستيلاء على هذه القلعة لا يستحق موت شخص واحد .

« ملك العالم كله لا يستوى عند الرجل اوراقه قطرة دم واحدة على الأرض »

وبالفرض لو أخذت هذه القلعة وقتلت عبيد الله ، سيحضر الى غدا النساء اللائى ترملن والأطفال الذين تيتمن ، ويقع نظرى عليهم ، فماذا ستكون حالتى فان لذة فتح هذه القلعة سيكون أكثر مرارة على من السم .

وفى سنة ٦٩١ هـ توجه المغول الجنكيزية بجيش جرار الى الهندوستان ، وتوجه السلطان بجيوش قاهرة لصدد هذه الطائفة ، وعندما اقترب الطرفان ، وقعت المعركة وقاتل الشباب الشجعان ورأى جيش المغول قوة جيش السلطان ، فجرى حديث الصلح ، وكان السلطان يدعو قائدهم وهو قريب هولاكوبالابن ، وكان هو يدعو السلطان بالآب ، والتقيا ببعضهما من بعد ، وتبادلتا التحف والهدايا بين الطرفين ، وعاد جيش المغول ، والتحق الغو حفيد (٢٠٤) جنكيزخان مع عدد من أمراء المغول ، وأسلم ، واختصه السلطان بشرف المصاهرة ، وعين لهم غياث بور مسكنا لهم ، وأطلقوا على هذا المكان « مغولبور » وعلى المغول « المسلمين الجدد » .

وأخر هذه السنة ، توجه السلطان لمهاجمة مندور ، وانتهب ما حول القلعة ، وفى هذه الأيام التمس ملك علاء الدين ابن أخى السلطان حاكم

(٢٠٤) نبيسه « ك » ص ١٢٨ ، نبيره « أ » ص ٦٣ .

كره ، بأن يتوجه الى بهيله (٢٠٥) وينتهب هذه النواحي وتوجه حسب الأمر ، ونهب بهيله ، وأحضر صنمين خديديين كانا معبودين لهنود هذه النواحي ، ووضعوهما تحت بوابة بداون ليطأها الناس ، ووقع هذا الأمر عند السلطان موقع الاستحسان فأكرمه بأنعامات عالية ، وأمر بإضافة ولاية أوده أيضا له ، وعندما وجد ملك علاء الدين شفقة ورحمة السلطان عليه ، عرض : « أن ولاية جنديري ونواحيها مليئة بالمال والأشياء ، فلو صدر أمر أن أرعى الخدم الجدد بسبب الاقطاعات الزائدة هناك ، وأذهب بمساعدة واعانة الجيش القديم والجديد لمهاجمة هذه الولاية ، فسأحصل على غنائم كثيرة من جديد تحت رعاية السلطان » . وقبل السلطان التماسه ، وسمح لملك علاء الدين بالسفر ، وتوجه من دهلى الى كره ، ولما كانت حماته ملكة جهان تسيء اليه كثيرا ، وكان يستاء دائما من جفائها وايدائها ، ولم يستطع أن يعرض على السلطان هذا الأمر بسبب تسلط ملكة جهان ، وكان دائما يفكر فى الهروب من مملكة السلطان جلال الدين ، ويستولى على مكان ويبقى هناك ، وعندما تهيأت له الفرصة ، اغتتمها ، وأعد الجيش القديم والجديد ، وخرج من كره (٢٠٦) وترك ملك علاء الدين فى كره وأوده نائبا عنه فى غييبته وتوجه الى جانب ديوكير (٢٠٧) وأبدى فى الظاهر أنه سينتهب لشهب وسلب نواحي جنديري وتوجه من طريق ايلجبور ، وعندما انقطع خبره بعد فترة ، كتب ملك علاء الدين لارضاء للسلطان بأن ملك علاء الدين مشغول بنهب وسلب ولاية جنديري ، واليوم أو غدا سيصل رسالة النصر الى بلاط السلطان ، ورضى السلطان بهذا لأن ابن أخيه وصهره وربيبه لم يطلعه على ايداء ملكة جهان ، لهذا لم يتسرب سوء الظن قط الى خاطر السلطان عنه .

فى ذلك الوقت كان رامديو حاكم ديوكير وابنه بمكان بعيد ، وعندما سمع أن ملك علاء الدين جاء الى نواحي ديوكير ، فتوجه بجيش جرار من الرايان والملوك لمواجهة ، وبعد القتال هزم ملك علاء الدين هذا الجيش ، وفتح ديوكير ، وأخيرا جاء رامديو ، وقدم الطاعة ، ووقع أربعون فيلا وعدة آلاف من الجياد الخاصة لرام ديو فى يد ملك علاء الدين ، وغنم من الذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ وأنواع الأمتعة والأقمشة قدرا كبيرا يعجز العقل عن حصرها وضبطها وعندما انقطعت أخبار ملك علاء الدين مدة ، توجه السلطان كالعادة للتنزه والصيد بجانب

(٢٠٥) بهيله « ١ » ص ٦٣ .

(٢٠٦) كره « ك » ، كره « ١ » .

(٢٠٧) ديوكير « ١ » ص ٦٣ .

كواليار وتوقف فى هذه النواحي فترة ، ودون أن يعرض ملك علاء الدين أو يرسل ذاع فى جيش السلطان أن ملك علاء الدين قد فتح ديوكير ، واستولى على أفيال وجياد كثيرة وأموال وأمتعة لا حصر لها ، وعاد الى كره ، وسر السلطان من هذا الخبر ، ولكن عقلاء العصر كان فى تصورهم أن ارتكاب ملك علاء الدين هذا الأمر الخطير دون موافقة السلطان ، وما استولى عليه من أموال وما كانوا يعلمونه من خلافه مع حريمه ملكة جهان فقد أحسوا بتمرده وخروجه لكن لم يقولوه للسلطان ، وذات يوم اختلى السلطان مع خاصته ، وأجرى القرعة والمشورة بينهم وسأل : انه عندما يأتى علاء الدين من ديوكير بكل هذه الأفيال والجياد والغنائم ، ماذا ينبغى علينا ؟ هل نظل فى مكاننا أم نسرع لاستقباله أو نعود الى دهلى ؟ قال ملك أحمد جب : وكان مشهورا باستقامة الفكر وصدق الرأى « أن كثرة المال والحشم وتحقيق الأمانى سبب للطغيان والتمرد ، وتجعل الانسان مهما كان عاقلا وعالما ، مجنونا ومغرورا ، والآن فان متمردي وثائري كره ، الذين كانوا قد لجأوا لملك جهجو ، جمعهم حوله ، وحملهم بدون إذن الى ولاية ديوكير ، فهل يعلم الانسان ما يجول بخاطرهم ؟ والصواب هى أن يسرع السلطان من طريق جنديرى ، ويسبق ملك علاء الدين ، وعندما يسمع باقتراب السلطان لن يستطيع جمع جيشه ، ويأتى بالضرورة للملازمة ، ويقدم الغنائم طوعا أو كرها للبلاط ، ويأخذ السلطان منه الأفيال والأمتعة وسائر النقود التى كانت سبب نصره ، ويحضرها الى دهلى ، ويسلمه غنائم أخرى ، ويزيد من اقطاعاته ، ويأذن له بالسفر الى كره أو الى دهلى ، واذا لم يهتم السلطان بهذه الواقعة ، فانه لن يستطيع تداركها » ، ونهض الى دهلى وتوجه ملك علاء الدين مع أفياله وجياده وخزائنه بسبب تكبره الى كره ، وهناك أخذ ينظم نفسه ، وكأنما يسعى السلطان لزوال نفسه ويعمل على خراب ملكه :

« هذا الشخص الذى لا يسمع كلام الأصدقاء اهل الخير يحقق كثيرا من آمال الأعداء »

لم يوافق كلام ملك أحمد جب رأى السلطان جلال الدين ، وقال : « ملك علاء الدين بمثابة ابنى ولا يمكن أن يتحول عنى ولا يصدر عنه ما يخالف رضائى ، ثم نظر الى الحاضرين وقال : ماذا ترون صلاحا لهذا الأمر ؟ فأغمض ملك فخر الدين كوجى العين مع انه يعلم أن رأى ملك أحمد جب صواب ، ولكنه لا يرضى السلطان ، وقال : « ان خبر عودة ملك علاء الدين ، واحضار المال والمتاع محل قول لم يتحقق منه الرجال الثقة ، وحتى يخفيه ، ومن اللائق أن تفكر لو أن هذا الخبر صادق ،

فاننا نقود الجيش اليه ، ونقطع عليه الطريق ، ولما كان قد ذهب بلا اذن فمن المحتمل أن يكون بسبب الرعب الذى يسيطر عليه ، وكلما وصل الى ناحية ، تتعقبه الى كل مكان يذهب اليه ، ٠٠٠ والمثل المشهور هو لا ينبغي أن « نعبّر من النهر بحذاء المطر » واذا دخل كره سالما بالأفيال والمال والأمتعة ، وظهر أن الفساد والخلاف قد سرى فى باطنه ، فان أمره يكفيه هجمة سلطانية « قال ملك أحمد جب : « اذا دخل ملك علاء الدين بالأفيال والمال كره وعبر نهر سرو ، وقصد لكهنوتى ، فلن يستطع أحد قط أن يتحقق مما فى عهده :

« لا ينبغي أن نستهيّن بالعدو ، لأنى أرى الجبل العظيم من الحجر الصغير » .

واضطرب السلطان من هذا القول ، وقال لقد كان ملك أحمد يسيء الظن بملك علاء الدين دائما ولكننى احتضنته ، وجعلته ابنى ، فلو تحول ابنائى عنى فهذا ممكن لكن لا أتصور أن يتحول هذا عنى فنهض ملك أحمد من المجلس ، وتأسف ، وقال هذا البيت :

« عندما تظلم الدنيا على انسان ، فلن يأت بفائدة كل ما يفعله »

واثنى السلطان جلال الدين على رأى ملك فخر الدين ، وعاد الى دهلى ، وأعقبه وصول خبر من أن ملك علاء الدين وقد عاد الى كره ، ووصلت رسالته أيضا ، « اننى استوليت على واحد وثلاثين فيلا وعددا من الجياد والذهب والجواهر واللؤلؤ وأقمشة وأمتعة ، وأريد أن احضرها الى البلاط ، لكن لما كنت قد قضيت مدة غائبا دون اذن ، فقد تسلل وهم الى نفسى وجميع الممالك الذين كانوا معى ، فلو صدر فرمان يتضمن العفو على والعفو عن سائر المرافقين ، فاننى أستطيع الحضور الى البلاط دون تأخير » وخدع السلطان جلال الدين بمثل هذه الحكايات واستعد بنفسه للتوجه الى لكهنوتى ، وأرسل ظغراخان الى أوبه ، وأمر أن يعدوا المراكب على شاطئ نهر سرو ، واتفق مع أعوانه وأنصاره أنه عندما يخرج السلطان من دهلى متوجها الى كره ، سنعبّر بجيشنا نهر سرو ، وندخل لكهنوتى ، ونستولى على مملكة لكهنوتى ، ونظل هناك ، وكتب السلطان جلال الدين بخط يده رسالة عفو طيبة ، وأرسلها مع رسولين من المقربين ، وعندما وصل هذان الرسولان الى كره ، وجدا أن ملك علاء الدين قد تقهقر أمام السلطان ، والتف حوله جميع الأمراء أيضا ، واحتفظ ملك علاء الدين بالرسولين كى لا يسمح لهما بأن يكتبا حقيقة الأحوال السلطان .

وعندما مرت عدة أيام على ذلك ، كتب ملك علاء الدين رسالة الى أخيه الماس بيك وكان أيضا ابن أخى وصهر السلطان ، اننى اضطررت للسفر بدون رغبة السلطان لأن أبناء الزمان أوهمونى ولما كنت ابن ومملوك السلطان ، فلو جرد جيشا الى وقبض على ، فما أنا الا عبد وخادم له ، ولو لم يحدث فساقصده ١٠٠ « ، وعرض الماس بيك هذه الرسالة على السلطان ، فأمر السلطان أن يذهب اليه بأسرع ما يمكن ، ويرضى ملك علاء الدين حتى أصل بنفسى ، وركب الماس بيك مركبا فى ساعته ، وعندما هبت الرياح على النهر ، وصل الى ملك علاء الدين فى اليوم السابع ، وعقد ملك علاء الدين الأفراح ، وسر من قدوم أخيه أيضا ، وقال : الآن اننى مصمم على التوجه الى لکهنوتى ، فقال له العلماء (٢٠٨) الذين كانوا مقربين منه : « لست فى حاجة للذهاب الى لکهنوتى ان السلطان جلال الدين سيسبقنا فى هذه الأمطار بسبب الطمع فى المال والأفئال ، ونحن أيضا ندير حالنا هنا ، ونهتم بأمر الملك والسلطنة » ، واستصوب ملك علاء الدين هذا رأى ولما كان السلطان جلال الدين قد اقترب أجله لم يسمع كلام المخلصين ، وركب مع عدد من خاصته وألف فارس المراكب ، وتوجه ، وجعل أحمد جب يسير بالجيش والحشم من طريق برى :

« طالما لا يسمع المستمع للنصيحة ، فان الفلك العالى سيؤدبه »

وعندما وصل السلطان فى السابع من رمضان الى كره ، أعد ملك علاء الدين جيشه وعبر من نهر الجانج ، ونزل ما بين كره ومانكبور ، وسمع خبر وصول السلطان ، فأرسل أخاه الماس بيك لخدمته ، لكى يجعل السلطان بعيدا عن الجيش بكل حيلة يعرفها ، ووصل الماس بيك الى السلطان ، وقدم شروط تقبيل الأرض ، وقال : « ان عبدك لم يقترب أكثر من هذا ، ولم أستطع أن أرضى أخى حتى يلجأ اليكم ، لأنه لم يزل خائفا ، فلو رأى السلطان مع عدة فرسان مستعدين فمن المحتمل أن يخاف ، ويفر ثانية ، واستصوب السلطان كلامه ، وأمر بأن يتوقف الفرسان الذين كانوا برفقته هناك ، وتوجه مع عدد خاص من أقرب خاصته ، وعندما قطع مسافة عاد الماس بيك الغدار وقال بلسان المكر : لما كان أخى قد اقترب كثيرا ، ولو رأى هؤلاء الأشخاص الحاضرين فى خدمة السلطان وهم مسلحون ومستعدون ، فمن المحتمل أن ييأس من شفقة ورحمة السلطان بسبب الخوف والوهم الذى يملكه ، فأمر السلطان أن يذرع الجميع الأسلحة عنهم ، وعندما اقتربوا من شاطئ نهر الجانج رأى المقربون منه جيش علاء الدين على بعد ، يقف مسلحا ومستعدا ، وينتظرون الفرصة ، فأيقنوا بمكر وغدر علاء الدين ، وما دبره الماس بيك

فقال ملك خرم (وكييل البلاط) لألماس بيك لقد وثقنا فى كلامك ، وأبعدنا عنا جيوشنا ونزعنا الأسلحة بينما جيشك مستعد ومسلح ، قال ألماس بيك ، ان أخى يريد أن يشاهد السلطان جيشه وهو مستعد ومسلح ، ويديره ، والسلطان بناء على القول « اذا جاء القضاء عمى البصر » لم يحمل أى تفكير فى مكرهما وغدرهما الذى كان واضحا للكبير والصغير ، وقال أيضا لألماس بيك لقد قطعنا طريقا طويلا وجئنا صائمين ، ولم يأت علاء الدين ويفتح قلبه ، ويجلس على الزورق ويسرع لاستقبالى ، فأجاب ألماس بيك الغدار : ان أخى لا يريد أن يأتى لملازمة السلطان ويده خاوية وسيأتى لخدمتك بالمهدايا من فيل وجياد ونفائس ، ويعد أيضا أسباب الافطار ، ويريد أن يفطر السلطان فى بيته ، لكى يكتفى ويمتاز عن أقرانه بهذا الشرف ، ولم يجل بخاطر السلطان جلال الدين أى غدر منهما : وأخذ يقرأ فى المصحف غافلا فى المركب ، حتى حان وقت العصر فى السابع من رمضان على شاطئ النهر ، وتقدم علاء الدين أكثر ولازمه ، ووقف تحت قدم السلطان ، وربت السلطان على خده مظهرا الشفقة والرحمة ، وقال : « لقد رببتك كل هذه التربية ، وكبرتك ، وكنت فى نظرى أعلى من أبنائى ، والآن كيف أفكر سوءاً فى حقك » ، قالها وأخذ يد علاء الدين ، وجلس على جانب المركب ، وأثناء ذلك أشار ملك علاء الدين الى الجماعة التى كانت متعهدة ومتكفلة بقتله ، ف ضرب محمد سالم وهو من أجلاف سامانه السلطان بالسيف وتدحرج السلطان الجريح على جانب المركب ، وقال : ماذا فعلت يا علاء الدين يا سئء الحظ وظهر اختيار الدين هور ؛ وكان من ربائب نعمة السلطان فى الخلف ، وألقى السلطان على الأرض ، وقطع رأسه ، وقدمها لعلاء الدين ، ورفعوا رأس هذا المرحوم المظلوم على حربه فى كره ومانكبور (٢٠٩) وحملوها من هناك الى أوده ، وقتلوا عددا من خاصة السلطان الذين كانوا فى المركب ، ويروى عن الثقة انه عند قدوم السلطان جلال الدين الى كره ، ذهب ملك علاء الدين الى الشيخ كرك مجذوب (٢١٠) وكان مدفونا فى قسبة كره ، وقدم لوازم الحاجة ، فأطل المجذوب وقال :

« كل من يقاتلك ، الرقس فى المركب والجسد فى الجانج »

المهم رفعوا مظلة السلطان جلال الدين على رأس ملك علاء الدين ، ولقبوه بالسلطان ، وأصبحت الجماعة التى قتلت السلطان جلال الدين

• (٢٠٩) مانكبور

• (٢١٠) كرك مجذوب

وكانوا رفاق ملك علاء الدين بالبلاء العظيم فى مدة وجيزة وهبطوا الى الدرك الأسفل وأصيب محمود بن سالم بالبرص بعد سنة واحدة ، وتيبس هندامه من الهم ، وجن اختيار الدين هور وكان يصيح وقت الاحتضار ويقول ان السيف فى يد السلطان جلال الدين وسيقطع رأسى ، وعلى الرغم من أن ملك علاء الدين كافر النعمة قد جلس على العرش فترة وهو منتصر وحقق أمله ، لم يهمله الزمان أيضا ، وكافاه ، ولم يبق اسم ورسم نسله فى الدنيا :

« ليس قصر الخالق خرافة ، وليست السماء والأرض بدون خالق »

« أيها الحكيم أنت فى فكر من أمر الأيام ، فان جزاء العمل قد تم »

وعندما وصل خبر شهادة السلطان جلال الدين الى ملك جب وكان على رأس جماعة من الجيش فعاد من هناك وتوجه الى دهلى ، وأجلست (٢١١) ملكة جهان حرم السلطان جلال الدين وكانت ناقصة العقل ابنها الصغير ركن الدين ابراهيم وكان فى بداية شبابه وعنفوان رجولته ولا يدري شيئا عن أمور الحكم ، على العرش دون مشاورة أركان الدولة ، وجاءت من كيلوكهرى ودخلت دهلى ونزلت فى القصر الأخضر (٢١٢) وقسمت الأشغال والاقطاع بين الأمراء والملوك واستاء أركليخان وكان خليفة السلطان ولديه استعداد للسلطنة بمجرد سماع هذا الخبر ، وتوقف فى الملتان ولم يأت الى دهلى ، وتوجه ملك علاء الدين من كره الى دهلى فى نفس موسم المطر ، ووصل برحيل متواتر الى نهر جون ، وأغرى الناس بالمال والذهب ، فمالوا اليه جميعا ، ومحا تماما الحقد الذى كان قد استقر فى قلوبهم من قتل السلطان جلال الدين :

« ان كرم الشريف هو كيمياء للعيب ، السخاء دواء لجميع الآلام »

ويروى أن ملك علاء الدين كان يملأ المنجيق يوميا بالذهب ، ويوزعه على الجيش ، وكل من صار خادما له أمر له من عشرة الى عشرين أو من عشرة الى ثلاثين مما كان معمولا به فى ذلك الوقت ، واصطاد قلوب الخلائق :

« ينبغى لعظمتك أن تقيد القلب بالسخاء ، وتفتح الكيس المغلقة » .

ويروى أنه عندما وصل الى بداون ، دخل ستون ألف فارس ومشاة جيشه ، والتحق أمراء وملوك جلالى (٢١٣) من كل ناحية بسبب الطمع

(٢١١) نشاز ١ ، ص ٦٧ ، نشاز د ك ، ص ١٣٧ .

(٢١٢) كوشك سبز .

(٢١٣) اتباع السلطان جلال الدين خلجى .

فى الذهب وزىادة فى اكرام علاء الدين ، وأرسلت ملكه جهان بعد الخريف
رسولا لاستدعاء أركليخان ، فأجابها : الآن انقلت الأمر عن الاصلاح :
واستهزى ملك علاء الدين عند سماع هذا الخبر ، وعبر نهر جون من
معبى كاتهر ، ونزل فى صحراء جود ، وصدق ركن الدين ابراهيم أيضا
جيشه فى مواجهته ، وتحرك حركة المذبوح ، وانفصل عنه أكثر أمراء
جلالى ليلا والتحقوا بملك علاء الدين ، وعندما رأى ركن الدين ابراهيم
أن الأمر فلت من يده ، أخذ أمه ، وحمل قدرا من الخزانة ، وسلك طريق
الملتان بالاتفاق مع ملك رجب وقطب الدين علوى ، وأحمد جب وأولاد
الحلال الآخرين ، وكانت مدة سلطنة السلطان جلال الدين سبع سنوات
وعدة أشهر .

ذكر السلطان علاء الدين خلجى :

فى سنة ٦٩٥ هـ جلس على عرش دهلى ، ولقب الماس بيك خان بالغ
خان (٢١٤) وملك نصرت جاليسرى (٢١٥) بنصرت خان ، وملك هزير الدين
بظفر خان ، وسنجر خسربوره أمير مجلسه باليخان ورفع رفاقه الذين لم
يكونوا أمراء الى درجة الامارة ، وزاد فى درجات ومقاطعات من كانوا
أمراء ، وأعطى أعوانه وأنصاره ذهبا كثيرا ، ليحدثوا الجيوش ، ويجمعوا
جيشا كبيرا ، ولما كان قد نزل فى صحراء سبرى فقد أقام معسكرا ،
وجاء أكابر وأصاغر المدينة اليه وهناؤه ، وقدموا الخطبة والسكة ولوازم
رسوم السلطنة ، ودخل ملك علاء الدين بكوكبة وأبهة الملك الى المدينة ،
وجلس على عرش السلطنة ، ولقب بالسلطان علاء الدين ، وجاء من هناك
الى قصر الياقوت (٢١٦) واتخذها دارا للسلطنة ، وأقام الحفلات فى
المدينة وعقد الأفراح ، ووزع الشراب فى الممالك ، وراج أمر اللعب واللهو
وأسرف السلطان علاء الدين فى اللهو والطرب بسبب غرور قوته وعنفوان
شبابه ، وجعل الناس مخلصين وتابعين له من كثرة الأنعام والاکرام ،
ونال كل واحد اللقب والعمل ، وقسم الولايات والمقاطعات ، ورفع
خواجه (٢١٧) خطير وكان يشتهر بذاته الطيبة وصفاته الحسنة ، بمنصب
الوزارة ولقب القاضى صدر الدين عارف الملقب بصدر جهان بلقب سيد
أجل وشيخ الاسلام وأعطاه قضاء الممالك ، وأقر منصب الخطابة لسيد أجل
القديم وكان أيضا خطيب وشيخ الاسلام وعهد بديوان الانشاء لعمدة

• (٢١٤) ألف خان « ١ » ص ٦٨

• (٢١٥) جليس « ١ » ص ٦٨

• (٢١٦) كوشك لعل

• (٢١٧) خواجه « ١ » ص ٦٨

الملك حميد الدين ، وخص ملك عز الدين ، وكان يتصف بالفضائل الصورية والاعنوية ، بقربة ، وجعل نصرت خان وكان نائبا للممالك كواتوالا للمدينة ، وعين ملك فخر الدين كوجي « دار وقمكي المدينة » (٢١٨) وصار ظفر خان عارضا للممالك ، ونال ملك ابا جي جلالى « باخريكي » (٢١٩) وملك هرن بار بنيابة باربكي (٢٢٠) وعين ملك علاء الدين عم ضيا برنى صاحب تاريخ فيروز شاهى على ولاية كره وأوده ، ونال ملك جونائى قديم نيابة وكيل البلاط ، ومؤيد الملك والد ضياء المذكور نيابة وسنيادة قصبه برن ، وسلم الأملاك والأوقاف لأهل الاستحقاق ، ونظم الادارات الأخرى من أجل معيشتهم ، وأنعم على جميع الحشم فى هذه السنة بمرتب ستة أشهر ، وظهر على الناس النعيم والرفاهية ، واختفى قبح مقتل السلطان جلال الدين عن الأنظار ، ومن قلوب الناس .

بعد ذلك تمكن السلطان علاء الدين من عرش دهلى ، بمقتضى هذا المضمون :

« رأس وارث الملك على الجسد ، وقميص الفتنة على جسد الملك »
 وفضل السلطان علاء الدين دفع أبناء السلطان جلال الدين الذين كانوا فى الملتان على جميع المهام وعين الغخان ، وظفر خان (٢٢١) مع أربعين ألف فارس على الملتان ، وتوجه الأمراء المذكورون وحاصروا الملتان ، وبعد شهرين طرد كوتوال المدينة وأعيانها أركليخان وأخوته ، وخرجوا من المدينة ، ورأوا الغخان وطغرخان ، واضطر أبناء السلطان بوساطة الشيخ ركن الدين قدس الله سره أن يطلبوا الأمان من الغ خان ، وقدم الغ خان شرائط التعظيم ، وأقام لهم خيمة قرب خيمته ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقراءوا هذه الرسالة فى دهلى على المنابر ، وعقد الأفراح ودقوا طبول النصر ، وغاد الغ خان مع أبناء السلطان جلال الدين وأمرائهم وملوكهم الى دهلى وأثناء الطريق وصل نصرت خان الذى كان قد عين من دهلى لمرافقة الغ خان ، وسمل عين أبناء السلطان جلال الدين وألغوا صهر السلطان جلال الدين وملك أحمد جب نائب امير حاجب ، واستولى على أموالهم وحشمتهم ، وحبس هذين الأميرين المظلومين فى هانسى (٢٢٢) واستشهد ولدا أركليخان ، وأحضر أحمد جب وحريم السلطان جلال الدين وأبنائه الى دهلى ، وحبسوهم .

(٢١٨) داروغكى : المسئول عن العسس وهو أيضا مختار القرية .

(٢١٩) تاجريكي « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢٠) يارسات تاريكى « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢١) مظفرخان « ١ » ص ٦٨ .

(٢٢٢) حالىس « ١ » ص ٦٩ .

وفى السنة الثانية للجلوس ، تقلد نصرت خان الوزارة ، وطلب ملك
علام الدين من كره مع الأمراء والخزانة التى كانت هناك ، وعينه كوتوالا
لدهلى وكانت بعهدة ملك الأمراء ، وشرع نصرت خان فى استرداد الأموال
التى قسمها السلطان علاء الدين فى أول جلوسه بسبب مصلحة الملك
على الأمراء الجلالية ، وأدخل مبالغ كثيرة فى الخزانة بهذه الوسيلة ،
وفى نفس هذه السنة عبر جيش المغول نهر السبند ، ودخل ولاية الهند ،
فأرسل السلطان علاء الدين ألغ خان طغرخان مع أمراء آخرين لدفعهم ،
والتقى الفريقان فى نواحى جارمخور ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على
جيش المغول ، وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا جماعة ، وعندما وصل خبر
الفتح الى دهلى دقوا الطبول وعقدوا الأفراح وأقاموا الحفلات ، وبعد ذلك
قبض على أمراء جلالى الذين كانوا قد التحقوا بالسلطان علاء الدين من
قبيل الخدر ونالوا الاقطاعات والأعمال ، وسملوا عيون البعض ، وحبسوا
البعض الآخر فى القلاع البعيدة ، واستولوا على أموالهم وأمتعتهم وفرقوا
أهاليهم ، ومن جملة أمراء جلالى الذين انقلبوا على أولاد السلطان ملك
قطب الدين علوى وملك نصير الدين شحنة ييل وملك أمير جمال أبو قدر
خان ، ولم يأخذوا شيئا من السلطان علاء الدين ، وظلوا فى مأمن ،
ولم يلحقهم أذى وأدخل نصرت خان الى الخزانة فى هذه السنة من
هذه الأسباب خمسمائة ألف (٢٢٣) .

وفى السنة الثالثة للجلوس السلطان ، أرسل ألغ خان ونصرت خان
بجيوش جرارة لمهاجمة الكجرات ، وانتهبوا نهرواله وجميع بلاد الكجرات ،
وفر رأى كرن حاكم نهرواله والتحق بوالى ديوكير بالدكن ، وسقطت
نساؤه وبنته « ديولرانى نام » مع الخزانة والأفيال وكل شيء فى يد
الجيش ، وحمل الصنم الذى اتخذه البراهمة معبودا لهم بدلا من سومنات
الذى حملة السلطان محمود (٢٢٤) الى دهلى ، وجعله تحت أقدام الناس ،
وتوجه نصرت خان الى كنباييت ، وأخذ من التجار الذين يقيمون هناك ولديهم
أموال كثيرة الأموال والجواهر والنفائس الكثيرة ، وجعل كافور هزاز
دينارى الذى تعلق به خاطر السلطان علاء الدين ، نائبا للملك ، وكان قد
أخذه ظلما من سيده ، وأرسلها الى السلطان ولما كان ألغ خان ونصرت
خان قد انتهبوا الكجرات ، فقد عادوا بغنائم كثيرة ، وأثناء العودة أخذ
خمس الغنائم وغير ذلك لرجال الجيش بالشدة والتعذيب وجمعا زيادة
عن المطلوب ، واتفق بعض الأمراء الذين يسمون « بالمسلمين »

(٢٢٣) يك كرور : خمسمائة ألف .

(٢٢٤) محمود الغزنوى .

الجدد » (٢٢٥) مع رجال آخرين تضرروا أيضا مما أخذ منهم ، واجتمعوا
 وهجموا على ملك عز الدين أخى نصرت خان وكان أمير حاجب (٢٢٦)
 الخ خان ، وقتلوه ، ودخلوا خيمة الخ خان ، وخرج الخ خان من الطرف
 الثانى ، ووصلوا الى خيمة نصرت خان ، وكان ابن أخت السلطان
 علاء الدين نائما فى الخيمة ، وقتلوه ظلما منهم أنه الخ خان ، وأسرع نصرت
 خان وجمع جمعه ، وقصد المتمردين ، وتفرقوا ، وتوجهوا الى الجوانب
 والأطراف ، وترك الخ خان ونصرت خان تتبع الغنائم ووصلا الى دهلى بما
 أحضراه من أموال وأقيال وسائر الأمتعة ، وقبض السلطان علاء الدين
 على أولاد وأتباع الأشخاص الذين سعوا فى هذه الفتنة ، وقتلهم ، وسلم
 نصرت خان ونساء الأشخاص الذين سعوا فى قتل أخيه انتقاما منهم الى
 الكناسين ، وأمر أن يضربوا الأطفال أمام النساء حتى يموتوا ، ولم
 يحدث من قبل فى دهلى أن عوقب أولاد أتباع أحد بذنبه .

فى هذه السنة جاء صارى نام مغول وأخوه واستوليا على
 سيوستان ، وعين ظفر خان بجيش جرار على سيوستان ، وحاصر ظفر
 خان سيوستان ، وتم الفتح فى مدة قصيرة ، وأسر صلدى وأخاه مع أولاد
 وأتباع المغول الآخرين الذين كانوا برفقتهم ، ووضع الأغلال فى رقابهم ،
 وأرسلهم الى دهلى ، وفى آخر هذه السنة جاء قتلغ خواجه بن داود مع
 عدة آلاف مغولى الى الهندوستان من ما وراء النهر ، وعبر نهر السند ،
 ولما كان قد عزم الاستيلاء على الملك واستولى على القرى ، والقصبات
 الواقعة فى الطريق ، ولم يضربها بأذى لأنه تخيل أنها ضمن أملاكه ،
 ونزل فى ظاهر دهلى ، وحاصرها ، ولما كان الناس فى القصبات والأقاليم
 قد دخلوا المدينة خشية المغول ، ووصل الأمر الى درجة أنه لم يبق فى
 المساجد والمجالات والحارات والسوق مكان للجالوس والوقوف وتضايق
 الناس من الزحام وسدت منافذ مجىء الغلال والشراب ، وارتفع سعر
 كل شئ واستدعى السلطان علاء الدين الأمراء والملوك من الأطراف وأعد
 الجيش ، وخرج من المدينة بكوكبة وأبهة السلطنة ونزل فى سرى ، وترك
 ملك علاء الملك كوتوال دهلى للمحافظة على المدينة والخزائن وحراسة
 الحرم ، ويروى أن بعض الأمراء عرضوا أنه لما كان أمر الحرب خطيرا
 . . . فانه ينبغى علاج الأمر بطائف الحيل ، وينبغى ألا تصل الى
 الحرب .

(٢٢٥) المغول الذين أسلموا فى عهد السلطان جلال الدين خلجى واستقروا فى
 مغولبور .
 (٢٢٦) مير حاجب .

« اذا كان الفيل قويا والأسد مصورا فاقترابي من الصلح افضل من الحرب » .

قال السلطان علاء الدين : لا ينبغي للسلطان أن يخشى الحرب :

« الشخص الذى يلبس تاج الملوك ، يضع رأسه بينكم » .

وليس التحصن لائقا بحال السلاطين واستعد للحرب ، ورفع لواء القتال ، واستعد قتلغ خواجه أيضا من ناحية الحرب وأيدى شجاعة وبطولة ، وهجم ظفر خان الذى كان على جيش اليمين ، وعلى جيش المغول ، فاثار الهرج وأوقع الهزيمة وأصاب المغول بالهزيمة وتعقب طغر خان المغول لمسافة ثمانى عشرة فرسخا ، ولم يرافق الخ خان وكان على جيش الميسرة ظفر خان بسبب العداة الذى يكنه لظفر خان ، وتركه وحيدا ، وفجأة رأى بعض أمراء المغول الذين كمنوا له فى الطريق لأنهم يعرفون أن طغر خان يتقدم وحيدا ، ولا يأتى فى عقبه أى جيش للمساعدة والتفوا حوله وحاصروه وأصابوا جواده فى رجله ، فترجل وقاتل بشجاعة ، وكلما أراد قتلغ خواجه أسره حيا لا يتيسر له ، وأخيرا أمر أن يمطروه بالسهم ، وقتلوه ، وقتلوا أيضا الأمراء الآخرين الذين كانوا ضمن جيشه ولم يتقدم قتلغ خواجه فى ذلك اليوم أكثر من ثلاثين فرسخا خوفا من قوة الهنود ، وعاد الى ولايته سريعا ، وصار ظفر خان لشجاعته وبطولته مثالا بينهم ، حتى أنه لو استغنى جواده عن الشراب قالوا ربما رأى ظفر خان ، واعتبر السلطان علاء الدين أن شهادة طغر خان فتح آخر لما كان يكنه له من غيرة لشجاعته ، وعاد من كيلي الى دهلي ، وأقام الأفراح والجفلات وانشغل باللهو والطرب .

ولما كانت السنة الثالثة للجلوس ، استقرت أكثر الأمور الملكية على قلب السلطان ، وعلى الرغم من كثرة حريمه لم يكن له أولاد ، ولم يبق هناك حياء (٢٢٧) فى الملك ، وتسلمت الى خاطر السلطان أمور غريبة ودواع عجيبة ، من جملتها : هي أنه لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أظهر الشريعة بقوة وشبوكتة ، وبلغت درجة التمام بإعانة رفاقه الأربعة ، فانه لولا أيضا قوة ومساعدة رفاقى الأربعة وهم الخ خان ونصرت خان وظفر خان ووالى خان (٢٢٨) سناحدث أحداثا دينية فى الشريعة ، تجعل اسمى على صفحة الزمان حتى يوم القيامة ، وكان دائما يقول هذا فى مجلس الشراب والخلوة مع الأمراء والملوك ، وكان يسأل

(٢٢٧) شرمكى (١) ص ٧١ ، شريكى « ك » ص ١٤٤ .

(٢٢٨) انف خان « ١ » ص ٧١ .

ما هو الأسلوب والطريق الذى ينبغى أن تخرعه ويكون له اعتبار ومكانة عند أهل العالم من بعدنا ، ثانيا : من الأفكار الباطلة التى كانت تجول بخاطره عند مشاهدة الأموال والخزائن والحشم وأمثال ذلك أنه ترك دهلى لأحد ثقاته وانشغل بنفسه مثل الاسكندر الرومى فى تسخير أقاليم الربع المسكون ، وأمر أن يدعى فى الخطبة الاسكندر الثانى ، وكتبوا على السكة أيضا مثل هذا ، وصدقته ندماء ورفاق مجلسه حديثه الواهى خوفا من طبعه الخشن ومزاجه القاسى ، وكانوا يثنون على علو همته وارتفاع مقداره ، وكان ملك علاء الدين كوتوال دهلى مخلصا يذهب فى غرة الشهر للسلام ، ويدخل فى مجلس الشراب ووصلت النوبة على الرسم المعتاد الى السلطان ، وصار نديم المجلس ، وطلب السلطان منه المشورة فى أمرين ، وقدم علاء الملك حديثا موزونا وحكايات مقبولة وأرضى خاطر السلطان بمقدمات عقلية ونقلية ، من أنه من الأولى ترك أحداث الشريعة ، ونتيجة هذه الرغبة هو خراب للملك والسلطنة .

« أنت عندى أفضل من الشخص الذى يقول فلان شوك فى طريقك »

قال : السلطان علاء الدين بعد فكر طويل وتأمل ما قلته كله صواب وموافق لنفسى ، وينبغى ألا يصدر منى بعد ذلك حديث فى هذه الناحية لكن ماذا تقول فى الأمر الثانى هل هو خطأ أم صواب ؟ قال ملك علاء الملك : ان الهدف الذى يسعى اليه السلطان لعلو همته قد سعى اليه حكام سابقون أيضا ، ويستطيع مولاي بقوته وشجاعته وقوة حشمه وخزائنه أن يستولى على أقاليم الربع المسكون (٢٩٩) ولكن طالما أن السلطان يخرج من دهلى ويدخل الممالك الغربية ، ويبقى مدة هناك ، وينيب من يشاء فى غيبته ، ويعود بعد ذلك الى دهلى أو إقليم آخر يريدده والشخص الذى يتركه نيابة عنه فليس معلوما أن تعود هذه الأقاليم منقادة وطائعة لهم ، ولا يمكن قياس هذا الزمان بزمان الاسكندر ، لأنه فى ذلك الزمان كان الخدر والمكر ونقض العهد أقل ، ولم ينقض الناس ذلك العهد الذى اتخذوه بسبب بعد المكان أو انقراض الزمان ، وكان للاسكندر وزير مثل أرسطاطاليس (٢٣٠) الذى كان يعتقد العوام والخواص لمملكة الروم بكل ما لديها من اتساع بعدم جدوى الحشم والخزائن فى الاستيلاء على الأقاليم الأخرى بالقياس مع قوة فكره ورأيه الصائب طوال مدة غيبته (الاسكندر)

(٢٢٩) الربع المسكون وهى الأرض كلها وبالأحرى اليابسة لأنها تعادل ٢٩٪ من الأرض أى ما يعادل ربع الأرض
(٢٣٠) أرسطاطاليس « ١ » ص ٧٢ .

لمدة اثنتين وثلاثين سنة لم يحدث قط فى ملك الروم بسبب تدبير هذا الحكيم ، واطاعة أهل الروم ، ولو اعتمد السلطان أيضا على أمرائه ورعاياه بمثل هذا القدر الذى اعتمد عليه الاسكندر ، فهذه العزيمة التى تجول بخاطره عين الصواب وخلافها مناف لطريق السداد ، قال السلطان لعلاء الملك بعد تأمل صادق : « اذا وجدت هذه المواقع التى قتلها لا أسعى فى فتح العالم ، وأقنع بملك دهلى ، فماذا أفعل بهذا الحشم والخزائن التى لدى ؟ وما فائدة هذا ، وليس اسم « فاتح العالم » هو فقط مطلبى ، فكيف أحقق هذا ؟ »

قبل ملك علاء الملك الأرض بين يديه ورد عليه قائلا : ان أمام السلطان بالفعل امرين مهمين فلو اهتم باعداد الحشم والخزائن يستطيع أن يقدم بهذا العمل ، أولها : تسخير بعض بلاد الهندوستان مثل رنتهبور وجتهور وجنديرى ومالوه والجانب الشرقى حتى نهر أوده وسرو وسوالمك حتى نهر عمان ، وطالما أن هذه الديار ملجأ للمتمردين وكهف للصيغ فالأفضل تسخيرها لتتطهر بلاد الهندوسان من جميع المفسد والخل ، والأمر المهم الثانى هو سد باب المغول فانه ينبغى تحصين واحكام القلاع التى تقع جهة دخول المغول (٢٣١) مثل ديالبور والملتان وسامانه ، وبعد أن يتم السلطان هذين الأمرين المهمين سيكون متيسرا للسلطان أن يرتاح خاطره فى دار الملك دهلى ، ويرسل الممالك المخلصين بالجيش القوية الى الأطراف والاكتاف ، حتى يتم الاستيلاء على الأقاليم البعيدة ، وبهذا يتحقق فى الآفاق اسم « فاتح العالم » وصيت « عالم ستانى خداوند جهان » ، والوقت الآن ميسر لأن يقلع السلطان عن الأفراط فى الشراب ، ويداوم على الصيد والاستغراق فى اللهو ، وبمجرد أن سمع السلطان علاء الدين الكلمات المذكورة ، أثنى على رايه الصائب وحسن تدبيره واستحسن قوله ، وأنعم عليه بلباس موشى بالذهب على شكل أسد وحزام قيم ، وعشرة آلاف تنكه ، وجوادين بسرّج ولجام مرصع ، وقريتين وسرّ الأمراء الآخرون الذين كانوا فى هذا المجلس من كلام ملك علاء الملك وأرسل كل واحد منهم عدة آلاف تنكه وجوادين الى علاء الملك ، واستحسنوا حسن رايه .

ولما كانت رنتهبور قرب دهلى ، وهميرديو حفيد بتهوره مسيطرا عليها سيطرة تامة ، ففضل السلطان علاء الدين تسخير رنتهبور (٢٣٢)

(٢٣١) وردت مثل ومغال ومغول .

(٢٣٢) رنتهبور « ١ » ص ٧٢ .

واستدعى ألغ خان حاكم سمانه ، وأرسله اليها وأرسل نصرت خان حاكم كره أيضا لمساعدته ، وذهب ، وأسر جهالين ، وحاصر قلعة رنثبور ، وسعى للسيطرة عليها ، وتصادف أن أصاب حجر من داخل القلعة نصرت خان وقتله ، وعند سماع هذا الخبر توجه السلطان علاء الدين الى رنثبور وعندما وصل تلهيت (٢٣٣) أقام هناك عدة أيام وكان يتجول يوميا في الصحراء ويصطاد « قمرغه » (٢٣٤) وذات يوم ذهب السلطان للصيد ، وعندما حل الفجر لم يستطع أن يلتحق بالمعسكر وظل بالخارج ، وفي اليوم التالي وقبل طلوع الشمس أمر أن ينشغل الناس بالقمرغة وصعد بنفسه مع عدة أشخاص على ربوة في زاوية ، وكلما تهيأ الصيد ، يصطاد وفجأة توجه اكتخان ابن أخى السلطان علاء الدين ، وكان وكيلا للبلاط مع عدة فرسان من المسلمين الجدد الذين كانوا مماليك في مقاطعته القديمة وقصد السلطان ، ولما كان السلطان في مرمى السهم ، نزل السلطان من الربوة الى أسفل ، واتخذ الربوة درعا ، وأصابه سهمان في ساعده ، وأراد اكتخان أن ينزل من فوق جواده ، ليفصل رأس السلطان عن جسده. فأسرع جماعة الخدم الذين كانوا حول السلطان ويبيعوه ، وقالوا ان أمر السلطان قد انتهى تماما ، واكتفى اكتخان بقوله (٢٣٥) وأسرع الى المعسكر ، ودخل خيمة السلطان راكبا ، وجلس على العرش ، ورفع صوته : « اننى قتلت السلطان ، وظن الناس ، أن ما يقوله صدق ، فجاء كل شخص الى مكانه ودرجته ووقفوا عنده ليهنئوه ويباعوه ، وصاح النقباء ، وقرأ المقرءون القرآن ، وأخذ المطربون فى الغناء ، وكان اكتخان شابا متهورا ، أراد أن يدخل فى ساعته الى الحرم ، وكان ملك دينار حرس يجلس مع جماعته مسلحا ومستعدا على باب الحرم ، فلم يدعه ، قال لن أدعك تمر فى الحرم ما دام رأس السلطان لم تظهر وعندما أفاق السلطان علاء الدين ضمد جراحه ، وأدرك أن اكتخان قد فعل ذلك بالاتفاق مع الأمراء وأراد أن يذهب الى ألغ خان فى جهالين مع الخمسين شخصا الذين بقوا معه ، واتفق معه على ما ينبغى عمله ، فمنع ملك حميد الدين نائب وكيل البلاط وابن عمدة الملك وكان من علماء (٢٣٦) هذا العصر : السلطان من الذهاب ، وقال : ينبغى أن.

(٢٣٣) بتلهيت « ١ » ص ٧٢ .

(٢٣٤) قمرغه طريقة مغولية فى الصيد ، تعتمد على الالتفاف حول منطقة الصيد ، وتضييق الدائرة بالتدريج على الحيوان ويتم الصيد داخل الدائرة .

(٢٣٥) بقول أو « ك » ص ١٤٨ .

(٢٣٦) دانايان « ك » ص ١٤٨ ، رايان « ١ » ص ٧٣ .

تذهب فى هذه الساعة الى خيمتك ، فأمره لم يستقم بعد ، ورجال الجيش عندما يرون المظلة السلطانية ، سيسرعون جميعا الى السلطان ، ويرافقوه. ولو جرى تأخير فى هذا المجال فانه سيصعب تدارك هذا ، وركب السلطان من ساعته ، وأسرع الى خيمته ، وكلما رآه فارس فى الطريق التحق به وعندما وصل الى المعسكر اجتمع حوله خمسمائة شخص ، وعندما اقترب من الجيش ، صعد على ربوة ، وأظهر نفسه ، فاضطرب مجلس اکتخان وأسرع كل واحد الى السلطان ، وركب اکتخان ، وفر من طريق افغانبور ، ونزل السلطان من فوق الربوة ، ودخل المعسكر ، وجلس على العرش ، وأعلن العفو العام ، وأرسل ملك عزيز الدين تغلقخان وملك نصير الدين نورخان لتعقب اکتخان ، ووصلا اليه فى افغانبور ، فقطعا رأسه ، وأحضروها الى السلطان ، وأظهروها للجيش :

« هراء أن تتكىء على تكية العظماء ، مالم تكن مهيا لأسباب العظمة ».

وقتل السلطان أخاه المسمى بقتلقخان مع جماعة من خاصته ، وحبس البعض ، وأرسلهم الى القلاع ، وتوجه من هناك الى رنتهبور ، وحاصر القلعة ، واهتم باعداد لوازم الحصار ، وشمر عن ساعد الهمة لتسخيرها .

فى تلك الأثناء وصل الخبر أن عمر خان ومنكوخان وكانا ولدى أخى. السلطان قد بغيا فى بداون فأرسل السلطان بعض الأمراء اليهما ، فذهب الأمراء ، وأسروهما ، وأحضروهما عند السلطان فسمّل عيني كليهما ، واستولى على أموالهما .

« اذا خرجت على ولى النعمة ، فان الفلك سيدور »

بعد ذلك انتهز حاجى مولا (٢٣٧) وهو شخص من خاصة خيالة ملك الأمراء كوتوال ، فرصة حصار رنتهبور ، واتفق مع بعض سىء الحظ على اثارة الفتنة فى دهلى ، ودبج فرمانا كاذبا ودخل من بوابة بداون الى المدينة ، وأخبر كوتوالها انه جاء بفرمان من السلطان بأن تخرج لأتحدث معك عنه وعندما خرج قمرمدى كوتوال من المنزل أشار حاجى مولا لهذه الفئة الباغية التى معه ؛ ليقتلوه فى الحال ، وأظهر للناس اننى جئت بفرمان لقتله ، وأمر حراس الأبواب ليغلقوا ابواب المدينة ، وأرسل شخصا الى علاء الدين اياز كوتوال القلعة الجديدة (٢٣٨) ، من أنه جاء

(٢٣٧) جامى مولا « ١ » ، ص ٧٤ .

(٢٣٨) حصار نو .

يفرمان السلطان وأن يأتى من ساعته ويقرأ مضمونه ، وكان علاء الدين اياز مدركا غدره ، فجمع جماعته ، وأحكم أبواب القلعة ، وجاء حاجى مولا بهذه الجماعة الى قصر الياقوت ، وأطلق سراح المسجونين ، وجعلهم برفقته ، وقسم الجياد والأسلحة والخزانة التى كانت هناك على هذه الجماعة التى دخلت معه وأحضر بالقوة علوى ؛ الذى يسمونه شاه نيسه محتسب » ، وهو يتصل بالسلطان شمس الدين من ناحية الأم ، وأجلسه على العرش فى قصر الياقوت ، واستدعى الأكابر والصدور بالقوة وكلفهم بأن يبايعوه ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان لم يذعه ، وسعى أكثر للاستيلاء على القلعة ، ولم يترك مكانه ، ولم يكده يمر أسبوع على هذا حتى فتح ملك حميد الدين أميركو مع أولاده المشهورين بالشجاعة بوابة بداون ، ورافقه جماعة من فرسان طفرخان الذين كانوا قد جاءوا من أمروهم بالصدفة ، ووقعت المعركة بينهم وبين حاجى مولا بالقرب من بوابة هندركال (٢٣٩) ونزل أميركو عن الجواد ، وتعلق بحاجى مولا ، وأوقعه تحته ، وعلى الرغم من وجود طعنات وصلت اليه لم يدع المدعى الا مقتولا ، وبعد ذلك دخلوا قصر الياقوت وقتلوا علوى هذا الذى كان قد أجلسه حاجى مولا على العرش ، ووضعوا رأسه على حربة ، وداروا به فى المدينة ، وأرسلوا هذه الرأس مع رسالة فتح الى السلطان ، وأرسل السلطان على الدين ألغ خان الى دهلى ليقول أهل الفتنة ، وقتل أيضا ملك الأمراء الكوتوال القديم لأن حاجى مولا كان من خاصة خيالته على الرغم من أنه لم يكن له دخل فى الفتنة ، وصادر أمواله .

بعد ذلك استولى السلطان علاء الدين بمشقة بالغة على قلعة رنتهبور ، وقتل راي همير ديو وأهله وقبيلته ، ويقال أن مير محمد شه وجماعته الباغية ؛ الذين فروا من جالور ولجأوا الى قلعة رنتهبور ؛ قد قتل أكثرهم فى فتح القلعة ، وكان مير محمد شه جريحا ، وعندما وقع نظر السلطان عليه ، فاشفق عليه وقال لو عالجتك ونجيتك من هذا الهلاك ، كيف سيكون سلوكك بعد ذلك ؟ فأجابه : « اذا استردت صحتى ، سأقتلك ، وأرفع ابن همير ديو على السلطنة » :

« لا تكن وقيا مع هذا الشخص الخسيس ، فان الأصل السىء لا يخطو الا فى الخطأ » .

فأمر السلطان أن يضعوه تحت أقدام فيل « مست » وبعد فترة

تذكر وفاءه لولى نعمته ، فأسر بتكفينه ودفنه ، المهم أقطع السلطان علاء الدين قلعة رنقهور ونواحيها لألغ خان ، وتوجه الى دهلى ، وبعد ذلك مرض ألغ خان ، وتوفى فى الطريق .

وبسبب كثرة الحوادث والفتن التى وقعت فى تلك الأيام من أمراء كبار يتصفون بالتجربة والعلم سأل السلطان علاء الدين عن السبب الذى يحدث هذه الفتنة المتوالية والحوادث المتعاقبة ، وكيف يمكن تداركها ؟ قال الأمراء : السبب لا يمكن أن يخرج عن أربعة أشياء أولها : جهل السلطان بخير وشر أحوال الناس ، ثانيها : تناول الشراب لأن الناس عندما يشربون ، تتحرك فيهم الطباع السيئة ، وتولد الفتن ، ثالثها : صداقة وقربة واتفاق الأمراء مع بعضهم البعض ، رابعا : الذهب لأنه عندما يقع فى يد الأراذل والمتهورين ، يسلك التفكير الفاسد ، والخيال الباطل الى عقولهم ، واستصوب السلطان علاء الدين رأى الأمراء ، وضم كل قرية كانت بمثابة وقف أو انعام أو ملك شخص الى الخالصة (٢٤٠) وكل شخص كان لديه ذهب استولى عليه بكل ذريعة يعرفها ويقدر عليها ، وأدخله الخزانة ، واضطر الناس الى السعى لتحصيل رزقهم ، ولم يرد اسم الفتنة والفساد على لسانهم ، وعين فى كل مكان وحارة ومنزل الجواسيس وبألغ فى هذه الناحية الى درجة أنه لم يكن ميسرا للأمراء وأرباب الدولة الاختلاط ببعضهم أو الذهاب الى منازلهم ، وأمر بجميع أدوات المجلس السلطاني الخاصة والتى كانت تتكلف كثيرا بأن يحطموها أمام بوابة بداون ، ويصبون الشراب ، ليعلم الناس بمنع الشراب ، ونادى المنادى فى المدينة وأرسل أحكاما وفرامانات فى مجال منع الشراب الى الأطراف ، ولما كانت جماعة الفجرة والفساق (٢٤١) قد اعتادوا شرب الخمر ولم يستطيعوا أن يكفوا عنه ، وكانوا يتناولون الشراب بكل حيلة وتدبير فكان يتخفى البعض فى منازلهم ، وعندما أطلع السلطان على هذه الخصوصيات ، أمر أن يحفروا بئرا قرب بوابة بداون تحت ممر الناس ، لكى يسجن هؤلاء القوم فيه ، وظل أكثرهم فى الحبس حتى مات ، والبعض الذين بقوا أحياء ظلوا يعالجونهم ويدأوهم فترة ، وبعد ذلك قضى تماما على عادة شرب الخمر بين الناس ، واستقام هذا الأمر ، وسمح السلطان بالآ يؤخذ أى من الأعيان الذى يشرب فى منزله وحده ولا يعمل مجلسا ، وأعطى أمرا بالآ يضيف أو يضاف الأمراء وسائر الأعيان بعضهما البعض فى منازلهم ، والآ يعقدوا العقود بدون إذن السلطان ،

(٢٤٠) خالصة : هى أرض تابعة للسلطان .

(٢٤١) لوند وبى قيد « ١ » ص ٧٤ .

وبالغ في هذا المجال لدرجة أن قضى على أسلوب الاختلاط بين الناس ،
وسلك الأمراء فيما بينهم سلوكا غريبا .

بعد استحكام القواعد السابقة ، أراد أن يقر عدة قواعد أيضا
في البلاد ، لكي يسوى ما بين الرعايا القوي والضعيف ، ويقلل من تسلط
المقدم والجودهري (٢٤٢) على الرعية ، وأمر أن يسترد نصف المحصول
بلا تأخير طبقا للمساحة ، ويساوى بين المقدم وجودهري وسائر الرعايا
ولا يلقي حمل الأقوياء على الضعفاء ، وأن يدخل في الخزانة كل ما سبق
تحصيله ، ووزع المراعى أيضا بحساب البقرة والجاموس والخراف ،
وتشدد في أمر العمال وأهل القلم بكل ما لديه من شدة ، لدرجة أنه
لم يتيسر لأحدهما الاستيلاء على جيتل خيانة ، وإذا استولى على شيء
من الدخل تخرج ورقة « بتوارى » (٢٤٣) باسمه وما فعله ، فيسترد
منه في ساعته بالمشدة والاهانة وكان الأهالي يعتبرون أن ترك أمر العمل
والكتابة عيب ، وكان عمل المقدمين والجود هريين يستلزم أن يدوروا دائما
راكبين ، ومرتدين للأسلحة والملابس النفيسة ، ووصل الأمر لدرجة أن
نساءهم عملوا في منازل الأهالي ، وكانوا يصرفون ما يأخذونه من أجر
في قوتهم ، وكان السلطان علاء الدين يقول أحيانا إن أحكام وضوابط
السلطنة تتعلق بالملوك ، ولا دخل لها في الشريعة ، وفض الخصومات ،
وفصل القضايا وطرق العبادات أمر يخص القضاء والعلماء ، ولهذا كان
كل ما يتصوره في ذهنه أنه اصلاح للملك يفعله ، ولا ينظر عما إذا كان
مشروعا أو غير مشروع ، وأبعد من العلماء عن مائتته القاضي ضياء الدين
بيانه ومولانا ظهير لذك ومولانا مشيد كهرامى (٢٤٤) مع الأمراء
ما عدا القاضي مغيث الدين بيانه الذى اتخذ مكانه في مجلس السلطان
الخاص ، وذات يوم قال له السلطان : أريد أن أسألك عدة مسائل ،
فأجابه القاضي : مغيث الدين ، غالبا اقترب أجلى حتى لو عرضت ما هو
في كتب الشريعة ربما لا يوافق رأى السلطان ! ، قال السلطان : قل ما تراه
حقا فلن تؤاخذ عليه ، وسأل أولا : هل يمكن القول أن أى هندوسى ذمى
وعليه دفع الخراج في شريعتنا ؟ فأجابه القاضي : طالما أن محصل السلطان
يأخذ منه المال والخراج ويدفعها بتواضع دون مضايقة ، وأما إذا صدر

(٢٤٢) مقدم رئيس القرية وهو عادة مسلم ويعاونه « جودهري » (ماجمدار :
تاريخ الهند ص ٥٥٨) .

(٢٤٣) بتوارى : المحاسب (شتمرى : نظرة على الثقافة الاسلامية في الهند ج ١
ص ١٠٢) .

(٢٤٤) مسند كرامى « ١ » ص ٧٦ .

منه اهانة للمحصل مما يسبب له النفور والمضايقة فانه يكون قد دخل في شأن الكفار « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤٥) وفي مجالهم يأمر علماء الدين اما القتال أو الاسلام ، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ناطق أيضا بهذا ، الا أن الامام الأعظم أبو حنيفة (٢٤٦) رحمة الله عليه يعتبر أخذ الجزية في محل قتلهم ، ونهى عن اوراق (٢٤٧) دمائهم ولكنه طلب أن تأخذ الجزية والخراج منهم بشدة ، لأنها تحل محل القتل ، فضحك السلطان وقال : ما قلته هو أمر الكتاب ، واننى أعتقد في اجتهادك ، وموافق على أن نسلك هذا السلوك مع الهندوس ، وعاد فسأل : العمال (٢٤٨) يأخذون الرشوة ، ويجمعون كثيرا ، هل يمكن اعتبار هذا قسما من اللصوصية ، ويكون عليهم عقاب السرقة (٢٤٩) وأجاب القاضي : اذا كان يصل الى العمال من بيت المال ما يكفيهم فان ما يستولون عليه زيادة عن ذلك هو رشوة ، وينبغى أن يسترد منهم بكل شدة وتعذيب يكون ميسرا ، أما قطع اليد الخاص بسرقة المال الحلال لا يمكن تنفيذه فيهم ، قال السلطان أعلم أنه منذ أن اهتممت بهذا المجال وكل شخص استولى على شيء من قبيل الخيانة ، أعاده خوفا من الشدة والقسوة التى يمكن أن تحدث له ، وأغلق باب الخيانة والسرقة ، وقصرت يد سيطرة الطماعين ، وسأل السلطان ثانية : هذا المال الذى كنت قد أحضرته من ديوكير أيام الملك (٢٥٠) هل لى أم لبيت المال ؟ قال القاضي : طالما أن السلطان استولى على هذا المال بسعى قوة الجيش فمن ثم فان جميع رجال الجيش شركاء وهذا المال لبيت المال وليس خاصا بالسلطان ، فغضب السلطان وقال : المال الذى استوليت عليه بمشقة تامة أيام ملكى ولم أدخله خزانة السلطان فى ذلك الوقت ، كيف يمكن اعتبار هذا المال لبيت المال ؟ أجابه القاضي : المال الذى استولى عليه السلطان وحده ، وليس من كسب وتحصيل واعانة الحشم ، فهذا يكون مالا خاصا للسلطان ، أما المال الذى أحضره السلطان من ديوكير ليس من هذا القبيل ، بعد ذلك أقام القاضي معتذرا ، اننى مملوك للسلطان وأعرض ما يخالف كتب الشريعة ، فهل بدا للسلطان كذبنى فى موضع ما مما يسبب زيادة فى غضب

• (٢٤٥) النوية ٢٩

• (٢٤٦) امام أعظم حنفى

• (٢٤٧) احراق « ١ » ص ٧٦

• (٢٤٨) الولاة والموظفون

• (٢٤٩) ورد فى « ١ » اننى أعتقد فى اجتهادك وموافق على أن أسلكه مع الهندوس ،

ص ٧٦

• (٢٥٠) يقصد أيام كان « ملكا » قبل أن يرتقى العرش

السلطان ؟ وكيف يكون قدرى عند السلطان اذا وصمنى بالخيانة ؟ فسال السلطان ثانية ، ما حقى وحق تابعى فى بيت المال ، فاستاء القاضى وقال : ان أردت ما يوافق الشريعة فلن يتوانى السلطان فى قتلى ، واذا نافقت وداهنت فاننى سأصبح أسيرا لوبال الأبد ، قال السلطان قل ما هو حق ولن تؤاخذ عليه ، قال القاضى : اذا حكم السلطان بالتقوى ، وسلك طريق الخلقاء الراشدين رضوان الله عليهم ، ويدع أحد تابعيه بالسيطرة اذا رعى التوسط ، ولا يعط أحد الأمراء المشاهير زيادة أكثر من الآخرين من بيت المال ، واذا حكم بمقتضى موافقة علماء الدين الذين يتمسكون فى هذا الوقت بروايات ضعيفة ، ويتحدثون بلسان طيب مع السلاطين ، فينبغى أن يحصل الأمراء الآخرون نفقة تعادلهم ، ولا يجوز التصرف فى بيت المال أكثر من هذا على أى جهة قط ، أقال السلطان غاضبا ، هل تقول ان هذا المال الذى أنعم به على حريمى وأنفق منه على المصانع وجميع المجالات غير مشروع ؟ قال القاضى : طالما سألنى السلطان عن مسألة الشرع فمن الواجب أن أعرض ما يوافق كتب الشريعة ، ولو استفسرت عن المصلحة الملكية فسوف أجيب على ما يريده السلطان وكل ما هو صواب ومطابق لقواعد وقوانين الحكم ، بل ان كل ما يزيد من شوكة وعظمة السلطان ، وهذا الأمر متضمن لأقسام الفوائد الملكية ، قال السلطان بعد ذلك اننى لم أعرض الجواد الذى استردته منذ ثلاث سنوات ، وأعمل السيف فى أهل البغى والفتنة مع أولادهم واتباعهم ، وأدخل أموالهم مهما كانت فى الخزانة ، وأصادر أملاكهم ، وأخترع عقوبات أخرى لمعاقبة اللصوص ومدمنى الخمر وأهل الزنا ، فهل تقول ان هذا كله غير مشروع ؟ فقام القاضى من المجلس ، وابتعد ووضع رأسه على الأرض ، وقال كلها غير مشروعة ، فنهض السلطان غاضبا ، ودخل الحرم :

« عندما تقدم الحديث الصدق ، فناصر قولك هو الله »

وفى اليوم التالى طلب القاضى مغيث الدين (٢٥١) ولطفه كثيرا ، وأنعم عليه بحلة وألف تنكه وقال أنا مسلم لكن كل هذه الشدة والعنف اللذين يظهران منى من أجل صلاح الملك ولا أعلم ماذا سيحدث لى غدا يوم القيامة ؟ .

بعد فترة قاد الجيش الى جتور ، وفتحها فى مدة قصيرة ، وعاد الى دهلى ، ولما كان الخبر قد وصل الى ما وراء النهر من أن السلطان علاء الدين يحاصر قلعة بعيدة ، وسيظل فترة هناك وتوجه طرغى مغول

السابق ذكره بجيش جرار لنهب الهندوستان ، ونزل على شاطئ نهر جون قرب دهلى ، وكان السلطان قد انتهى من فتح جتور منذ شهر وجاء الى دهلى ، ولما كان خلاصة السلطان قد ذهب لتسخير ارنكل (٢٥٢) اقصى الدكن وكان اكثر الامراء الكبار قد توجهوا الى مقاطعاتهم بعد فتح رنتهبور ، وكان الجيش الذى فى ركاب السلطان قد صار بلا أمتعة بسبب المطر وطول السفر ، وخرج السلطان من دهلى بسبب اضطراب الجماعة التى معه ، ونزل فى سرى ، وتحصن الجيش بالخندق والأشواك وسائر أدوات المحافظة وانتظر بعض الامراء الذين استدعاهم من الأطراف ، ولما كان المغول قد نزلوا فى نواحي دهلى ، واستولى على الأطراف المجاورة لهم ، لم يستطع الامراء الوصول الى السلطان ، وتوقف بعضهم فى كول والبعض فى برن ، وعندما مر شهران على هذا ، عاد طرفى بدون سبب واضح ، وظن أهالى دهلى أن هذا بسبب عناية الشيخ نظام الدين قدس سره الذى يعددون كراماته ويقال أن الخوف الذى سيطر على طرفى جعله يضطرب ويعود .

وبعد ذلك اتخذ « سرى » دارا للملك ، وبنى عمارة عالية ، وعمر قلعة دهلى ، وجدد القلاع التى يدخل فيها المغول ، وأراد أن يرعى الجيش الكافى بقدر ما يستطيع حكم ممالك الهندوستان وما فى عهدة المغول ، ولم تكن الخزانة التى لديه تفى بهذا القدر من الجيش ، واستشار الوزراء أصحاب الفكر والامراء المجريين فى هذا المال : قالوا : لو أن الجياد والأسلحة وسائر آلات الجيش تكون موقوفة على الحشم ، والغلة وسائر ما يحتاج اليه يكون للعمامة الحق فى تدبيرها وبذلك يتيسر تحقيق رغبة السلطان ويحقق الجيش بأقل ما لديه عهدة مؤنقه بسبب غلاء الأشياء . وبعد ذلك أقر السلطان بالاتفاق مع الوزراء علماء عصره عدة ضوابط فى هذا المجال لكى يتحقق بهذه الضوابط جميعا أسباب المعيشة ، الضابطة الأولى : هى أن أمر السلطان هو الذى يحدد سعر الغلة ، ولا دخل لأهل السوق فى تحديد سعر الغلة ، وما تقرر فى هذا المجال كان ، القمح : المن (٢٥٣) سبعة ونصف جيتل (٢٥٤) : الشعير : المن أربعة جيتل ، العدس المن : خمسة جيتل ، الماس (٢٥٥) المن خمسة جيتل ، الشالى (٢٥٦) ،

• ارنكل (٢٥٢)

• نوع من المكاييل (٢٥٣)

• نوع من العملة (٢٥٤)

• حبوب تشبه العدس (٢٥٥)

• أرز غير مقشور (٢٥٦)

المن خمسة جيتل ، الموت (٢٥٧) المن ثلاثة جيتل ، واستقامت هذه الأسعار حتى آخر أيام السلطان علاء الدين ، ولم يحدث تراخ بسبب امسك المطر وسائر أسباب القحط في هذا المجال ، الضابطة الثانية ، هي أنه جعل ملك قبول الخ خان وكان رجلا عادلا وصاحب شوكة شحنة بازار غله « (٢٥٨) ويسمى بلغة الهند ، مندوى ، ينفذ السعر الذى أقره السلطان ، ويجعله موافقا للبيع والشراء ، الضابطة الثالثة هي أنه أمر أن يجمعوا من « خالصات سلطاني » (٢٥٩) ما هو حصة السلطان غلة ، ويخزنوه في القصبات حتى اذا حدث عجز في غلة السوق يبيعون غلال السلطان بالسعر الذى يحدده ، الضابطة الرابعة : هي أنه أمر ملك قبول أن يطلب الغلال من أطراف الممالك ، ويجعلها على شاطئ نهر جون حتى تصل الغلال من الأطراف ، ويبيعونها في سوق دهلى بالسعر السلطاني وأخذ منهم تعهدا في هذا المجال ، الضابطة الخامسة ، كانت منع الاحتكار ادرجة أنه لو ظهر أن أحدا احتكر الجنود أو الرعية فانهم كانوا يدخلون هذه الغلة ضمن غلال السلطان ، ويصادرون هذا الشخص ، الضابطة السادسة ، أمر الرعايا أن يبيعوا الغلال التى يزرعونها ولا يحملون حبة واحدة الى منازلهم ، وأصدر أمرا للعمال (٢٦٠) أيضا أن يحصلوا من الرعية النوع الذى يزرعونه ، ويدفعون ثمن ما يبيعونه ، ولا يحملون غير حصتهم الى المنزل ، ولا يبدون احتكارا . الضابطة السابعة هي أن يعرض على السلطان يوميا خبر سعر الغلة وسائر معاملات مندوى (٢٦١) بالتفصيل ، ولو حدث تقصير قليل في هذه الضابطة التى تم اقرارها فان المتصدين كانوا يعاقبون المندوى وعماله ، وكان يأمر في أيام امسك الأمطار أن يشتري كل شخص حسب عدد جماعته الغلة من المندوى ، ولا يسمح لأى شخص ابتياح أكثر من قدر الضرورة اليومية ، وعين الموكلين بهذا الأمر ، وأمر بالتشديد ، وكان العيون يعرضون على السلطان خفية خصوصيات هذه الأمور وكان يتنازلون عن نصف جيتل في السعر السلطاني للشخص غير القادر .

ومن أجل خفض سعر القماش وضع عدة ضوابط أيضا ، أولها : أنه أقام قرب بوابة بداون قصرا واسعا ، أسماه قصر العدل (٢٦٢) وأمر

(٢٥٧) نوع من الحبوب .

(٢٥٨) المستول عن السوق : محافظ ، مختار .

(٢٥٩) الأرض الخالصة للسلطان .

(٢٦٠) جامع الضرائب .

(٢٦١) رئيس السوق ، وهي كلمة هندية .

(٢٦٢) سراى عدل .

أن يحضروا فى هذا القصر كل الأقمشة التى ترد من الأطراف والنواحي ،
ويبيعونها ، ولا يبيعون فى السوق أو فى منزل أى شخص ، وأمر أن يبيع
الناس ويشترى فى قصر العدل من الفجر وحتى صلاة الظهر (٢٦٣) وإذا
علم أن شخصا من التجار قد أغلق دكانه قبل صلاة الظهر أو فتحه قبل
صلاة الفجر ، كان يعاقب هذا الشخص ، والضابطة الثانية هى أنه سعر
الأقمشة التى سبق تحديدها من قبل العرش تصبح موافقة لهذا البيع
والشراء على النحو التالى : الحرير الدهلوى (٢٦٤) ست عشرة تنكه ،
خزكونله (٢٦٥) ست تنكات ، وبرد الشعر (٢٦٦) ثلاث تنكات ، والبرد
المقلم بالياقوت ثمانى جيتل ، وبرد كمينه بست وثلاثين جيتل ، أستر لعل
ذاكورى ، باربع وعشرين جيتل ، شرين بافت ياريك (٢٦٧) بخمس تنكات ،
وشيرين يافت ميانه ثلاث تنكات ، سلامى أعلا (٢٦٨) بأربع تنكات ،
وسلامى ميانه ثلاث تنكات وسلامى كمينه (٢٦٩) تنكتان كرباس
باريك (٢٧٠) عشرون ذراعا بتنكة واحدة ، كرباس كوره كمينه :
كميته : أربعون ذراعا بتنكة واحدة وجادر بعشرة جيتل ، والضابطة الثالثة
هى : أنه أصدر فرمانا أن يسجل أسماء المدينة وأطراف الممالك فى سجل ،
وأمر أن يحضروا الأقمشة على النظام السابق الى المدينة ويبيعونها
بالسعر السلطانى فى قصر العدل ، وكل من يهمل فى هذا الأمر ، يجرم ،
والضابطة الرابعة هى أنه أمر أن يعطوا أموالا من الخزانة لتجار المدينة
لكى يحضروا الأقمشة من الأطراف ، ويبيعونها بالسعر السلطانى فى
قصر العدل ، والضابطة الخامسة هى : أن كل أمير من الأمراء المعروفين
يحتاج لأقمشة نفيسة ، ويحصل على ترخيص من رئيس السوق ، وكانت
هذه القاعدة توجب ألا يشتري تجار الأطراف الأقمشة النفيسة من قصر
العدل بالسعر السلطانى ويبيعونها فى أماكن أخرى بسعر مرتفع .

ومن أجل خفض سعر الجياد ، وضع أيضا أربعة قواعد ، أولها :
تحديد جنسها وقيمتها مثلا الجنس الأول مائة تنكه ، والجنس الثانى من
ثمانين الى تسعين تنكه ، والجنس الثالث من خمسة وستين تنكه الى
سبعين تنكه ، الضابطة الثانية هى أنه أمر ألا يشتري الجياد تجارها

(٢٦٣) نماز بشين « ك » ص ٦٠

(٢٦٤) خو دهلى « ا » ص ٧٩

(٢٦٥) خر كويله « ا » ص ٧٩

(٢٦٦) سرى باف ياريك « ا » ص ٧٩

(٢٦٧) لودسرى « ا » ص ٧٩

(٢٦٨) سلاى أعلا « ا » ص ٧٩

(٢٦٩) سلاى كهنة « ا » ص ٧٩

(٢٧٠) كرباسى ياريك « ا » ص ٧٩

وأصحاب الأموال فى المدينة من السوق ، لأنه كان من عادة أصحاب الأموال خفض سعر الشراء ورفع سعر البيع ، وطردهم من المدينة ، وأجلهم ، وفرقهم ، والضابطة الثالثة ، ترغيب وترهيب دلالى الخيول فلو ظهر أن باعوا فى السوق جوادا خلاف سعر السلطان ، كان يعاقب جميع دلالى المدينة والضابطة الرابعة هى أنه كان يفحص كل شهر أجناس الجياد وقيمتها وتتبع أحوال الدلالين ، فلو ظهر أقل تفاوت فى الضوابط السلطانية كان الدلالون يصابون بالأذى ، وروعت هذه الضوابط الأربعة التى ذكرت حول الجياد فى مجال البغال والحمير ، وكل ما كان يقع فى الأسواق ، يكتب ويعرضوه على السلطان يوميا فى صحيفة .

كان الجواسيس أيضا موكلين بمراقبة أحوال السوق ، فإذا ظهر أن القائمين بمراقبة السوق قد عرضوا شيئا مختلفا على السلطان ، فإنهم كانوا يعاقبون ، وكان كل شيء يحتاجه السوق للمعاملات يحضره السلطان ويفحصه ، ويحدد سعره ، وكان لا يعاين الأشياء التافهة (٢٧١) مثل الأبرة والمشط والحذاء والقلعة ووعاء الشرب ، وكان يحدد بنفسه أسعار النفائس والأشياء البسيطة ، يكتب تذكرتها ، ويعطيها للقائمين بمراقبة السوق ، وكان اهتمام ورعاية السلطان فى مراقبة التجار وفحص أسعار الأشياء يصل الى درجة أنه فى بعض الأحيان كان يعطى الأطفال الذين لا دخل لهم فى البيع والشراء ، نقودا ، ويرسلهم الى السوق ليشتروا الأشياء التى يرغبها الأطفال ، ويحضرونها عند السلطان ، وبعد ذلك إذا ظهر أن هناك تفاوتا فى السعر أو الوزن ، يعاقب البائع ، وأقل عقاب كان يقع هو قطع الأذن أو الأنف .

بعد ذلك انخفضت أسعار أمتعة الحياة وأدوات الجيش ، وظهر ارتياح فى الحشم الى درجة أنه سد أبواب دخول المغول وتناولهم ، وكان إذا توجه المغول أحيانا الى دهلى يؤسرون جميعا ، ويقتلون ، الى درجة أنه ذات يوم استولى على بيك حفيد جنكيزخان وترتاك (٢٧٢) مع أربعين ألف فارس على دامن كوه سواك وحتى ولاية امرهه ، أرسل السلطان علاء الدين ملك نايك (٢٧٣) آخر بيك بجيش جرار ، ووصل الى جيش المغول على حدود امرهه وقاتلهم وجعل أكثرهم علفا للسياق وأسر على بيك وترتاك أحياء ، وقيدهم من رقابهم وجاء الى السلطان بعشرين ألف

(٢٧١) مختبرا ١ ، ص ٨٠ ، د ك ، ص ١٦١ .

(٢٧٢) على بيك نبيره جنكيزخان وبرماك ١ ، ص ٨٠ ، على بيك نبسه جنكيزخان

وترتاك ١ ، ص ١٦٢ .

(٢٧٣) بابك ١ ، ص ٨٠ .

جواد والغنائم التى استولى عليها ، فى ذلك اليوم خرج السلطان من المدينة ، وأعلن العفو العام فى جبوتره سيحانى ، واستعرض الجيش من هناك حتى اندربته ، فى ذلك الوقت أحضروا على وترتاك بيك مع الأسرى الآخرين عند السلطان ، فألقى أكثرهم تحت أقدام الفيل وقتلهم :

« الشخص الذى يسوء فعله فى الدنيا ، فقد فتح على نفسه طريق السوء » .

ومرة أخرى ، دخل كبيك نام (٢٧٤) مغولى بجيش جرار قصبة كهكر ، وتقاتل مع جيش دهلى ، وقتل أكثر المغول ، وأقاموا من رؤوسهم منارة قرب بوابة بداون ، وبعد فترة دخل جيش المغول مرة أخرى وكان قرابة ثلاثين ألف فارس أرض سواك ، وانطلقوا فى النهب ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، أرسل جيشا عظيما لمحاربتهم ، فاستولى الجيش على شاطئ نهر راوى طريق عودتهم ، وعندما وصل جيش المغول محملا بالغنائم الكثيرة الى شاطئ النهر ، وتقدم جيش دهلى للقتال ، وقاتل ببسالة ، وحقق النصر والظفر ، وأسروا جمعا كبيرا من المغول ، وحبسوهم فى قلعة تربنه (٢٧٥) التى كانت فى هذه النواحي ، وأحضروا أولادهم وأتباعهم الى المدينة ، وباعوهم فى سوق دهلى ، وبعد ذلك صدر فرمان لملك خاص حاجب (٢٧٦) بأن يذهب الى قلعة تربنه ، ويقتل المحبوسين ، وبعد مرور فترة على ذلك دخل اقبال منده (٢٧٧) نامى من المغول بجيش جرار الهندوستان ، وقاتل أمير على واهن وجيش دهلى فى دهنده وقتل فى هذه الحرب وأحضروا المغول الآخرين أحياء الى دهلى ، فسحقوهم تحت أقدام الأفيال وبعد ذلك استولى الخوف والفرع على خاطر المغول فمحا من قلوبهم رغبة الاستيلاء على الهندوستان ، واستراحت الهندوستان من مضايقتهم حتى آخر أيام السلطان قطب الدين مباركشاه ، وكان سلطان تغلقشاه المسمى فى تلك الأيام بغازى ملك ويحكم اقطاع ديالبور ولاهور ، يذهب سنويا الى حدود بلاد المغول ، وينتهب هذه النواحي ، ولم يكن المغول أقوياء لمواجهة أو قادرين على الحفاظ على حدودهم .

وبعد ذلك انتهت متاعب المغول تماما على الأطراف ، ودخلت بلاد الهندوستان التى كانت ملاذا وملجأ للمفسدين والمتمردين فى حيز الضبط ،

• (٢٧٤) كبك نام « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٥) ترانيه « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٦) ملك خواص حاجب « ١ » ص ٨٠ .

• (٢٧٧) اقبال مندو « ١ » ص ٨٠ .

وتم تأمين طرق زهاب وايباب التجار والسائحين ، ونال جميع الحشيم
أيضا ما يوسع عليهم ، واستراح خاطر السلطان علاء الدين من عرش
دهلى ، وشرع فى تسخير البلاد البعيدة وكان يسخر كل ناحية يسعى
اليها دون مشقة وصعوبة .

« طالما يقبل عليك عون الغيث ، فان كل غرض تتمناه يتحقق »

« ولم يكد يكون رغبة بالصدر ، حتى يتحقق وتأتى الأموال »

« واذا تخول مراده الى المشرق ، فان المطر والرياح تأتى من المغرب »

ان تحقيق المطالب والمآرب ووقوع أمور غريبة جاءت بسعى وجهد
السلطان علاء الدين ، أسماها الناس كرامة ، ونسبوا لأرائه وأقواله
الكشف والالهام ، والبعض أسماها استدراجا (٢٧٨) واعتبروها من
المكر الالهى وظن البعض أن الأمن والرفاهية من بركة وجود الشيخ
نظام الدين أوليا قدس سره ، المهم عين ملك نايب كافور هزار دیناری مع
أمراء مشاهير وملوك كبار لمهاجمة ديوكير (٢٧٩) من بلاد الدكن ،
وأكرمه بأنواع مختلفة ، وأنعم عليهم بالحلل الياقوتية وانعامات كبيرة
أخرى ، وأمر خواجه حاجى نائب ، « عرض ممالك » بما لديه من حشيم
وما تحت يده من أموال الغنائم بمرافقته ، وصل ملك كافور الى ديوكير ،
وأسر حاكم هذه الولاية على الرغم من شجاعته ، وأبناءه ، وأرسل جميع
خزائنه وسبعة عشر فيلا مع رسالة فتح الى دهلى ، وبعد ذلك أكرم رامديو
وأرسله الى السلطان مع أموال وأفياال ، ونال الانعامات السلطانية وأكرم
السلطان رامديو ولقبه بلقب « راي رايان » (٢٨٠) وأنعم عليه « بجتر »
ومائة ألف تنكه وعينه على ديوكير ، وسمح له بالسفر مكرما ، وسلك رام
ديو مسلك التابعين ، وكان دائما فى مقام الولاء والطاعة ، وقد قدم
خدمات جليلة .

فى سنة ٧٠٩ هـ عين السلطان علاء الدين مرة أخرى ملك كافور
على جيش جرار الى ارنكل ، وأوصاه عند الوداع أنه اذا أعطاك رودريو
حاكم ارنكل الخزانة والجواهر والأفياال وقبل تقديم الهدايا سنويا ،

(٢٧٨) اشارة الى قوله تعالى « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون »

الأعراف ١٨٢ .

(٢٧٩) ديوكير « ١ » ص ٨١ .

(٢٨٠) أمير الأمراء .

(٢٨١) تنله « ك » ص ١٩٤ .

فاكتف بهذا ، وعد ، ولا تتقيد بالاستيلاء على القلعة وأسر راي رودريو (٢٨٢) واستشر في ادارة أمورها خواجه حاجي ، ولا تحاسب الأمراء على الجرائم البسيطة والذنوب الصغيرة ، ولا تجز المداينة أيضا في الأعمال ، وإذا طلبوا بعض الغنائم التي تقع في يدك فحقق رغبتهم ، وإذا قتل أو سرق أو سقط جواد شخص في الحرب عوضه بأفضل منه ، وأعلم أن هذه الأمور من لوازم الادارة ، واستأذن ملك نائب وخواجه حاجي من السلطان ، وتوجها برحيل متواتر الى هناك وعندما وصلا الى جنديرى ، توقفا عدة أيام هناك ، فاستعرضا الجيش وتوجها من هناك الى ديوكير ، واستقبلهما رامديو ، وقدم هدايا كثيرة ، وقدم لوازم الطاعة والولاء ، ورافق ملك نائب عدة منازل ، وسمح له بالعودة الى ديوكير ، وعندما اقترب ملك نائب من أرنكل ، وأسرع رايان الأطراف من هول جيش الاسلام الى قلعة أرنكل ، وتحصنوا في قلعة خارج القلعة التي كانوا قد أقاموها من الطين ، وواسعة تماما ، والمقرر الهجوم عليها وتحصن رودريو مع أقربائه في قلعة داخلية كانت من الحجر ، وحاصر جيش السلطان القلعة وسعوا في فتحها ، وجاهد الهنود أيضا من الداخل في الدفاع والصد ، وبعد مدة فتحت القلعة الخارجية بكفاح شديد ، وأسر أكثر الرايان ، وزمينداران بأولادهم وأتباعهم وقتل خلق كثير ، واضطرب راي رودريو ، وطلب الصلح وأراد الأمان ، فأخذ منه ملك نائب خزائن ومائة فيل وسبعة آلاف جواد وأمنه ، وقرر أن يرسل سنويا هدايا لائقة ، وعرض الحقيقة على السلطان ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان ، أمر أن يقرأوا رسالة النصر على المنابر ، ودقوا طبول الفرع ، وقدم لوازم الانعام ، وعندما عاد ملك نائب ، وخرج السلطان من المدينة ، وأعطى العفو العام في جبوتره ناصري قرب بوابة بداون ، ووصل ملك نائب الى هناك للملازمة ، وعرض جميع الغنائم ، ونال جميع انواع الانعام الساطاني .

ويقال أن السلطان علاء الدين في كل مكان كان يرسل اليه الجيش من دهلى الى المكان المقصود ، وكان يربط في كل منزل جنودا « داكجوكي » (٢٨٣) يسمى السلف « يام » (٢٨٤) وفي كل فرسخ كان يترك رجلا سريع العدو يسمى بلغة الهند « بايك » وكان يعين في كل

• (٢٨٢) لدرديو « ١ » ص ٨١ .

• (٢٨٣) جيايد البريد .

• (٢٨٤) جيايد البريد .

قصبه ومدينة كانت على الطريق كاتبا ، لكى يرسل الوقائع هناك يوميا الى السلطان ، وتصادف أن ذهب ملك نائب الى أرنكل ذات مرة ، وبسبب خلل الطريق واختفاء بعض الحصون ، انقطع خبره فترة ، فحزن السلطان وأمر ملك قرابيك والقاضى مغيث الدين سامانه أن يذهبا عند شيخ الاسلام نظام الدين أوليا ، ويبلغوه سلامه ، وقولا له أن جيش الاسلام المرسل الى أرنكل لم يصلنى خبره من فترة ، وأعرض عليه أمر جيش الاسلام ، فلو كان لديه عن أحوال جيش الاسلام بنور ولايته ، يسرنى معرفته ، وقال أيضا لهما ، قولا لى ما يجرى على لسانه من كلام دون زيادة أو نقصان ، وعندما وصلا الى خدمة الشيخ ، سلماه رسالة السلطان وتذكر الشيخ أحد السلاطين السابقين ، وأقر حكاية نصره ضمن حكاية ، وقال هذه العبارة : « أن وراء هذا الفتح فتوح أخرى أيضا متوقعة وعاد قرابيك وقاضى مغيث من ملازمة الشيخ ، وأبلغاه عبارة هذا العظيم ، وسر السلطان جدا ، وعلم أن أرنكل فتحت ، وتمنى فتحا آخر ، وفى آخر هذا اليوم وصلت رسالة فتح ملك نائب ، وكان هذا سببا فى ازدياد حسن اخلاص السلطان وعلى الرغم من أن السلطان لم يلتق بالشيخ مطلقا ولكن كان يرسل الرسل والرسائل مظهرا الاعتقاد ، ويستمد العون من الشيخ .

فى سنة ٧١٠ أرسل السلطان علاء الدين مرة أخرى ملك نائب الى دهور سمندر ومعبر ، وجعل برفقته خواجه حاجى « نائب عرض » (٢٨٥) وعندما وصلا الى ديوكير ، كان رأى رامديو قد توفى ، فقدم ابنه لوازم الطاعة ، ووصل ملك نائب خواجه الى نواحى دهور سمندر من ديوكير بلا توقف وفتحوا فى الحال دهور سمندر ، وأسروا ملارديو حاكم هذه الولاية ، واستولوا على ست وثلاثين فيلا وخزائن كثيرة ، وأرسلوا رسالة فتح الى دهلى ، ومن هناك توجهوا الى معبر وفتحوها أيضا وخرّبوا معابد أصنامها ، وحطموا الأصنام الذهبية ، وأدخلوا ذهبها الخزانة ، وأخذوا من كلا حاكمى معبر الهدايا الكثيرة ، وفى سنة ٧١١ عادوا بثلاثمائة واثنى عشر فيلا وعشرين ألف جواد وتسع وستين ألف من ذهب وصناديق جواهر ولؤلؤ وغنائم أخرى تخرج عن الحساب والحصر ووصلوا الى السلطان ، وسر السلطان من الفتوحات والغنائم الكثيرة جدا ، وأنعم بالانعامات الوفيرة على أكثر الأمراء .

ومن غرائب الأمور التى وقعت فى آخر العهد العللى هى أن جماعة

(٢٨٥) سبق أن ذكره بوظيفة « عرض ممالك » ١ ، ص ٨١ .

من المسلمين الجدد الأوباش لم يكن الخدمة في طبعهم ولم يكن لديهم روح الواجب ، قد اتفقوا مع بعضهم على أن يقتلوا السلطان وقت الصيد وهو وحيد ، وعندما وصل السلطان هذا الخبر ، بسبب مزاجه الحاد وطبيعته الخشنة أمر أن يقتلوا كل شخص من المسلمين الجدد الذين يجدونهم ، وفي يوم واحد قتلوا عدة آلاف برىء ، الذين لم يكن لديهم دراية بهذا الرأي ، وانتهب أموالهم وقضى على نسلهم .

فى نفس هذه الأيام ظهر جماعة من الباختيين ، فأمر السلطان بالمقيض عليهم جميعا ، ونشر رؤوسهم ، وقتلهم جميعا ، ولما كان السلطان علاء الدين فاسيا ، صعب الطباع لم يكن يرافق أحدا قط ، ولهذا لم يكن يقبل شفاعة فى حق أحد ، ولم يكن يصفى عن أحد استاء منه طوال عمره ، ولم يكن واضحا فى سلوكه ، وفى أوائل حاله على الرغم من أنه كان يستشير رجاله فى الأمور الملكية ، ويدعهم يتدخلون فى تنفيذ الأمور ، ولكن فى آخر حاله حيث قرغ خاطره من جميع الروابط ، فكان يقوم بعمل ما يرد بخاطره من الأمور الملكية ، وما كان يأتى على مخيلته ويوافق رأيه ينفذه ، ولم يكن يستشر أى شخص فى تنفيذ أمر الملك ، ويقال أن هذا القدر من الفتوح التى تحققت للسلطان علاء الدين لم تيسر لأى سلطان من سلاطين الهند ، ويقول مؤلف فيروزشاهى (٢٨٦) أن هذا القدر من العمارة التى أقيمت فى عصره من المساجد والمنارات والأحواض والقلاع وأمثال ذلك لم تقع فى أى عصر قط ، ولم يذكر فى أى عهد قط جماعة أهل فن والمهرة فى كل فن مثل ما شاهده عصره ، ولم يظهر فى زمان قط ، انصاف وعدل بين العوام والخواص واطاعة الهنود ، ورفع التمرد مثل أيامه ، وكان اجتماع كبار رجال الدين والسالكين فى طريق اليقين فى دار الملك دهلى التى اكتظت بوجودهم الشريف وتصادف عصره لم يتحقق فى أى عصر قط ، ومن جملتهم شيخ الاسلام الشيخ نظام الدين أولياء قدس سره العزيز وهو غنى عن الوصف ، اتكأ على طريق الارشاد والهداية ، وانشغل بهداية الناس ، ومن الخامس من المحرم وحتى العاشر ؛ وكانت أيام مولد شيخ الاسلام فريد الدين أجود هنى ؛ كانت الناس تجتمع فى خانقاه الشيخ نظام الدين ، وتتجه الخلئق فى هذه الأيام من الأطراف الى دهلى ، ويحضرون المجالس لمشاهدة الوجد والحال لأهل الله ، وكانوا يصيحون على الباب والجدران ، والشيخ علاء الدين حفيد الشيخ

فريد الدين الذي كان متمكنا من سجادة الارشاد في أجودهن ، وكان مشغولا بالطاعة الظاهرية والباطنية لدرجة انهم كانوا يطلقون عليه انه من جنس الملائكة ، والشيخ قطب الاولياء الشيخ ركن الدين ابن الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا الملقب بقدس الله ارواحهم ؛ الذي وصل الى قمة الطريق على رأس الحيارى ، وكان جميع أهالى الملتان وأجه وسائر بلاد السند يتوجهون اليه ، وكانوا يلقون بأنفسهم في كنف حمايته ، ويلجأون اليه من البليات والآفات ، وعلى الرغم من أن والده الكبير الشيخ صدر الدين كان متمتعا بالكمال والجمال ، وكان سخيا بافراط ، ومع أنه كانت لديه أموال كثيرة كان قد ورثها عن أبيه مع هذا القدر من النذر والفتوح ؛ التي يعجز المحاسب عن حسابها ، فانه كان يقترض في أكثر الأوقات ، والشيخ سيد تاج الدين سيد قطب الدين الذي كان في سخائه وعلمه وحلمه وأفضاله الانسانية وحيد زمانه ، عمل فترة في قضاء أوده ، وبعد ذلك صار قاضيا لبداون ، والشيخ سيد ركن الدين أخو سيد تاج الدين المذكور قاضى كره ، يتصف بالصفات الحميدة ، والشيخ سيد مغيث وأخوه سيد مستجيب الدين من سادات كيتهل ، وكلا الأخوان اتصفا بالعلم والزهد والتقوى وسائر الفضائل ، وكانوا يسمونها « سادات نوهه » . والسادات الآخرون يطول تفصيلهم من جملتهم القاضى صدر الدين عارف الذى عمل بقضاء الممالك ونال لقب « صدر جبهانى » وبعده القاضى جلال الدين دلواطى (٢٨٧) صار قاضيا لممالك ، ومولانا ضياء الدين بيانه صدر جهانى وفى آخر أيام السلطان علاء الدين نال قضاء الممالك وملك التجار حيدر الدين الملقب بـ

وكان من علماء الظاهر جامعى أنواع العلوم الذين عملوا بالدرس والافادة ، كانوا سبأ وأربعين ، القاضى قمر الدين نافله والقاضى شرف الدين سرمانى ومولانا نصير الدين غنى ومولانا تاج الدين مقدم والقاضى ضياء الدين بيانه ومولانا ظهير لنگ ، ومولانا ركن الدين سنامى (٢٨٨) ، ومولانا تاج الدين كلاهى ، ومولانا ظهير الدين بهكرى ، والقاضى محى الدين كاشانى ، ومولانا كمال الدين كولوى ، ومولانا وجيه الدين بابلى (٢٨٩) ومولانا منهاج الدين قبائى ، ومولانا نظام الدين كلاهى ، ومولانا نصير الدين كرم ، ومولانا نصير الدين حسابونى ، ومولانا

(٢٨٧) دلواطى ١ ص ٨٤ .

(٢٨٨) سنائى « ١ » ص ٨٤ .

(٢٨٩) باقى « ١ » ص ٨٤ .

علاء الدين تاجر ، ومولانا كريم الدين جوهرى ، ومولانا حجت ملتانى .
 ومولانا حميد الدين مخلص . ومولانا برهان الدين بهكرى ، ومولانا
 اغتخار الدين برنى ، ومولانا حسام الدين سرخ ومولانا وجيه الدين
 طهود (٢٩٠) ومولانا علاء الدين كرك ، ومولانا حسام الدين شادى ومولانا
 حميد الدين ملتانى ، ومولانا شهاب الدين ملتانى ، ومولانا فخر الدين
 هانسوى ، ومولانا فخر الدين شفاقل (٢٩١) والقاضى زين الدين ناقله ومولانا
 سهركى (٢٩٢) ومولانا وجيه الدين رازى (٢٩٣) ومولانا علاء الدين صدر
 الشريعة ، ومولانا ميران مايكله (٢٩٤) ومولانا علاء الدين لاهورى ،
 ومولانا علاء الدين لاهورى ، ومولانا نجيب الدين شادى ، ومولانا شمس
 الدين ، ومولانا صدر الدين والقاضى شمس الدين كازرونى ، ومولانا
 شمس الدين يحيى ، ومولانا ناصر الدين اتاوى ، ومولانا معين الدين
 لولى ، ومولانا افتخار الدين رازى (٢٩٥) ومولانا معز الدين
 اندريهى (٢٩٦) ومولانا نجم الدين انتشارى (٢٩٧) وفى آخر عهد السلطان
 علاء الدين وصل مولانا علم الدين حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا وكان
 من أفاضل عصره ، الى دهلى ، وعمل بالافادة فى العلوم العقلية والنقلية ،
 ومن أساتذة علم القراءات المقتضين مولانا شساطى (٢٩٨) ومولانا
 علاء الدين مقرئ (٢٩٩) وخواجه زكى ابن أخت حسن البصرى ، ومن أهل
 الوعظ مولانا عماد وحسام درويش وأخوه مولانا جلال ومولانا ضياء
 الدين سنامى (٣٠٠) ومولانا شهاب الدين خليلى ومولانا كريم وكان من
 نوادر العصر ، سبه سالار تاج الدين عراقى ، وخداوند زاده جاشنى كير
 حفيد بلبن الكبير ومملك ركن الدين أبيه ومملك عز الدين نقاتخان (٣٠١)
 ومملك نصير الدين نورخان وكانوا من ندماء المجلس ، ومن شيعراء عصر
 السلطان علاء الدين الذين تزينت دار الملك دهلى بل جميع بلاد الهندوستان .

-
- (٢٩٠) لهود « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩١) سعاقل « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٢) ستهركى « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٣) راضى « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٤) ماريكله « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٥) رادى « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٦) اندريهى « ١ » ص ٨٤ .
 - (٢٩٧) ايتار « ١ » ص ٨٥ .
 - (٢٩٨) انباطى « ١ » ص ٨٥ .
 - (٢٩٩) معزى « ١ » ص ٨٥ .
 - (٣٠٠) ساقى « ١ » ص ٨٥ .
 - (٣٠١) لغاتخان « ١ » ص ٨٥ .

يوجودهم الفريد ، وملاً صيت أديهم العالم ، برز منهم أمير خسرو الذى كان له يد بيضاء فى فنون الكلام والمعنى ، واثار فضله ومناقبه واضحة وظاهرة فى مصنفاته فى النظم والنثر ، وكان مع هذا صوفى الوجد والحال ، وكان يقضى أكثر أوقاته فى الصوم والصلاة ، وله نشوة تامة من العشق والمحبة ، ولما كان نادرة زمانه فقد أعطاه السلطان علاء الدين ألف قنكه وشاعر آخر الأمير حسن سنجرى وكان مشهوراً بسلامة الكلام ولطافة الحديث ، ومن كثرة ما نظمه من غزليات سلسلة وكتبه من كلام جميل ، كانوا يسمونه « سعدى هندوستان » وكان فريد عصره فى تهذيب الأخلاق والقناعة ، والترك ، والتجرد ، خلف الشيخ نظام الدين أوليا قدس سره ، وجمع كلام الشيخ وما كان قد سمعه أيام كان مريداً ، أسماه « فوائد الفوائد » ولديه فى النظم والنثر تصنيفات كثيرة ، وكان من شعراء عصر السلطان علاء الدين « صدر الدين على » (٣٠٢) وفخر الدين قواس وحמיד الدين راجه ومولانا عارف ، وعبيد حكيم ، وشهاب صدرنشين ، وكانوا ينالون الانعام لكونهم شعراء ، وكان لكل واحد أسلوب خاص فى طريقة شعره ، ودواوينهم وشعرهم يشهدان لهم بالكمال والفضل والأدب ، وكان من المؤرخين أيضاً عدة أشخاص لا نظير لهم ، ومن الأطباء المهرة ، أستاذ الأطباء مولانا بدر الدين دمشقى الذى كان إذا وضعوا فى زجاجة بول عدة حيوانات وأحضرها عنده ، كان يحكم عليها بالنظر وعلى البديهة بأنهم جميعاً بول الحيوان الفلانى والفلانى فى هذه الزجاجة ، ومن ناحية الصوفية كان صاحب سر وكشف ومشاهدة ، ومن المنجمين وضاربى الرمل عدة أشخاص كانوا يكشفون الغيبات ، وما فى الضمائر ، وكان من المقرئين والغزليين وسائر أرباب الطرب وأقسام الفنون المختلفة الكثيرون ممن لا يمكن حصرهم فى هذا المختصر .

بعد ذلك امتدت سلطنة السلطان علاء الدين ، وانتهت بالتوفيق والظفر ، وبموجب أن لكل كمال زوال ، ولكل بداية نهاية ، ظهرت منه الأمور التى يمكن أن تكون سبب زوال الملك ومنافية لبقاء الدولة من جملتها أنه صار عاشقاً لجمال ملك نائب كافور هزار دينارى ، وأطلق له عنان الأمر ، ولم يغل يده قط فى الأمور الملكية رعاية لخاطره ، ولم يكن ينصرف عن رأيه مهما كان خاطئاً وأخرج أخوته الآخرين الصغار الذين استغنوا عن المؤدبين والعلمين ، من الحرم ، ولم يهتم بإصلاح أحوالهم ، وجعل خضر خان ولياً للعهد على الرغم من بعده عن الرشيد ،

وأعطاه جترا ولم يعين له أحداً من أهل العقل وأصحاب التجربة ليمنعه عن اللهو والأنانية ، وتصادف أنه في أيام مرض السلطان سمح لخضر خان بالإنزهة والصيد بجانب امرؤه ، وقال له : عندما استرد صحتي ، سأطلبك. وكان خضر خان ينذر أنه كلما تحسنت صحة السلطان يذهب مترجلاً لزيارة مشايخ دهلي ، وعندما سمع خبر صحة السلطان وكان قد نذر من قبل أن يأتي دهلي مترجلاً وحافياً لزيارة المزارات ، وعرض ملك نائب الذي لعب هوى الملك في رأسه وكان مستعداً للقضاء على نسل السلطان عرض أن خضر خان جاء بخيال فاسد بدون إذن السلطان ، وحمل السلطان على أن يرسل خضر خان إلى قلعة كواليار ، وبعد مدة مرض السلطان بالاستسقاء وازداد عليه يوماً بعد يوم وفي تلك الأثناء طلب ملك نائب من ديوكير وألب خان من الكجرات (٣٠٣) وجاء إلى البلاط وبسبب العداوة بين ملك نائب وألب أرسلان ، فقد عرض ملك نائب السلطان بكلام مزخرف وحديث باطل لكي يقتل ألب خان ، وتوفى أيضاً بعده :

« يتنفس فترة ويصير لا شيء ، يضحك فترة وأيضاً يصبح هباء »
ويقول البعض أن ملك نائب قد دس له السم ، والله أعلم . ، مدة سلطنته عشرون سنة وعدة أشهر *

ذكر سلطنة السلطان شهاب الدين ابن السلطان علاء الدين الخلجي الأصغر (٣٠٤)

في اليوم التالي لوفاة السلطان علاء الدين ، استدعى ملك نائب الأمراء وأعيان المملكة ، وأظهر وصية السلطان ومضمونها عزل خضر خان وتولية السلطان شهاب الدين ولياً للعهد ، وأجلسه على العرش ، وقام نائباً للسلطنة ، وفي اليوم الأول أرسل ملك سنبل (٣٠٥) لسمل عيني خضر خان وأخيه شادي خان في كوالير ، ووعده بمنصب « باربيكي » (٣٠٦) وقبل هذا الكافر بالنعمة هذا الأمر ، وسمل عيني نور عين السلطان علاء الدين ، وسجن أم خضر خان المسماة « بملكه جهان » ، واستولى على النقد والذهب وكل ما تملكه ، وحبس الأمير مباركخان يعني السلطان

• (٣٠٣) الف خان « ١ » ص ٨٦

• (٣٠٤) ذكر سلطان شهاب الدين يسر خورده سلطان علاء الدين خلجي « ك »

ص ١٧٣

• (٣٠٥) سنبل « ١ » ص ٨٦

• (٣٠٦) باربيكي « ١ » ص ٨٦

قطب الدين فى منزل ، وأراد أن يسمل عينيه أيضا ، لكن لما كان التقدير خلاف ذلك ، فلم يستطع ولم يوفق ، وكان كل يوم يحضر السلطان الطفل شهاب الدين ساعتين الى سطح « هزارستون » (٣٠٧) ويجلسه على العرش ، ويأمر الأمراء والأكابر والحجاب وحملة الأسلحة أن يصطفوا ، ويقفوا أمامه ويقومون بخدمته ، وعندما يمل الطفل يرسله الى أمه داخل الحرم ، ويدخل بنفسه فى خيمة ، كان قد نصبها لنفسه على سطح « هزارستون » وينشغل من خواجه سراى جند وكان من خاصته يلعب « التورى » (٣٠٨) وهى من نوع النرد وقسم من القمار ، وكان يستشير خاصته دائما فى القضاء على أسيرة السلطان علاء الدين ، وتصادف أن كان جماعة من البايكان (٣٠٩) القدماء بعهدتهم حراسة هزارستون ، واتفقوا بعد خمس وثلاثين يوما من وفاة السلطان علاء الدين ، أن يقتلوا ملك نائب وخاصته بعد عودة الرجال من البلاط السلطاني واقفال الأبواب ودخول الخيمة :

« اذا كنت تفعل السوء ، فاغلق العين عن الخير ، لأنك لن تأتى مطلقا الا بالخرم »

« لا أعتقد أن الشعير يحصد فى الخريف ، لأن فيه زمن القمح » وأطلقوا سراح الأمير مبارك خان ، وأجلسوه مكان ملك نائب نيابة عن السلطان شهاب الدين وقام مبارك خان عدة أشهر نيابة عن السلطان شهاب الدين ، واشتغل بالأمور الملكية ، وأرضى الأمراء والملوك ، وبعد مرور شهرين جلس على عرش السلطان ، ولقب بالسلطان قطب الدين مباركشاه ، وأرسل السلطان شهاب الدين الى كوالير ، وفرق « بابكان » مقاتلى ملك نائب بسبب العجب والخيلاء (٣١٠) الذى استقر فى قلوبهم ، ووزعهم على القصبات ، وقتل كبارهم الذين كانوا شيوخا .

« ينبغى احراق الخسيس بالنار ، لأن السوء يصل منه الى الناس »

وفى الأيام التى قضت على أسيرة السلطان علاء الدين وانقطع نفسه ، سألوا الشيخ بشير ديوانه من المجنوبين « أيها السيد لماذا يحدث

(٣٠٧) قصر الألف عمود .

(٣٠٨) بيلموى « ١ » ص ٨٦ .

(٣٠٩) بابكان « ١ » ص ٨٧ .

(٣١٠) زر عم « ١ » ص ٨٧ ، ز هم « ك » ، ص ١٧٥ .

هذا ؟ » قال : طالما قضى علاء الدين على أسرة عمه وولى نعمته ، فانه يعامل نفس المعاملة :

« الخير للخير والسوء للسوء ، وجزاء العمل هو أمر العالم »

كانت أيام حكومته ثلاثة أشهر وعدة أيام .

ذكر السلطان قطب الدين مبارکشاه ابن السلطان علاء الدين الخلجي :

عندما جلس السلطان قطب الدين على عرش دهلي في سنة ٧١٧ هـ ، لقب ملك دينار شحته فيل (٣١١) بظفر خان ومحمد مولاي عمه بشيرخان ومولانا ضياء الدين ابن مولانا بهاء الدين خطاط بصدر جهان ، وخص ملك قرابيك بالقرب ، وقسم أشغال السلطنة بين الأمراء كل حسب سعة حالة مير حسن نام براويجه (٣١٢) رقيب ملك شاهي وكان « نائب خاص حاجب » السلطان علاء الدين باختصاصه ، ولقبه بخسروخان ، « وبراو » طائفة كانوا في ولاية الكجرات ، كثيرون في خدمته ومن فرط محبته التي أولاهما له ، أحال اليه كل حشم ملك شادي ، ومن كثرة ولهه وحبه له عهد اليه بمنصب الوزارة على الرغم من أن استعداده كان بعيدا عنها .

« اذا أردت أن تنظم المملكة ، فلا تعط الأمر العظيم للصبيان »

« تريد ألا تضيع الزمان ، فلا تعط الأمر للعاطلين » .

ومن كثرة عشقه وجنونه به لم يكن يدعه لحظة ، المهم سكنت الفتنة التي ظهرت بعد موت السلطان علاء الدين ، بعد جلوس السلطان قطب الدين ، وبدأت السكينة على الناس ، ولما كان السلطان قطب الدين شايًا وصاحب أخلاق حسنة ورحيما ويخاف محنة السجن والقتل ، فقد أصدر في اليوم الأول فرمانا بتحرير السجناء ، واستدعى المنفيين من الأطراف ، وأنعم على حشمه جميعا بمرتبة ستة أشهر ، وزاد من دخول الأمراء والملوك ، وأمر بأن يدرسوا طلبات أهل الحاجة التي اندرست فترة ، ويعرضونها ، وكان يصدر الرد بناء على التماسهم ، وزاد الدخل والوظيفة للعلماء والصالحين وأرباب الحاجة ، وأعاد قرى الرجال التي كان السلطان علاء الدين قد أدخلها ضمن الخالصة ، ورفع المطالب القاسية والخراج الظالم الذي كان معمولاً به في عهد السلطان علاء الدين على

(٣١١) شحنة بيل « ١ » ص ٨٧ .

(٣١٢) براواز بجه « ١ » ص ٨٧ .

الجميع ، وارتاح الناس من حسن سلوكه ، وعاشوا فى رفاهية ، وظهر فى جيوبهم الدينار والدرهم ، وقضى على جميع الضوابط التى كانت متضمنة المصلحة للسلطان علاء الدين. وعلى الرغم من أنه فى الظاهر أيد منع الشراب ، لكن الفجور والتمرد والعصيان واللهو والمرح الذى كان معدوما فى عهد السلطان علاء الدين ، عاد بين الناس ، ولم ينشغل السلطان قطب الدين نفسه خلال مدة سلطنته وهى أربع سنين وأربعة أشهر الا باللهو والمرح والهبات الكثيرة وفى هذه الفترة لم تظهر الفتنة التى تبعث تعب ومشقة السلطان ، أو الآفة التى تزل رفاهية الناس . .

ولما كان السلطان قطب الدين قد استدعى من قبل ألب خان من الكجرات ، وبعد ذلك أثار الفتنة هناك ، وقد عين ملك كمال الدين من أجل دفعه ، وتوجه الى الكجرات ، واستشهد أيضا هناك ، وبناء على هذا قوى نفوذه أكثر ، ففضل السلطان قطب الدين تسكين الفتنة عن المهام ، فعين عين الملك ملتانى على جيش كامل ، وذهب ، وقاتل هؤلاء القوم أس الفساد والفتنة ، وهزمهم ، واستولى على نهرواله (٣١٣) وسائر الكجرات من جديد ، وجعل « زمينداران » هذه البلاد طائعين ، بعد ذلك تزوج السلطان قطب الدين ابنة ملك دينار ولقبه بلقب « ظفر خانى » وأرسله الى الكجرات ، وخلال ثلاثة أو أربعة أشهر طهر الكجرات من فساد أهل البغى والفتنة ، حتى قضى على آثارهم فى هذه البلاد ، واستولى على ذهب كثير من راجوات وزميندران هذه البلاد ، وأرسله الى الخزانة ، ولما كان هربال ديو صهر رام ديو قد استولى على ولاية ديوكير (٣١٤) بعد وفاة السلطان علاء الدين ، قاد السلطان قطب الدين فى السنة الثانية للجلوس الى ديوكير ، وترك غلام بجه شاهين الذى كان يسمونه « باويلدا » (٣١٥) ولقبه بوفاء الملك ، نيابة عنه فى دهلى وتوجه الى الدكن بجيش جرار ، وعندما وصل الى نواحى ديوكير ، تفرق هربال ديو (٣١٦) وزمينداران الآخرون الذين كانوا قد اجتمعوا ، ولم يستطيعوا المقاومة ، وأقام السلطان عدة أيام فى ديوكير ، وأرسل جماعة من الأمراء العظام والملوك الكبار لتعقب هربال ، على شرط بأن يحضروه عندما يقبضوا عليه ، وبأمر السلطان سلخوا جلده ، وعلقوا رأسه على

• (٣١٣) نهروالا « ك » ص ١٧٧

• (٣١٤) ديوكير « ١ » ص ٨٨

• (٣١٥) باويلدا « ١ » ص ٨٨

• (٣١٦) هربال « ١ » ص ٨٨

بوابة ديوكير ، وتوقف السلطان هناك فترة بسبب المرض ، فى هذه المدة استولى على ولاية مرهت أيضا ، وأحال ولاية ديوكير الى « ملك يك لكهى » (٣١٧) من ممالك هلائى (٣١٨) وقسم مرهت اقطاعات بين الأمراء ، وأعطى خسروخان « جتروودورباش » وعينه هناك ، وعاد الى دهلى ، وفى الطريق انشغل معظم الأوقات بالشراب واللهو ، وفى ذلك الوقت وبسبب غفلة وجهل السلطان قطب الدين وانغماسه فى الشراب ، دعا ملك أسد الدين ابن عم السلطان علاء الدين دعوة سرية لنفسه ، واتفق مع جماعة من قواد الجيش ، وقرر أنه « عندما يعبر السلطان » « كهانتى ساكون » (٣١٩) ويدخل الحرم فى ذلك الوقت لن يكون هناك أحد من المسلمين والحرس قربه ، فندخل الحرم ، وننتهى أمره ، وتصادف أنه فى نفس هذه الليلة هم السلطان أن يعبر من كهانتى ساكون ، وجاء أحد رفاق ملك أسد الدين الى السلطان وعرض حقيقة الأمر ، فتوقف السلطان ، وأمر أن يقبضوا على ملك أسد الدين ، ويقتلوه ، وقتلوا تسعا وعشرين شخصا من أولاد بغرش خان (٣٢٠) الذين كانوا فى دهلى ، ولم يكن لهم مصلحة فى هذا ، وكان بعضهم صغار السن ، وعندما وصل الى جهالين (٣٢١) ، أرسل شادى كهنة ابن سلاحدار (٣٢٢) الى كوالير لكى يقتل خضر خان وشادى خان وملك شهاب الدين أولاد السلطان علاء الدين الذين كانوا قد سملت أعينهم من قبل ، وأحضر أهاليهم وزوجاتهم الى دهلى ، وكان السلطان قطب الدين يسئ للشيخ نظام الدين قدس سره العزيز بسبب أن خضر خان كان مريدا للشيخ ويعلم اخلاصه له ، وكان يظهر العداوة دائما ويطعن فى هذا العظيم :

« عندما يريد الله أن يمزق سر أجده ، يجعله يميل لطعن الأخيار »

« وإذا أراد الله أن يستتر عيب أحد ، قلله فى نظر الناس »

عندما وصل السلطان قطب الدين الى دهلى ، ورأى أن الكجرات وديوكير وسائر المملكة مسخرة له ، ووجد الأمراء والملوك له طائعين ، لم يهتم بالملك ، ولعب سكر الشراب والشباب والغرور فى رأسه ، ولم يكن

(٣١٧) بكلى « ١ » ص ٨٨ .

(٣١٨) علاء الدين خلجى .

(٣١٩) كاهنتى ساكون « ١ » ص ٨٩ .

(٣٢٠) نصرت خان ١ ص ٨٩ .

(٣٢١) جيا من ١ ص ٨٩ .

(٣٢٢) بنيادى بن سلاحدار ١ ص ٨٩ .

يستشير أحداً فى تنفيذ الأحكام وإدارة الأمور ، ولم يعد يصغى لقول أحد قط ، وإذا عرض شخص كلاماً خلاف رأيه اعرض عنه ، وأطلق لسان الإهانة والذم فيه ، لدرجة أنه لم يبق لشخص مجالاً ، بأن يعرض بالرمز أو الإشارة أيضاً ما يتضمن مصلحته وتبدلت أخلاقه الكريمة بالأوصاف الذميمة ، وسلك طريق القهر والقتل ، وكان مثل أبيه يريق الدماء البريئة ، من جملتهم ظفر خان والى الكجرات الذى كان ركن دولته قتله بدون جرم صدر منه وبعد ذلك كان قد لقب ملك شاهين بلقب وفاء الملك ، وبسبب وشاية أرباب الحسد قتله بدون ذنب ، وأخذ فى ارتكاب الأمور التى توجب زوال الملك وتنافى بقاء السلطنة وكان يهتم أغلب أوقاته بالزينة واللبس ، ويحضر المجالس وكان يطلب النساء الفاجرات ، العاهرات على سطح مقر هزاستون ، ويأمرهن أن يهينوا الأمراء الكبار مثل عين الملك الملتانى وملك قراييك وتد شغل أربعة عشر عملاً ، وأمثال هؤلاء عن طريق الهزل والسخرية ، ويقمن بحركات منكرة ، كأن يأتين عاريات أمام الرجال ، ويتبولون على ملابسهم ، وبسبب عداوة السلطان قطب الدين للشيخ نظام الدين أولياء فقد منع الناس عن زيارة منزله ، وأخذ يهين اسم الشيخ بلا حياة ، واختار شيخ زاده جام وكان من المعارضين للشيخ واختصه بالقرب ، واستدعى الشيخ ركن الدين الملتانى المتعصب للشيخ نظام الدين أولياء من الملتان ، وبعد أن قتل ظفر خان حاكم الكجرات ، أرسل حسام الدين وكان أخو خسروخان من الأم مع أمراء وملوك الى الكجرات وأحال اليه حشم ظفر خان كله ، وعندما وصل الى الكجرات ، جمع طائفة « براوان » وأراد أن يثير الفتنة ، فقبض عليه الأمراء الآخرون المرافقون له ، وأرسلوه الى السلطان قطب الدين ، ومن أجل رعاية خاطر خسرو خان أخيه أطلق سراحه فى الحال وأنعم عليه بالانعامات الملكية ، وهذا الأمر كان سبباً فى استياء الأمراء والأعيان ، وأرسل الى الكجرات ملك وحيد الدين قريشى بدلاً من حسام الدين ، وكان موصوفاً بالشجاعة والجرأة ، ونظم ورأب صدع الكجرات التى كانت خربة ومضطربة بسبب حسام الدين ، فى ذلك الوقت وصل الخبر أن ملك يك لكهى حاكم ديوكير قد رفع لواء المعارضة وبغى ، وعين السلطان جماعة من الأمراء المشاهير على جيش جرار لدفع ملك يك لكهى ، وتسكين هذه الفتنة ، وذهبت هذه الجماعة ، وقبضوا على ملك يك لكهى والمفسدين الآخرين الذين كانوا أس الفتنة والفساد بحسن التدبير ، وجاءوا الى دهلى ، وقطع السلطان أذن وأنف ملك يك لكهى ، وعاقب مرافقيه بعقوبات مختلفة ، وعين ملك عين الملك ملتانى على حكومة ديوكير وملك تاج الدين ابن خواجه

علاء الدين دبیر « مشرفا » (٣٢٣) لهذه الولاية ، واستدعى ملك وحيد الدين من الكجرات ، وسلمه منصب الوزارة ، ولقبه بتاج الملك ، وعندما وصل خسروخان الذى كان قد عين على معبر الى هناك وجمع رايان هناك خزائنهم وامتعتهم وفروا ، فاستولى على مائة فيل وبضع افيال كانت قد بقيت من الرايان هناك ، ولما كان خواجه تقى التاجر الذى يملك مالا وفيرا اعتقد أن جيش الاسلام لن يلحق به ضررا ، لم يهرب ، وقد اغتصب كل أمواله وقتل هذا المسكين ، وقضى موسم المطر هناك ، وبسبب السوء والخسة اللذين فى طينته ، دعا الى التمرد ، وأراد أن يقتل الأمراء الذين برفقته ، ويستقل بولاية معبر ، وعلم ملك تمر (٣٢٤) حاكم جنديرى وملك مل افغان (٣٢٥) وملك تليعه بيده (٣٢٦) وكانوا رؤساء الأمراء المرسلين الى معبر ، بما ينوون عليه خسروخان ، ولم يتحدثوا معه ، وتوجهوا الى دهلى ، وخاف خسروخان من تهديد الأمراء ، وتوجه الى دهلى بسرعة ، وتأخر الأمراء فى بالكى ، ووصلوا فى سبعة أيام الى دهلى ، وكان تصورهم أنه بسبب تأييدهم وعونهم سينالون الانعامات السلطانية ، وعندما وصل خسروخان ، وتيسر له الخلوة ، شكوا من الشكوى من الأمراء ، وقال اتهمونى بالبغي والفتنة ، وأرادوا أن يقتلونى ، لكن لما كان الله لا يريد فقد تخلصت منهم بلطائف الحيل ، وكان السلطان مولعا ومولها به ، فصدق اكاذيبه ، واستاء من الأمراء وبعد ذلك وصل الأمراء الى دهلى ، وعرضوا على السلطان كل الأفكار الفاسدة لخسروخان وقدموا الشهود على هذا ، ولكن لا فائدة ، سلك السلطان طريق المكابرة ، وأعرض عنهم وأمر ملك تمر بالال يدع المعسكر ، وعزله عن حكومة جنديرى ، وأعطاه لابنه ، وأمر ملك تليعه بأن يصمت وعزله عن مقاطعته وسجنه ، وعاقب أيضا الشهود ، وعندما رأى الأمراء الآخرون هذه المكابرة من السلطان صاروا صما وبكما (٣٢٧) وكل من رأى آثار المكر والغدر من خسروخان ، لاذ بالصمت ، ولم يتكلم ، وألقوا بأنفسهم فى حمى خسروخان من قبيل العجز :

(٣٢٣) مشرف : المسئول عن الدخل « اقبالنامه اكبرى محمد نكاه الله ج ٥ ص ٦١٠)

(٣٢٤) ملك تمر « ١ »

(٣٢٥) ملا افغان « ١ » ص ٩٠

(٣٢٦) ملك تليعه بعده « ١ » ص ٩٠

(٣٢٧) « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ، البقرة ١٧١ »

« عندما تقوى يد أهل السوء ، فاعلم أن جوهره قد كسر »

« أودع كرسى العظماء للصغار ، فانظر كيف يحدث الجزاء ؟ »

وكان السلطان من غلبة شوقه وكثرة شهوته لخسروخان ثملاً ومغروراً ، حتى أنه لم يتنبه أو يتيقظ لغدره قط :

« عندما يحم القضاء من الفلك ، فانه يجعل العقلاء جميعاً عمياناً »

« فأينما لا يكون لإنسان عقل ، فلن يرى أى شيء خفى »

وعندما رأى خسروخان أعداءه ضعفاء ومهزومين ، أدرك أنه ليس لدى أحد قط مقدرة على أن يشى عنه عند السلطان ، وعقد نية المكر والغدر وعزم عزمًا أكيداً ، وعرض ذات يوم فى الخلوة أنه طالما أن السلطان يرسلنى لتسخير الولايات على رأس الجيش ، ودائماً يكون الأمراء الذين يرافقونى بجيشهم وقبيلتهم وأقوامهم أكثر منى ، وبالضرورة على أن أتابعهم ، ولما كانت طائفة براوان قومية وقبيلتى كثيرون فى الكجرات ، فلو أمرت أن أجمع أنا أيضاً قبيلتى وأكون صاحب شوكة ! ، ووافق السلطان على التماسه ، وسمح له باستدعاء هذه الجماعة وجمع خسروخان فى فترة قصيرة خلقاً كثيراً من طائفة براوان ، وحقق القوة ، وجذب أكثر فى دعواه ، واتخذ بهاء الدين دبير ، وكان من أعداء السلطان ، رفيقاً له ، واتفق مع مفسدين آخرين مثل ابن قره خمار ويوسف صوفى وأمثالهم ، وظل ينتظر الفرصة ، وأثناء ذلك توجه السلطان الى « ساساوه » (٣٢٨) للصيد ، وأراد خسرو خان وبراون أن يقتلوا السلطان هناك فمنعهم ابن قره خمار ويوسف صوفى وقالوا : بالفرض لو قتلنا السلطان فى الصيد ، فمن المحتمل أن يقصدنا الجيش ويقتلنا ، والإنسب هو عندما يكون السلطان على سطح هزابستون ، وهنالك الخلوة ميسرة دائماً ، وندخل فجأة ، ونقتله ، ونستدعى الأمراء من المنازل ، ونقبض عليهم جماعات ، فان تابعونا يكون أفضل والا قتلناهم أيضاً ، وعندما عاد السلطان من الصيد ، انشغل بالشرب واللهو كعادته :

« عاد من هناك بقلب سعيد ، جاء الى الحفل من الجبل والصحراء »

« ولكن غافل عن حقسد الزمان الذى سينهى أمره »

ونال خسروخان حفاوة أكبر ، وعرض ليلة فى الخلوة « طالما
أنا دائما فى خدمتك ، وأقضى الليالى فى « تيسخانه » فان بعض أقربائى
الذين جاءوا من الكجرات بالانعام السلطانى يريدون مقابلتى ، وحرس
« دولت خانه » يمنعهم فهل لو أمرت ألا يمنعهم ، فأمر السلطان أن
يسلموا مفاتيح أبواب « دولت خانه » لخسروخان وقال : من أهل الثقة
أكثر منك ومن اخوتك ؟ فأمر « دولت خانه » قى عهدتك ، وتفاءل خسروخان
من أخذ المفاتيح ، واستبشر ورأى التوفيق لنفسه :
« عندما ترى النصر فهكذا الحال ، ترى دليل الظفر فهكذا الفال »

« من هذا الفال السعيد قوى القلب الملكى مثل جبل قوى »

المهم ، عندما سيطر براوان على البلاط السلطانى ، أخذ هذه
الجماعة الجسورة السفاكة فى جمع المدافع والجيوش المسلحة ليل نهار
فى « تيسخانه » وخسروخان ، وانتهزوا الفرصة ، وبالتدريج وضح هذا
الأمر لجميع الناس من أن خسرو خان دبر الأمر ولكن كانوا متأكدين أنه
بسبب المحبة التى يكنها السلطان له ، لو تعرضوا ذلك على السلطان
سيقبض عليهم السلطان ويسلمهم له ، ورأوا أنه هو الغالب بالمطلق
وأنه هو (السلطان) المقلب المحض ، ولم يستطع أحد أن ينبس ببنت
شفه ، وذات يوم عرض القاضى ضياء الدين المخاطب بقاضى خان وهو
يتصف بالعلم الوافر والعمل ، وفى مكانة أستاذ السلطان ، وتشجع وفضل
خير البلاد والعباد على نفسه ، وقال :

« أيها السلطان فليكن العقل دليلك ، وليكن الظفر رفيقك وعدوك عاجزا ،
« فلتلجأ الى الله الخالق ، ملاذ ملك العالم »

اننى ربيب نعمة السلطان وأبيه ، ونحن نعلم أمن ورفاهية الناس
فى وجود السلطان ولو قصرنا فى قول كلمة الحق ووافقنا ، فان الظلم
سيلحق بنا وبالناس وبالسلطان أيضا فائبنى أعلم الارادة الفاسدة
والتفكير السيئ لخسروخان ، وكثرة براوان واتفاقهم مع بعض المتمردين
واجتماعهم كل ليلة فى ساحة منزل خسروخان وقال : واجب على السلطان
أن يدقق فى هذا الأمر ، فلو صدق ، فواجب على السلطان أن يحتاط
لنفسه ، وان كان كذبا : فليكثر من اعتماده على خسروخان واخوته ،
وكلما قال القاضى هذا ، لا يجد فائدة ، ولا مجيبا ، بل انه قال كلاما
قاسيا والفاظا نابية للقاضى ، وعاقبته كانت كما رأى :

« لا ينبغى أن تدع نصيحة العظماء ، ولا يجوز أن تكتب كلامهم على الورق »
« لأنه طالما كان مجريا ، فانه يذكرك بنصيحة الزمان »

وبعد فترة عندما ذهب خسروخان الى السلطان وكان قد سمع ما قاله القاضي فذكره بذلك ، فبكى خسروخان المكار الغدار وقال بسبب عناية السلطان بى ورعايته لى يحسدنى كبار رجال البلاط ، ويسعون فى دمي ، واليوم أو غدا سيتهمونى بتهمة كبيرة ويقتلوننى ، ولهذا السبب أبكى واعتبر نفسى من زمرة القتلى ، وأثر بكاء هذا المنافق فى قلب السلطان فاحتضنه السلطان ، وطبع عدة قبلات على شفتيه ووجنتيه ، وقال لو اتحد أهل الدنيا كلها ، ووشوا فى أمرك ، فلن أسمع لهم : فان هواك قد جعلني استغنى عن العالم ، ولا قيمة للدنيا بدونك :

« لن يضيع هواك مطلقا من رأسنا ، تذهب هذا الرأس ولا يذهب هواك منها . »

وعندما انقضى من الليل فترة ، وعاد الأمراء الذين لم يكن لهم نوبة الحراسة ، ونزل القاضي ضياء الدين الذى كان بعهدته دائما الحراسة من فوق « هزارستون » وتفقد أحوال الأبواب والحراس ، ولم يبق فى خدمة السلطان سوى خسروخان ، ودخل جماعة من براوان « هزارستون » وهم يخفون الخناجر تحت ابطهم ، والتقى رندهول عم خسروخان بالقاضي ضياء الدين ، فشغله بالحديث ، وأعطاه بطاقة الزيارة ، وكان قد حان أجل القاضي ، فى ذلك الوقت أخرج جاهريا نام براوى الذى أراد قتل القاضي ، وقتل القاضي بضرب الخنجر ، وصاح بقدر ما استطاع ليعلن الغدر ، وقامت جلبة بين الناس ، وعندما وصل الصياح الى اذن السلطان ، قال لخسروخان ، ما هذه الغوغاء ؟ فابتعد خسروخان أمام السلطان وجاد ، وقال : ان جيادا أنفلتت وتتعارك ، فى هذه اللحظة توجه جاهريا - خان خسروخان - مع جماعة الى قصر هزارستون ، وقتلوا ابراهيم واسحاق القائمين بحراسة باب القصر ، واطلع السلطان على حقيقة الأمر ، فنهض ، وجرى الى الحرم ، فتعقبه خسروخان ، وأمسك بشعر السلطان ، وجذب السلطان اليه ، والقاء تحته ، وجلس على صدره ، فى هذا الوقت وصل جاهريا ، وطعن السلطان طعنة قاتلة فى جنبه ، فسقط على الأرض ، وفصل رأس هذا المظلوم عن الجسد ، وألقاها من فوق « هزارستون » :

« سيف السماء الغدار مثل قيل « مست » انطلق على هذا الجسد الضخم ، ضربه بطعنة فى الجنب ، حتى صارت الأرض من الدم مثل حديقة شقائق النعمان »

عندما رأى الناس رأس السلطان ، اختفى كل واحد فى ركن ، وسكنت الغوغاء ، وقتلوا جمعا كبيرا من الجاهريين فى هذه الليلة عند

السلطان ، وعندما أنهى براوان أمر السلطان ، توجه رندهول وجاهريا مع عدد من الأفراد الآخرين الى حرم السلطان ، وجذبوا الأمير فيدخان ومنكوخان وكانا من أولاد السلطان علاء الدين من أهمهما وقطعوا رؤوسهما ، وقامت جلبة فى حرم السلطان ، وأطلقوا يد النهب ، وأخذوا ما وجدوه :

« صار هذا العرش وهذا البلاط ، مصدرا للصوصية مثل الشيء المفقود » وبعد أن انتهوا من قتل الأمراء ، جمعوا ملك عين الملك الملتانى وملك وحيد الدين (٣٢٩) قريشى وملك فخر الدين جونا (٣٣٠) وهو السلطان محمد تغلقشاه ، وأبناء قران بيك والأمراء الكبار الآخرين الذين كانوا قد استدعواهم فى هذه الليلة على سطح هزارستون ، وجمعوا حتى الصباح من طائفة براو والمؤيدين لخسروخان الآخرين خلقا كثيرا ، وعندما حل الصباح ، جمع العلماء وأكابر المدينة ، وقرأ عليهم الخطبة ، وجلس على عرش السلطنة ، ولقب نفسه بالسلطان ناصر الدين وقبض على عدد من الأمراء المشاهير الذين كان يخشى معارضتهم ، بالحيلة والتدبير ، وقتلهم ، وأعطى رندهول أموال القاضى ضياء الدين المقتول ، ونجبت زوجة القاضى هارية ، ولقب حسام الدين أخاه بخان خانان (٣٣١). ورندهول « براى رايان » وابن قره قمار بأعظم الملك ، ولقب من أمراء السلطان قطب الدين عبد الملك ملتانى بعالم خان ، وأعطى الملك تاج الملك وحيد الدين قريشى بيوان الوزارة ، وترك أشغال الملك لأبنائه ، وأعطى جاهريا (٣٣٢) قاتل السلطان قطب الدين الدروالجواهر ، وشمله بأنواع الانعامات ، وقسم حريم السلطان قطب الدين بين « براوان » وتزوج زوجة السلطان :

« أيها العالم ، عندما ترب أحدا ، فما الفائدة من أن تمزق حجه »

« لا أعلم ما خفى لك يا صديقى ، لأنه ان ظهر لك فينبغى أن تبكى »

ولما كان أكثر « براوان » هنادكة ، خفضوا شعار المسلمين ، وازدهرت رسوم الهنادكة ، وشاع تخريب المساجد وعبادة الأصنام ، ومن أجل تأليف القلوب نثر خسروخان الذهب ، وانفق أكثر الخزائن فى البذل ، ولما كان غازى ملكا وكان من كبار أمراء السلطان علاء الدين.

(٣٢٩) حيدر « ١ » ص ٩٣ .

(٣٣٠) فخر الدين جونا « ١ » ص ٩٣ .

(٣٣١) خانان « ١ » ص ٩٣ .

(٣٣٢) جاهريا « ١ » ص ٩٣ .

وصاحب جماعة وقبيلة ، وحاكما على دييالبور (٣٣٣) وملك فخر الدين جونا وهو خليفة غازى ملك ويتصف بالشجاعة والسخاء ، وكان فى سنك أمراء علانى (٣٣٤) ، وسعى خسروخان للقبض على هذين الشخصين ، وفكر فى أمرهما ، وبناء على هذا نصب ملك فخر الدين جونا بمنصب «آخر بيكى» وسعى لارضائه وطلب غازى ملك ، ولما كان غازى ملك رجلا شجاعا ومتدينا فقد شك فى أمره ، وعقد العزم على الانتقام لدماء ابن ولى نعمته ، وأرسل الرسائل الى أمراء الأطراف والنواحي ، وسعوا لاستئصال كافر النعمة هذا ، وإثناء ذلك أسرع ملك فخر الدين جونا ، الى دييالبور من طريق دهلى ليلا ، وأستاء خسروخان الذى استيقظ من نوم الغفلة على زوال دولته ، وأرسل ابن قره قمار «عارض ممالك» مع أمراء كبار لتعقب ملك فخر الدين جونا ، وتعقبوا هذه الجماعة حتى قصبة سرستى ، وعادوا ، وكان غازى ملك قد ترك قبل هذا بعدة أيام مائتى فارس فى قلعة سرستى ، وحصنها ، وفكر فى هذا اليوم ، ووصل ملك فخر الدين جونا مع عدد من الفرسان الذين رافقوه الى دييالبور ، وسر الأب من مجيء ملك فخر الدين ، ودق طبل الفرح وعقد العزم على الانتقام ، واهتم بأعداد الجيش ، وسعى لاستئصال «براوان» .

وأعطى خسروخان أخاه الذى كان يسمى خان خانان «جتسر ودورباش» ولقب يوسف صوفى بصوفى خان ، وعينه مع أكثر الرجال الموثوق فيهم والقداية لمهاجمة غازى ملك ، فى إثناء ذلك التحق ملك بهرام أبيه أجه والمقتان يغازى ملك بجيش منظم للانتقام من كافر النعمة وعندما اقترب جيش خسروخان استقبل غازى ملك أيضا هذه الطائفة التعيسة ، وبعد القتال والجدال حقق النصر والظفر ، وخرج خسروخان ويوسف خان من تحت الأقدام جرحى ، وذهبا الى دهلى ، وسقط الحشم وأسباب السلطنة كلها فى يدى غازى ملك ، وصار غازى ملك قويا بهذا النصر ، وأعد الجيوش وتوجه الى دهلى للقضاء على هؤلاء المنحوسين ، وسعى كافر النعمة هذا أيضا بأقصى غاية يبذل المال وكثرة الرجال ، وخرج من المدينة ، وأقام المعسكر فى صحراء قرب حوض علانى ، وأنعم على الجنود بمرتب نصف عام مستقبلا ، فى هذا الوقت فر عين الملك الملتانى وكان من أعظم ملوكه ، وتوجه الى أجين ودهار ، وهذا الأمر سبب إحباطا لخسروخان ، وجعله يضطرب ، وفى

• (٣٣٣) دييال « ١ » ص ٩٣ .

• (٣٣٤) علاء الدين خلجى .

نواحي « اندريته » (٣٣٥) تقابل طائفة أهل الخير وأهل السوء ، وانتصر الحق على الباطل ، ووقعت الهزيمة على خسروخان فقتل ملك تلبغه ناكورى وابن قره قمار الذى كان ملقباً بسايسخان (٣٣٦) وكانا من أركان الدولة الهزيلة ، وقاتل خسروخان لما كان يتسم به من تهور وشجاعة ، حتى آخر اليوم ، وفر الى « تلبته » وسقط « جتر وعلم وحشم خسروخان فى يد غازى ملك ، وعاد خسروخان لاضطرابه وحيدا من تلبته ، واختفى فى حظيرة ملك شادى وكان صاحبه فى أول الأمر ، وفى اليوم القالى أسره ، وأحضره الى غازى ملك ، وقتلوه ، وقد ذكر الزمان بلسان حاله هذا المعنى على خسروخان كافر النعمة :

« الشجرة التى تلقى الرعاية تأتى بالشعر ، والآن تراه بجوارها ،

« ولو قطعت أشواكها ، فلن تأتى بالخضرة »

وأسرع الصغار والكبار فى المدينة لاستقبال غازى ملك ، وهناؤه ، وباركوا له ، وركب غازى ملك فى اليوم القالى من « اندريته » ونزل فى قصر « سبرى » (٣٣٧) وجلس مع الأمراء وأركان الدولة والأكابر فى هزاستون ، وتلقى العزاء فى السلطان قطب الدين وأبنائه ، وبكى وحزن ، وبعد ذلك صاح بصوت عال فى هذا الجمع وقال : « اننى ربيب نعمة السلطان علاء الدين والسلطان قطب الدين ، ومن أجل شكر نعمتهما ، قاتلت أعداءهما بالسيف وانتقمتهما لهما ، ليس طمعا فى الملك والجاه ، الآن أنتم حاضرون فى هذا المجتمع ، اذا كان هناك شخص من أولادهما وأبنائهما باقيا ، فأحضروه ، لنجلسه على العرش ، ونحن نقدم له الخدمة ، وان لم يبق أحد ، فأى شخص تدركون أنه جدير بالعرش ولائق للسلطنة ، فأنا أيضا أطيعه ، فقال العظماء الذين كانوا فى هذا المجلس جميعا : لم يبق من أولاد هذين السلطانين أحد ، والفترة التى واجهت فيها المغول ، وكنت درعا لجميع أهل الهند ، فقد ثبت حقك الكبير على أهل الهند ، والآن هذا العمل الذى فعلته ، وانتقامك من أعداء أولياء نعمتك ، فهذه حقيقة أخرى ثبتت لك عند الخواص والعوام ، فليس غيرك من أحد لائق للسلطنة وأهل لأولى الأمر ، قالوا هذا وأخذوا يد غازى ملك ، وأجاسوه على العرش ، ولقبوه بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، وانعقدت له البيعة العامة والخاصة :

(٣٣٥) مدينه « ١ » ص ٩٤ .

(٣٣٦) نال ثلاثة القاب هى أعظم الملك وعارض الممالك وشايسه خان .

(٣٣٧) سبرى « ١ » ص ٩٥ .

« محطم الأعداء الملك المحظوظ ، بفأل طيب ، جلس على العرش »

« جدد نشاط ونصر الدولة الموفقة على مر الزمان »

ذكر السلطان غياث الدين تغلقشاه :

جلس السلطان غياث الدين بموافقة الأمراء وأعيان عصره في سنة ٧٢٠ هـ على عرش السلطنة في القصر الأخضر (٣٣٨) وانتشر نداء العدل والانصاف ونامت الفتن المتبقية ثانية ، ودد رونق الحكم ، وفي أسبوع واحد كان ينجز مصالح الناس التي لم يتيسر للآخرين في سنوات انجازها :

« فلتثمر شجرة النصر التي في ظلها تستطيع أن تتظل »

« أحيانا تزين المائدة من الفاكهة ، وأحيانا نريح الروح في ظلها »

وتفقد أحوال من بقى من نسل وعيال السلطان قطب الدين والسلطان علاء الدين أينما كانوا ، واسعدهم بالوظيفة والدخل ، وقتل الجماعة الذين اشتركوا في عقد زواج زوجة السلطان قطب الدين على خسروخان ، ونالوا جزاءهم ، وأنعم على الأمراء وملوك السلطان قطب الدين بالانعامات ، وزاد من اقطاعاتهم وقسم عليهم أعمال السلطنة ، وأكرم خواجه خطير وملك أنور جنيدى (٣٣٩) وخواجه مذهب بزرک (٣٤٠) وكانوا دائما لهم مكانة عند السلاطين السابقين ، وأنعم عليهم وسمح لهم بالجلوس وكان يسألهم عن قوانين وأحكام السلاطين السابقين ، التي كانوا قد وضعوها في مجال إقامة الملك وانتظام أحوال الناس ، وكان يتبعها ، وكان يتحرز من الأمر الذي يبعث ضرر ومحنة الناس ، وكان اذا رأى أقل اخلاص من شخص يرفعه الى درجة عالية ، وكل من يظهر منه خدمات جليلة ، يكرمه بالانعامات الطيبة ، وكان يعتدل في أمور الحكم ، ويجتنب الإفراط والمبالغة •

لقب السلطان محمد وكانت آثار العظمة والنعمة ظاهرة عليه بلقب الغ خان (٣٤١) وأعطاه « جتر » وجعله واليا للعهد ، ولقب الأمراء الآخرين الأول ببهرام خان والثاني بظفر خان والثالث بمحمود خان والرابع بنصرت خان ، ولقب بهرام أبيه (٣٤٢) وهو أخوه غير الشقيق

(٣٣٨) كوشك سبز •

(٣٣٩) أنور أجندى « ١ » ص ٩٥ •

(٣٤٠) خواجه مذهب بزرک « ١ » ص ٩٥ •

(٣٤١) الغ خان « ١ » ص ٩٥ •

(٣٤٢) بهرام أبيه « ١ » ص ٩٦ •

بلقب كشلوخان (٣٤٢) وعينه على اقطاع الملتان وجميع بلاد السند ، ولقب ملك أسد الدين ابن أخيه بلقب باريك ، وجعل بهاء الدين ابن أخته « عارضا للممالك » وأقطعه سامانه ، وعهد الملك شادي أخيه وصهره بأمر ديوان الوزارة ، ولقب ابنه بالتبني بتاتارخان ، وأنعم عليه بأقطاع ظفر آباد ، وأعطى ملك برهان الدين والد قلتغخان وزارة ديوكير (٣٤٤) ولقب القاضي صدر الدين لقب « صدر جهاني » وأحال قضاء مدينة دهلي لقاضي سماء الدين (٣٤٥) وجعل أمر ملك تاج الدين جعفر نائب عرض ممالك الكجرات ، وقسم الأشغال الأخرى أيضا على الأشخاص كل حسب حاله ، ولم يكن يكف عن تقديم المستحقات لأهلها ، ولم يكن يهمل الأشخاص أهل الاستعداد .

وفي تحديد خراج المملكة فقد رعى التوسط ، ولم يصنع الى الوشاة ، وإذا كان قد أخذ من شخص أكثر مما هو مقرر من مقاطعته ، حقق فيه ، واسترده ، وإذا أخذ شخص مبلغا باسم الحشم ولم يصل هذا القدر الى الحشم ، عاقبه ، وحكم بإعادته ثانية ، واسترد الذهب الذي كان قد بذله خسروخان على الناس في حالة اضطرابه ، وأدخله الخزانة ، وكل من كان يهمل في أداء هذا الذهب ، كان يقع عليه الشدة والتعذيب ، وكان يستدعى أكثر الأوقات الخواص والعوام ، وينعم على كل شخص حسب استعداداته واستحقاقه ، وكان ينعم على جميع الصدور والعلماء والمشايخ والأمراء حسب حالتهم كلما وصلت رسالته ففتح أو حدث حادث سعيد لأحد الأمراء أو يولد ببيته ولد ، وكان يطلع على أخبار الزاهدين ويتفقد أحوالهم ، وكلما سمع عن شخص من أهل مملكة اضطراب أحواله ، يتدارك أمره .

« عندما صارت السعادة قرينة للملك ، ضحك الجلائر وتفتح الورد ، ففتح الكنز على آخره ، وصار الجيش غنيا من الكنز والجواهر ، وكان يستدعى أولاد واتباع وأعوان وأركان دولته كل شهر ، وينظر في أحوالهم ، وإذا وجدهم في حاجة أو ضرر ، سعى لتلافى هذا ، وكان يتبع أسلوب السلطان علاء الدين في حلبة الفرسان ، ومعرفة الجياد وقيمتها ، ورعاية أحوال الحشم ، وأقر ما كان قد وصل الى الحشم من خسروخان سنويا وكتب ما تبقى في دفتر الزيادات بأسهم ،

(٣٤٣) لشكرخان « ١ » ص ١٦ .

(٣٤٤) ديوكير « ١ » ص ١٦ .

(٣٤٥) معمار الدين « ١ » ص ١٦ .

وأنعم عليهم في السنوات المستقبلية بالتدريج ، وأعاد الحق للمستحق من الوظائف والدخول والأوقاف ، التي كان قد أعطاهما السلطان قطب الدين وهو في حالة سكر بدون وجه حق واستردها ، وظهرت المساواة بين الناس من بركة عدل وانصاف السلطان تغلقشاه وسقط اسم التمرد والبغى ، ولما كانت أبواب دخول المغول قد سدت ، فإنه لم يصل بخاطرهم قط أمل المجيء إلى الهندوستان في مدة سلطنته ، وكان يرغب في إقامة المياني ، وأمر ببناء قلعة تغلق آباد ومبان أخرى ، وكان حسن الذات طيب الاعتقاد ، متقيد الأمر والنهي ، وكان يقضى أكثر أوقاته في العبادات ، ويقوم الليل ويؤدي النفل ، ولا يقترب من المسكرات ، وكان يتشدد في منع الشراب ولم ينحرف عن السلوك الذي كان يسلكه في أثناء ملكه (٣٤٦) مع أهل البيت والغلمان ومماليكه القدامى وأتباعه .

وفي سنة ٧٢١ هـ عين السلطان محمد الملقب بالغ خان (٣٤٧) مع بعض أعوانه القدامى وسائر الأمراء الكبار على أرنكل ، وتوجه الغ خان بجيش جرار وبكامل العظمة والقوة إلى أرنكل ، وعندما وصل إلى ديوكير ، رافقه الأمراء الذين كانوا في ديوكير ، ودخل ولاية تلنك في رحيل متواتر ، ونهب هذه الولاية ، وتحصن راى رودرديو (٣٤٨) والرايان الآخرون في قلعة أرنكل ، وحاصر الغ خان قلعة أرنكل ، وسعى في أعداد النقب والمجانيق ، وكانوا يقتلون الناس يوميا من الطرفين ، وأخيرا عندما تغلب جنود الغ خان واقتربوا أكثر وفتحت القلعة ، أرسل راى رودرديو الرسل إلى السلطان محمد وقبل دفع المال والأفيال والجواهر النفيسة ، وقرر أن يقدم الهدايا أيضا في السنوات القادمة على النظام الذي كان متبعا مع السلطان علاء الدين ، ولم يقبل الغ خان الصلح ، وسعى أكثر في الاستيلاء على القلعة ، واقترب موعد فتح القلعة ، ولما كان من المقرر أن تصل جياد البريد (٣٤٩) من دهلي مرتين في الأسبوع ويحضروا خبر السلامة ، وتصادف أن مر شهر ولم يصل خبر بسبب أنه لم يكن طريق جياد البريد آمنا ، وأطلق عبيد شاغسر وشيخزاده دمشقى ، وكانا أس الفساد والفتنة ، ولهما تقريب عند الغ خان ، اشاعة كاذبة من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه قد توفي في دهلي ، واستولى آخر على عرش السلطنة ، واضطرب حال الجيش

• (٣٤٦) أثناء عمله بلقب « ملك » .

• (٣٤٧) الغ خان « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٤٨) راى لدرديو « ١ » ص ٩٧ .

• (٣٤٩) دا كجوكى .

من هذا الخبر ، فى ذلك الحين اختلى عبيد شاعر وشيخزاده دمشقى بملك تمر (٣٥٠) وملك تكين (٣٥١) وملك مل أفغان وملك كسافور مهردار (٣٥٢) وقالوا لهم : لما كان ألغ خان يعلم أنكم من أكابر ملوك السلطان علاء الدين وشركائه فى ملكه ، فقد قرر أن يقبض على أربعتكم ويقتلكم ، واضطربوا من سماع هذا الخبر ، وحدث فزع عظيم فى الجيش ، وأخذ كل شخص رأسه ونجا ، واضطرب ألغ خان نفسه وفر مع عدد معدود من خاصته من طريق ديوكير ، وخرج أهل القلعة ، وسلبوا مؤخرة الجيش وقتلوا كثيرا من جنود ألغ خان .

أثناء هذا الحال ، وصل جواد البريد وباصطلاح هؤلاء القوم « آلاخ » (٣٥٣) من دهلى ، وأحضر الفرمان من أن السلطان غياث الدين تغلقشاه بصحة وسلامة وتمكن من عرش دهلى ، ووصل ألغ خان سالما الى ديوكير ، وجمع جيشه المتفرق ، وتفرق هؤلاء الأربعة أمراء الذين كانوا قد خرجوا من الجيش عن بعضهم ، فقتل حشمتهم وخدمهم ، وسقطت أمتعتهم وأسلحتهم فى يد « زمينداران » ، ودخل ملك تمر مع عدة أشخاص بين زمينداران ، واختفى ، وقتل الهنود ملك تكين حاكم أوده ، وأرسلوا جلده الى ألغ خان ، وقبضوا على ملك مل أفغان وعبيد شاعر وأهل الفتنة الآخرين أحياء ، وأرسلوهم اليه فى ديوكير ، وأرسلهم ألغ خان الى والده فى دهلى ، وكانوا قد قبضوا فى دهلى على أولادهم وأتباعهم أيضا ، وعقد اجتماعا عاما فى ميدان سرى ، وقضى على عبيد شاعر وأرباب الفتنة ، وألقى بأولادهم وأتباعهم تحت اقدام الأفيال ، ونال ألغ خان أيضا الانعامات الطيبة من والده .

بعد أربعة أشهر أرسل السلطان غياث الدين ألغ خان بجيوش جرارة كاملة الاستعداد الى أرنكل ، وفى هذه المرة دخل ألغ خان ولاية تلنك ، واستولى على قلعة بدر ، وقبض على حاكمها وتوجه من هناك الى أرنكل وحاصرها ، وفى مدة قصيرة فتح القلعة الداخلية والخارجية ، وقبض على رايان هذه الولاية وأولادهم وأتباعهم ، واستولى على أفيالهم وأمتعتهم وخزائنها ، وأرسل رسالة فتح الى دهلى ، وقراءوا هذه الرسالة على منبر دهلى وسرى وتغلقآباد وعقد الأفراح والحفلات وأرسل راي رودرديو أفياله وخزائنه مع ملك بيدار الملقب بقصد خان

(٣٥٠) ملك تمر « ١ » ص ٩٧ .

(٣٥١) ملك تكين « ١ » ص ٩٧ .

(٣٥٢) كسافور مهردار « ١ » ص ٩٧ .

(٣٥٣) « آلاخ » ١ ص ٩٧ وتعنى جواد البريد .

وخواجه حاجى نائب عرض ممالك الى السلطان تغلقشاه ، وسمى ارنكل « سلطانبور » وضبط جميع ولاية تلنك ونصب العمال والولاة ، وأخذ خراج سنة ، وتوجه من هناك الى جاجنكر للنزهة ، واستولى على أربعين فيلا وأرسل الأفيال الى السلطان .

بعد أن فتحت ارنكل ونواحيها ، وتحقق للسلطان غياث الدين النجاح فى كل ناحية ، عرض بعض رجال الدولة ظلم وتعدي ، وفساد حكام البنغال ، وحرصوا السلطان على التوجه الى لكهنوتى ، وصمم السلطان التوجه الى هناك ، واستدعى ألغ خان من ارنكل ، وتركه نيابة عنه فى دهلى ، وتوجه بالعساكر الظافرة القاهرة الى لكهنوتى ، ولما كان صيت شجاعة وبطولة السلطان تغلقشاه قد غطت النواحي والأطراف ، فمجرد أن نزل فى نواحي قرهت ، استقبله السلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى ، والرايان الآخرون وزمينا داران حكام هذه البلاد ، وأسرعوا لملازمته ، وسير أمامه تاتارخان وكان ابنه بالتبني وحاكما لحكومة ظفر آباد ، بجيش جرار ، وذهب واستولى على جميع هذه البلاد ، وأحضر السلطان بهاد رشاه والى سناركام الذى كان مستقلا والقيد فى رقبته ، وأرسل جميع أفيال هذه الديار التى كانت قد وقعت فى يده الى « فيل خانه سلطانى » وسقطت غنائم كثيرة فى يد جيش السلطان فى هذه الرحلة ، وسلم السلطان تغلقشاه « جتروودورباش » للسلطان ناصر الدين حاكم لكهنوتى الذى كان قد بايع وأطاع ، ودخلت سناركام ضمن البلاد ، وقرأوا رسالة فتح لكهنوتى فى دهلى ، وعقدوا الأفراح والحفلات ، وعاد السلطان ظافرا منتصرا الى دهلى وانفصل بنفسه عن الجيش وأسرع فى طريق العودة فكان يقطع المنزلين فى زمن واحد .

عندما علم ألغ خان أن والده سيأتى سريعا ، أمر أن يبنوا قرب أفغانبور قصرا على مسافة ثلاثة فراسخ من تغلقآباد فى ثلاثة أيام ، حتى اذا جاء السلطان ينزل فيه ويقضى الليل ويستقبل أهل المدينة الذين يدركون ملازمته هناك ، وعندما يحل الصباح ، يدخل المدينة فى ساعة سعد بكوكبة وأبهة سلطانية ، وعندما وصل السلطان الى هذا القصر ، عقدوا الأفراح فى تغلقآباد ، وخرج ألغ خان مع الملوك والأمراء وأكابر المدينة لاستقباله ، وتشرفوا بملازمته وجلس السلطان تغلقشاه مع الجماعة التى استقبلته فى هذا القصر ومدوا المائدة الخاصة وعندما رفعوا الطعام ، وأدرك الناس أن السلطان سيركب بسرعة ، خرجوا دون أن يغسلوا أيديهم وظل السلطان يغسل يديه ، وفى هذه الأثناء سقط سقف القصر ، والتحق السلطان تحته برحمة الله ، وكانت مدة سلطنته أربع سنين وعدة أشهر .

مذكور فى بعض التواريخ أنه لما كان القصر حديث البناء وجديداً ، والأفيال التى كان قد أحضرها السلطان تغلقشاه من البنغال تجرى حول القصر ، لذا هبطت أرض القصر ، وسقط السقف ولم يكن خافيا على ضمائر أرباب البصيرة أنه لم يكن ضروريا أبدا بناء هذا القصر ، وإن المغ خان كان يقصد ما حدث لأبيه ، والظاهر هو أن صاحب تاريخ فيروزشاهى ، عندما صنف فى عصره السلطان فيروز قد أهمل ذكر ذلك لأن السلطان محمد كان مفرطاً فى حب السلطان فيروز ، وقد سمعت أنا (٣٥٤) هذا المعنى تكراراً من الثقة ، والمشهور هو أنه لما كان السلطان تغلق يستاء من خدمة الشيخ نظام الدين أولياء فقد أرسل الى الشيخ رسالة أنه عندما أدخل دهلى يخرج الشيخ منها ، قال الشيخ « لم تزل دهلى بعيدة » ، شاع هذا اللفظ بين أهل الهند ومثلاً ، والمشهور هو أن السلطان محمد تغلق كان مريداً للشيخ ، ومعتقداً فيه ، والعلم عند الله ، وفى نفس هذه السنة أيضاً انتقل الشيخ نظام الدين قدس سره وأمير خسرو من ضيق الجسد الى العالم الروحانى .

ذكر السلطان محمد تغلقشاه :

كان خلف صدق وولى عهد السلطان غياث الدين تغلق ، استقر على عرش السلطنة بعد وفاة الأب ، وتوقف هناك أربعين يوماً من أجل اصلاح أمر المملكة وترتيب أمور الحكم واختيار الساعة (٣٥٥) بعد ذلك جلس فى « دولت خانة » القديم بالرسم المعهود على عرش سلاطين السلف ، وتلقب بالسلطان محمد شاه ، ودقوا طبول الفرح فى المدينة ، وعقدوا الأفراح ، وزينوا الأسواق والحارات ، وعند دخول المدينة ، كان هذا القدر من الفضة والذهب والتكنة التى نثرت على جتر لم تحدث فى أى عصر قط وكان السلطان محمد من عجائب الخلق وجامعاً للأشياء ، أراد فترة أن يكون مثل الاسكندر ويسخر الأقاليم السبعة ، وأحياناً عقد العزم على ألا يخرج الجن والانس عن دائرة اطاعته ، وأحياناً كان يتمنى أن يجمع السلطنة بالنبوة ، وينفذ بنفسه الأحكام الشرعية والملكية ، وكان يلتزم التزاماً تاماً بأداء الصلاة والصوم ، وقيام النوافل والمستحبات والأشتغال بالأوراد ، وكان يسعى سعياً جاداً فى اجتناب المناهى والمسكرات وسائر ما يسمى بمعصية ، وبلغ فى القهر والقتل واراقة الدماء البريئة ، وتشديد وتعذيب عبيد الله درجة أن خلت الدنيا من خلق الله ، وبلغ سخاؤه درجة الى أن خلت الخزائن فى طرفة العين ،

(٣٥٤) نظام الدين احمد مؤلف طبقات اكبرى .

(٣٥٥) ساعة الحظ المناسبة .

ركان الغنى والفقر والغريب والمعروف فى نظره سياتى وعندما أعطى
 السلطان بهادر سناركامى ملكه سمح له بالسفر ، وأنعم بما كان فى
 خزائنه من نقد عليه ، وكان يهب ملك غزنين عشرة ملايين تنكه سنويا ،
 ويهب قاضى غزنين نفس القدر أيضا كى لا يضيق على أحد ، وملك
 سنجرىد بدخشانى ثمانية ملايين تنكه ، وملك عماد الدين سبعة ملايين
 تنكه ، وسيد عضد أربعة ملايين تنكه ، وعلى هذا القياس لم تقل انعاماته
 عن لكة (٣٥٦) وواضح أن المراد من هذه التنكه ، تنكه فضة لأن
 « باره » (٣٥٧) نحاس وتعادل ثمانى تنكات ، وكل من ذهب الى بلاطه
 من الأفاضل وأهل الأدب يجد أنواع الرعاية والانعام ، وكل من لاذ
 ببلاطه من خراسان والعراق وما وراء النهر وسائر اطراف العالم نال
 هذا القدر من الاحسان لكى يأمن ذل الحاجة حتى آخر العمر ، ولم يوجد
 مثله فى اختراع ضوابط الحكم واصابة الرأى ، وكان يحكم على الفور
 بالبديهة ومعرفة محاسنه وذنائله لما كان يتمتع به من فرائد صادقة ،
 وحدة قوية ، وكان يعلم ما فى ضمير الشخص قبل أن يتكلم ، وكان له
 لطافة فى البيان وانشاء العبارات واختراع المضامين وضرب المثل ،
 ولديه موهبة مناسبة فى النظم والنثر ، وماهرا فى علم التاريخ ، وكان
 مغرما بعلوم الحكمة والمعقولات ، وكان فى صحبته سعد منطقى وعبيد
 شاعر ومولانا علم الدين وكانوا من علماء الفلسفة ، ولا يهتمون بظاهر
 الشريعة ، ومن كثرة مصاحبتهم وممارستهم للعقليات استقر فى خاطره
 أن الحق منحصر فى العقلانية ، وكان يقبل من النقليات ما يوافق
 العقليات ، ولم يكن يقبل النقليات الصرفة ، ومع هذا الحال كان مطيعا
 ومعتقدا فى الخليفة العباسى ، ويدرك أنه حرام الحكم دون موافقته
 وأنه ، وكان يبالى فى تعظيم وتوفير رسلهم ، ويذهب فى استقبال
 سفارتهم مترجلا .

وسعى فى تسخير البلاد وضبط الممالك الى أن استولى على
 الكجرات ومالوه وديوكير وتلك ، وكنبله ودهورسمند ومعبر وترهت
 ولكهنوتى وستكام (٣٥٨) سناركام (٣٥٩) فى أقل مدة ، وكان خراج
 ومجمل الدخل لهذه الولايات مثل قصبات بين الدواب ، تصل الى دهلى ،
 ووصل استقامة الولاة والعمال الى درجة أنه لم يكن لأحد قط من المقدمين
 أن المتمردى فى هذه النواحي مقدرة ، أن يخفى أحدهم درهما واحدا

(٣٥٦) لك ، لكة : عشرة آلاف .

(٣٥٧) باره « ١ » ، من ١٠٠ .

(٣٥٨) وستكام « ١ » ، من ١٠٠ .

(٣٥٩) سناركام « ١ » ، من ١٠٠ .

من مال الديوان أو يتمرد ، وعقد جميع رايات وزمندان الممالك العقد على خدمته ، وكانوا يأتون الى البلاط دائما ، وهذا القدر من الأموال التي تأتي من أطراف الممالك لم يكن يظهر منها شيء في الخزانة بسبب الإفراط في البذل وكثرة هبات السلطان محمد :

« أعطى ملك الدنيا من هذا الكنز ، كثيرا من الجواهر والفضة والذهب لكل شخص »

« أعطى لماليكه وحشمه أيضا والدرويش »

« الى درجة انه لم يبق في هذا الكنز جواهر ، ووجد الأجر بالمعطاء والانععام » .

ومن كثرة ما لديه من سليقة مخترعة ، كان يريد أن يحدث أحكاما جديدة يخترعها ، ونسخ الأحكام السابقة للحكام التي كانوا قد وضعوها بأراء صائبة ، وكان يخترع يوما حكما خاصا وقاعدة جديدة ، وكان يصدر الفرمانات باسم العمال وولاة الممالك ، لينفذوا أحكامه ، ولما كانت أحكامه تخالف ما أقره سلاطين السلف وطرق العقل فان ذلك كان موجبا للنفور العام ، وكان عماله يعجزون عن تنفيذها ، وكلما وجدوا نفورا عاما ، أهملوا تنفيذها فكانوا يعاقبون بعقوبات مختلفة ، وإذا نفذوها فان عامة الناس سيقتلون ، ووجد الفساد العام طريقه في أمر المملكة ، ووضع في الجملة عدة قواعد ستذكر بالتفصيل ، حتى عجز الناس ، فقتل جماعة لعدم استطاعتهم ، وتمردت جماعة كانت لديها القوة ، ولوت عنان الخلاف ، ولما كان السلطان محمد سيء الطبع خاد المزاج وكان في طبعه قتل الناس ، فلم يكن يتأني أو يتوقف عن قتل الخلائق ، وبسبب عدم تنفيذ أحكامه فان خلقا كثيرين قد قتلوا بسيفه ، وخلت البلاد من خلق الله حتى وصل الأمر الى درجة خرجت أكثر الممالك من تحت سيطرته ، بل شاع العصيان والتمرد أيضا في دهلí العاصمة ، وانقطع مجيء الخراج من الأطراف ، وخلت الخزائن ، وكان رفاقه أمثال زين الدين ومخلص الملك ويوسف بغرا (٣٦٠) وإيوراجا وابن قساخى الكجرات يسمعون دائما في قتل واعدام خلق الله .

من جملة القواعد الهزيلة والأفكار الخاطئة ، احداها أنه كان قد قرر أن يدفع خراج جميع ولاية ما بين « دوآب » مرة واحدة ، وأبدى تشددا في هذا الأمر ، وكان هذا باعثا لاستئصال البرايا وتمرد الرعايا ، وتعطل أمر الزراعة ، ووقع امساك للأمطار أيضا ، وحدث قحط

(٣٦٠) يوسف بقراط « ١ » ص ١٠١ .

عظيم في دهلى ، لدرجة أن خربت أكثر المنازل ، واختل المجتمع ، وحدث
تزلزل كامل في أمر الملك ، ومن أفكاره الأخرى أنه اعتقد أن ديوكير وكانت
وسط الممالك ، أسماها دولت آباد واتخذها دارا للملك ومن أجل هذا
هجر دهلى التى كانت تماثل بغداد ، وأمر سكانها الذين كانوا قد اعتادوا
ماءها وهواءها بأن ينتقلوا بأهليهم وزوجاتهم ويذهبوا الى ديوكير ،
وأعطى كل واحد نفقة الطريق وثمان المنزل من الخزانة ، وصرف مبالغ
كثيرة فى هذا الأمر ، وأكثر الأهالى الذين سافروا لم يتمكنوا من الوصول
الى ديوكير ، والجماعة التى استطاعت أن تصل لم تستطع أن تبقى
وحدث تغيير وتبديل بأحوال الناس ، وحدثت زعزعة كبيرة فى أمر
الملك ، وكان آخرون يريدون أن يستولى على الربع المسكون (٣٦١)
ولكن حشمه وجيشه لم يف بهذه الرغبة ، ومن أجل تنفيذ هذه الرغبة
ظهرت عملة نحاسية ، وأمر أن يكون للنحاس مثل الذهب والفضة فى
الوزن بدار الضرب وازدهرت العملة النحاسية على نظام التنكة الذهبية
والفضية واستعملوها فى البيع والشراء وأحضر الهنود من الممالك مبالغ
نحاسية الى دار الضرب ، وسكوها ، وقد بلغت « لكها وكرورها » (٣٦٢)
واشتروا الأمتعة والأسلحة ، وكانوا يرسلونها الى الاطراف وكانوا يبيعونها
بالتنكة الفضية والذهبية وسك كل شخص الذهب الغالى فى منازلهم ،
وكان يبيعها فى السوق ، وبعد فترة انتشر هذا الأمر فى الأماكن البعيدة ،
وكان الأهالى هناك يشترون التنكة النحاسية بدلا من النحاس العادى
وأحضروها الى المكان الذى ينفذ فيه هذا الحكم ، واشتروا التنكة الذهبية
والفضية ، وبالتدريج كثرت التنكة النحاسية وصارت لها قيمة وصارت
التنكة الذهبية والفضية أغلى سعرا من السابق وزادت عن نظام البيع
والشراء .

« هذا الذهب الذى صار عياره مثل النحاس ، بسعر النحاس صار فى
كل البلاد »

عندما رأى السلطان محمد أن هذا الحكم لا ينفذ ، ولا يستطيع أن
يقتل كل الخلق ، فأمر أن يدع كل شخص لديه تنكة نحاسية ، الخزانة ،
ويأخذون بدلا منها « مهر » (٣٦٣) القديم وأى تنكة ذهب وفضة ، على
أمل أنه ربما تتحسن التنكة النحاسية ، وتروج فى المعاملات ، وكان قد
جمع التنكة النحاسية من منازل الناس وأفقدتها قيمتها ، وأودعها

• (٣٦١) الربع المسكون : اليابسة

• (٣٦٢) كرور عشرة ملايين

• (٣٦٣) نوع من العملة الذهبية

الخزانة ، وعوضهم بالتكنة الذهبية والفضية ، وكثرت العملة النحاسية ،
وخلت الخزائن تماما ، ولهذا السبب حدث فتور عام فى أمر المملكة .

وكان من أفكاره الباطلة أنه فكر أن يسخر خراسان والعراق ، وبناء
على هذا أخذ فى انفاق الخزائن على الرجال الذين قدموا اليه من هذه
الديار لتأليف قلوبهم ، وجمع جيشا كبيرا ، وحدد لهم مقدار ثلاثمائة
وسبعين ألف فارس من الخزانة ، وفى السنة الأولى وصلهم الانعام ،
وفى السنة الثانية لم تحن الفرصة ، لكى يأمر هذا الجيش بتجديد
تسخير الولاية ، ولما لم تقع بيده غنائم حتى يقدم لهذا الجيش الزاد
ويرضيهم ، فقد كان قد أنفق فى خزانة دهلى كلها فى السنة الأولى ،
وتفرق جميع الجنود ولم يستقم أمرهم ، وكان هذا تفرقة أخرى جرت فى
خزائن ملكه ، ومن أفكاره الفاسدة الأخرى ، هى أنه أراد أن يستولى
على جبل هماجل (٣٦٤) الذى يقع حائلا بين ممالك الهند وبلاد الصين ،
وأرسل لهذا الغرض الأمراء المشاهير ، والقواد المحنكين على جيوش
جراره ، لكى يدخلوا هذا الجبل ويسعون فى الاستيلاء عليه ، وعندما
دخل الجيش كله الجبل حصن الهنادكة ممرات الجبل ، وسدوا طريق عودة
الجيش ، وقتلوا أكثرهم ، والعدد القليل الذى عاد سالما قتله السلطان
محمد .

ولما كان السلطان محمد يصدر منه أحكاما شاقة وتكليفات صعبة
كل يوم ، وكان الناس يعجزون عن تحملها ، لذا ابتعد أمر الملك عن
الانتظام والالتزام ، وتولدت الفتن فى كل ناحية ، والفتنة الأولى كانت
بغى بهرام أبيه فى الملتان ، وعندما سمع السلطان محمد بخبر تمرده
وهو فى ديوكير ، أسرع بقدر ما يستطيع الى دهلى ، ومن هناك أعد
الجيش وتوجه الى الملتان ، وقابله بهرام ، وقتله (٣٦٥) فى القتال :

« اذا خرجت على ولى النعمة ، فربما ينقلب الفلك »

وأحضروا رأسه عند السلطان ، وخمدت الفتنة ، وأراد السلطان
محمد أن يقتل أهالى الملتان الذين كانوا قد وافقوا بهرام أبيه ، فتشفع
شيخ الاسلام الشيخ ركن الدين قدس سره العزيز للمذنبين ، وقبل
السلطان ، وعاد الى دهلى منتصرا وظافرا ، ولما كان أهالى الأطراف
الذين أجبروا على سكن ديوكير قد تفرقوا ، وصارت ديوكير خربة ،
فقد توقف السلطان فى دهلى ، ولم يذهب الى ديوكير ، وفى هذه

(٣٧٤) هيمالايا .

(٣٦٥) قتل السلطان محمد بهرام أبيه .

الأيام خربت ولاية ما بين النهرين (٣٦٦) من شدة المطالب وارتفاع الخراج ، ولهذا أحرق أكثر الرعايا محاصيلهم وفسروا بمواشيهم ، وتشتموا ، وأصدر السلطان فرمانا أن يقتلوا كل من يجذوه ، وينتهبوا هذه الولاية ، وكان العمال والولاة هناك يقتلون الخلق بموجب فرمان ، وينتهبهم ، ودخل كل من بقى حيا فى الغابة واختفى :

« ضاقت البلاد كلها من الظلم ومن اليوم »

فى نفس هذه الأيام توجه السلطان الى « برن » للصيد ، ونهب ولاية برن كلها ، وأطاح بالسيف من كان فيها ، وأمر أن يعلقوا الرؤوس على مسننات قلعة برن .

وغتنة أخرى وهى أن فخرا المسمى باسم ملك فخر الدين قد تمرد بعد وفاة بهرام خان فى البنغال ، وقتل قدرخان ، وانتهب خزائن لکهنوتى ، واستولى على لکهنوتى وسناركام وستكام (٣٦٧) وكان السلطان أثناء ذلك مشغولا بنهب ما حول قنوج ، ونهب من قنوج حتى ولاية همومه (٣٦٨) وقتل الناس أفواجا ، ولم يكف يكف عن النهب والسلب حتى علم أن حسن والد ابراهيم خريطة دار قد بغى فى معبر (٣٦٩) وقتل الأمراء ، واستولى على هذه الولاية ، وجاء السلطان الى المدينة (٣٧٠) وقبض على ابراهيم خريطة دار وأقرباء سيد حسن ، وسجنهم ، وأعد الجيش ، وتوجه الى معبر وعندما وصل الى ديوكير ، فرض مطالب ظالمة على عمال وأمراء وحكام هناك ، حتى ضاق أكثرهم من شدة المطالبات ، وفرض خراج عمال أيضا فى ولاية مرهت ، وعين المحصلين القساسة الظلمة ، وبعد ذلك أرسل أحمد اياز الى دهلى ، وتوجه الى تلنك ، وعندما وصل الى ارنكل ، كان هناك وباء أصاب أكثر الناس بالمرض ، وتوفى كثير من الأمراء المشاهير ، ومرض السلطان محمد أيضا فترك ملك قبول نائب وزير الملك هناك ، وفوضه على ولاية تلنك ، وعاد الى جانب ديوكير ، وعندما وصلها ، ظل عدة أيام للعلاج ، ولقب شهاب سلطانى بنصرت خان ، وسلمه ولاية بدر ، وأقطعه اقطاعات هذه النواحي وعشرة ملايين تنكة ، وفوض قتل خان على ولاية مرهت وعاد الى دهلى وهو لم يزل مريضا .

(٣٦٦) ما بين النهرين السند والكنك .

(٣٦٧) سناركام وستكام ذك ، ص ٢٠٥ .

(٣٦٨) ولاية هيمو د ٩ ، ص ١٠٣ .

(٣٦٩) قنوج د ٩ ، ص ١٠٣ .

(٣٧٠) دهلى .

وكان قد أصدر فرمانا من قبل أنه من أراد أن يعود الى دهلى من أهلها من ديوكير فليعد ، وإذا ارتاح فى ديوكير ببقى هناك ، وعاد أكثر الناس من ديوكير بمرافقة السلطان الى دهلى ، وفضل البعض ولاية مرهت ، وأقام السلطان هناك عدة أيام وتوجه من هناك ورأى فى الطريق المتجه الى دهلى فى ولاية مالوه خربة بسبب القحط ، وكان يابكان الذين كانوا فى طريق البريد مستعدين جميعا وهناك آثار معمارية فى هذه النواحي ، وعندما وصل الى دهلى رأى دهلى خربة ، ووصل القحط الى درجة أن « سيرى » (٣٧١) من الغلة لم يجدوه بسبع عشرة درهما ، وملك أكثر الناس ، ونفقت المواشى أيضا لعدم وجود علف :

« عندما حل القحط سنة ما فى دمشق ، كان بسبب أن المحبين نسوا العشق »

« وهكذا بخلت السماء على الأرض ، لأنهم لم يزرعوا الزرع والنخيل »

وبعد أن رأى السلطان الخراب اهتم بتعمير البلاد وتكثير الزراعة ، وأعطى للناس مالا من الخزانة واهتم بأمر الزراعة ، ولما كان الناس مضطرين من كثرة الخراب فكانوا ينفقون جزءا منها على هيئة تقاوى ومأكولات وجزءا آخر كانوا يصرفونه على الزراعة ، ولكن بسبب امساك الأمطار التى حدثت فى هذه الأيام ، لم تقدر ، وقتل أكثر الناس عقابا لهم .

فى أثناء ذلك رفع شاهو أفغان لواء المخالفة ، وقتل بهزاد (٣٧٢) نائب الملتان ، وفر ملك بهوره من الملتان ، وجاء الى دهلى ، وتوجه السلطان محمد من دهلى الى الملتان بجيش مسلح ، ولم يكدر يتقدم منزل حتى التحقت والدته ملكة جهان التى كانت نظام وجامعة شمل أسرة السلطان تغلقشاه برحمة الله ، وحزن السلطان ، وأمر أن يقدموا الطعام والصدقات فى المدينة على روحها ، وأسرع الى الملتان ، وعندما اقترب منها أرسل شاهو رسالة اليه مظهرا الندم ، وعاد وترك الملتان وتوجه الى أفغانستان ، وعاد السلطان الى دهلى ، ووصل القحط فى دهلى الى درجة أن أكل الانسان لحم بنى آدم ، وبذل السلطان من جديد جهدا فى مجال الزراعة ، وأعطى الناس الذهب من الخزانة ، وأمر أن يحفروا الآبار ويهتموا بالزراعة ، وكان ينسب الإهمال والتقصير للناس ويقتلهم ، فى هذا الحين كانت طائفة منداهران (٣٧٣) وجوهانان

(٣٧١) مكيال

(٣٧٢) بهنواد « ١ » ، ص ١٠٣ .

(٣٧٣) منداران « ١ » ، ص ١٠٤ .

ـ وبهتيان (٣٧٤) وميانه الذين كانوا فى ولاية سنام وسامانة
يشرعون فى التمرد ، وأقاموا فى الغابات العظيمة منازلهم ، ومالوا
الخزانات بالمياه ، وأقاموا قلعة حصينة واجتمعوا ، وسلكوا طريق التمرد
والعصيان ، ونهبوا الأموال ، وقطعوا الطريق ، وقاد السلطان الجيش
لدفعهم ، وهدم قلعتهم المسماة باصطلاحهم « مندل » وألحق بهم الضرر ،
وأحضر قوادهم معه وأعطاهم مكانا فى المدينة ، ودخل أكثرهم فى سلك
الامراء ، وقضى على شرهم فى تلك الديار .

فى نفس هذه الفترة ، طغى كنيابايك (٣٧٥) الذى كان فى نواحى
ارنكل بالاتفاق مع زمينداران هذه البلاد ، وفر ملك مقبول نائب وجاء
الى دهلى ، وسقطت ارنكل فى يد الهنادكة ، وخرجت من تحت سيطرة
السلطان ، وفى هذا المكان كان السلطان محمد قد أرسل شخصا من
أقارب راجه كنبله اليها ، وقد أعلن البغى وارقد عن الاسلام ، وخرجت
أيضا من يد السلطان ولم يبق له سيطرة على الممالك البعيدة ، والكجرات
ديوكير ، وحدثت فى كل ناحية الفتن والفساد ، واضطرب السلطان من
هذا الأمر أكثر وأمر بتقتيل الخلق ، وزاد نفور الناس عند استماع خبر
القتل ، وكان سببا فى زيادة الفتنة والحوادث ، وسعى فى تكثير الزراعة
وتعمير المملكة ولكن لم يأت بفائدة بسبب امساك الأمطار ، وأخيرا
اضطر الى أن يصدر أمرا أن يفتحوا أبواب المدينة وأن يدعوا الناس
الذين ظلوا فى المدينة مكرهين بأن يذهبوا أينما شاءوا ، وتوجه أكثر
الناس فى هذه الأيام بأولادهم وأتباعهم الى البنغال ، وخرج السلطان
من المدينة ، ومر من بتيالى وكنبله واختار الإقامة على شاطئ نهر
الجانب ، وأمر أن يتجمع الناس هناك ويسكنوا ، وأسموا هذا المكان
« سركدواري » ووصلت الغلة هناك من كرد وأوده ، وظهر الهدوء على
المدينة ، وكان عين المالك حاكم أقطاع أوده وظفر آباد مع اخوته يرسلون
دائما الغلة والأقمشة وسائر ما يحتاج اليه فى سركدواري ، وأرسل
خلال هذه المدة التى أقام فيها السلطان محمد فى سركدواري من النقد
والغلة ما يساوى ثمانية ملايين تنكة ، مما جعل السلطان يعتقد فيه ويثق
ثقة كاملة فى حسن كفاءته .

وفى هذه الفترة التى كان السلطان فى سركدواري حدثت أربع فتن ،
وخمدت بسرعة ، وأول فتنة ظهرت هى فتنة نظام ما بين (٣٧٦) فى

(٣٧٤) بهمان « ١ » ص ١٠٤ .

(٣٧٥) كنيابايك « ١ » ص ١٠٤ .

(٣٧٦) نظام الدين باين « ١ » ص ١٠٤ .

كرد ، ونظام ما بين هذا كان رجلا ثارارا عديم الفائدة ليس لـ... استعداد ، وبسبب عدم استطاعته أن يحافظ على المقاطعة ، تمرد ، وأخذ « جتر » ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، فاهتم السلطان محمد بدفعه ، وأرسل عين الملك وأخوته لمهاجمته وأسرهم ، وسلخ جلده وأرسل رأسه إلى السلطان ، وسلم أقطاعه لشيخ زاده بسطامي الذي كان زوجا لأخت السلطان محمد ، وعهد إليه بقتل الجماعة التي كانت في هذه الفتنة شركاء لنظام ما بين ، فأخذ هذه الفتنة ، والفتنة الأخرى هي فتنة شهاب سلطان الملقب بنصرت خان ، فلما كان قد أقطعه ولاية بدر كلها بعشرة ملايين تنكة ، ولم يكن يستطيع أن يف بها ، فبغى ، وتحصن في قلعة بدر ، وعين قتلخان من ديوكير ، وأرسل أمراء آخرين من دهلي أيضا لمساعدته ، وحاصر قتلخان قلعة بدر ، وأنزله من القلعة بالاقناع وأرسله إلى السلطان ، وسكنت هذه الفتنة ، ولم يكد يمر شهر على هذه الحادثة حتى قام على شاه ابن أخت ظفرخان وكان أميراً لمائه ، وذهب للتحصيل من ديوكير وعندما رأى هذه النواحي خالية من الخمال ، جمع أخوته ، وقتل بهرف حاكم كلبركه غدرا ، وسلب أمواله ، وتوجه إلى ولاية بدر ، وقتل نائبها أيضا ، واستولى على هذه الولاية ، وعين السلطان محمد قتلخان لدفعه ، وأمر أيضا بأن يرافق قتلخان (٣٧٧) بعض أمراء دهلي وجيش دهار ، واستقبل على شاه قتلخان ، وقاتله ، وهزمه ، وتحصن في قلعة بدر ، وأقنعه قتلخان وأخرجه من القلعة مع أخوته ، وأرسلهم إلى السلطان محمد في سركدواري ، فأرسل السلطان على شاه وأخوته إلى غزنين ، وعندما عادوا من غزنين قتل أخويه .

بعد ذلك أراد السلطان محمد أن يسلم مهام ديوكير لعين الملك ويستدعي قتلخان منها ، وقبل هذا كان قد نفذ حكم الإعدام في جماعة من الكتاب (٣٧٨) في دهلي متهما إياهم بالخيانة وبسبب ارتفاع أسعار الغلال خرج من دهلي وتوجه إلى أوده وظفر آباد ، وألقى بنفسه تحت رحمة عين الملك وأخوته ، وقد كان هذا الأمر يقلق السلطان ، ولكن لم ير مصلحة في إظهاره ، وعندما علم عين الملك بانحسراف مزاج السلطان ، خاف ، ومن أجل هذا أمر أن يتوجه إلى ديوكير ، وأن يذهب معه إلى ديوكير خيوله وأتباعه ، وحمل هذا الأمر على أنه خدعة ومكر من السلطان ، وفكر في أمره ، واستدعى عين الملك بموجب أمر السلطان الجيش وأخوته من أوده وظفر آباد ، ولم يكد جيشه يسير في الطريق

(٣٧٧) قتلخان أو قتلخان .

(٣٧٨) من المحتمل أن تكون « وقائع نويسندكان » كتاب الوقائع .

حتى خرج عين الملك ذات ليلة من سركدواري (٣٧٩) والتحق بجيشه ،
ورفع لواء المعارضة ، والتف اخوته بأربعة آلاف فارس نواحي
سركدواري ، واستولوا على أفيال وجياد السلطان التي كانت ترعى
في الصحراء أمام معسكره ، واستدعى السلطان بسبب اضطرابه
جيش سامانه وأمروه وبرن وكول ، ووصل أحمد أياز أيضا بجيش
دهلي اليه وأعد السلطان الجيش ، وتوجه صوب قنوج ، وأقام المعسكر
في نواحيها ، وقاد عين الملك واخوته أيضا الجيش في مواجهة
السلطان .

« زمجرة الأفيال الضخمة ، حطمت الأسود الضارية »

« الأب يرفع عن ابنه الحقد ، وصارت المحاباة دوما »

وعبروا من معبر بانكر على الجانج ، وحاربوا ، وهزموا ، وأسر
عين الملك وقتلوا أخويه ، وصار جزءا من جيشه علفا للسيف ، ومن بقي
من السيف غرق في نهر الجانج ، والجماعة التي خرجت من نهر الجانج ،
سقطت في مآسى الهناكة ، وقتلهم هناك ، وعندما أحضروا عين
الملك عند السلطان فأمر ألا يصيبوه بأي أذى ، فقد كان أهله كذلك ،
وطلب من عين الملك التقدم ، ولطفه وخلع عليه الخلع ، وأحال اليه
أعمالا كبيرة ، وأنعم على أولاده وسائر رجاله وأهله .

وتوجه السلطان من بانكومثو (٣٨٠) الى بهرائج ، وزار سيهسالار
مسعود شهيد الذي كان قريبا للسلطان محمد الغزنوي ، وتصدق على
المجاورين لهذه الروضة العظيمة والفقراء الذين كانوا هناك بمبالغ
كثيرة ، وأرسل أحمد أياز (٣٨١) الى بهرائج ، ليقطع طريق لکهنوتى ،
ولا يدع الفارين من جيش عين الملك أن يذهبوا الى لکهنوتى ، وأرسل
الأهالى الآخرين الذين كانوا قد فروا وأقاموا في أوده وظفر آباد
بسبب القحط أو خوفا من عقاب السلطان الى أوطانهم ، وعاد السلطان
من بهرائج الى دهلي ، وكان أحمد أياز قد انتهى أيضا من المهمة
الموكولة اليه ووصل الى خدمته .

ولما كان قد تمكن في خاطر السلطان أنه لا يجوز الحكم بدون
إذن الخليفة العباسي ، وأن ارتكاب هذا حرام ، وظل يتتبع مقام الخلفاء
العباسيين حتى سمع أن في مصر خليفة من آل عباس متمكن من عرش

(٣٧٩) وردت سركدواري وسركدواري .

(٣٨٠) بلنكر مئو أو بانكر مئو .

(٣٨١) أحمد أياز « ١ » ص ١٠٦ .

الخلافة ، وباتفاق كمال الملك بايع هذا الخليفة غياثيا ، وأخذ يرسل الرسائل الى الخليفة شهرين او ثلاثة ، ويكتب فى كل مجال للكتابة ، وكان يذكر فى هذه الرسائل بيعته واطاعته ، وأعلن فى المدينة بأن يوففوا صلاة الجمعة والعيد ، وأن يثبتوا اسم الخليفة على السكة محصل اسمه ، حتى سنة ٦٤٤ جاء حاجى سعيد صرصرى من مصر الى دهلى ، واحضر من الخليفة منشور الحكومة وخلعة للسلطان ، وذهب السلطان مع جميع الأمراء والعلماء والمشايخ لاستقباله ، وعندما اقترب ، ترجل ووضع منشور الخليفة على رأسه ، وقبل قدم سعيد صرصرى ، وقدم كل التواضع ، وصار مترجلا خلف رسول الخليفة وأمر أن يقيموا الافراح ، ونشروا الذهب على منشور الخليفة ، وسمح بأداء صلاة الجمعة والأعياد التى كانت موقوفة ، وقرأ الخطبة باسم الخليفة ، وأبعد أسماء السلاطين الذين لم يأذن لهم الخلفاء العباسيون بالسلطنة من الخطبة ، وأمر أن يكتبوا اسم الخليفة مطرزا على الملابس الذهبية وشرفات العمارات ، وبعد مجيء حاجى سعيد صرصرى كتب السلطان رسالة وأرسل رجب برقى الى الخليفة بصحبة حاجى ومعه جواهر نفيس ليس فى الخزانة مثله وتحف وهدايا أخرى ، وجعل ملك كبير سرجاندار (٣٨٢) وكان غلاما للسلطان وليس له نخلير فى حسن الأخلاق واصابة الرأى وكثرة العبادات والشجاعة والبطولة ولم يكن أحد مقرب من السلطان أكثر منه ضمن هداياه ، وأدخله ضمن أملاك الخليفة ، وأرسل رسالة متضمنة اقرار ملك كبير بعبوديته للخليفة مع حاجى رجب برقى ولقبه بملك قبول خليفتى ، وبعد سنتين عاد مرة أخرى حاجى ورجب برقى وشيخ مصرى الى السلطان ، وأحضروا منشور النيابة وخلعه خاصة ولواء أمير المؤمنين ، واستقبلها السلطان وجميع الأمراء والأكابر ، وعندما اقترب ترجل ، ووضع منشور الخليفة على رأسه ، ودخل من البوابة الى القصر ، وأمر الأمراء أن يبائعوا منشور الخليفة وكان يضع أمامه دائما المصحف والأحاديث الشريفة ومنشور الخليفة ، ويأخذ البيعة من الناس باسم الخليفة ، وكان كل حكم أو فرمان يصدر من السلطان ينسبه الى الخليفة ، وكان يقول هكذا أمر أمير المؤمنين ، وهكذا حكم ، وسمح لشيخ الشيوخ مصرى بعد فترة بالانصراف ، وأنعم عليه بكل أنواع الانعام ، وأرسل أموالا وجواهر كثيرة مع شيخ الشيوخ الى السلطان عن طريق البحر ، ووصلت مناشير الى السلطان مرتين من الخليفة فى بروج وكنبايت (٣٨٣) وكان يقدم

(٣٨٢) ملك كبير نهر جاندان د ١ ، ص ١٠٦ .

(٣٨٣) كوناكيت د ١ ، ص ١٠٧ .

فى المرتين كل تعظيم وتكريم ، ويبذل الكثير من الهدايا ، وعندما جاء
مخدوم زاده بغداد عند السلطان ، استقبله السلطان فى قصبة بالم على
مسافة خمسة فراسخ من دهلى ، وانعم عليه بمائة ألف تنكة ومقاطعة
وقصر سبرى وجميع انتاج الأرض فى القلعة ، وأحواض وحدائق أخرى ،
وكلما جاء مخدوم زاده الى السلطان ، ينزل من فوق العرش ويتقدم عدة
خطوات ، ويجلس مكانه على العرش ، ويجلس أمامه بأدب تام ، بعد
أن نال السلطان محمد منشور الخليفة العباسى اعتقد أنه أهل للسلطنة ،
وشرع من جديد فى أمر أولى النعمة ، وعاد واستقر فى سركدوارى ،
وسلك طريق التعمير وتكثير الزراعة ، واخترع فى هذا المجال عدة
طرق فى مجال زيادة الزراعة كانت تلعب فى رأسه ، ولم ييأس ، وأنشأ
ديوانا مستقلا فى هذا المجال ، أسماه « ديوان أميركوى » ولكن لم
يتقدم مطلقا بهذه الأساليب ، ولم يحقق نتيجة ، من جملة أحكامه أنه
كان يخط دائرة حول ثلاثين فرسخا وقرر أن كل أرض تقع فى هذه
المساحة اذا لم تكن مزروعة تزرع ، واذا كانت مزروعة ، تنتقل من
الجنس الأدنى الى الأعلى ، وعهد بهذا الأمر لمائة « شقدار » (٣٨٤)
كان بعضهم قد جاء مضطرا من الجوع والبعض الآخر لم ينظر فى
عاقبة أمره بسبب حرصه وطمعه ، وتكفلوا بزراعتها ، ونالوا مبالغ
كثيرة على هيئة تقاوى وانعامات ، وكانوا ينفقونها فى حوائجهم
الضرورية ، وانتظروا العقاب ، وصرف فى هذه المدة وهى سنتين عدة
مئات الألوف من التنكة من الخزانة كنفقات لهذا الأمر ، وعندما عاد
السلطان من مهمة تهته لم يدع أحدا من المهتمين والمتكفلين بهذا الأمر
حيا .

وأمر آخر كان قد أقدم عليه السلطان محمد فى سركدوارى ، وهو
أنه كان قد عين عمالا وولاة جدد وعزل القدامى ، وعندما عرضوا على
السلطان أن ولاية مرهت وديوكير قد خربت بسبب ظلم وتعدي عمال
قتلقخان ، وأن محصولها وصل أقل من العشر ، فأقر السلطان لولاية
مرهت ثمانين مليوناً وقسمها أربعة أقسام ، وعين أربعة شقدارهم
سرور الملك ومخلص الملك يوسف بغرا وعزيز خمار (٣٨٥) وجعل
وزارة ديوكير فى عهدة عماد الملك سرير سلطانى (٣٨٦) ونياابة
الوزارة بعهدة « دهاراو » الذى كان متكفلا بالتقاوى والأساليب

(٣٨٤) حاكم ناحية .

(٣٨٥) يوسف نيرا وعزيز خمار « ١ » ص ١٠٧ .

(٣٨٦) سرير سلطانى « ١ » ص ١٠٧ .

السلطانية ، واستدعى قتلخان بخيله واتباعه من ديوكير ، واستاء
الاهالى في ديوكير من خروج قتلخان ، ولما كان عقاب السلطان قد
لحق بالنواحي فان اهالى ديوكير كانوا في حماية قتلخان وكانوا
راضين ومسرورين من حسن سلوكه ، وامر مولانا نظام الدين الذي
كان في بروج ان يتوجه الى ديوكير ، وعهد اليه بترتيب الأمور واصلاح
المعاملات هناك حتى يصل عمال ديوكير اليها ، ولما لم يكن من الممكن
احضار الخزانة التي كان قد جمعها قتلخان هناك الى دهلي خوفا
من الطريق ، امر ان يدعوها في دهارا كروهي قلعة حصينة وعبارة عن
حصن قلعة دولت آباد ، وبعد ان جاء قتلخان الى دهار ، ارسل عزيز
خمار وكان من الارازل الى حكومة مالوه ، وفي وقت الوداع اوصاه
بعده وصايا وقال اثناء هذه الوصايا : انني اسمع ان كل فتنة تظهر
في هذه الولاية يكون سببها امراء مائة (٣٨٧) فهم يقرون ارباب الفتنة
ويضعون رأس الفساد ، فكل من تعرف انه شرير ومثير للفتنة اقض
عليه في وقته ، وعندما وصل عزيز خمار الى ولاية دهار ، اهتم بأداء
أعمالها ، قبض دون روية زيادة عن ثمانين شخصا من قواد « أمير
مائة » وقتلهم ، ولم يفكر في أن امراء مائة في الكجرات والدكن والولايات
الأخرى سيخافون ويثيرون أنواع الفتن ، وفي هذا الوقت كان أمير
مائة يسمونه « يوزباشي » ، المهم عندما كتب عزيز خمار هذه الواقعة
وأرسلها الى السلطان ، سر السلطان ، وأرسل اليه خلعة خاصة ،
وفرمان عناية ، وأمر الأمراء أن يكتب كل واحد لعزير خمار رسالة
ثناء ، ويرسلون اليه جوابا وخلعة ، واختص السلطان عزيز خمار
هذا وعدة أشخاص من أسافل الزمان بقربه ، ورفع درجاتهم أكثر من
درجات الأمراء ، ولما كان قد فوض حنا مطرب بجه على ولاية الكجرات
والملتان وبداون ، وعهد بديوان الوزارة لابن بستانس من أسافل
الناس ، وميز فيروز الحجام ، ومكا الطباخ ولدى البستاني وشيخ
بابوومانك جولاهه بجه بقربه ، وأحال اليهم أشغال واقطاعات كبيرة ،
وفوض مقبل نام غلام أحمد اياز الذي كان أحقر الغلمان صورة ومعنى
على وزارة الكجرات ، وكان السلطان محمد يعتقد انه كلما أعطى
الأسافل والأرازل اعتبارا ورفع قدرهم من الأرض ، أدركوا أهميتي
ولا يخرجون عن جادة الاخلاص ، ولكنه لم يكن يعلم انه لا يمكن مطلقا
أن يبدل من طينة السفلة ، ولن يأخذ منهم حق السلطنة ، وكان غافلا
عن هذا المضمون :

« رفع رؤوس السفلة ، على أمل الحصول منهم على خير »

« رؤوسهم المتمردة تخفى التمرد ، والحية ربيبة فى جيوبهم »

وعندما وصل العمل الشنيع لعزیز خمار الى امراء مائة فى الأطراف والجوانب ، تجمع امراء مائة حيثما كانوا ، وانتظروا الفرصة .

اثناء هذا كان ملك مقبل نائب الكجرات متوجها بالخزانة والجياد السلطانية الطويلة التى كانت قد جمعها من الكجرات من طريق ديوسى وبروده الى دهلى ، ونهب امراء مائة الكجرات ، الأموال التى كانت مع ملك مقبل ، وسلبوا أموال وأمتعة التجار الذين كانوا معه أيضا ، وتوجه ملك مقبل الى نهرواله وحيدا ، وغضب السلطان عند سماع هذا الخبر ، وأراد التوجه الى الكجرات وكلما عرض قتلخان (٣٨٨) أن فتنه امراء ديوسى وبروده ليست من هذا النوع الذى يتوجه السلطان من أجل دفعه ، لا فائدة ، وينقل ضياء برنى مؤلف تاريخ فيروز شاهى أن قتلخان قد كتب رسالة بخط يده الى السلطان « اننى استطيع تسكين هذه الفتنة بهذا القدر من الجيش الذى أعده السلطان ، لأن تحرك السلطان بنفسه سيكون سببا فى تولد فتن وحوادث أخرى فى أطراف البلاد :

« اذا اشرقت الشمس بدون الملك ، فان كل مكان تسطع عليه يخرب »

ولم يقبل السلطان رسالته ، وأمر أن يعدوا الجيش ، وترك ملك فيروز ابن عمه نيابة عنه مع ملك كبير أحمد اياز فى دهلى ، ورحل بنفسه من دهلى ، ونزل بقصبة سلطانپور على مسافة خمسة عشر فرسخا من المدينة ، وجمع الجيش ، وهناك وصلت رسالة عزیز خمار من أنه لما كان امراء مائة ديوسى وبروده قد اثاروا الفتنة وأنا أكثر قربا منهم ، فاننى ساعد جيشا وأتوجه لصددهم ، ففكر السلطان وقال : ان عزیز لا يعرف طريق القتال وليس بعيدا من أن يقتل ، ووصل الخبر عقب ذلك أنه لما كان عزیز قد قاتل المتمردين فقد اليد والقدم ، ووقع من فوق جواده وأسره المتمردون ، وقتلوه على أسوأ حال ، وتوجه السلطان من سلطانپور ، ويقول ضياء برنى قال لى السلطان عند توجهه الى الكجرات أنه على الرغم من أن الناس كانوا يقولون : ان الفتن تحدث من كثرة تقتيل السلطان ، ومن كلام الناس هذا كنت اترك كثيرا من الفتن دون عقاب ، وقال بعد ذلك أنت قارئ للتاريخ وبصير به فإي

طريقة مناسبة لعقاب السلاطين ؟ فعرضت عليه انه مذكور فى التواريخ
 الخبرى انه للسلطان الحق فى القتل فى سبع حالات ، اولها : الشخص
 الذى يرند عن دين الحق ، وثانيها : (٢٨٩) من يريق الدم البرىء ،
 وثالثها : من يزنى من الرجال أو النساء المتزوجات ، رابعها : من
 يفخر فى الغدر بالسلطان ، خامسها : من يثير الفتنة ويباشرها ،
 سادسها : من يوافق أهل البغى من الرعايا ، ويقدم الاسلحة والمدد
 والمعونة لهم ، وسابعها : هو انه من لا ينقاد لحكم السلطان ، بعد ذلك
 قال انه فى هذا القتل كم قسما مطابقا للحديث ؟ قلت هناك سبعة اقسام
 للقتل منها ثلاثة واردة فى الحديث ، وهى الارتداد (٣٩٠) وقتل المسلم
 والزنا المحصن ، وأربعة أنواع أخرى تخص السلاطين ، قال
 السلطان : انه فى الأزمنة الأولى كان الناس صادقين فى القول والفعل ،
 وفى هذا الزمان العقاب لازم لى بسبب فساد الزمان حتى يستقيم
 الناس ، ويتركون البغى والخلاف ، ويشيع الأمن بيننا ، طالما ليس لدى
 وزير كامل ينفذ أمور الملك بحسن التدبير ولا يحتاج لاراقة الدماء .

عندما وصل الى جبل أبهو على حدود الكجرات ، عين أحد
 الأمراء ، وقاتل المتمردين ، وفروا أمامه ، وسلكوا طريق ديوكير ،
 وجاء السلطان من أبهو الى بهروج ، وأرسل ملك قبول نائب وزير
 الملكة مع أمراء مائة بهروج لتعاقب الفارين ، ووصل اليهم ملك قبول
 على شاطئ نهر نريده ، وقتل أكثرهم ، وقبض على أولادهم وأتباعهم ،
 وفر البعض أحياء وتوجهوا الى مانديو حاكم جبل سالير مولير (٣٩١)
 ونهبهم مانديو أيضا ، وأصابهم بالضرر ، وقضى على شرهم تماما فى
 الكجرات ، وتوقف ملك قبول عدة أيام على شاطئ نهر نريده ، وقتل
 أيضا أكثر أمراء مائه بهروج بأمر السلطان ، ولجأ القليلون الذين
 بقوا بالأطراف ، وأقام السلطان فى بهروج فترة ، واستولى على أموال
 بهروج وكنبايت وسائر بلاد الكجرات التى كانت قد بقيت عند الأهالى ،
 وأدخلها الخزانة ، وقتل الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا فى الفتنة
 جميعا ، وعين زين بنده الملقب بمجد الدين وابن ركن التانيسرى اللذان كانا
 من شريدى زمانهما على ديوكير ، ليقبض على أهل الفساد هناك
 ويقتلهم ، وقد اضطرب وضاق جمهور أهالى هذه البلاد الذين كانوا قد
 سمعوا أخبار تقتيل السلطان محمد ، وأرسل السلطان بعدهم الى
 ديوكير أميرا آخر ، وأرسل الى مولانا نظام أخى قتلخان فرمانا بأن

(٢٨٩) سقطت من نسخة د ١ ، ص ٩٣

(٣٩٠) ارتداد د ١ ، ص ١٠٩

(٣٩١) سالير مولير د ١ ، ص ١٠٩

يعد ألفا وخمسمائة فارس وأن يرسل أمراء مائة المعروفين هناك
برهفة هذين الأميرين إلى البلاد ، وأرسل مولانا نظام ألفا وخمسمائة
فارس حسب أمر السلطان إلى البلاط مع أمراء مائة هناك مع هذين
الأميرين ، وفي أول مسافة اتفق أمراء مائة والفرسان الآخرون سوريا
بسبب الخوف الذي تملكهم ، فقتلوا هذين الأميرين ، وحبسوا مولانا
نظام ، وقتلوا عماله الذين كانوا يعملون في ديوكير من قبل السلطان ،
ومزقوا ابن ركن الدين تانيري (٣٩٢) أربا ، واستولوا على الخزانة
التي كانت في دهاراكر ، وأجلسوا ملك مخ أخا ملك مل افغان (٣٩٣)
على العرش ، وقسموا الخزانة بين الفرسان والمشاة ، ووزعوا ولاية
مرهت على أهل الفتنة ، واتحد أعوان وانصار ملك مخ افغان وأمراء
مائة ديولي (٣٩٤) وبروده جميعا في ديوكير ، واتفق أهالي هذه البلاد
مع بعضهم ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر وصل إلى ديوكير من
بهروج برحيل متواتر ، وجاء أهل الفتنة لمواجهة السلطان ، وتقاتلوا
وهزموا ، وقتل أكثرهم ، وتحصن مخ افغان قائد أهل البغي مع أعوانه
وانصاره في قلعة دهاراكر وفر حسن كانكو وأخوه مخ افغان ، وذهبوا
إلى كليركه ، ونهب العوام والخواص ديوكير وأرسل السلطان محمد
عماد الملك سرتيز سلطان (٣٩٥) مع أمراء آخرين إلى كليركه (٣٩٦)
ليحكم هذه الولاية ، وأن يقتل كل من يجده من المفسدين الفارين ، وتوجه
أكثر المواطنين في ديوكير برفقة نوروزكرن (٣٩٧) إلى دهلي ، وكتب
رسالة فتح لكى يقرأوها في دهلي على المنبر وندقوا طبول الفرح ، واهتم
بتنظيم أمور ديوكير ومرهت ، ولم يكد ينتهى من مهام هذه الولاية حتى
وصل الخبر أن طغى ابن الحرام ، وكان غلام السلطان ، وأشتهر
بالصفدرى واشكر كشنى ، ودمغ ناصيته بخانم الطغيان ، ورفع لواء
المنازية ، واتفق أمراء مائة وزميندران الكجرات معه ، ودخل بهرواله ،
وقتل ملك مظفر نائب الشيخ معز الدين ، وقبض على الشيخ معز الدين
مع عماله الآخرين ، وحبسهم ، وتوجه من هناك إلى كنباييت بجيش
جراز ، وانتهبها ، وتوجه من هناك إلى بهروج ، وبالفعل حاصر
قلعتها ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، ترك خداوندزاده قسوام

(٣٩٢) تانيري د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٣) ملك ملا افغان د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٤) ديولي د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٥) سرير سلطاني د ك ، ص ٢١٤ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٦) كليركه د ١ ، ص ١٠٩ .

(٣٩٧) كوكن د ١ ، ص ١٠٩ .

الدين وملك جوهر والشيخ برهان يالرامى (٣٩٨) وظهير الجيوش مع جيش كبير فى ديوكير ، وتوجه مسرعا الى جانب بهروج ، واخذ معه كل من كان قد بقى من سكان ديوكير وعندما وصل الى بهروج ، نزل على شاطئ نهر نيده ، وترك طغى بهروج ، وتوجه الى كنباييت ، وعين السلطان ملك يوسف بغرا بجيش جرار لتعقبه ، وعندما وصل ملك يوسف الى كنباييت قابله طغى ، وقاتله ، وقتل ملك يوسف بغرا مع عدد من المعارف فى هذه الحرب ، وفر رجال جيشه ، وجاءوا الى السلطان فى بهروج ، وقتل (٣٩٩) الشيخ معز الدين والعمال الآخرين الذين كانوا فى حبس طغى ، عبر السلطان نهر نريده فى ساعته ، وتوجه الى كنباييت ، وفر طغى من كنباييت وتوجه الى اساول ، وعندما اقترب السلطان من اساول فر الى نهرواله ، وتوقف السلطان فى اساول لمدة شهر بسبب هطول الأمطار ، وأثناء ذلك وصل الخبر أن طغى يتوجه مع جيشه من نهرواله الى اساول ، ونزل فى كرى ، وتوجه السلطان أثناء الأمطار من اساول ، ووصل الى كرى ، وعندما رأى طغى وجيشه أن جيش السلطان قد وصل ، شربوا الخمر جميعا وهجموا على جيش السلطان الخاص على عادة الفدائية ، ولما كانت الأفيال واقفة كما هى حوله ، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، واضطروا العودة ، ودخلوا بين الأشجار الكثيفة التى كانت قريبة فيها ، وتوجهوا من هناك الى نهرواله ، وقبضوا على خمسمائة نفر أحياء من أهل الفتنة الذين كانوا فى عقب جيش طغى ، وقتلوه ، وأرسل السلطان محمد ابن ملك يوسف بغراخان بجيش جرار لتعقبهم فى نهرواله ، وتوقف ابن ملك يوسف فى الطريق عندما حل الليل ، فأخرج طغى أهله وعياله والمتمردين الآخرين من نهرواله ، وعبر من نهر رن ، وتوجه بجانب كنت من ولاية كجه ، وظل هناك عدة أيام ، وفر الى تهته ، وجاء السلطان بعد ثلاثة أيام الى نهرواله ، ونزل على شاطئ حوض سبهلنك (٤٠٠) ، وانشغل بحكم ولاية الكجرات ، وجاء المقدمون (٤٠١) ورايان الكجرات من كل ناحية ، وقدموا الهدايا ، ونالوا الانعام والاکرام ، ويسعى واهتمام السلطان أعاد اصلاح أمر الكجرات ، وانفصل عدة أشخاص مشهورين من جيش طغى ، ولجسأوا لرانا سيري (٤٠٢) وقتلهم رانه مندل ، وأرسل رؤوسهم الى السلطان .

(٣٩٨) بلا رانى د ١٠ من ١١٠
(٣٩٩) طغى

(٤٠٠) سبهلنك د ١٠ من ١١٠

(٤٠١) رؤساء القرى

(٤٠٢) رانه مندل سيري د ١٠ من ١١٠

لم يكد ينتهى السلطان من تنظيم ولاية الكجرات ، حتى وصل الخبر أن حسن كانكو والمتمردين الذين كانوا قد هزموا من قبل فى ديوكير وتفرقوا ، قد اتحدوا وقتلوا عماد الملك سرتيز (٤٠٣) سلطانى ، وفرقوا جيشه ، وتوجه خداوند زاده قوام الدين وملك جوهر وظهير الجيوش من ديوكير الى دهاركر ، ودخل حسن كانكو ديوكير ، وأخذ « جتر » وجلس على العرش ، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين ، والتحق به أيضا حراس قلعة دهاراكر ، وقامت فتنة كبيرة ، وعندما سمع السلطان هذا الخبر ، صار متحيرا ومهموما ، وبعد تأمل واف أدرك أن كل هذه الفتن التى قامت اثر بعضها من كثرة قتله ، وكف عدة أيام فى نهرواله عن القتل عامة :

« عندما تتلطف ، يصبح الخصم شجاعا ، واذا قسوت ينفرون منك »
« القسوة واللفظ زقعة واحدة ، مثل نبض المرأة ليس له جراح ولا مرهم ».

فى ذلك الوقت استدعى السلطان ملك فيروز وأحمد اياز وملك غزنين قتلعه وصدرجهان بجيوشهما من دهلى ، ليرسلهما لمهاجمة حسن كانكو ووصلا اليه بجيوشهما ، وعندما وصل الخبر أن حسن كانكو قد جمع جيشا لا حصر له توقف السلطان عن ارسالهما ، واستهدف من ذلك أنه من الأهم أن يريح خاطره من أمر الكجرات وتسخير كرنال . وهى الآن تشتهر بجوندكر وسوف يقوم بنفسه بدفع حسن كانكو ، وبناء على ذلك قضى سنتين فى الكجرات ، فى السنة الأولى كان مشغولا بتنظيم الولاية واعداد الجيش ، والسنة الثانية اهتم بتسخير قلعة جوندكر (٤٠٤) واستولى على قلعة كرنال وتوابعها ، وأطاعه المقدمون ورايان هذه النواحي جميعا ، وجاءوا لخدمته ، ووصل كنكار راجه ولاية كجه أيضا الى السلطان .

يقول ضياء برنى : « ان السلطان قال لى فى هذا الحال : ان مملكتى أصابتها أمراض متضادة اذا عالجت احداها ، غلب عليها مرض آخر ، وطالما أنت قارئ ومطلع على كتب التاريخ ما هو العلاج الذى تراه فى هذا المجال ؟ قلت : لقد كنت أرى أنه عندما ينفرد الناس من السلاطين وتهب الفتن ، يجلسون ابنا أو اخا جديرا بالسلطنة محلهم ، ويتوارون فى ناحية والبعض كان يعالج هذا المرض بترك الأعمال التى تسبب النفور العام » ، فأجابه السلطان : ليس لى على

(٤٠٣) مرتيز د ١ ، ص ١١٠ .

(٤٠٤) جونه كر د ١ ، ص ١١١ .

هذا النحو ابن أو خلف يستطيع أن يحل محلي ، وقد تركت سياسة العقاب ، نعل لا يحدث شيء .

مرض السلطان في كوندل على مسافة خمس عشرة فرسخا من كرنال ، وقبل أن يأتي الى كوندل كان ملك كبير قد توفي في دهلي فأرسل أحمد اياز وملك قبول نائب وزير الممالك الى دهلي واستدعى خدائمه زاده ومخدوم زاده ، ومعارف آخرين من دهلي الى كوندل ، وعندما وصلوا الى كوندل ووصل جميع أزواجهم وأهاليهم ، وتجمع حوّل السلطان جمع كبير ، نظم الجيوش ، وتحسنت صحته ، وطلب بعد ذلك السفن من ديالبور والملتان وأجه وسيوستان (٤٠٥) الى تهته ، وتوجه من كوندل ، ووصل الى شاطيء النهر ، وعبر النهر بالجيش والافياء ، ونزل على الشاطيء الآخر ، وأثناء ذلك التحق بالسلطان التون بهادر بخمسة آلاف فارس مغولي ، وكان قد جاء من قبل الأمير قرغن (٤٠٦) ، وأنعم عليه السلطان وعلى جيشه بأنواع الانعام والاکرام ، وتوجه عن هناك لاستئصال طائفة « سومره » وطفلي ابن الخرام الذي كان قد لجأ اليهم بجانب تهته ، وعندما وصل لمسافة ثلاثين فرسخا من تهته ، كانت يوم عاشوراء (٤٠٧) وكان صائما ووقت الاقطار اكل سمكنا فعاوده مرض الحمى الذي أصابه من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ركب السفينة ونزل على مسافة أربعة عشر فرسخا من تهته ، وثوقف هناك لشدة المرض ، واشتد المرض يوما بعد يوم حتى توفي في الحادي والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وكانت مدة سلطنته سبعا وعشرين سنة ، وكتب ضياء برنى هذه المراثية في تاريخه :

« لشراب العالم سم نافع ، ولبذره آدم فأكهة مسمومة »
« فيا نديم عدم خفف الوطء ، فهذا العالم قليل من قليل »
« تنفس صبح المحشر ، ونحن نيام ، فاطلق الصيحة للناثقين »
« ها هم فرشوا فرش الصبا ، وجعلوا هذا البساط سعيدا »
« انها القيامة - قم وافتح ، سقف الديوان وسقف السماء »
« توارى شه محمد في قلب الثرى ، فلتليس الرمادي لباس الماتم »
« فانهش كثيرا في جسد الدهر ، وعزق هذا اللباس المزخرف »

(٤٠٥) سيوستان « ١ » ص ١١١

(٤٠٦) قرغن « ١ » ص ١١١

(٤٠٧) عاشوراء « ٩ » ص ١١٤

تذكر السلطان فيروز شاه :

هو ابن أخى السلطان غياث الدين تغلقشاه ، وعندما اشتد المرض على السلطان محمد تغلقشاه فى جيش سويستان ، وعند الارتحال قام ملك فيروز نائب وكان ابن عم السلطان ، وكان السلطان يعتبره أحسب بولاية العهد ، قام بالعمل على معالجة السلطان ، ونال بهذا شفقة وعناية السلطان ، وعندما رأى السلطان تألمه عليه ، أوصى له بولاية العهد ، وقال :

« لتكن أهلاً للسلطنة ، لأننى سحبت الوسادة من تحت رأسى »

وعندما توفى فى نواحى تهته ، حدث تأثر كبير يزيد عن الوصف فى الجيش ، ورأى ملك فيروز باريك أن العلاج هو أن يفصل بلطائف الإحيل عن الجيش أولاً التون بهادر مع الثلاثة ألف فارس مغولى الذين كان قد أرسلهم لمساعدة السلطان محمد الأمير قزغن ، ليأمن من شرهم ، وبعد ذلك أنعم على الأمراء المشاهير وسائر الفرسان الانعامات والخلع واللباس كل حسب حالته ، وسمح لهم بالعودة الى ملكهم ، وأمر أن ينفصلوا عن الجيش فى الحال ويبتعدوا أكثر ، وفى أثناء هذا الحال لم يكن قد مر يومان على وفاة السلطان ، كان رجال الجيش مضطربين من هول النهب والسلب ، فأشار نوروز كركين ، وهو صهر يرمة شيرين ربيب السلطان محمد ، بالخلاف ، واتفق مع المغول على أنه فى وقت الرحيل وبما لديهم من قدرة حيث يكون الجيش فى ارتباك واضطراب ينطلقون فى النهب ، ويأسرون وينهبون ، وفى هذا اليوم ضاع كثير من الأموال وزوجات الرجال بيد المغول ومفسدى تهته ، وقضى رجال الجيش هذا اليوم فى خوف وقزع لا حدود له ، وفى اليوم التالى رحلوا باحتياط كامل وبترتيب الجيوش ، وفى هذا اليوم أيضاً أغار المغول ومفسدو تهته ، حتى وصل الجيش الى شاطيء النهر ونزل ، ولما كان القطيع بلا راع مما سبب الموت والتلف ، اجتمع مخدم زاده عباس والشيخ نصير الدين محمد أودهى المشهور بمصباح دهلوى وهو خليفة الشيخ نظام الدين أوليا ، والعلماء والمشايخ والملوك والأمراء واستدعوا ملك فيروز بازيك للجلوس على العرش :

« قبل الجيش كله الأرض ، لأن الملك وطأ العرش »

« وأينما يضع قدمه نضع رؤوسنا ، ونضع قمرانه على رأسنا تاجاً »

« لو جعل الماء والنار مكاناً لنا ، ما توأججنا عن رأينا فى أحمره »

وكان ملك فيروز يرغب في السفر الى الحجاز وزيارة الحرمين الشريفين ، فاعتذر ، وأخيرا وبالتماس الأكابر والأصاغر جلس على عرش السلطنة في الرابع والعشرين من المحرم سنة ٧٥٢ هـ ، وأطلق سراح عدة آلاف شخص كانوا قد وقعوا في أسر المفسدين ، وفي اليوم الثالث ركب وأسر من كل ناحية كل فارس مغولي وغيرهم ، وقتلهم ، وأسر عدة قواد مغول ، وأبعد مضايقة المغول ومفسدى تهته .

« قرد الهما (٤٠٨) مظلة همايون عليه مثل الجناح ، ومن ثم لا تدعى اليوم أنها باز » (٤٠٩)

« هكذا جعل العالم تابعا لدولته ، مع أنه من طبيعة الأشياء الشذوذ » وصار زمرة الخواص والعوام في أول جلوس السلطان فيروز شاه رهنا لانعاماته السلطانية ، وبعد ذلك وصل برحيل متواتر الى سيوستان ، وأنعم على الأمراء والملوك والمشايخ والجنود بالجياد والخلع والسيوف والحزام ، وخص أيضا سكان سيوستان بالانعامات والأموال وتوجه الى هندوستان (٤١٠) ، وفي الطريق كان ينعم ويسعد كل مدينة وقرية ويصل اليها بالانعام والأموال .

« قوم الطريق ، وافتح ببطء الخزينة المغلقة »

« جعلت الفاتحين أغنياء بالكنز ، والجيش يتمرد من الجوهر »

وفي أثناء الطريق أيضا وصله خبر مخالفة ملك أحمد اياز الملقب بخواجه جهان وكان من المقربين للسلطان محمد شاه ، وتركه السلطان فيابة عنه في دهلي في غيبته ، من أنه رفع طفلا مجهول النسب بادعاء أنه ابن السلطان محمد شاه على السلطنة ، ولقيه بالسلطان غياث الدين محمد شاه ، وجعل نفسه وكيلا مطلقا له ، وحل السلطان هذه الأفعال الشنيعة على حمقه وانحرافه ، فأصدر فرمان غفوه باسمه وأخذ في هدايته ، وبعد ذلك أرسل ملك سيف الدين « شبحته بيل » بالفرسان اليه ، ولكن لم يطع ، وأرسل ملك دهيلان (٤١١) ومولانا نجم الدين رازي وداود مولانا زاده اليه برسالة جاء فيها : لم نزل

(٤٠٨) الهما : طائر خرافي يجلب السعادة .

(٤٠٩) الباز : صقر الصيد .

(٤١٠) توضح هذه الجملة أن الهندوستان لفظ يطلق على المنطقة الشمالية فقط والتي عاصمتها دهلي .

(٤١١) دهيلان « ١ » ص ٢١٣ .

السلطنة في أسرة السلطان محمد ، وأقبلكم نائبا ، ومستقلا تماما بأمور الملخيه ، وای امير تريد معك يكون معك » ، وبعد وصول الرسالة عقد السلطان مجلسا ، حضره الشيخ نصير الدين محمد اودهی (٤١٢) ومولانا كمال الدين اودهی ومولانا كمال الدين سامانه ومولانا شمس الدين باخرزی وأكابر آخرون وعلماء ، وعرض عليهم حقيقة الأمر ، وقال : ما رأيكم في هذا المجال ؟ وماذا ينبغي فعله من وجهة نظر الشرع ؟ قال مولانا كمال الدين : « نظرا لأنه في أول السلطان فانه من الأولى أن يرعى السلطان رسل أحمد اياز ، ويرسل داود مولانا زاده وهو من جملة رسله اليه ، ليهديه بالنصائح » ، وبعد وصول داود ، أدرك أحمد اياز أن الأمر انفلت منه ، ورأى أن أكثر الأمراء قد استقبلوه والمتحقوا بجيش السلطان ، ما عدا ملك نتهو (٤١٣) حاجب وملك حسن ملتاني وأمثالهم الذين بقوا مع أحمد اياز وأخذوا منه الذهب الوافر .

وفي نفس هذا الوقت وصل خبر قتل طفی الذي طغى وكان قد توجه إلى الكجرات ، وانتدت آثار اقبال السلطان فيروز شاه تظهر في كل ناحية ، وأراد أحمد اياز مرافقته بسبب عجزه وأرسل اشرف الملك وملك خلجين (٤١٤) وملك كبير وحسن أمير ميران إلى السلطان من أجل العفو عن ذنوبه ، وخط السلطان بقلم عفو على جرائمه وأجاز حضوره ، ووصل أحمد اياز مع أتباعه محلقو الرؤوس العارية والأغلال في أعناقهم للالزمتهم في نواحي هاني ، فأمر السلطان أن يسلموا أحمد اياز كوتوالا لهانسي ، وعين ملك غياث الدين على تبرهنده (٤١٥) وطرد شيخزاده بسطامي ، وكان لسان الزمان يردد مضمون هذه القطعة :

« الزمان أوقع مخالفيك في فتن آخر الزمان ، كل واحد في نوع مختلف »
« أحدهما مات ، وقطع الفلك بخنجرك رقبة آخر ، وسلب أموال الآخر » .

في الثاني من رجب سنة ٧٥٢ هـ جلس السلطان فيروز شاه في دهلي على عرش السلطنة مستقلا تماما ، وبشر بالعدل والاحسان ، ووصل انعامه إلى كافة الأنام من الخواص والعوام ، وظهرت الرفاهية في الرعايا وعموم البرايا من الصغير إلى الكبير :

(٤١٢) اودهی « ١ » ، ص ١١٣ .

(٤١٣) « ٢ » ، ص ١١٣ .

(٤١٤) ملك خلجي « ١ » ، ص ١١٣ .

(٤١٥) تبرهنده « ١ » ، ص ١١٣ .

« جلس على العرش محطم الأعداء ، الملك المحفوظ صاحب القال الحبين »
« جدد رونق ونشاط ونصر الدولة الموفقة على طول الزمان » (٤١٦)

وفي الخامس من صفر سنة ٧٥٣ هـ توجه السلطان للتنزه والصيد بجانب جبل سرمور ، ووصل أكثر زمينداران هذه النواحي لملازمته وقد تقلدوا حلقة العبودية في آذانهم ، وغاشية الطاعة على أكتافهم :

ما هذا الشمع الذي يشرق في الدنيا

وما هذه الجلبة التي ترن في السماء »

« أهـو موكب الملك أم نسيم الجنة

فان رائحة الأمن والأمان في مشام الروح »

وفي يوم الاثنين الثالث من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ولد الأمير محمد خان في دهلي فعقد السلطان فيروز شاه الاحتفالات وانعم على الخلائق ، وفي سنة ٧٥٤ هـ (٤١٧) اصطاد في كلانور وسفوح جبالها وعاد ، وأثناء العودة بنى عمارة عالية على شاطئ نهر سرسبتي ، ولقب الشيخ صدر الدين ابن الشيخ بهاء الدين زكريا بشيخ الاسلام ، وجعل ملك قبول نائب الوزير والملقب بخانجهالي وزيراً للمملكة ، وعهد لخداوند زاده لقوام الدين الملعب بخداوندخاني بعهدة « وكيل در » (٤١٨) ونال ملك تاتار لقب تاتارخان وصار ملك شرف « نائب وكيلدر » ، وجعل سيف الملك « شكاربيك » (٤١٩) وخداوند زاده ، عماد الملك « سلاحدار » (٤٢٠) وصار عين الملك مستوفيا ومشرفا على الديوان ، ونال ملك حسين أمير ميران منصب « استيفاء كل » (٤٢١) .

وفي شهر شوال سنة ٧٥٤ هـ ترك خانجهان في المدينة وأعطاه سلطات كاملة ، وتوجه بجيش جرار الى لكهنوتى ، لدفع ظلم الياس حاجى الذى لقب نفسه السلطان شمس الدين وتحصن ببندوه (٤٢٢) ، ووصل حتى نواحي بنارسى ، وعندما وصل قرب كوركهبور ، وجاء اديسك مقدم كوركهبور الى السلطان ، وقدم الهدايا اللائقة وفيلين ، ونال الانعام

(٤١٦) سبق ان ورد نفس البيتين من ٢٠٦ .

(٤١٧) ٧٦٤ ، ١ ، ص ١١٤ .

(٤١٨) وكيل البلاط .

(٤١٩) أمير الصيد .

(٤٢٠) أمير السلاح .

(٤٢١) المستوفى العام .

(٤٢٢) شاندة « ١ » ص ١١٤ .

السلطاني ، وقدم زاي كپورهم (٤٢٣) خراج عدة سنوات وتوجهها لللازمته ، وخرج الياس حاجي من بندره ودخل قلعة اكداله (٤٢٤) أحكم قلاع البنغال ، ووصل السلطان في السابع من ربيع الأول إلى اكداله ، ووقعت معركة حامية في نفس هذا اليوم ، وابتعد جيش السلطان عن المدينة في التاسع والعشرين من الشهر المذكور ، ونزل على شاطئ نهر الجانج ، وفي الخامس من ربيع الآخر خرج الياس حاجي ثانية بقصد القتال من القلعة ، وتحرك حركة المذبوح ، وفر داخل القلعة ، واستولى السلطان على أربع وأربعين فيلا مع جتر وعلم وأمتعة وحشم الياس حاجي ، وقتل مشاة كثيرون ، وأقام السلطان اليوم التالي ، وأصدر فرمانا بأن يطلقوا سراح أسرى بلاد لكهنوتي ، ويدخل في الصلح في يوم السابع والعشرين من ربيع الآخر بسبب شدة الأمطار ، وعاد ، وعبر من معبر مانكپور من نهر الجانج ، ووصل دهلي في الثاني عشر من شعبان ، وأمر ببناء مدينة فيروز آباد على شاطئ نهر جون .

وفي سنة ٧٥٦ هـ توجه للصيد في ديپالپور ، وأوصل نهر من نهر ستلد إلى جهجر (٤٢٥) على مسافة ثمان وأربعين فرسخا ، وفي السنة الثانية مد نهر ثانيا من نهر جون إلى نواحي مندل (٤٢٦) وسرمور وأوصل سبعة أنهار أخرى به. ومده إلى هانسي ، ورحل من هناك إلى رالين ، وبنى قلعة هناك ، أسماها قلعة «فيروزه» ، وأقام أمامها قصرا وحوضا واسعا ، كان يمتلأ من نهر جون ، وفرع نهر آخر من نهر كهكر ، ومده حول قلعة سرسدي ، وأوصله حتى نهر كره ، وبنى قلعة بينهما أسماها «فيروز آباد» وفرع نهر آخر من نهر بدهي ، وأوصله إلى الحوض المذكور ، ومده أكثر من هناك وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة يوم عيد الأضحى وصل منشور أبي الفتح خليفة مصر متضمنا تفويض مملكة الهند والسند ، فكان سببا في افتتاح وشور السلطان ، وفي نفس السنة المذكورة أرسل الياس حاجي هدايا لائقة ، وصار موردا للعناية الملكية ، وكانت بلاد الهند تحت تصرف السلطان ما عدا لكهنوتي والدكن ، فان السلطان شمس الدين الياس حاجي قد استولى على لكهنوتي بعد وفاة السلطان محمد تغلقشاه ، واستولى حسن كانكو تماما على الدكن ، وكان يقدم هدايا الصلح ، وفي سنة ٧٥٨ هـ التحق ظفر خان فارس من سناركانو بفيلين بالبلاط ، ونال الانعام ، وصار نائب وزير ، وفي ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ توجه السلطان

-
- (٤٢٣) كنورهم « ١ » ص ١١٤
 - (٤٢٤) كداله « ١ » ص ١١٤
 - (٤٢٥) جنجر « ١ » ص ١١٥
 - (٤٢٦) مندلى « ١ » ص ١٠

الى سامانه (٤٢٧) وأثناء الصيد علم أن جيش المغول الذى كان قد جاء الى نواحى لاهور عاد دون قتال ، فعاد السلطان دهلى ، واهتم بالصيد ، وأثناء ذلك أرسل الراى المذكور رسولا وطلب الصلح ، وأرسل ثلاثة وثلاثين فيلا مع تحف وهدايا أخرى ، وعاد السلطان من هناك وجاء الى بدماوتى وهى مرعى للأفيال بقصد صيد الفيل ، واصطاد ثلاثة وثلاثين فيلا حيا ، وقتل اثنين ، وقال ضياء الملك رباعية فى هذا المجال :

« الملك الذى أسس بحسب الدولة
وأضياء أطراف الدنيا مثل الشمس »
« جاء من أجل صيد الفيل الى جاجنكر .
فاصطاد ثلاثة وثلاثين أحياء وقتل اثنين » .

وعاد من هناك الى كره برحيل متوافر ، ودخل دهلى فى رجب سنة ٧٧٢ هـ (٤٢٨) .

بعد فترة ركب الى جانب نهر يسمونه « اسليمه » والنهر المذكور يحتوى على نهريين كبيرين تجرى دائما ، وفى وسط هذا النهر تقع هضبة عالية أمر السلطان أن يقوم بحفرة خمسون ألفا من الفيالة ، وظهر فى هذه الهضبة الكبيرة عظام أفيال وبنى آدم ، وكانت عظام يد الانسان ثلاث ياردات ، جزء منها متحجر وآخر لم يزل عظاما ، وأثناء ذلك فصل سرهند (٤٢٩) وكانت فى الأصل ضمن دخل سامانه ، ولعشرة فراسينج حولها ، وسلمها لملك ضياء الملك شمس الدين أبورجا ، وأقام هناك قلعة أسماها فيروزيور ، وتوجه من هناك الى نكركوت ، وعندما وصل الى دامن كره ، وأحضروا ثلجا ، قال السلطان : إنه عندما وصل السلطان محمد شاه المرحوم وكان مولاي الى هنا ، أحضروا اليه شربة ثلج ، وطالما جئت الى هنا (٤٣٠) فأمر أن يسقوا الأفيال والابل ماء مثلجا ، وقسم الثلج على جميع الجيش ذكرى للسلطان محمد شاه ، وأسرع راجه نكركوت مسرع ابنائه الى السلطان ، وأخذ على كتفه رداء العبودية ، فأكرمه السلطان ، وسمى نكركوت باسم المرحوم السلطان محمد « بمحمد آباد » .

(٤٢٧) سمائه « ١ » ص ١١٥ .

(٤٢٨) ورد خطأ « ٧٦٢ » ص ١١٦ ، ك ٧٣٢ .

(٤٢٩) سرسمه « ١ » ص ١١٦ .

(٤٣٠) انتهت نسخة كلكتا وآخر عبارة غير كاملة وهى « بهون من حاضر » .

وفى آخر السنة المذكورة ، وصل تاج الدين مع أمراء آخرين من
لكهنوتى بسفارة ، وقدموا الهدايا النفيسة ، ونال الانعام ، وأرسل
السلطان ملك سيف الدين « شحنة فيل » (٤٣١) وجيادا عربية وتركية
وتحفا أخرى برفقة ملك تاج الدين الى السلطان شمس الدين ، ووصل
الخبر فى بهار أن السلطان شمس الدين قد توفى وحل محله ابنه السلطان
سكندر ، فكتب ملك سيف الدين رسالة الى السلطان وأخبره فرد عليه أن
ارجع التحف والنفائس التى كانت مرسلة الى السلطان شمس الدين وأعط
الجياد لجيش بهار ، وأرسل الرسل الى كره ، وبعد ذلك وفى سنة ٧٦٠ هـ
توجه السلطان الى لكهنوتى ، وترك خانجهان نائبا عنه فى غيبته عن دهلى
وجعل تاتارخان حاكما (٤٣٢) من نواحى غزنيين حتى الملتان ، وأقام عدة
أيام بسبب المطر فى ظفر بور ، وفى ذلك الوقت جاء شيخزاده بطامى الذى
كان قد طرده من عند خليفة مصر بخلة ، فلقبه بأعظم الممالك ، وأرسل
سيد رسول دار برفقة زسل لكهنوتى الى السلطان سكندر ، فأرسل السلطان
سكندر خمسة أفيال وتحفا ونفائس أخرى مع سيد رسول دار الى دهلى ،
وقبل وصول سيد رسول دار جاء عالم خان برسالة من لكهنوتى فتوجه
السلطان الى لكهنوتى ، وأثناء الطريق أنعم على الأمير فتح خان بأسباب
الملك مثل جتر ودورباش وقيل خيمة حمراء ، وأمر بضرب السكة باسمه ،
وعين أصحاب الأعمال .

عندما وصل السلطان الى بندوه (٤٣٣) تحصن السلطان سكندر فى
قلعة اكداله ، ونزل السلطان فيروز فى هذه النواحى ، واهتم بالحصار
وبعد عدة أيام طلب السلطان سكندر الأمان ، وقبل دفع المال الذى يرسله
كل عام هدية ، وفى العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، عاد
السلطان ، وأحضروا فى بندوه سبعة أفيال وتحفا وهدايا أخرى من
السلطان سكندر هدية ، وبعد ذلك وصل جونبور وبدأ موسم المطر ، فغضى
فصل المطر هناك وفى ذى الحجة من السنة المذكورة توجه من طريق بهار
الى جابنكر فى أقصى ولاية كرمه كتنكه ، وعندما وصل الى كرمه كتنكه ،
ترك ملك قطب الدين أخا ظفر خان فى الجيش والمسكر وأسرع وحيدا
وعندما وصل الى سنكره ، فر رأى سارين راجه سنكره (٤٣٤) ، ووقعت
أخته فى الأسر ، فحافظ السلطان عليها وأثناء الطريق لازم أحمد خان
الذى فر من لكهنوتى وتحصن فى قلعة ينتهبور السلطان فرقه وميزه

(٤٣١) شحنة فيل أو شحنة بيل .

(٤٣٢) شقدار « ١ » ص ١١٥ .

(٤٣٣) هندوه « ١ » ص ١١٦ .

(٤٣٤) فر راي بنارس راجه ميكره « ١ » ص ١١٦ .

بمراحم وانعامات كبيرة ، وعندما عبر نهر مهندي (٤٣٥) ووصلوا الى مدينة بنارس مسكن ومقام راي جاجنكر ، فر الراي المذكور الى تلك ، ولم يهتم السلطان بتعقبه ، واهتم بالصيد .

قالوا للسلطان انه عندما جاء سكندر ذو القرنين الى هنا في ذلك الوقت ، رسم الناس صورة شبيهة له ، لديهم في بيوتهم ، وصار الها لأهالي هذه الديار وأنه في معبدهم ألف وثلاثمائة كتاب من كتب البراهمة السابقين التي تشتهر « بجالامكهي » وجمع السلطان علماء هذه الطائفة ، وترجمت بعض هذه الكتب : منها نظم عز الدين خالد خاني وكان من شعراء عصره كتابا في الحكمة الطبيعية والسواكن والتقاؤل ويسمى باسم « دلائل فيروز شاهي » وقد اطلعت (٤٣٦) على هذا الكتاب ، والحق هو كتاب يتضمن اقسام الحكمة العلمية والعملية .

المهم ، رحل السلطان الى تهته بعد فتح نكركوت ، وعندما وصل الى تهته وتحصن جام حاكم تهته « بقوت آب » وقاتله فترة ثم عزم التوجه الى الكجرات بسبب قلة الغلة ونقص العلف والكلأ ونقص الماء ، وقضى موسم المطر هناك ، وتوجه الى تهته ثانية ، وأعطى الكجرات لظفر خان وعزل نظام الملك ، وجاء نظام الملك وأتباعه الى دهلي وعينه نائبا للوزير . عندما جاء السلطان الى تهته ، طلب الأمان ، ولأزم السلطان طبقا لمضمون هذا البيت :

« عندما طلب الأمان أمنتته وعندما أبدى عجزا وهبته الروح »

وطيب السلطان خاطره وأحضره مع سائر أعيان هذه البلاد الى دهلي ، وبعد فترة عين جام على تهته ، وسمح له بالانصراف .

وفي سنة ٧٧٢ هـ توفي خانجهان ، ولقب ابنه الأكبر « خويانشه » لقب خانجهان ، وفي سنة ٧٧٣ هـ توفي ظفر خان في الكجرات ، فلقب ابنه الكبير بظفر خان وسلمه الكجرات ، وفي الثامن عشر من صفر سنة ٧٧٦ هـ توفي الأمير فتح خان في كهتوار .

وفي سنة ٧٧٨ هـ عرض شمس الدين أفغاني أن يضيف أربعة ملايين تنكه على أصل خراج الكجرات ومائة فيل ، ومائتي جواد عربي وأربعمائة مملوك سنويا ، وقال السلطان : « لو قبل ضياء الملك ملك شمس الدين ابورجسا نائب ظفر خان هذه الزيادة ، فترك له الكجرات ،

(٤٣٥) مها ندرى « ١ » ، ١١٦ .

(٤٣٦) نظام الدين أحمد مؤلف طبقات اكبرى .

ولم يقبل ملك شمس الدين ، فأعطى شمس دامغانى حلة ذهبية وحربة وكيسين فضة وسمح له بالسفر الى الكجرات بدلا من المرحوم ظفر خان ، ولما كان شمس الدين دامغانى لن يفى بوعده الذى وعده عندما قبل هذا ، نقد جاء وبغى وأثار العصيان بالاتفاق مع جميع أمراء مائة الكجراتين مثل الشيخ فريد الدين ورؤساء الجماعات الأخرى ، وأرسل السلطان جيشا لمقاتلة شمس الدين دامغانى ، وأرسلوا رأسه الى السلطان بعد قتله ، وسلم الكجرات الى ملك مفرح سلطانى الملقب « بفرحة الملك » .

وفى سنة ٧٧٩ هـ توجه الى اتاوه واكجل ، وهزم راى بيرداد هرن وأهل اتاوه الذين حاربوا جيش السلطان ، وأرسل زوجته وابنه الى دهلى ، وبنى قلعة فى اكجل وبتلاهى ، وترك ملك زاده فيروز ابن ملك تاج الدين وجماعة من الأمراء وسلمه أيضا بتلاهى ، وسلم اكجل لملك أفغان وعاد الى دهلى .

وتوفى نظام الدين حاكم أوده والذى كان تابعا للسلطان فى نفس هذه السنة ، فأعطى أوده لابنه الأكبر ملك سيف الدين .

وفى سنة ٧٨١ هـ توجه السلطان الى سامانه ، وقدم ملك قبول حاكم سامانه هدايا كثيرة ، ومر من ابناله وشاه آباد ، وتوجه الى جبل ساتهور ، وأخذ الهدايا من راى سرمور والملوك الآخرين وعاد الى دهلى ، وأثناء الطريق علم أن كهركو مقدم كهترا استضاف سيد محمد حاكم بداوى وسيد علاء الدين وأخوته فى بيته وقتلهم ، فركب فى سنة ٧٨٢ هـ للانتقام لدماء سادات كهتر ، وفر كهركو ، ونهب بلاد كهتر ، وتوجه كهركو الى جبل كماؤن ، ونهب السلطان هذه البلاد ، وسلم بداون لملك قبول ، وترك ملك خطاب أفغان لمتبع كهركو فى سنبل ، واصطاد فى هذه البلاد حتى صارت خرابا قفرا .

وفى سنة ٧٨٧ هـ أقام السلطان فى قرية هولى على مسافة سبعة فراسخ من بدوان قلعة أسماها فيروزبور ولما لم يبن أى قلعة بعدها اشتهرت هذه القلعة المذكورة « بحزين بور » .

وفى هذه السنة غلب المرض والشيخوخة على السلطان ، وسيجلر عليه خانجهان تماما ، وأراد خانجهان أن يقبض على الأمير محمد خان وأمراء آخرين أمثال دياخان بن مظفر خان وملك يعقوب محمد حاجى وكمال الدين الذين كانوا من المخلصين والتابعين للأمير ، وأن يبعدهم عن الحكم وأبلغ السلطان أن الأمراء المذكورين يريدون الخروج عليه ، ووثق السلطان بكلامه ، وأمر أن يقبضوا على هؤلاء الأمراء ، ولم يأت الأمير الى والده لمدة بضعة أيام ، واستدعى خانجهان درباخان بحجة حساب

مهربه ، وسجنه فى بيته ، وعندما سمع الأمير هذا الخبر اضطرب ، وذهب الى أبيه ، وألح له أن خانجهان يهدف الى إثارة التمرد ، ويريد أن يبعد الأمراء الكبار من حولى ، وبعد ذلك يعمل على القبض على . . وأمر السلطان بقتل خانجهان ، وأحضر درياخان من السجن وأمر الأمير ملك يعقوب أن يتوجه بجياده الخاصة ، لمحاربة ملك قطب الدين شحنة فيل وقاتله وفى آخر الليل توجه الأمير على رأس جماعة ، وخرج خانجهان من البيت مع عدة أشخاص وقاتلهم ، وأصيب أخيرا بجرح وهزم ، فدخل الأمير بيته ، وذهب الى بدر من طريق آخر ولجأ الى كوكا جوهان حاكم ميوات ، وانتهب الأمير بيته وقتل بمساعدة ألف من القبجاق ملك عماد الدولة وملك شمس الدين وملك مصالح الدين قبض عليهم فى الحرب .

وبعد هذه الواقعة جعل السلطان الأمير وزيرا مطلقا ، وسلمه اسباب الملك مثل الجياد والحشم والأفيال جميعها ، ولقبه ناصر الدين والدنيا محمد ، وانشغل بالعبادة والطاعة ، وتليت الخطبة يوم الجمعة باسميهما سويا ، وجلس السلطان محمد شاه على العرش فى شعبان سنة ٧٨٩ هـ .

قرر السلطان محمد شاه لأصحاب الوظائف ما سيبقى تقريره ، وخلع عليهم الخلع ، وأحال الكجرات لملك يعقوب الملقب باسكندر خان ، ولقب ملك راجور بمبارزخان وكمال عمر بدستورخان وسائر عمر بمعين الملك ، وملك يعقوب باسكندر خان ، وأرسل اسكندر خان بجيش عظيم لمهاجمة خانجهان ، وعندما اقترب الجيش من ميوات ، قيد كوكا جوهان خانجهان وأرسله الى اسكندر خان وقتله اسكندر خان ، وأرسل رأسه الى الأمير محمد شاه ، وتوجه الى الكجرات .

توجه الأمير محمد شاه فى نفس هذه السنة الى جبل سرمور للصيد ، وأثناء الصيد علم أن ملك مفرح اتفق مع أمراء المائة فى الكجرات ، وقتل اسكندر خان وانتهب الجيش الذى كان برفقته ، ووصل بعض الجرجى الى دهلى مع سبه سالار ، وسمع محمد شاه هذا الخبر فجاء الى دهلى ، ولم يهتم بالانتقام لدم اسكندر خان وانشغل باللهو والطرب ولغفلته حدث تصدع كبير فى أمر المملكة .

وبعد عدة شهور من واقعة اسكندر خان ، ابتعد قواد السلطان عن محمد شاه بسبب الحقد والحسد اللذين ظهرا على سماء الدين وكمال الدين ورفعوا لواء المعارضة ، وأرسل محمد شاه ملك ظهير الدين لاهورى لتسكين الفتنة ، وعندما وصل ملك ظهير الدين الى الميدان الذى تجمع فيه جيش فيروزشاه ، رماه الجنود بالحجارة وجرحوه ، وعاد الى الأمير

محمد شاه على هذا الحال ، فجمع الأمير جماعته وواجه جيش السلطان وقاتلهم وأخيرا قوى جيش الأمير وغلب جيش السلطان ولجأ القواد الى السلطان فيروز شاه ، ومر اليوم فى قتال وجدال ، وفى اليوم الثالث ضاق الأمر على غلمان فيروز شاه ، وأحضروا السلطان الى مكان المعركة وأطلعوه على الأمر وعندما رأى جيش محمد شاه ، وقواد قبيلة السلطان ، كفوا عن القتال وجاءوا الى السلطان وتفرق جيش السلطان محمد وذهب مع من بقى الى جبل سمرور وانتهب جيش السلطان قرابة مائة ألف رجل من فرسان ومشاة منازل محمد شاه وأعوانه واستاء السلطان من وشاية أهل الحسد لمحمد شاه ، وجعل تغلقشاه بن فتح خان حفيده وليا للعهد ، ورفع الى السلطنة ، وأحضر تغلقشاه محمد حسين صهر السلطان وكان من المقربين لمحمد شاه الى البلاط وأطاح برأسه وقيد أيضا غالب خان أمير سامانه لتأييده لمحمد شاه ، وأجلاه عن وطنه ، وأرسله الى بهار وأعطى سامانه الى ملك سلطان .

وفى الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠ هـ توفى السلطان فيروز:

« لقد اختلط الفلك من القاء الرعووس ، ولا ينبغي فصل الرأس عن الجسد »

« لأنه يعلم أن هذا التراب منقلب ويمتزج السديم بالقلوب »
 فليت كل الطرق من عيون العمى
 « اديم القبر من سوء الحظ »
 حكم ثمان وثلاثين سنة وعدة أشهر
 وتاريخ وفاته « وفات فيروز »
 لقد ترك هذا السلطان العادل بين الناس كثيرا من قواعد العدل والاحسان وقواعد الأمن والأمان ، ومن جملة أحكامه كانت ثلاثة ضوابط أساسية :

القاعدة الأولى :

هى أنه ترك العقاب تماما ولم يعاقب قط مسلما أو آدميا ولم يكن محتاجا لتأليف قلوب الناس بسبب كثرة الانعامات والدخول ، وكانت سياسته أعظم سياسة ، وصارت أخلاقه الحميدة وصفاته الجيدة سبب العدالة والانصاف بين الناس ، وسد طريق ظلم وتعدى الناس على بعضهم البعض ، ولم يكن لخلق قط قدرة على إيذاء آخر فى عهده .

القاعدة الثانية :

هى أنه كان يأخذ خراجا من الرعايا تبعا لطاقتهم ، وكان يرفض الزيادة ولم يكن يستمع الى كلمة سوء فى حق الرعايا ، وصارت هذه القاعدة سببا فى زيادة التعمير ورفاهية الرعايا والبرايا .

القاعدة الثالثة :

وهى أنه كان يولى رجالا متدينين يخافون الله على الأعمال والحكومة والولاية ولم يعط خدمة قط لشريد سىء السلوك ولم يجعله حاكما أو أميرا ، وكان الناس جميعا يتبعون حكامهم بناء على القول « الناس على دين ملوكهم » .

كان السلطان يضع قواعد العدالة والأنصاف بينهم ، ولم يكن يظلم أو يتعدى على أحد ، وشاع الأمن والأمان تماما بين الأدنى والأعيان ، وامتناز عن سلاطين الهند الآخرين بخيراته ، وبره وانفاقه وخلعه ، وقد اطلعت (٤٣٧) على رسالة من تأليف السلطان فيروز شاه ، والتي جمعت وقائع أحواله مسبما « بفتوحات فيروز شاهى » وذكر بها بعض الخصوصيات تبركا وتيمنا وبمقتضى القول كلام الملوك ملوك الكلام ، حتى يتبصر أرباب البصيرة بالذات الطيبة والصفات المحببة لهذا السلطان الملك ، ويعلمون سيرته ، وقد بنى هذا السلطان العادل قبة عالية فى المسجد الجامع بفيروز آباد ، وهى مئمنة ، وعلى الثمانية جوانب لهذه القبة فكر أن يحفر على الحجر مضمون هذا الكتاب بأبوابه الثمانية ، وكتب فى الفصل الأول أوقات المسجد وسبب شهرته ، وأكد فى فصل آخر أنه فى الأزمنة السابقة كانت تراق دماء المسلمين لأقل جريمة ومن أنواع التعذيب قطع اليد والقدم والأذن والأنف والسمل وتفتيت عظام الأعضاء بمسمار وحرق الجسد بالنار ، وخرق اليد والقدم والصدر بمسمار ، وسلخ الجلد ، وقطع القدم ، وشدق الانسان نصفين ، وأنواع أخرى تفننوا فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن انسح جميع الأحوال ، وقد اسقطت من الخطبة أسماء السلاطين السابقين الذين صارت الهند دارا للأسلام بجهودهم وأننى أحيى أسماءهم وأدخلها فى الخطبة ثانية حتى تكون الفاتحة رحمة لهم على الدوام .

وفى فصل آخر كان يزجر الأمور غير المعقولة الكثيرة التى دخلت بدون داع سنويا مثل الرعى وبيع الورد والذيله وبيع السمك والندافى وبيع

الحيال وشوى الحمص والمخللات والحانه ورئاسة القرية وكوتوالى
والاحتساب ، واقتلعها جميعا لأن العظماء يقولون :

« جميع قلوب الأصدقاء أفضل من الكنز
والخزينة الخاوية أحسن من انسان مضطرب »

وقررت أن كل مال مخالف لسنة الرسول عليه السلام لا يؤخذ ، وكان
الجيش يأخذ قبل هذا القانون الخمس من مال الغنيمة ، ويأخذ الديوان
أربعة أخماس وقررت أن يكون الخمس للديوان ليوافق الشريعة المطهرة .
وآخر :

أخرجت من ولايتى أصحاب المذاهب السيئة والملحدين
والمبتدعين والمرائين لأنهم ضلوا الخلق ، ودرست رسومهم وعاداتهم
وكتبهم .

وآخر :

كان أهل الزمان قد اعتادوا لبس اللباس الحريرى واستعمال
الذهب والفضة ، وقد ألغيتها جميعا ، وأمرت بموافقة أحكام الشريعة .
وآخر :

لم يصبح متيسرا للنساء المسلمات والكافرات زيارة الأضرحة
والمعابد لأنهم كانوا يضعون أس الفساد ، فمنعت ذلك ، وبنيت مسجدا
محل المعبد .

وآخر :

جددت بناء ما كان قد اندرس عن السلاطين السابقين من مسجد
وخانقاه ومدرسة وبئر وحوض وجسر وقصر وحددت الأوقات ، وكان
مولائى المرحوم السلطان محمد قد عاقب بالقتل وقطع أعضاء جماعة
وجدت لهم أبناء ورثة ، فأنعمت عليهم بالانعام والوظيفة وأخذت منهم
براءة لخدمة السلطان ، أمهرتها بخاتم الأكابر والأشراف وأودعتها مقبرة
السلطان محمد شاه .

وآخر :

فى أى مكان أسمع أن به فقيرا أو عابدا أذهب اليه وأرعى
خاطره .

وآخر :

قررت لقواد الجيش والأمراء الذين وصلوا سن الكبر ويطلبون
الاعتزال والراحة الوظائف والدخول ، واهتممت بأمر الآخرة .

بقى مما بناه (السلطان فيروز) من عمارات وبقاع خير بهذا الشرح :

جدول : ٤	مسجد : ٤	مدرسة : ٣٠	خانقاه : ٢٠
قصر : ١٠٠	رباط : ٢٠٠	مدينة : ٣٠	حوض : ٤
دار الشفاء : ٤	مقبرة : ١٠٠	حمام : ١٠	منارة : ١٠
بئر : ١٥٠	جسر : ١٠٠	حدائق : لا حصر لها	

وسجل في كل بناية أسماء الوقف ، وعين الخدم بكل المساجد والمدارس والخوانق والحمامات والآبار وقرر لهم الرواتب وتفصيل هذا يطول ويزيد .

آخر :

يقولون أنهم أعطوني السم مرتين ، وتناولته وأنا أعلم ، ولم أصب بضرر ، ولما كانت الوقائع الأخرى لهذه الرسالة تدخل ضمن التواريخ فلا داعي للتكرار ، وليتغمده الله برحمته .

ذكر السلطان تغلقشاه بن فتح خان بن فيروز شاه :

جلس على عرش السلطنة في الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٧٩٠ هـ في قصر فيروز آباد بمساعدة بعض الأمراء ، ولقب بالسلطان غياث الدين تغلقشاه ، ووزر ملك فيروز بن تاج الدين ، ولقبه بخان جهان ، وعين غياث الدين ترمذي سلاحداري ، وأطلق سراح ملك فيروز على من السجن ونصبه « جامداري » وكان هذا هو منصب أبيه ، وأرسل ملك فيروز على وبهادر المهاجمة السلطان محمد شاه ، وأرسل سلطان شه حاكم سامانه وراي كمال الدين وأمراء آخرين أيضا لهذه المهمة ، وتوجه في شوال من السنة المذكورة الى جبل سرمور ، ورحل الأمير محمد شاه من هناك ودخل الجبل وتحصن بقلعة كناري ، وتعقبه تغلقشاه ، وانتقل محمد شاه من هناك وتوجه الى قلعة نكركوت ، وعاد الجيش من تعقبه .

ولما كان السلطان تغلقشاه مستغرقا في اللهو والمجون منذ عنقوان شبابه ، ولذا أهمل أمر الملك وشئون السلطنة ، وأخذت القصور تظهر في أمور الملك ، وسجن تغلقشاه أخاه الشقيق خرم سالارسه لقلعة خبرته ، وانزوى أبو بكر بن ظفر خان وهو ابن أخيه بسبب الخوف الذي سيطر عليه وتوجه من ميان الى بدر ، وخرج معه ملك ركن الدين نائب الوزير وأمراء آخرون وقتلوا ملك ميارك كبير في فيروز آباد على بوابة قصر تغلقشاه ، وأدرك (تغلقشاه) غلبة المتمردين ، فخرج من البوابة الخلفية

بمساعدة خانجهان الى نهر جونبور ، وكان ملك ركن الدين موجودا فتعقبه وقبض عليه وعلى خانجهان ، وقتلها ، وعلق رأسيهما على نفس البوابة ، ووقعت هذه الواقعة فى الحادى والعشرين من صفر سنة ٧٩١ هـ ، وكانت مدة حكمه ستة أشهر وتسعا وعشرين يوما والله أعلم بالصواب .

ذكر السلطان أبى بكر شاه :

رفع الأمراء أبى بكر بن ظفر خان ابن السلطان فيروز الى السلطنة عنوة بعد هذه الواقعة ولقبوه بأبى بكر شاه ، وعين ركن الدين بمنصب الوزارة ، وبعد فترة أخبر أبى بكر شاه أن ركن الدين جنده اتفق مع عدد من أمراء الفيروز شاهيه ويريد أن يقضى على أبى بكر شاه ، ويجعل نفسه سلطانا ، وسبقه أبى بكر شه ، وقتل أبى بكر ركن الدين جنده ، وأطاح بالسيف أيضا جمعا من هؤلاء القوم الذين وافقوا ركن الدين ، وسيطر أبى بكر شه على دهلى ، واستولى على أفيال وخزائن السلاطين وظهرت غلبته وسيطرته .

وعلم فى هذه الأثناء أن أمراء مائة سامانه قتلوا ملك سلطان شه خوشدل حاكم سامانه بطعنة خنجر فى الرابع والعشرين من صفر من السنة المذكورة بجوار حوض سنام ، ونهبوا بيته ، وأرسلوا رأسه الى الأمير محمد شاه فى نكرکوت وتوجه السلطان محمد شاه من نكرکوت الى جلندهر وجاء الى سامانه ، وجلس على العرش فى ربيع الأول للمرة الثانية ، وجدد أمراء مائة سامانه وأهالى دامن كوه البيعة له ، وترك أيضا بعض أمراء وملوك دهلى أبى بكرشه والتحقوا بمحمد شاه ، وتجمع حوله عشرون ألف فارس ومشاة لا حصر لهم ، وعندما عزم السفر من سامانه الى دهلى بلغ جيشه عند الوصول الى نواحى دهلى خمسين ألف فارس .

نزل السلطان محمد شاه بقصر جهان نما فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ ، واتجه أبى بكر شه وجيشه لمواجهة جيش محمد شاه فى فيروز آباد ، والتحمت الجيوش فى الثانى من جمادى الأول من السنة المذكورة فى حوارى فيروز آباد ، وفى هذه الأيام دخل بهادر ناهر وجماعته المدينة ، ورجحت كفة أبى بكر وفى اليوم التالى صف أبى بكر الصفوف ، وقاتل ، وهزم محمد شاه وعبر نهر جون بألفين من الفرسان وتوجه الى دواب ، وأرسل همايون خان ابنه الأوسط الى سامانه ليجمع جمعه هناك ورافقه ملك ضياء الملك أبو رجا ، وراى كمال الدين مثنى وراى خلجين بهتى وكانوا حكاما لهذه النواحي ، واتخذ من جليسر على شاطئ الجانج مستقرا له ، والتحق بمحمد شاه بعض أمراء الفيروز شاهيه مثل ملك سرور « شحته شهر » وملك الشرق ونصير الملك حاكم ملتان وخواص

الملك حاكم بهار وملك حسام الدين حاكم أوده وسيف الدين وملك كبير وأبناء حسام الدين وأبناء ملك دولت يار وحاكم قنوج وراى شيرى وملوك آخرون بخمسين ألف فارس ومشاه كثيرين ولقب ملك مسرور بخواجه جهان وجعله وزيرا ، وجعل خواص الملك « خواص خان » وسيف الملك « سيف خان » ونصير الملك « خضر خان » وراى شير « راى رايان » .

رفع محمد شاه لمواء السفر الى دهلى مرة أخرى فى شعبان من السنة المذكورة وقاتل أبا بكر شه فى قرية « كندلى » ولما كانت نوبة السلطان لم تصل بعد الى السلطان محمد فقد أصيب جيشه بالهزيمة .

« كل أمر يكون فيه خوف لا يتحقق وكل رفيق مريح لا يحقق الصداقة » وتعقبه أبو بكر شه ثلاثة فراسخ ، وعاد الى دهلى ، واستقر محمد شاه مرة ثانية فى جليسر .

وفى رمضان من السنة المذكورة أصدر أمرا وأحكاما الى أهل الملتان ولاهور والقصبات الأخرى أن يقتلوا من يجسده فى أى مكان من الممالك الفيروزشاهيه ، وحدث قتل عام فى أكثر الأماكن التى نفذ هذا الحكم فيها ، وشاع الهرج والمرج بين الخلائق وسدت الطرق ، وخربت المنازل ، وقتل أكثر الرعايا ، واستولى على خريبة وخراج هذه الولاية وظهرت أنواع الفساد .

وفى المحرم سنة ٧٩٢ هـ اجتمع الأمير همايون خان مع أمراء آخرين مثل غالب خان حاكم سامانه وضياء الملك وأبى رجا ومبارك خان وملاخون وشمس خان حاكم قلعة فيروز ، وجاءوا الى بانى بت ، وخربوا ما حول دهلى ، وأرسل أبو بكر شه عماد الملك مع أربعة آلاف فارس مشاة كثيرين لمواجهة ، وتقابلا فى نواحى بانى بت ، وهزم جيش الأمير همايون خان ، وذهب الى سامانه ، ولما كان لأبى بكر شه حظ فى فتوحات متتالية ، لذا توجه فى جمادى الأولى فى السنة المذكورة بجيش جرار لدفع محمد شاه فى جليسر ، ونزل على مسافة عشرين فرسخا من دهلى ، وكان محمد شاه قد ترك أكثر الجيش فى جليسر ، وانفصلت جماعة من أربعة آلاف فارس شجاع لم يقاتلوا جيشه الى بكر شه ، وتوجهوا من طريق جب الى دهلى ، وقاتلوا القوة التى تركها أبو بكر شه لحراسة أبواب المدينة ، وأشعل محمد شاه النار فى بوابة بداون ، ودخل المدينة ، ونزل فى قصر همايون والتحق أهالى المدينة الشريف والوضيع بالسلطان محمد شاه ، وأخبر أبو بكر شاه بالخبر ، فتوجه فى نفس هذا اليوم من نفس الطريق ودخل المدينة بجيشه ، وقتل ملك جهاء الدين جنكى الذى كان قد تركه السلطان محمد شاه لحراسة الأبواب ، وتوجه الى قصر همايون ، وتنبه محمد شاه فخرج

من بوابة الحوض الخاص وعاد الى جليسر والتحق بجيشه وقبض أبو بكر على بعض أمراء محمد شاه ، مثل خليل خان باريك وملك آدم واسماعيل ابن أخت السلطان فيروز شاه وقتلهم ، وقتل بعضهم في الحرب أيضا .

وفي رمضان من السنة المذكورة اختلف ميسر حث سلطاني مع أبي بكر شاه وتمرد بعض غلمان السلطان فيروز شاه الذين كانوا أمراء ، وأرسلوا رسائل في الخفاء الى محمد شاه ، وصار أبو بكر شاه ضعيفا وذهب الى بهادر ناهر في كوتله وطلب منه المساعدة ، وترك ملك شاهين عماد الملك وملك بحري وصغير خان سلطاني على دهلي ، وكانت مدة سلطنته سنة ونصف سنة .

ذكر السلطان محمد شاه ابن السلطان فيروز شاه :

وصلت رسالة ميسرخت ورسائل بعض المماليك الفيروزشاهيه الى محمد شاه في السادس عشر من رمضان المذكور من أن أبا بكر قد رحل مع بعض خاصته الى كوتله ، وركب خان خانان الابن الأصغر للسلطان محمد على قيل وظلل رأسه ، ودخل محمد شاه دهلي في التاسع عشر من رمضان المذكور وجلس على العرش في قصر فيروز آباد ، ووزر ميسرخت سلطاني ولقبه باسلام خان والتحق المماليك الفيروز شاهيه وأهل المدينة جميعا بمحمد شاه .

دخل محمد شاه بعد عدة أيام قادما من فيروز آباد واستقر في قصر همايون ، واستولى على أفيال ممالك الفيروز شاهيه جميعا وأودعهم الى « فيلخان » واستاء ممالك الفيروز شاهيه من هذا الأمر ، وخرجوا من المدينة ، وسلخوا طريق الفرار ليلا ، وعندما وصلوا بنسائهم وأولادهم الى كوتله ناهر ، التحقوا بأبي بكر شه ، وأصدر محمد شاه حكما أنه كل من يكون من ممالك السلطان في المدينة عليه أن يرحل الى بدر وفي خلال ثلاثة أيام ذهب كثيرون الى مدينة بدر ، وقبض على الذين لم يتمكنوا أن يذهبوا خلال هذه الثلاثة أيام ، وقتلهم ، ومن المعروف أن بعض ممالك السلطان الذين وقعوا بيده بعد ثلاثة أيام كانوا يقولون من الخوف أننا أصلاء ، قال محمد شاه أن كل واحد منكم كهراكهرى يقول أصيل ، وطالما أراد السلطان محمد شاه فلم يستطيعوا أن يتلفظوا بلفظ ، وكانوا يتحدثون بلسان أهل بورب من البنغال ، وقتلوا ، وقتل أهل بورب جميعا أيضا وكانوا أصلاء ، ولم يكونوا يحسنوا الحديث ، وبعد ثلاثة أيام خلت المدينة من ممالك وآل بيت فيروز شاه الذين كانوا يعارضون محمد شاه .

اهتم محمد شاه بتنظيم أمره ، وجمع الجيش من الأطراف والجوانب ، واشتد ساعده ، وجاء همايون خان من سامانه بجيش كبير الى دهلي

وتحقق لمحمد شاه الغلبة تماما ، فأرسل همايون خان وغالب خان وراى كمال الدين وراى خلجين لمهاجمة أبى بكر شاه ، وعندما وصل الجيش الى كوتله ، اجتمع ابو بكر شه بالاتفاق مع بهادر ناهر وأهل بيت فيروز شاه فى المحرم سنة ٧٩٣ هـ وفاجأ جيش الأمير همايون خان وجرح جماعة من رجاله ، وخلال ذلك هجم اسلام خان على الأطراف وكان مستعدا ، ونظم الأمير جيشه أيضا ، وتقاتلا ، وفى أول الأمر هزم أبو بكسر شه وأعوانه ، ودخل قلعة كوتله ، وعندما علم محمد شاه بهذا الخبر ، رحل من موضعه ، وطلب أبو بكر شه وبهادر ناهر ، وجاءا للملازمة ، وخلع خلعة على بهادر ناهر وسمح له بمرافقة أبى بكر شه وجاءا الى قرية كندى وتفرقا هناك ، وأرسلهما الى القلعة حيث توفى فى نفس هذا السجن ، وذهب السلطان محمد الى دهلى .

وصل خبر تمرد وظلم مفرح سلطاني حاكم الكجرات فى هذه السنة الى السلطان ، فعين ظفر خان بن وجيه الملك على حكومة الكجرات ، وفى سنة ٧٩٤ هـ وصل خبر تمرد برسكنة سردادبيرون ، وتوجه اسلام خان لمهاجمة المتمردين طبقا لأمر السلطان ، وحارب برسكنة اسلام خان ، وهزم وقتل كثير من الكفار وتعقبه جيش السلطان وأخيرا طلب الأمان ، ورافق اسلام خان الى دهلى .

وأثناء ذلك وصل الخبر أن مرداد بيرن قد عبر الى قصبة « ملاكرام » وعندما توجه السلطان اليه بنفسه ، ووصل الى شاطيء نهر بياه ، فر ، ودخل قلعة اتاوه ، وعندما وصل السلطان الى اتاوه تحرك الكفار حركة المذبوح ، وتركوا القلعة ليلا وفروا ، وفى اليوم التالى ، دمر السلطان القلعة وتوجه الى قنوج وأفنى كفار قنوج ورايان دلتو ، وجاء الى جليسر ، وبنى قلعة هناك أسماها محمد آباد .

وصلت رسالة من خواجه جهان نائبه على المدينة وفى رجب من السنة المذكورة مضمونها أن اسلام خان أراد البغى ، ويريد الذهاب الى البنجاب واثارة الفتنة وبمجرد أن سمع السلطان هذا الخبر جاء الى المدينة بجيش جليسر وكتب أمرا بإحضار اسلام خان ، واستفسر عن حقيقة الأمر ، فأنكره وشهد جاجو نام هندوى وابن أخيه وكانا من أعدائه بتكذيبه ، وقتل السلطان اسلام خان وعين خانجهان وزيرا ، وأرسله بالجيش مع ملك مقرب الملك الى محمد آباد .

ووصل خبر تمرد ميرداد برن وجيت سنكه وبريهسان سو فى سنة ٧٩٥ هـ فأرسل السلطان ملك مقرب الملك لتسكين الفتنة ، وعندما التقى الفريقان ، تدخل ملك مقرب الملك للصلح ، ورضى بعهد وقول

رايان المذكورين ، وصاروا منقادين وطائعين ، وحملهم الى قنوج ، وقتلهم بالمكر والخديعة ، وفر راي سير منه الى بدر ودخل اتاوه ، وعاد ملك مقرب الملك الى محمد آباد .

توجه السلطان في شوال من نفس السنة الى ميوات ، وانتهبها وذهب من محمد آباد الى جليسر ومرض ، وعندما وصل الى كوتله قابل بهادر ناهر ، وهزم ، وتحصن في كوتله ، ولما لم يكن لديه طاقة للقتال فر من كوتله .

شاع الخبر أن السلطان قد وصل الى المبنى الذي وضع أساسه في محمد آباد ، وزاد مرضه في هذه الأثناء ، وفي شهر ربيع الأول سنة ٧٩٦ هـ عين الأمير همايون خان لمهاجمة شيخاكهوكهر الذي أثار التمرد وسيطر على قلعة لاهور ، وأراد الأمير أن يتوجه الى لاهور لكن وصله خبر الوفاة في السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة ، وتوقف الأمير في المدينة وكانت مدة سلطنة السلطان محمد شاه ست سنوات وسبعة أشهر .

ذكر السلطان علاء الدين سكندر شاه :

هو الابن الأوسط للسلطان محمد شاه الملقب بهمايون خان ، وعندما مات محمد شاه ، عقد مجلس العزاء ثلاثة أيام وجلس في التاسع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة على عرش السلطنة بموافقة الأمراء والملوك والسادات والقضاة وأكابر دهلي ، ووزر خواجيه جهان ، وقرر الوظائف لأصحابها على القاعدة السابقة ، ومرض وتوفي في الخامس من جمادى الأولى من السنة المذكورة .

« يا مالك الدهر ماذا حدث من رفيق الحظ والملك ، لن يستطيع أن يأكل من هذه المائدة الانصبيه » وكانت مدة سلطنته شهرا وخمسة عشر يوما والله أعلم .

ذكر السلطان محمود شاه :

هو الابن الأصغر لمحمد شاه ، عندما توفي السلطان علاء الدين ، خرج من المدينة أكثر الأمراء مثل غالب حاكم سامانه وراي كمال مئين ، ومبارك خان هلاجون خواص خان حاكم اندري وكرنال ، وأرادوا أن يرحلوا الى ولاياتهم دون إذن السلطان محمود شاه ، وعلم خانجهان بالخبر ، فتوعد اليهم ليحضروا الى المدينة .

وفي العشرين من جمادى الأولى من السنة المذكورة اجلس على عرش السلطنة في قصر همايون بسعى الأمراء وملوك وأكابر المدينة ، ولقب بالسلطان ناصر الدين محمود شاه ، وجعل الوزارة لخواجه جهان ، ولقب بمقرب الملك بمقرب خان وجعله وليا للعهد ، ولقب عبد الرشيد سلطانى بسعادت خان وجعله ياربيكى ونال ملك سارنك لقب سارنك خان وعينه حاكما لديبالبور ولقب ملك دولت يارديبير بـ « دولت خان » وجعله عارضا للممالك ، وكان هذا هو منصب عماد الملك من قبل .

وعندما أصابت الفوضى أحوال عظماء الهندوستان الذين كانوا في جونبور ونواحها بسبب غلبة الأعيان ، فأمر خواجه جهان الملقب بـ « سلطان الشرق » بالرحيل من قنوج الى بهار ، ورجل في رجب سنة ٧٩٦ هـ ومعه عشرون فيلا وجيش جرار ، واستولى سلطان الشرق تماما على هذه الديار ، وجعل أهالى هذه الديار طائعين وتابعين ، وبني بعض القلاع التي كان قد خربها وأرسل معه راي چاجنكر وسلطان لكهنوتى الهدايا والتحف التي كانوا يرسلونها الى السلطان فيروز شاه سنويا ، وفي نفس هذه السنة سمح لسارنك خان بالسفر لحكم ديبالبور ودفع فتنة شيخا كهوكهر .

وصل سارنك خان الى ديبالبور في شعبان من السنة المذكورة ونظم الجيش في ذى القعدة سنة ٧٩٦ هـ ، وتوجه معه راي خلجين مهبتى ورأي داود وكمال مئين وجيش الملتان ، وعندما اقترب من لاهور ، صف شيخا كهوكهر جيشه الكبير ، واستعد للقتال على مسافة اثني عشر فرسخا من لاهور وهبت نسائم الفتح والظفر على راية سارنكخان ، وهزم شيخا كهوكهر ، وتوجه الى جبل جسمو واستولى على قلعة لاهور في اليوم الثانى وترك ملك كندهو أخاه الملقب بعادلخان هناك ، وعاد الى ديبالبور .

ترك السلطان محمود شاه مقرب خان مع عدد من الأفيال وجمع من الخيول الخاصة في المدينة في شعبان من السنة المذكورة ، وتوجه مع سعادت خان الى كواليار وبيانه ، وعندما اقترب السلطان محمد من كواليار فكر ملك علاء الدين وهاراول ومباركخان وابن ملك راجو وملو أخو سارنك خان في الغدر بسعادت خان ، وعلم سعادت خان ، فقبض على ملك علاء الدين ومباركخان وقتلها ، وفر ملو وذهب الى مقرب خان في دهلى وعاد السلطان مسرعا ، وجاء الى دهلى واستقبله مقرب خان .

ولما كان (مقرب خان) يعلم أن مجيء ملو قد أساء الى خاطر السلطان لذا دخل بـلـطائف الحيل الى المدينة ، ورفع لواء المعارضة ، وحاصر السلطان سعادت خان ، وقامت الحرب يوميا ولمدة ثلاثة اشهر ، وخاب بعض تابعي مقربخان السلطان فانفصلوا عن سعادت خان ، ودخلوا المدينة ، وتركوا الأفيال والجياذ والمتاع لدى سعادت خان ، وقوى مقربخان بسبب مجيء السلطان وعزم على الحـسـرب ، وهزم وتحصن ثانية ، وعندما رأى سعادت خان أنه من الصعب تسخير قلعة دهلى ، وهطلت الأمطار ، فنهض من حول المدينة ، وذهب الى فيروز آباد ، وجلس على عرش السلطنة ولقب نفسه ناصر الدين نصرت شاه وعندما وجد أمراء نصرت شاه أن نصرت شاه نموذج ليس له مثيل انفصلوا بالكر والخديعة عن سعادت خان ، ووصلت جماعة لمهاجمة سعادت خان أثناء غفلته ، ولم يكن لدى سعادت خان طاقة ، فذهب الى دهلى ، والتحق بمقرب خان واحتال عليه هذا الغدار بحيلة وقتله ، وجدد أمراء نصرت شاه مثل محمد مظفر وشهاب ناهر وفضل الله بلخي والبيات فيروز شاہى جميعا البيعة لنصرت شاه وجعل محمد مظفر وكيلا للممالك ، ولقبه بتاتار خان ، ولقب شهاب ناهر بشهاب خان وفضل الله بلخي بقتلخان والتقى السلطانان ما بين دهلى وفيروز آباد ، وترك مقرب خان بهادر ناهر مع قوة كبيرة على قلعة دهلى القديمة ولقب ملو بإقبال خان ، وسلمه القلعة الخارجية ، واصطفت الصفوف ما بين دهلى وفيروز آباد ، وتساوى الطرفان ، ووقعت بعض القرى بين النهرين وبانى بت ومن بت ورهتك وجمهجر ولسافة عشرين فرسخا من المدينة تحت سيطرة نصرت شاه ، ولم يبق لحمود شاه سوى قلعة دهلى وتهرانه ، واستولى أمراء وملوك هذين السلطانين كل واحد على ولاية واستقلوا وأجازوا لابنهم الحكم الولاية ، ولمدة ثلاث سنوات نهج أمر الملك على هذا النهج ، وظل أمر ملك السلطانين غير مستقر .

وفى سنة ٧٩٨ هـ اختلف سارنكخان حاكم ديالبور ولاهور وكان فى الأصل معيناً من قبل محمود شاه مع خضرخان حاكم الملتان ، والتحق بعض مماليك بهتى بسارنك ، وقوى نفوذ سارنك واستولى على الملتان فى رمضان سنة ٧٩٩ هـ ، وجمع جمعه وتوجه الى غالب خان حاكم سامانه من قبل نصرت شاه ، وقاتل غالب خان وهزم ، وجاء الى باني بت عند تاتارخان ، وسمع نصرت شاه هذا فأرسل عشرة أفيال رقوة أخرى لمساعدة تاتارخان ، واصطف بالقرب من كوتله فى الحادى عشر من المحرم سنة ٨٠٠ هـ ، وهزم سارنكا خان ، فتوجه الى جانب الملتان ، وسيطر على ملك الماس حاكم سامانه ، وسلمها الى غالب خان وتتبع تانلوندى .

وفى ربيع الاول من السنة المذكورة عاد تاتارخان وعبر مرزا بير محمد حفيد امير صاحب قران تيمور كوكان من نهر ستلد ، وحاصر قلعة أوجه ، وتحصن ملك على الذى كان حاكما على أجه من قبيل سارنكخان ، وقاوم لمدة شهر ، وأرسل سارنكخان ملك تاج الدين نائبا مع أربعة آلاف فارس من الشجعان لمساعدة ملك على ، وعلم مرزا مير محمد فترك القلعة ، واستقبل الأعداء ، وحصد رؤوسهم ، وهزم ملك تاج الدين ، وتعقبه مرزا مير محمد ، وحاصر قلعة الملقان ، وحارب سارنكخان لمدة ستة أشهر وكانت الحرب تقع يوميا وأخيرا طلب الأمان ، ولازم ميرزا مير محمد وتوقف ميرزا مير محمد بعد فترة بالملقان لعدة أيام فى تلك الأنحاء .

وفى شوال من السنة المذكورة ذهب اقبال خان الى نصرت خان وتحديثا فى مزار الشيخ قطب الدين بختيار كاكى قدس الله سره ، فى القرآن الكريم ، وتعاهدا واحتفى نصرت شاه بجيشه وأفياله فى قلعة « جهان بنده » وظل محمود شاه متحصنا مع مقرب خان وبهادر ناهر شى دهلوى القديمة وفى اليوم الثالث دبر الخديعة والمكر ، وأراد أن يقبض على نصرت شاه ، وخرج نصرت شاه من القلعة مضطرا ، وقبض عليه اقبالخان مع عدد من أتباعه فى فيروز آباد ودخل مقرب خان قلعة جهان بنده ، واحتفى بها .

جمع اقبال خان جيشه وغافل منزل مقرب خان ، ولم يعطه الأمان وقتله ، ولم يؤذ السلطان محمود شاه بأى أذى وكرمه ، وأجلسه على السلطنة ، وذهب اقبالخان الى تاتارخان فى ذى القعدة من نفس السنة المذكورة فى بانى بت ، وترك تاتارخان جماعة مع عدد من الفيلة داخل القلعة وتوجه الى دهلوى من طريق آخر ، وبعد ثلاثة أيام فتحت قلعة بانى بت ، واستولى اقبال خان على أفيال وحشم تاتارخان ، وعلى الرغم من سعى تاتارخان لفتح قلعة دهلوى فلم يفلح ، واضطرب عند سماع خبر فتح بانى بت ، وذهب الى أبيه بالكجرات ، وجاء اقبال خان الى دهلوى ، وحرض نصير الملك خويش تاتارخان وكان من تابعى اقبال خان على نهبه الى تاتارخان ، ولقبه بعادلخان ، وسلمه سامانه وما بين دواب ، ووضع أساس حكومة مستقلة له هناك .

ووصل خبر قدوم صاحب قران امير تيمور كوركان فى صفر سنة ٨٠١ هـ وفتح « طلبينه » ونزل بالملقان ، وقتل كل من أسره مرزا بير محمد جميعا ، وخاف اقبال خان من هذا الخبر فجمع جيشه وحزم أمتعته ، رحل صاحب قران من الملقان وحاصر قلعة بهيره وأسر راي خلجين بهتى وقتل خلقا كثيرين كانوا متحصنين ، واتجه صوب سامانه

ومن هناك فر بعض الأهالى من ديوبالپور واجودهن سرستى وجاءوا الى دهلى وأسر وقتل خلقا كثيرين ، وتوجه أمير صاحب قران من هناك ودخل ولاية دواب بالنصر والفتح ، ونهب أكثر الأماكن ، ونزل بقصبة « لونى » .

ويروون أنه أسر خمسين ألف شخص من أهالى الهند والجانج حتى نهر السند ، وقتل خلقا كثيرين ، وفر أكثر الخلائق ، وتحصنوا فى الجبال ، وفى جمادى الأولى سنة ٨٠١ هـ عبر نهر جون ونزل بفيروز آباد ، وفى اليوم الثانى نزل بجوار الحوض الخاص ، وخرج اقبال خان من المدينة وتحرك حركة المذبوح وفى أول هجوم هزمه الجيش الظافر ودخل المدينة ، ودهم خلائق كثيرين ، وقتل وأسر جمع غفير ، ووقعت أكثر الأقبال والحشم بيد أصحاب دولة صاحب قرانى ، وعندما حل المساء ترك ملوخان زوجاته وأطفاله وذهب الى قصبة برن ، وأخذ السلطان محمد وقليل من خاصته وخدمه الى الكجرات ، وفى اليوم التالى أمن صاحب قرانى أهالى المدينة ، وعين جماعة لتحصيل مال الأمان .

حدث أن بعض أهالى المدينة أنكروا ظلم المحصيلين ، وقتلوا عددا منهم ، فثار هذا ثائرة صاحب قرانى ، فحكم بآباد المدينة ، وفى هذا اليوم قتل وأسر خلق كثيرون ، وفى النهاية صدر عفو عن جرائم هذه الطائفة ، وأعطى الأمان والأمن لهم .

جاء خضر خان بعد عدة أيام وكان يسيطر على جبل ميوات ، وأمن بهادر وناهر ومبارك خان ووزير خان ، ولأزموا صاحب قرانى ، وقيدهم جميعا عدا خضر خان ، الذى كان يعلم أنه « سيد » ورجل كريم ، ورفع راية العودة وعاد من طريق دامن كوه ، وصارت ولاية دامن كوه من أثر وطأة الجيش الظافر عاليها سافلها .

عندما وصل الى لاهور ، جاء شيخاكهو كهر الذى كان عبدوا لِسارنك خان من قبل ، الى صاحب قرانى ، وأبدى تأييدا وطاعة ، واستولى على لاهور بالجميلة ، وقبض عليه بلطائف الحيل وأمر زوجاته وأتباعه وانتهت لاهور ، وسلم الملبان وديوبالپور لخضر خان ، وعاد من طريق كابل الى سمرقند بعد أن خرب دهلى خلال شهرين .

جاء نصرت شاه الذى كان قد فر خوفا من اقبال خان من بين النهرين فى رجب من السنة المذكورة ، وعاد بجمع قليل الى بهرت ، والتحق به عاد لخان بأربعة أهياى وجيشه ، والتحق بعض الأهالى الذين فروا من يد المغول وكانوا بين دواب بنصرت شاه ، وجاء نصرت شاه

الى فيروز آباد بألفين ، واستولى على دهلى الخربة ، وجاء شهاب خان من ميوات مستعدا بعشرة أفيال وجيشه ، وجاء ملك الماس من دواب ، وقوى جمعه ، فأرسل شهاب خان لمهاجمة اقبالخان فى برن وأثناء الطريق أغار أهالى هناك بتحريض اقبالخان على جيشه فاستشهد شهاب خان وتفرق جمعه ، وسقط حشمه وقيله فى يد اقبالخان ، وبدأت له القوة على اقبالخان يوما بعد يوم ، وترجع الى دهلى ، ولم يستطع نصرت شاه مقاومته ، فترك فيروز آباد وذهب الى ميوات ، وسيطر اقبال خان على دهلى ، وكان الأهالى قد تفرقوا فى كل مكان ، ورحلوا عن دهلى خوفا من المغول ، وجاءوا فى وقت قصير .

بنى اقبال خان قلعة بدرسىرى ، وضبط ولاية دواب ونواحى المدينة ، وظلت بلاد الهند تحت سيطرة الأمراء ، فكانت الكجرات تحت سيطرة ظفرخان وابنه تاتارخان ، وحكم خضرخان الملتان وديالبور من نواحى السند ، وسيطر محمود خان بن ملك زاده فيروز على مهويه وكالبي ، وسيطر خواجه جهان سلطان الشرق على قنوج وأوده ودلثو وسنديله وبهرايج وبهار وجونبور ، وحكم مالوه دلاور خان وسامانه غالب خان وبيانه شمس خان أوحدي واستقل كل منهم بولايته ، ولم يقدم الطاعة لأحد .

توجه اقبال خان الى بيانه فى ربيع الأول سنة ٨٠٢ هـ ، وتقابل مع شمس خان وهزمه ، ودخل قلعة بيانه ، واستولى على أفياله ، وتوجه من هناك الى « كبر » وأخذ من رأى برسنكه الهدايا ، وعاد الى المدينة .

توفى خواجه جهان فى جونبور ، فى نفس هذه السنة ، وجلس محله على السلطنة ملك مبارك قرنفل وكان ابنه بالتبني ، ولقبوه بالسلطان مبارکشاه ودخلت ولاية خواجه جهان تحت سيطرته ، وفى جمادى الأولى سنة ٨٠٣ هـ توجه اقبالخان لمهاجمة مبارکشاه شرقى ورافقه شمس خان حاكم بيانه ومبارکشاه خان وبهادر ناهر وعندما وصل الى قصبة بنالى على شاطئ نهر الجانج ، تقابل مع رأى سر « وزمبنداران » هذه النواحى ، وهزم بعد القتال ، وذهبوا الى اتاوه ، وتوجه اقبالخان الى قنوج ، وتقدم مبارکشاه أيضا ، وظلا متقابلين لمدة شهرين على شاطئ نهر الجانج ، وأخيرا تقرر الصلح ، وعاد الطرفان ، وأثناء العودة ظن اقبالخان ظن السوء فى مباركخان وشمس خان أوحدي وقتلهم غدا ، وفى نفس هذا الوقت ذهب طغى خان تركبجة صهر غالب خان حاكم سامانه بجيش جرار لمهاجمة خضر خان ، وتقابل الطرفان من التاسع من رجب من السنة المذكورة فى نواحى

أجودهن وهي كشتهر بيتن الشيخ فريد وبعد القتال والحرب هزم طغى خان ودخل قصبه بهو وقبض غالب خان والأمراء الآخرون الذين كانوا يرفقته على طغى خان وقتلوه .

وفي سنة ٨٠٤ هـ كان السلطان محمود قد فر خسوفا من صاحبقران الى دهار . وبعد عودة صاحبقران ، توقف هناك ثم جاء أمنا من دهار الى دهلي ، واستقبله اقبال خان وأنزله في قصر « همايون جهان نماي » ولكن مقاليد السلطنة والحكومة كانت بيده . واضطر للموافقة ورافق محمود شاه اقبال خان في سفره الى قنوج ، واثناء الطريق علم أن مباركشاه شرقي قد توفي وحل محله السلطان ابراهيم أخوه ، فتقدم السلطان محمود لتسخير جونبور وشحن همته ، واستعد واستعد أيضا السلطان ابراهيم بالجيش ، وواجهه بالأفيال الضخمة ، وتقابلا ، وظل الشجعان من الطرفين يتقاتلان عدة أيام ولما كان السلطان محمد في خوف ووجل من اقبال خان ، فقد اعتبر أن السلطان ابراهيم تابعه ومن أهل بيته ، وخرج ذات ليلة من جيشه ، وذهب وحيدا الى جيش السلطان ابراهيم ، ولم يقدم السلطان ابراهيم بسبب خسته وكفرانه للنعمة لموازم الضيافة والخدمة ، ولسوء تصرفه عاد السلطان من هناك ، وجاء الى قنوج ، وجعل الأمير هربوى الذى كان حاكما لقنوج من الناحية الشرقية على بدر ، واستولى على قنوج وذهب اقبال خان الى دهلي وعاد السلطان ابراهيم أيضا الى جونبور ، والتف أهل قنوج الوضيع منهم والشريف حول محمود شاه ، ووصل مماليكه واتباعه المتفرقين من كل مكان ، وقنع هو أيضا بقنوج .

عزم اقبال خان على السفر الى كواليار فى جمادى الأول ٨٠٥ هـ وكانت قلعة كواليار قد سقطت بيد راي برسنكه حين جاءت جيوش صاحبقران الى دهلي ، وبعد وفاته سيطر بيرم ديو ابنه عليها ، ولما كانت القلعة حصينة تماما لم يستطع فتحها ، فخرّب ولاية كوالير وعاد الى دهلي ، وذهب ثانية الى كوالير فى السنة التالية ، واستقبله بيرم ديو ، وقامت الحرب بظاهر قلعة دهولبور وهزمه ، ودخل القلعة ، وعندما حل الليل ، ترك قلعة دهولبور خالية وذهب الى كواليار ، وتعقبه اقبال خان حتى كواليار ، وقام بالسلب والنهب وعاد الى دهلي .

وفي سنة ٨٠٦ هـ وصل الخبر أن تاتارخان بن ظفر خان قد عزل أباه من حكم الولاية ، ولقب نفسه بناصر الدين محمد شاه ، وفى سنة ٨٠٧ هـ توجه اقبال خان لتسخير أهالى اتاوه ، وتحصين راي هردز وراى كواليار وراى جمالها ومبلوك آخرون فى اتاوه ، وقاتلوا

أربعة أشهر ، وأخيرا عقدوا الصلح على أن يرسل راي كوالير الى حاكم
دهلى سنويا أربعة أفيال ومبلغا من المال .

توجه اقبالخان فى شوال من نفس السنة الى قنوج ، وحاصر
السلطان محمود ، وعلى الرغم أنه قاتله ، لكن لا فائدة ، وعاد دون
تحقيق الهدف :

توجه اقبال خان الى سامانه فى المحرم سنة ٨٠٨ هـ وترك
بهرامخان تركبجه الذى كان مخالفا لساارك خان مقاطعته خوفا من
اقبالخان ، وذهب الى جبل يدهنور وتعقبه اقبال خان ، ونزل قسرب
الجبل ، وبعد عدة أيام توسط الشيخ عالم الدين حفيد الشيخ جلال
البخارى وصالحهما وأخذ اقبالخان بهرام خان برفقته ، وتوجه الى
الملتان ، وعندما وصل الى بنفوندى قبض على راي داود كمال مئين
وراي هنوين راي خلجين بهتى وسجنهما ، وفى اليوم الثالث من
الصلح نقض العهد وسلخ بهرامخان ، وعندما نزل على شاطئ
نهر وهنده قرب أجودان ، جاء خضرخان من ديالبور عازما الحرب
والقتال ، وصف الجنود فى التاسع عشر من جمادى الاولى من السنة
المذكورة وأسر اقبالخان فى أول هجوم بيد رجال خضرخان ، وقتله
خضرخان ، وانقلب عليه الزمان بسبب أصله الحرام ونقضه للعهد .

« لا تنقض عهد الشهامة ، لان الفلك سرعان ما يأتى بنتيجة عملك »

عندما وصل خبر (مقتل اقبالخان) الى دهلى استدعى دولت خان
واختيار خان والأمراء الذين كانوا فى دهلى محمود شاه من قنوج ،
وجاء محمود شاه الى دهلى فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ،
وجلس على عرش السلطنة ، وطرد اهل واتباع وزوجات اقبالخان من
دهلى وأرسلهم الى كوله ، ولم يصب أحد منهم بسوء قط ، وفوض
قيادة ما بين النهرين لدولت خان وترك فيروز آباد لإختيار خان ، وفى
نفس هذا الوقت قدم اقليم خان وبهادر ناهر فيلين هدية ولأزموه ، وبعد
نجاح السلطان محمود فى تحقيق هدفه رفع اللواء سنة ٨٠٩ هـ الى
جونبور وأرسل دولت خان بجيش جرار الى سامانه لمهاجمة بيرم خان
تركبجه الذى استولى على سامانه بعد مقتل بهرامخان وعندما اقترب
محمود شاه من قنوج قابله السلطان ابراهيم من جونبور ، ونزل
الجيشان على شاطئ نهر الجانج فى المواجهة ، واشتعل القتال والنزال
عدة أيام وأخيرا تقرر الصلح بسعى الأمراء ، وذهب كل منهما الى
مكانه .

فكر السلطان ابراهيم بعد أن عاد وتفرق أكثر أمراء وجنود السلطان محمد عنه في انتهاز الفرصة ، وجاء الى قنوج وتحصن ملك محمود ترهتي الذي كان حاكما على قنوج من قبل السلطان محمود وحارب أربعة أشهر حتى يئس من مساعدة وعون السلطان محمود ، وسعى السلطان ابراهيم فترك له قنوج ، وسلم السلطان ابراهيم كنبله لاختيار خان حفيد دولت يار وقضى موسم المطر هناك أيضا .

وفي سنة ٨١٠ هـ انفصل نصرت خان كرك انداز وتاتارخان بن سارنك خان وملك مرحبا غلام اقبال خان عن محمود شاه والتحقوا بالسلطان ابراهيم ، وتوجه السلطان ابراهيم من هناك الى سنبل وكان عليها أسد خان لودي نائباً عن السلطان محمود وبعد يومين تصالح مع قلعة سنبل وسلمها السلطان ابراهيم الى تاتارخان ، وتوجه الى دهلي ، وعندما وصل الى شاطئ نهر جون ، أراد أن يعبر النهر ، وعلم أن ظفر خان حاكم الكجرات قد فتح بلاد مالوه ، وأسر ألف خان ابن دلاور خان ، والملقب بالسلطان هرشنك ، وبمجرد سماع هذا الخبر عاد الى دهلي ووصل الى جونبور في ذي القعدة من السنة المذكورة .

توجه السلطان محمود لمهاجمة ملك مرحبا حاكم قصبه برن من قبل السلطان ابراهيم ، وخرج مرحبا من القلعة لمقاتلته وهزمه في أول هجوم ودخل القلعة ، ودخل جيش محمود شاه أيضا وراءه القلعة ، وقتل مرحبا وذهب محمود شاه الى سنبل ، ولم يقاتل تاتارخان ، وترك سنبل ، وفر الى قنوج ، وترك محمود شاه أسد خان لودي على سنبل ، وعاد الى دهلي .

وفي شهر رجب سنة ٨١٠ هـ وقع قتال بين دولت خان وبيرمخان تركبجه على مسافة فرسخين من سامانه ، وهزم بيرم خان ودخل سرهند وتحصن ، وأخيرا نال الأمان من دولت خان ، ولما كان بيرم خان قد بايع من قبل خضر خان ولم ينقض العهد ، فقد جمع خضر خان جمعه وذهب الى دولت خان ، ولم يكن لديه مقدرة للمواجهة فعبر نهر جون ، وانفصل جميع الأمراء الذين كانوا قد التحقوا بدولت خان عنه وجاءوا الى خضر خان ، وسلم قلعة فيروزه الى قوام خان ، وأخذ سامانه وسنام من بيرم خان وسلمها الى زيرك خان ، وترك مدينة « ندرا » وعددا من القرى الأخرى الى بيرم خان وعاد الى فتحبور ، وفي هذا الوقت كانت دواب ورهتك تحت سيطرة محمود شاه ، وتوجه محمود شاه لمهاجمة قوام خان في سنة ٨١١ هـ وتحصن في قلعة فيروز ، وبعد عدة أيام أرسل ابنه بهدايا كثيرة الى السلطان واعتذر وعاد السلطان الى دهلي .

سمع خضر خان هذا الخبر فجاء الى فتحآباد ، فالحق بأهالى فتح آباد الذين كانوا قد التحقوا بمحمود شاه الضرر جميعا ، وعين ملك تحفه على دواب ودهاتراب اللذين كانا تحت سيطرة السلطان ، ورحل تبارز وفتح خان من دهاتراب وتوجه الى دواب ، وأسر بعض الأهالى الذين بقوا فى دهاتراب ، وتوجه خضر خان من رهتك الى دهلى ، ودخل محمود شاه فيروز آباد ، واستولى عليها ، وحاصر قلعة فيروز آباد وبعد عدة أيام عاد دون تحقيق هدفه وتوجه الى فتح پور .

وفى سنة ٨١٢ هـ اختلف بيرم خان مع خضر خان ، وذهب الى دولت خان وأرسل أهله وزوجاته الى الجبل ، وتعقبه خضر خان حتى وصل الى شاطئ نهر جون ، واضطرب بيرم خان وجاء عاجزا الى خضر خان فعينه على القرى التى كانت مقاطعة له من قبل وعاد خضر خان الى فتحپور .

وفى سنة ٨١٣ هـ توجه خضر خان الى ملك ادريس ، الذى كان حاكما لرهتك من قبل محمود شاه ، وتحصن ملك ادريس فى قلعة رهتك ، وقامت الحرب ستة أشهر ، وأخيرا اضطر الى ارسال ابنه اليه وقدم مبالغ هدية وبايعة ، وتوجه خضر خان من طريق سامانه الى فتحپور ، وبعد عودة خضر خان ذهب محمود شاه الى كهتيل للصيد ، وعاد الى دهلى وانشغل باللهو والطرب وظل على هذا الحال .

وفى سنة ٨١٤ هـ توجه خضر خان الى رهتك وكانت ضمن ولاية محمود شاه ، واستقبله ملك ادريس وأخوه مبارك خان ولازموه فى هانسى ، وحظيا بعنايته واهتمامه الحار ، ونالا رضاءه ، وبعد ذلك انتهب قصبه نارنول وكانت تحت سيطرة اقليم خان وبهادر ناهر ، وجاء الى دهلى ، وحاصر قلعة سيرى وتحصن محمود شاه ، وتحرك حركسة المذبوح ، والتحق اختيار خان بخضر خان وكان حاكما لفيزوز آباد من قبل محمود شاه ، ورحل خضر خان من أمام بوابة قلعة سيرى ونزل بقصر فيروز آباد ، واستولى على القصبات ما بين دواب وحول المدينة ، وفك الحصار بسبب نقص الغلة ، والعلف ، وجاء الى فتحپور من طريق بانى بت فى سنة ٨١٥ هـ .

وفى رجب من السنة المذكورة توجه محمود شاه الى كيتهل للصيد ، وعاد الى دهلى ، وأثناء العودة وفى ذى القعدة من السنة المذكورة مرض وتوفى فى نفس هذا الشهر ، وانتهت منذ ذلك التاريخ سلطنة سلسلة الفيزوز شاهيه وامتد حكم السلطان محمود شاه بن

محمد شاه بن فيروز شاه الذي لم يكن الا اسما اثنتين وعشرين سنة
وشهرين .

استمر الفساد في دهلي بعد ذلك بشهرين ، وبأيع أمراء السلطان
محمود شاه دولت خان ، وارتد ملك ادريس ومبارزخان عن خضرخان
والتحققا بدولت خان ، وقضى خضرخان هذه السنة في فتحبور .

وفي المحرم سنة ٨١٦ هـ توجه دولت خان الى كيتهل ، وجاء راي
برسنكه والملوك الآخرون ولازموه ، وعندما وصل الى قلعة بيتالي جاء
مهايت خان أيضا اليه ، وفي هذه الأثناء ، علم أن السلطان ابراهيم
شاه شرقي قد حاصر قادرخان بن محمود خان في كالبى ، ولم يكن
لدولت خان جيش يمكن أن يقاوم السلطان ابراهيم ، فعاد الى دهلي .

توجه (خضر خان) في رمضان من السنة المذكورة الى دهلي ،
وعندما وصل الى قلعة فيروزكوه جاء أمراء هذه الديار الى خضرخان ،
ودخلوا ضمن مؤيديه ، وبقي ملك ادريس متحصنا في قلعة رهتك ، ولم
يتعرض له خضر خان مطلقا ، وتركه هناك وتوجه الى ميوات ، ووصل
جلال خان ابن أخى بهادر ناهر اليه هناك ، وعاد من هناك الى سنبل ،
وانتهبها وسلبها ، وعاد الى دهلي في ذى الحجة من السنة المذكورة ،
ونزل أمام بوابة سيرى ، وجعل دولت خان جيشا في القلعة لمدة أربعة
أشهر ، وأخيرا استولى ملك تومان وسائر تابعى خضرخان على بوابة
دولت خان بحسن تدبيرهم ، وضاع الأمر من يد دولت خان ، واضطر
إلى طلب الأمان وجاء الى خضر خان وسلمه خضرخان الى قوام خان ،
وأمر أن يحافظوا عليه حبيسا في قلعة فيروزه ، فكانت هذه الواقعة
في ربيع الأول سنة ٨١٦ هـ .

ذكر الرايات العاليات لخضر خان بن ملك سليمان :

رووا أن ملك مردان دولت أحد أمراء السلطان فيروز قد ربي
ملك سليمان في طفولته وتبناه حتى بلغ درجة الشباب ، وذات يوم
استضاف ملك مردان دولت أمير جلال بخارى قدس سره ، وأثناء
تقديم الطعام أمر ملك مردان دولت ملك سليمان أن يقوم بغسل يد أهل
المجلس ، فقال سيد جلال هذه المهمة لا تليق بفتى ابن سيد ، وصدق
سيد جلال نسبه بكلامه هذا ، وكان خضر خان شابا صادق القول
مخيب الأطوار ، صاحب أخلاق ، طاهر الظينة وكانت عظمة حاله دليل
عظمته .

« مع أن أفعاله الطيبة جاءت من حبه ، لكن مديح صفاته تنسب لحاله »
المهم ، حكم ملك مردان دولت الملتان فى زمان فيروز شاه ، وبعد وفاته ، استولى عليها ملك شيخ ، وتوفى بعد فترة قصيرة ، وأعطى السلطان فيروز شاه الملتان لخضر خان ، وصار خضرخان من الأمراء الكبار .

وقبل أن يستولى على دهلى ، وقعت حروب كبيرة ، وحقق فتوحات عظيمة حتى انتقل وسيطر على دهلى فى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٨١٧ هـ .

ومع أنه كان أهلا للسلطنة ، وأسباب الملك لكن لم يطلق اسم السلطنة على نفسه ، وكان ملقباً « برايات أعلى » ، وجعل السكة والخطبة فى أول الأمر باسم أمير تيمور ثم باسم ميرزاشاهرخ (٤٣٨) . وكانوا يزيلون الخطبة باسم خضرخان ، ويدعون له ، لقب (خضرخان) ملك بجورا بلقب تاج الملك ، واتخذ وزيراً ، وأعطى سيد معالم سبارن جور ، ولقب ملك عبد الرخيم الابن بالتبنى لملك سليمان بعلاء الملك . وأحال له الملتان وفتحبور وجعل ملك سرور « شحة شهر » (٤٣٩) وجعل ملك خير الدين خانى عارضاً للممالك وجعل ملك كالى « شحنة فيل » (٤٤٠) وملك داود فى وظيفة « دبىرى » (٤٤١) وعين اختيار خان على « ميان دولت » ، وأقر لآل بيت السلطان محمود شاه الرواتب والوظائف كل حسب حالته وسمح لهم بالتوجه الى مقاطعاتهم .

وأرسل تاج الملك بجيش جرار الى بداون وكهتر فى نفس السنة المذكورة ، ليؤدب المتمردين فى الولاية ويرعى الرعية ، وعبر تاج الملك نهر جون والجانج ، ودخل ولاية كهتر ، وأدب أهلها بما يناسبهم ، وفر رأى هرسنكه ودخل فى وادى آذوله ، ولما ضاق الأمر عليه ، اضطرب لدفع المال واختار الولاء ، وجاءت مهاتب خان حاكم بداون أيضاً ولازمه ، ومن هناك توجه الى شاطيء نهر رهب ووصل الى رأس جسر ، وعبر نهر الجانج واستعد كفار كهور التى تشتهر حالياً بشمس اباد وكنبله ، وتوجه من طريق قصبة « سيكتة » ، وجاء حسن حاكم رابرى وأخوه حمزه ورأوا أن رأى سرور قد وصل أيضاً مطيعاً ومؤيداً ، وقدم

(٤٣٨) ابن تيمور كوركان .

(٤٣٩) حاكم المدينة .

(٤٤٠) المسئول عن الأفيال .

(٤٤١) الكاتب .

واجه كواليار وسرور جندوار الخراج ، وأستولى على قسبة جليسر من يد راجيوتى جندوار ، وسلمها للمسلمين الفدائي ، وعين « شقدار » عليها ، ودخل من هناك ولاية كواليار ، وانتهبها وسلبها ، وأخذ ما كان مقررا عليها كل عام ، وذهب من هناك الى جندوار ، وأخذ المال من هرسنكه حاكم كنبله وبيتالى وعبر نهر جون قرب جندوار ، وعاد الى دهلى .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، علم أن جماعة الأتراك من قوم بيزم خان وتركبجه وملك سدهو ناهر الذى كان بجسانب مباركخان حاكم سرهند قد استولوا على سرهند بعد مقتله ، وعين خضر خان زيرك خان بجيش جرار لمهاجمتهم ، وعبر الأتراك نهر ستلد ، وتحصنوا فى الجبل وتعقبهم زيرك خان ودخل الجبل وظل شهرين ، وعاد دون تحقيق هدفه .

وفى رجب من السنة المذكورة جاء الخبر أن السلطان أحمد كجراتى قد حاصر قلعة ناكور فعزم خضرخان تسكين هذه الفتنة ، وتوجه من طريق توده الى ناكور ولم يقاتل السلطان أحمد ، وعاد الى ولايته ، وعاد خضر خان وتوجه الى مدينة « نوعروس » جهاتن التى كانت من عمائر السلطان علاء الدين خلجى ، وجاء الياس حاكم هذه المدينة ، وأدب المفسدين ، وتوجه الى كواليار ، ولما لم يتيسر الاستيلاء على القلعة ، أخذ المال المقرر من راي كواليار وتوجه الى بيانه وأخذ المال من شمس خان أوحدى حاكم بيانه وعاد الى دهلى .

وفى سنة ٨٢٠ هـ وصل خبر بغى طوغان وبعض الأتراك الذين قتلوا ملك سدهو ، وأرسل زيرك خان حاكم سامانه لمهاجمتهم ، وعندما اقترب من سامانه ترك المتمردون قلعة سرهند ، وذهبوا الى الجبل ونجا ملك كمال بدهن الذى كان فى القلعة ووصل اليه ، وتعقب زيرك خان المتمردين ووصل الى قسبة مايل ، وأبدى طوغان قائد الأتراك الولاء ، وقبل تقديم الهدايا أعطى ابنه « بكرو » وانفصل الأتراك قتل ملك سدهوعنه ، وعاد زيرك خان الى سامانه ، وأرسل ما له وابنه الى خضر خان .

وفى سنة ٨٢١ هـ أرسل خضر خان تاج الملك الى هرسنكه راجه كتهير ، وعندما عبر الجيش نهر الجانج ، أخلى هرسنكة الولاية ، ودخل غابة أنوله ، ولاند بها ، ودخل جماعة الغابة وهزموه واستولوا على جياده وسلاحه ومناعه ، وتعقبوا الجيش حتى جبل كماؤن واستولوا على غنائم كثيرة ولحقوا بالجيش فى اليوم الخامس .

جاء تاج الملك بعد هذا من طريق بداون الى شاطيء نهر الجانج ،
وعبر من جسر « بجلانه » واستأذن مهابت خان حاكم بداون وجاء الى
أتاوه ، وتحصن راي سرور في اتاوه ، ونهب تاج الملك ولاية اتاوه .
وأخيرا عقد الصلح ، وفي ربيع الآخر من السنة المذكورة عاد الى المدينة .

وفي نفس السنة المذكورة توجه خضر خان الى بتنه لمهاجمة مفسدى
كتهير ثم تأذيب مفسدى ولاية كول ، وعبر نهر رهب وخرب سنبل ، وتوجه
في ذى القعدة من نفس السنة المذكورة الى بداون ، وعبر بالقرب من
بيتالى نهر الجانج ، ووقع الخوف في قلب مهابت خان من هذا العبور ،
فذهب الى بداون ، وفي ذى الحجة تحصن في قلعة بداون ، وقضى ستة
أشهر في قتال وجدال وأثناء ذلك فكر في الغدر ببعض الأمراء أمثال
قوام خان واختبار خان وسائر آل بيت محمود شاه الذين انفصلوا عن
دولت خان وكانوا قد التحقوا بخضر خان ، وعلم خضر خان بهذا الأمر
فترك محاصرة القلعة وعاد الى دهلى .

وأثناء عودته وفي العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، وعلى
شاطيء نهر الجانج قتل قوام خان واختبار خان وأهل بيت محمود شاهي
وسائر أهل الغدر والمكر وعاد الى دهلى .

وبعد عدة أيام علم أن شخصا يفكر في الفتنة سرا ويدعى سارنك
قد جمع جماعة في جبل بجوازه ، فأرسل ملك شه بهرام لودى صاحب
سرهند اليه ، ووصل الى سهرند (٤٤٢) في رجب من السنة المذكورة ،
خرج سارنك من الجبل ووصل الى نهر ستند ، وتجمع الناس في روبر
حوله ووقعت معركة حول سهرند ، وهزم سارنك ، وذهب الى قصبه
لسهورى من توابع سهرند وجاء خواجه على اندرانى بجماعته واستسلم
لسلطان شه ، وجاء زيرك خان حاكم سامانه ، وطوغان تركبجه حاكم
جلندر لمعاونة سلطان شه وعاد سارنك وذهب الى روبر وعندما تعقبه
الجيش حتى روبر فر سارنك وتحصن بالجبل .

في هذه الأحوال كان ملك خير الدين أيضا قد أرسل بجيش جرار
لمهاجمة سارنك ، ووصل في رمضان من السنة المذكورة الى روبر ،
وقضى فترة حول الجبل ، وعندما تفرقت جماعة سارنك واختفى مع
عدد معدود في الجبل ، عاد الجيش وحط ملك خير الدين رحاله في
سهرند ، وجاء زيرك خان الى سامانه ، وبقي سلطان شه مع جماعة
معاونة في تهانه وبوير .

(٤٤٢) لم يفرق نظام الدين أحمد بين سهرند وسهرند جاء .

خرج سارنك من الجبل فى هذا الوقت ، والتحق بطوغان فى الحرم من سنة ٨٢٣ فقتله طوغان غدرا ، وكان خضرخان يستريح بالمدينة فى هذه الفترة ، فأرسل تاج الملك لتسخير حكام اتاوه وهذه النواحي ، وتوجه من طريق برن الى كول ، وقضى على المفسدين فى هذه البلاد وتحصن راي سرور فى اتاوه ، وأخيرا تصالح وقبل الخراج المقرر ، وتوجه تاج الملك الى جندوار وانتهبها ، وتوجه من هناك الى كتهير ، وأخذ الخراج من راي هرسنكه وعاد الى المدينة .

وفى رجب من السنة المذكورة علم أن طوغان تركبجه عاد للمعارضة ، وحاصر سرهند ، واستولى حتى حدود منصور بور وبابل ، فأرسل خضر خان ملك خير الله لمهاجمته ، ووصل الى سامانه وتعقب طوغان بمساعدة زيرك خان حتى لود هيانه ، وعبر نهر ستلد ، ودخل ولاية جرته كهوكهر ، وأرسل زيرك خان لمهاجمته ، وعاد ملك خير الله الى دهلى .

وعزم خضرخان فى سنة ٨٢٤ هـ تسخير المتمردين فى ميوات ، وتحصن بعض المتمردين فى قلعة كوتلسه ، وجاء البعض مستسلما ، وعندما حاصر القلعة ، وقابل الميواتيين ، فروا فى اول هجوم وفتحت كوتله ، وذهب الميواتيون الى الجبل ، وضرب خضر خان القلعة ، وذهب الى كواير ، وفى الثامن من المحرم من السنة المذكورة توفى تاج الملك فوزر ابنه سكندر محله ، ولقب بملك الشرق ، ولما كان راجه كوالير قد نهب ولايته وأخذ الخراج أيضا منها ، فجاء الى اتاوه وكان راي سير توفى وقدم ابنه الولاء .

وفى هذه الأثناء مرض خضر خان ، وعاد الى دهلى ، وانتقل الى رحمة الله فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ ، وكانت مدة حكمه سبع سنوات وشهرين ويومين ، وقد حدثت فضائل كثيرة فى عصره ، وصار الجميع ممن مع صاحب قران وأهله وعشيرته فى نعيم خلال فترة حكمه .

ذكر السلطان مباركشاه ابن رايات اعلى خضر خان :

عندما غلب المرض بخضرخان ، جعل مبارك خان وليا للمعهد قبل وفاته بثلاثة أيام ، وجلس مبارك خان على العرش بعد وفاة خضر خان بيوم واحد بموافقة الأمراء ، ولقب بالسلطان مباركشاه ، وأقر لكل أمير من الأمراء والملوك الكبار والاكابر ما كان لهم من ولايات أو قرى أو

وظيفة أو دخل على نفس النظام السابق في عهد خضرخان ، وأضاف
للبعض ، وعزل ملك رجب تادره عن فيروز آباد وهانسي وسلمها لملك مدد
وابن أخيه ، وعوض ملك رجب تادره بدييالبور .

وصل خبر بغى شيخا كهوكر وطوغان خلال هذا الوقت ، وكان
سبب تمرد شيخا هو أنه في جمادى الأولى سنة ٨٢٣ هـ جاء سلطان على
سلطان كشمير الى تهته ، واثناء عودته منها قطع شيخا الطريق عليه
وقاتله ، فرق جيش سلطان على وأصيب بالهزيمة وأسر بيد شيخا ،
وأفسد الغنائم الكثيرة وكثرة المال عقل شيخا ، فلوى رأس البغى ،
واتراد أخذ دهلئ وسلطنة الهندوستان واستولى على ولايات هذه الناحية
وانتهبها وعبر نهر ستلد ، وانتهب ثلثونديراى ٠٠ وفر راي فيروز حاكمها ،
وتوجه الى جون ، وجاء شيخا الى قصبة لودهيانه ، وانتهب حتى حدود
روبر ، وبعد ذلك عبر ستلد وحاصر قلعة جالندهر ، وتحصن زيرك
خان حاكمها ، وقاتله ، وتصلح شيخا وقرر زيرك أن يخلي جالندهر
ليسلمها لطوغان ، وأن يرسل ابن طوغان الى مباركشاه وأرسل شيخا
أيضا الهدايا اللثقة .

وفي الثانی من جمادى الآخر سنة ٨٢٤ هـ خرج زيرك خان من
قلعة جالندهر ، ونزل على مسافة ثلاثة فراسخ من جيش شيخا على
شاطئ نهر مئين ، وفي اليوم التالى نقض شيخا العهد ، وذهب الى
زيرك خان وقبض عليه ، ورفع لواء العصيان ثانية ، وعبر نهر ستلد ،
وجاء الى لودهيانه ووصل الى سهرند في العشرين من جمادى الآخرة
من السنة المذكورة ، وتحصن سلطان شه لودهى حاكم سهرند ، ولما
كان موسم الأمطار قد حل فقد سعى شيخا جاهدا ولكن لم يستطع فتح
القلعة ، وخرج السلطان مباركشاه من المدينة في رجب من السنة المذكورة
على الرغم من الأمطار وتوجه الى سهرند ، وعندما اقترب من سامانه ،
توجه شيخا الى لود هيانه والتحق زيرك خان بالسلطان مباركشاه في
سامانه ، وجاء السلطان من سامانه الى لود هيانه ، وعبر شيخا نهر
ستلد ونزل على الطرف المقابل للجيش ، لما كان النهر واسعا والسفن
جميعا بيد شيخا فلم يستطع مباركشاه أن يعبر النهر ، وتقابل الطرفان
لمدة أربعين يوما ، وعندما طلع سهيل (٤٤٣) ونقص النهر ، توجه
مباركشاه على شاطئ النهر جنوب قبول وتوجه شيخا أيضا على
شاطئ النهر وكان يستعد لمواجهة جيش السلطان حتى الحادى عشر
من شوال من السنة المذكورة ، أرسل السلطان مباركشاه ملك سنكندر

تحفه وزيرك خان ومحمد حسين وملك كالمو وامراء آخرين على جيش جرار وسنة أفيال الى أعلى النهر ، وعبروا النهر صباحا من مخاضة وجدوها ، وتبعهم السلطان أيضا وعبر النهر ، ولم يجد شيئا قدرة للمقاومة ففر بجانب جالندهر ، واستولى السلطان على أكثر أمقته وحشمه ، وقتل كثيرا من فرسانه ومشاة جيشه .

تعقب جيش السلطان شيئا حتى نهر جناب ، وعبر شيئا النهر ، ودخل الجبل ، وجاء راي بهيلم راجه جمون الى السلطان ، وعبر الجيش نهر جناب ، وخرب تهتكر ، وكانت من أحكم الأماكن لشيئا وملجأ له ، وأسر بعض رجال شيئا الذين كانوا قد تفرقوا في الجبل ، وعاد الى لاهور سالما غانما في المحرم سنة ٨٢٥ هـ ، وكانت لاهور مخربة تماما فتوقف بها لمدة شهر ، واهتم بتعمير القلعة وبنائها ، وعندما أتم القلعة وأقام الناس بمساكنهم ، سلم لاهور لملك محمود حسن وترك معه الفين من الفرسان ، وعاد الى دهل .

جمع شيئا كهوكهر جمعه في جمادى الآخر من السنة المذكورة بالاتفاق مع زمينداران والفرسان ومشاة كثيرين ، ووضع أس الفساد والفتنة ، وتوجه الى لاهور ، ونزل قرب مزار سيد حسين ريحاني قدس سره ، وفي الحادي عشر من جمادى الآخر من السنة المذكورة ، خرب قلعة لاهور القوية ، وقتل أناسا كثيرين وعاد ثانية في الحادي والعشرين من الشهر المذكور بجيش جرار لضرب القلعة المزدحمة ، ولم يفعل شيئا واستعد على مسافة عدة فراسخ وأخذ يضرب لمدة شهر وعدة أيام ، ولم يفعل شيئا ، ولما لم يستطع أن يحقق تقدما ، عاد الى كلانور ، وقابل راي بهيلم الذي كان قد جاء الى كلانور لمساعدة محمود حسن ، وفي رمضان من السنة المذكورة عقد الصلح ، وتوجه شيئا الى جسانيه نهر بياه .

وصل ملك سكندر تحفه الذي عين على جيش من قبل مياركشاه لمساعدة ملك محمود وخسن الى معبر بوى ، ولم يكن لدى شيئا قوة للقتال ، وتقدم الى برتل ، وعبر نهر راوى وجتاب ، دخل الجبل ، وعبر ملك سكندر معبر بو على نهر بياه ، وتوجه الى لاهور ، وفي العاشر من شوال من نفس السنة استقبله ملك محمد حسن ، ورحب به ، وقاد الجيش ومعه ملك رجب حاكم ديالبور وملك سلطان شه حاكم سهرند وراى فيروز وزمينداران الذين كانوا قد التقوا بملك اسكندر وتوجه الى شاطيء نهر راوى ، وسار الى كلانور ، وعندما وصل الى حدود جمون التحق بهم أيضا راي بهيلم ، قدم لوازم الخدمة ، وانتهب طائفة كهوكهران الذين كانوا قد انفصلوا عن شيئا ، وعاد الى لاهور .

فى هذه الأثناء توجه ملك محمود حسين بموجب أمر السلطان
مباركشاه الى جالندهر ، وتزك مقامه ، وتوجه الى دهلى ، وجاء ملك
سكندر الى لاهور ، وفى نفس هذا الوقت عين سرور المليك بمنصب
الوزارة بدلا من ملك سكندر .

عبر السلطان مباركشاه نهر الجانج فى سنة ٨٢٦ هـ ، وتوجه
لتسخير دغار وممردى هذه الديار ودخل ولاية جهنر فى المحرم من السنة
المذكورة ، وحصل الخراج ، وتوجه بعض المتمردين الى سزا ، وجاء
مهايت خان حاكم بداون طائعا وكان خائفا من خضرخان ، وعبر السلطان
نهر الجانج وفتح ولاية راته ومهويه وانتهبهما ، وأسر وقتل خلقا كثيرين ،
وتوقف عدة أيام على شاطئ نهر الجانج ، وترك فى قلعة كهنتله ملك
مبارك وزيرك خان وكمال خان بجيش جرار لتسخير لاهور ، وأرسل ملك
خير الدين لكى الى ابن راي سير الذى كان قد فر من خضرخان لكى
يقتب ولاية ، وذهب الى اتاوه ، وتحصن الراجبوت ، وقتلوا ، وأخيرا
غلغوا الولاء لعجزهم وضعفهم ولأزمه ابن راي سير أيضا وأدى الخراج
المقرر عليه ، وعاد مباركشاه ظافرا منتصرا وجاء دهلى .

فى هذه الأثناء جاء ملك محمود حسين بجيشه من جالندهر الى
دهلى ولأزمه وعينه السلطان بمنصب « بخشيكري » (٤٤٤) الذى كان يطلق
عليه فى هذا الزمان « عارضى » .

وفى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وقعت حرب بين شيخا
وراي بهيلم ، وقتل راي بهيلم وسقط حشمه وأمتعته بيد شيخا وقوى
شأقه ، وأغار على نواحى ديالبور ولاهور ، وتحرك ملك سكندر عازما
مقعه وعبر نهر جناب ، وعاد ولم يفعل شيئا .

وفى هذه الأثناء وصل خبر وفاة ملك علاء الدين بن علاء الملك
حاکم الملتان ، وأيضا وصل الخبر أن شيخ على نائب بن سورغتش
توجه بجيش عظيم من كابل لغزو بهكر وسديوستان وأرسل السلطان ملك
محمود حسين بجيش جرار لتسكين فتنة المغول ، وضبط الملتان حتى
تهدأ السند ، وعندما وصل ملك محمود الى الملتان ، أنعم على جميع
الخاصة عامة والمسلمين هناك بالأنعام وعمر قلعة الملتان التى كان قد
حربتها أحداث المغول . وعاد جيش المغول أيضا فى ذلك الوقت .

(٤٤٤) بخشى او بخشيكري او عارضى المالك : المسئول عن رواتب الجند
والعشر على شئون القوات .

ووصل الخبر أن ألف خان حاكم دهار وهي تابعة للسلطان هشدنك قصد قلعة كوالير ، وتوجه مباركشاہ الى كوالير ، وعندما وصل الى نواحى بيانه علم أن أمير خان بن أوجد خان حاكم بيانه قد قتل عمه مبارك وخرب بيانه ، وتحصن فى قمة الجبل ، ونزل مباركشاہ على سفح الجبل ، وبعد الرسل والرسائل ، أقر أمير خان دفع الخراج سنوياً والطاعة ، وتوجه السلطان من هناك الى كوالير ، واستولى ألف خان على معبر جنبل ، ونزل هناك ، واكتشف مباركشاہ معبراً آخر ، وعبر النهر بسرعة ، وأغار بعض الأمراء الذين كانوا على مقدمة الجيش على جوانب جيش ألف خان ، وأسروا جمعا كبيرا ، وأحضروهم ولما كانوا مسلمين ، فقد أطلق سراحهم جميعا ، وفى اليوم التالى أراد ألف خان الصلح ، وأرسل هدايا لائقة ، وتوجه الى دهار ، وتوقف مباركشاہ على نهر جنبل ، وأخذ الخراج على القاعدة القديمة من حكام هذه الديار وعاد الى دهلى فى رجب سنة ٨٢٧ هـ .

توجه مباركشاہ فى المحرم سنة ٨٢٨ هـ الى كهتر ، وجاء هرسنكه راي كهتر الى شاطيء نهر الجانج ولأزمه ، وبسبب بقاءه ثلاث سنوات وعدة أيام فى القيد فقد سلم أخيرا ماله وتحرر ، وعبر السلطان من هناك نهر الجانج ، وقضى على المفسدين على شاطيء النهر ، وعاد .

علم مباركشاہ فى هذا الحين بخبر تمرد وطغيان الميواتيين (٤٤٥) ، وتوجه السلطان الى هذه الناحية وسلب وانتهب وخرب أكثر بلاد ميوات ، وهجر أكثر الميواتيون بلادهم وتحصنوا فى جبل جهره ، وعاد السلطان بسبب قلة الغلة والعلف ، وحصن المكان ، وجاء الى دهلى ، وسمح للأمراء بالعودة الى ولاياتهم ، وانشغل باللهو .

وعاد السلطان الى ميوات فى سنة ٨٢٩ هـ ليؤدب متمردي هذه الديار ، وأخلى « جلودقدو » (٤٤٦) وسائر الميواتيين الذين وافقوهم أماكنهم وتحصنوا بالجبل ، وتحركوا حركة المذبوح لعدة أيام وأخلوا القلعة ، وذهبوا الى جبل آلور ، وظل السلطان يقاتلهم كل يوم وكان يقتل رجال من الطرفين ، وأخيرا طلب الميواتيون الأمان لعجزهم ، وجاء العدو (٤٤٧) ولأزموه ، وسجنهم ونهب السلطان قلعة ميوات وعاد .

قاد السلطان الجيش بعد أربعة أشهر وأحد عشر يوما الى ميوات فى المحرم سنة ٨٣٠ هـ وقتل المتمردين هناك ، وذهب الى بهانه وحارب

(٤٤٥) أهلى قلعة ميوات .

(٤٤٦) جماعة كانت تقيم فى ميوات .

(٤٤٧) جلود قدو أو قدو فقط .

محمد خان بن أوجد خان حاكم بيانه المتحصن في قمة الجبل لمدة ستة عشر يوما ، وانفصل أكثر الناس عنه ، والتحقوا بالسلطان مباركشاه ولما لم يصبح لديه طاقة للمقاومة ، خرج من القلعة في ربيع الآخر من السنة المذكورة بسبب العجز والضعف والحبس حول عنقه ، ولازمه ، وأهدى الجياد والسلاح والنفائس الأخرى التي في قلعته جميعها ، وأخرج مباركشاه زوجاته ومتعلقاته من القلعة وأرسلها إلى دهلي ، وأعطى بيانه لمقبل خان ، وسلم سيكرى التي هي الآن فتحبور (٤٤٨) إلى ملك خير الدين تحفه ، وتوجه إلى كوالير وأطاعه راي كوالير وتهكر وجندوار وجعل الاقطاعات على النظام القديم ، وعاد السلطان إلى دهلي في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وبذل ملك محمود حسن عن ولايته وأعطاه قلعة فيروزه ، وحظى ملك رجب تادره بالملتان .

فر محمد خان بعياله وذهب إلى ميوات ثانية ، والتحق به بعض الرجال الذين كانوا قد تفرقوا وسمع أثناء ذلك أن ملك أحمد مقبل خاني ذهب بجيشه إلى بهاون ، فترك ملك خير الدين تحفه على القلعة ، ونظرا لأن مدينة بيانه كانت خالية فقد انتهز محمد خان الفرصة ، وتوجه إلى هناك بجمع قليل معتمدا على « زمينداران » بيانه ، والتحق كثير من أهالي قصبه وولاية بيانه به ولم يستطع ملك خير الدين أن يحمي القلعة فطلب الأمان وتوجه إلى دهلي ، وأعطى مباركشاه بيانه لملك مبارز وسمح له بالتوجه إلى محمد خان ، وتحصن محمد خان بالقلعة واستولى ملك مبارز على القلعة ، وأدخلها في أعماله ، وترك محمد خان جمعا من خاصته في القلعة ، وتوجه على وجه السرعة بجيش إلى خدمة السلطان إبراهيم شرقي .

استدعى مباركشاه ملك مبارز من أجل المصلحة ، وتوجه بالنفس والنفيس عازما فتح بيانه وأثناء الطريق وصلت رسالة قادرخان حاكم كالين من أن السلطان إبراهيم شرقي قد أعد الجيوش وتوجه إلى كالبي ، فترك السلطان مباركشاه مهام بيانه ، وتوجه لمواجهة السلطان إبراهيم .

في هذه الأثناء عبرت الجيوش الشرقية (٤٤٩) إلى « هوكانورا » وقصدوا بداون ، وعبر السلطان مباركشاه نهر جون ، واستولى على قرية هرتولى التي كانت مشهورة في سواس ، وتوجه من هناك إلى ترولى وأرسل محمود حسن بعشرة آلاف فارس لمهاجمة ابن مختقم خان

(٤٤٨) سنة ١٠٠٢ هـ .

(٤٤٩) جيوش السلاطين الشرقية ، حكام جونبور .

«أخى السلطان ابراهيم شرقى الذى كان قد جاء الى أتاوه ، وعندما وصل جيش محمد حسن الى الجيوش الشرقية ، لم تستطع الجيوش الشرقية مقاومته وعادت وتوجهت الى سلطانها ، وتوقف محمود حسن عدة أيام والتحق بجيشه .

سار السلطان ابراهيم شرقى على شاطئ نهر بيا ، واقترب من پرهان آباد ، وتوجه مباركشاه من ترولى وجاء الى قصبة « مالى خوته » وشاهد السلطان ابراهيم شرقى عظمة وقوة جيش مباركشاه فتسرك المواجهة فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وتوجه الى قصبة رابرى ، وعبر من هناك نهر جون وتوجه الى بيانه ، وأقام على نهر كهتر ، وعبر مباركشاه من قرب جندوار نهر جون ، ونزل الجيش على مسافة خمسة فراسخ ، وأخذ جيش مباركشاه يغير على أطراف جيشه ، ويأسرون المواشى والناس ويحضرولهم ، ونهج هذا النهج عشرين يوما ، حتى توجه السلطان ابراهيم شرقى فى السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة للقتال ، وأرسل السلطان مباركشاه محمد حسن وفتح خان ابن السلطان ظفر وزيرك خان واسلام خان وملك جمن حفيد خانجهان وملك كالو « شحنة فيلان » وملك أحمد مقبل خانى لمواجهته ، وتقاتلوا من الظهيرة حتى المساء ، وعاد الطرفان فى آخر اليوم ، ونزلا فى المواجهة أيضا ، وفى اليوم التالى السابع عشر من جمادى الآخر حل السلطان شرقى وتوجه الى جوبور ، وتوجه السلطان مباركشاه من طزيق مستكاثت الى كوالير ، وأخذ من رأى كوالير الخراج على النظام القديم ، وعاد الى بيانه ، ولم يتقدم محمد خان أوحدى خطوة واحدة ، ولم يفعل شيئا ، وعندما يئس من معاونة السلطان ابراهيم شرقى أيضا طلب الأمان ، ولازمه مباركشاه ، ومحا السلطان بقلم عفوه على جرائمه ، وأمنه وخرج محمد خان فى العشرين من رجب من القلعة ، وذهب الى ميوات وترك السلطان محمد حسين للمحافظة على القلعة وضبط الولاية وعاد الى دهلى فى الحسادى عشر من رمضان سنة ٨٣١ هـ .

قتل السلطان فى شوال من السنة المذكورة ملك قدو ميواتى لرافقته للسلطان ابراهيم شرقى ، وأرسل ملك سرور لحكم ولاية ميوات ، وهجر أكثر أهالى هذه الولاية منازلهم ، وتحصنوا بالجبل وتحصن جلال خان أخو ملك قدر وأحمد خان وملك فخر الدين وسائر الأقرباء فى داخل القلعة وأخذ ملك سرور الضرائب منهم وعاد الى المدينة .

علم السلطان أن جسرت وشيخا كهوكهر قد حاصرا كلانور فى

ذى القعدة وهزما ملك سكندر حاكم لاهور الذى كان قد ذهب اليهما ، وعاد الى لاهور ، وعبر جسرت نهر بياه وتوجه لتسخير قلعة جلندر (٤٥٠)، ولما لم يستطع عبور الى قرى هذه الناحية واستولى عليها ، وعاد الى كلاتور ، فأرسل السلطان مباركشاه وزيرك خان حاكم سامانه واسلام خان امير سرهند لمعاونة ملك سكندر ، وقبل وصولهم توجه ملك سكندر برفقة راي غالب كلا نوري مع جمعه الى بياه وتقابل مع جسرت وهزمه ، فتوجه الى بهكر (٤٥١) ، واستولى جيش ملك سكندر على غنائم كثيرة كان قد استولى عليها « جسرت » من نواحي جلندر .

وفى المحرم من سنة ٨٣٢ هـ قضى ملك محمود حسين على الفتنة التى كان محمد خان اوحدى قد اثارها فى ولاية بياه ، وعاد الى دهلى .

وتوجه السلطان مباركشاه الى هضبة ميوات ، وجاء الى مهدوراي وتوقف عدة ايام ، وقتل جلال خان ميواتى وسائر الميوافيين بالولاية ، ولازمه بعضهم ، وعاد السلطان فى شوال من السنة المذكورة الى دهلى ، وفى هذه الاثناء وصل خبر وفاة ملك رجب نادره حاكم الملتان ، فلقب ملك محمود حسن بعماد الملك وأرسله الى الملتان .

قاد السلطان الجيش الى كوالير فى سنة ٨٣٣ هـ ، وتوجه من طريق بياه الى كوالير ، وسكن فتنة هذه الولاية ، وتوجه الى هتكانت ، وهزم راي هتكانت ، ودخل (راي هتكانت) الهضبة ، وانتهب السلطان ولايته ، وأسر خلقا كثيرين ، وتوجه من هناك الى رابرى ، وأخذ هذه الولاية من ابن حسين خان وأحالها لملك حمزة ، وعاد فى رجب من السنة المذكورة .

توفى سيد سالم اثناء الطريق فلقب (السلطان) ابنه الكبير بسالم خان والابن الآخر بشجاع الملك ، وكان سيد سالم قد سلك فى خدمة المرحوم خضر خان ضمن الأمراء الكبار لمدة ثلاثين سنة ، وكان مسئولا عن الخزانة لعدة سنوات فى قلعة ترهنده ، وفى شوال من السنة المذكورة دخل فولاد تركبجه قلعة ترهنده ، ورفع لواء المعارضة فسجن مباركشاه اولاد سيد سالم ، وأرسل راي هنوبتهى لمهاجمة فولاد والاستيلاء على اموال سيد سالم فى ترهنده وعندما اقترب من ترهنده ، قام فولاد بالصلح وفى اليوم التالى غافلهم وخرج فجأة من القلعة وأغار على جيشه ليلا ولم يكن ملك يوسف وراى هنو يدركان غدره ،

(٤٥٠) جلندر هي جالندر وجالندر .

(٤٥١) بهكر أو بكر « موت » به ، فى الوردية بين « الباء والهاء » .

وحاربهما ، وهزمهما وتوجه الى سرستى ، وسقطت أمعتهم وجيوشهم ،
فى يد فولاد مما قوى شوكته واستعلاءه .

سمع السلطان هذا الخبر فتوجه الى ترهنده ، والتحق الأمراء
والقواد بالجيش من كل ناحية وبادر « زمينداران » أيضا بالذهاب اليه ،
وعندما استعد فولاد استعدادا تاما تحصن فى قلعة ترهنده وأرسل
السلطان مباركشاه زيرك خان وملك كالو واسلام خان وكمال خان
لمحاصرته ، واستدعى عماد الملك حاكم الملتان لتسكين فتنة فولاد ، وفى
ذى الحجة من السنة المذكورة وصل عماد الملك الى سرستى ولازمه ،
ولما كان فولاد يثق فى قول عماد الملك فقد أرسله (السلطان) الى فولاد
فى ترهنده والتحدث معه ، فأصر على الفتنة ، وعاد عماد الملك ، دون
تحقيق هدفه الى مباركشاه ، وسمح السلطان لعماد الملك بالتوجه الى
الملتان فى صفر من سنة ٨٢٤ هـ وعاد الى دهلى ، وترك اسلام خان
وكمال خان وفيروز مئين لمحاصرة ترهنده ، وترك عماد الملك ترهنده
وحاصر الأمراء القلعة وذهب الى الملتان ، وحارب فولاد ستة أشهر ،
وقدم مبلغا بيد خاصته الى شيخ على بيك بكابل وطلب المعونة ، وفى
جمادى الأول من السنة المذكورة توجه شيخ على الى ترهنده وعندما
وصل لمسافة عشرة فراسخ من ترهنده ، تركها اسلام خان وكمال خان
وسائر الأمراء وتوجهوا الى أماكنهم ، وخرج فولاد من القلعة ودفع مبلغ
مائتى ألف تنكة كان قد قبل دفعها وعاد شيخ على ورافقه أطفال وزوجات
فولاد ، وأسر بعض أهالى ولاية جلندر ، وذهب فى رجب من السنة
المذكورة الى لاهور ، وعاد ملك سكندر الى دفع ما كان يدفعه سنويا ،
وتوجه من هناك الى تلواره ، وعمل على تخزينها ، وتوجه عماد الملك
لصد الشيخ على حتى قصبة طلبنه ، ولم يكن لدى شيخ على مقدرة
على المقاومة فتوجه الى خطيبور ، وأمر السلطان عماد الملك ان يتوجه
الى الملتان ويترك طلبنه ، ورحل الى الملتان فى الرابع والعشرين من
شعبان من السنة المذكورة ورحل عماد الملك الى الملتان .

لما كان شيخ على مغرورا فقد عبر نهر راوى من قرب خطيبور ،
وانتهب دساكر شاطيء نهر جيلم وهى المشهورة بجيناب ، وتوجه الى
الملتان ، وعندما وصل الى مسافة عشرة فراسخ من الملتان أرسل عماد
الملك سلطان شه لودى وهو عم ملك بهلول لودى لمقابلته ، وأثناء الطريق
وصل الى شيخ على وحاربه واستشهد وقتل جماعة من جيشه وفسر
الباقى ، ووصل الى الملتان ، وفى الثالث من رمضان من السنة المذكورة
نزل شيخ على فى خير آباد قرب الملتان ، وفى الرابع من رمضان وقعت
الحرب على بوابة القلعة ، وأخرج عماد الملك مشاة المدينة لكى يعطلوا

جيش الشيخ على فى الحقائق ، ولم يفعل شيخ على فى ذلك اليوم أى شىء ، وتوجه الى معسكره ، وفى السابع والعشرين من رمضان رفع لواء الحرب ثانية ، وتوجه الى القلعة ، وقتل أناس كثيرون ، وعاد شيخ على واستقر بمعسكره ، وأخذ يقاتل يوميا على هذا المنوال مدة فأرسل السلطان مباركشاه فتح خان بن ظفر خان كجراتى مع أمراء مشاهير مثل زيرك خان وملك كالى « شحنة فيل » واسلام خان وملك يوسف وكمال خان وراى هنوبهتى لمعاونة عماد الملك ، وفى السادس والعشرين من شوال وصل الأمراء قرب الملتان وقاتلوا فى اليوم التالى شيخ على ، وانتصروا ، ولم يكن لدى شيخ على طاقة فتحصن داخل القلعة التى قد التقوا حولها ، ولم يستقم الأمر هناك ، وعبر نهر جيلم وفر ، وغرق كثير من جيشه ، وقتل جزء وأسر آخر ، وذهب شيخ على مع عدد محدود الى قصبه شور ، وانتهب جيشه وسائر أمتعته وتعقبه عماد الملك وكل الأمراء الى قصبه شور ، وتوجه سير مظفر ابن أخى شيخ على مع جماعة قليلة الى كابل ، وعاد الأمراء الذين كانوا قد جاءوا لمساعدة عماد الملك الى دهلوى بناء على الأوامر ، وأخذ مباركشاه الملتان من عماد الملك وسلمها لخير الدين خانى .

انتبهز شيخا كهوكهر الفرصة فى تلك الأثناء وقوى من شوكته ، وأثار الفتنة والأضراب ، فتحرك ملك سكندر تحفه الى جلندر لتسكين الفتنة وجمع شيخا جمعا وخرج من جبل تهكر ، وعبر نهر جيلم وراوى وبياه ونزل على شاطيء نهر مئين بجوار جلندر ، وغافل ملك سكندر وهاجمه فجأة ، وهزم ملك سكندر ، وأسر ، وتوجه شيخا بكامل استعداداته الى لاهور ، وحاصرها وتحصن سيد نجم الدين نائب ملك سكندر وملك خو شخير غلامه ، وحارباه يوميا ، وأثناء هذا عاد شيخ على من كابل وأنغار على ضواحي الملتان ، وأسر أهالى خطب بور وكثيرا من قرى شاطيء جهيلم وفى السابع عشر من ربيع الأول من السنة المذكورة وصل الى قصبه طلبنه وأعطى سكانها العهد ، وقيد رجالها البارزين ، واستولى على القلعة ، وقتل بعض المسلمين وأطلق سراح البعض وأصاب هؤلاء القوم بالخراب وأثناء هذا جمع فولاد تركبجه جيشا من ترهنده وأنغار على ولاية راى فيروز ، وقتل راى فيروز أثناء الحرب وسمع السلطان مباركشاه بهذه الحوادث فتوجه الى لاهور ، والملتان فى جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وجعل ملك سرور على المقدمة ، وعندما وصل ملك سرور الى سامانه ، ترك شيخا كهوكهر الحصار وتوجه الى جبل بيانه تهكر ، وحمل ملك سكندر معه ، وعاد شيخ على خوفا من جيش السلطان وتوجه الى مارتوت ، وأخذ السلطان ولاية لاهور من ملك الشرق عماد

الملك وأعطاهما لنصرت خان كرك انداز ، وأحضر ملك سرور أهل وعيال ملك الشرق من قلعة لاهور ، وأرسلهم إلى دهلي ، وفي ذى الحجة من السنة المذكورة خرج شيخا بجمعه من الجبل ، وأنعم عليه ببعض القرى وعاد إلى الجبل .

أقام السلطان مبارك شاه المعسكر على شاطئ نهر جون قرب بانى بت فى ذلك الوقت ، وتوقف فترة ، وأعد لعماد الملك جيشا ، وفى رمضان من السنة المذكورة أرسله لتسخير حكام بيانه وكوالير وعاد إلى دهلي .

وفى المحرم سنة ٨٣٦ هـ توجه لتسكين فتنة ولاية سامانه وأرسل ملك سرور لمهاجمة فولاد تركبجه وتحصن (تركبجه) وقاتله وترك ملك سرور وزيرك خان واسلام خان بجيش جرار حول قلعة ترهنده وذهب إلى السلطان ، وفتح السلطان هذه الناحية ، وعزل نصرت خان عن لاهور ، الملتان وسلمها لملك الهداد لودى ، وعندما وصل ملك الهداد إلى جلندهر عبر شيخا نهر بياه وحاربه وهزم ملك الهداد وتوجه إلى جبل بيانه كوتهى بجواره ، وأخذت فتنة شيخا تزداد وعزم التوجه إلى ميوات فى ربيع الأول من السنة المذكورة ، وعندما توجه إلى تادرور دخل سيد جلال خان ميواتى مع جماعة قلعة يلدوز ، وفى اليوم التالى فر جلال خان وتوجه إلى بدر ، واستولى السلطان على غلة وذخيرة القلعة ، وتوجه السلطان من هناك إلى « تجارة » وخرب معظم الولاية وأطاعه جلال خان بسبب عجزه ، وأدى المال طبقا للقانون القديم ، وجاء عماد الملك من ولاية بيانه بجمع غفير ولازمه ، وسمح السلطان لملك كمال الدين وعدد من الأمراء بضبط كوالير وأتاوه ، وجاء فى جمادى الأولى من السنة المذكورة إلى دهلي .

وصل الخبر فى هذه الأثناء أن شيخ على سوف يأتى إلى الأمراء الذين يحاصرون قلعة ترهند ، وأرسل السلطان مبارك شاه ، جيشا لمساعدة الأمراء ، وأغار شيخ على على شور فى هذا الوقت ، وأغار على ولاية شاطئ نهر بياه ، وأسر خلقا كثيرين ، وتوجه إلى لاهور ، وتحصن ملك يوسف وملك اسماعيل اللذان كانا حكاما للاهور وتقدما لمنعه ، وأبديا تشددا فى حماية القلعة والمدينة ، ولما علم ملك يوسف ملك اسماعيل معارضة أهل المدينة ، قررا الفرار ، وذهبا إلى بدر ، وأرسل شيخ على جيشا لتعقبهما حتى قتلوا جمعا غفيرا وأسرُوا جمعا آخر ، وكان من جملة الأسرى ملك راجا وهو من الأعيان ، واستولى شيخ على على لاهور وانتهبها ، ووضع أساس تعمير قلعة لاهور ، وترك عشرة آلاف فارس ، من الفرسان المقاتلين لحماية المدينة وتوجه إلى دييبالبور وتحصن

ملك يوسف الذى كان قد فر من قلعة لاهور الى قلعة ديپالبور ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى عماد الملك فى ترهنده ، أرسل أخاه مع جيش كبير لمساعدة ملك يوسف ، ونزل شيخ على فى ديپالبور أثناء وصول المدد ، واستولى على القصبات التى بين لاهور وديپالبور .

وصلت أخبار فتنة شيخ على الى مبارکشاه فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ، فتوجه الى سامانه وانتظر الجيش عدة أيام ، وعندما وصل ملك كمال الدين وبعض الأمراء توجه الى تلوندى ، وجاء عماد الملك وإسلام خان حاكما ترهنده ، ولأزماء ، وأمر الأمراء الآخرين برفع الحصار من حول ترهنده وأن يسرعوا الى معبر بوى ، وفر شيخ على وعاد عندما وصل السلطان مبارکشاه الى نواحى ديپالبور ، وكان الشيخ على قد عبر نهر جناب ، وسلم السلطان مبارکشاه ديپالبور وجلندهر لملك سكندر تحفه الذى أطلق سراحه من سجن شيخا كهوكر ولقبه بشمس الملك ، وتعقب شيخ على الى الحدود وكان قد ترك فى قلعة شور مظفر ابن أخيه ، ووقع جزء من أمتعته وأسلحة جيشه (شيخ على) بيد جيش شمس الملك ، وعبر السلطان نهر راوى من أمام تلبته (٤٥٢) ، وحاصر قلعة شور ، وقاوم مظفر شهرا وأخيرا سلك طريق الصلح لضعفه وعجزه ، وقدم أخته مع هدايا كثيرة الى السلطان مبارکشاه ، وعاد السلطان ، وأرسل شمس الملك الى لاهور ، وطلب الجيش الذى كان فى لاهور من قبل شيخ على الأمان فى شوال من السنة المذكورة ، وأخلى القلعة واستولى شمس الملك على القلعة .

عندما انتهى مبارکشاه من أمر شور ولاهور توجه لزيارة مشايخ الملتان ، وجاء من هناك الى ديپالبور ، ولما لم يكن لعماد الملك أى مقاطعة فقد أعطاه ولاية ديپالبور وجلندر ، أخذهما من شمس الدين وأهداهما الى عماد الملك ، وعين شمس الملك على ولاية بيانه التى كانت ضمن ولاية عماد الملك ، وعاد السلطان الى دهلى .

ولما لم يكن أمر الوزارة متمشيا مع سرور الملك وكان ملك كمال الدين قادرا على جميع الأمور ، فقد عهد اليه بمهمة الاشراف ، وقرر أن يقوم الاثنان متفقين على تنظيم المهام ، ولما كان ملك كمال الملك رجلا ، رزينا ، مجربا لذا صار مرجعا للناس ومهما فى الأمور ، وقد استاء سرور الملك بسبب عزله عن ديپالبور والولايات السابقة ، وبسبب الحسد صار منافقا ، ووافقه أبناء كانكو وكجورا أصحاب الخدم والحشم والأسر ، وسلك أمراء مائه ونائب « عرض الممالك » والقاضى عبد الصمد خاص ،

والحاجب وأناس آخرون أيضا طريق المخالفة ، وانتهزوا الفرصة ، وعندما كان السلطان ، مبارکشاه يضع أساس مدينة على نهر جون فى السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣٧ هـ وأسمها مبارکشاه آباد ، ووصلت فى هذه الأيام اخبار فتح ترهنده ورأس فولاد تركبجه ، وتوجه السلطان مبارکشاه الى ترهنده ، بحجة الصيد وخلال فترة وجيزة جعل زمينداران هذه الديار فى ولائه وعاد وجاء الى مدينة مبارك آباد .

علم السلطان فى هذا الوقت أن حربا تقع بين السلطان ابراهيم شرقى والسلطان هوشنك مالوى على كالبى ، وأرسل الفرامانات مستدعيا أمراء النواحي ، وتوجه الى كالبى فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ونزل قرب دهلى ، وتوقف عدة أيام لجمع الجيش ، وحدث أن ذهب السلطان مبارکشاه يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٨٣٧ هـ لمشاهدة مبانى مبارك آباد ، ولم يكن برفقته الا حريمه وخاصته وكان سرور الملك منتظرا لهذه الفرصة ، وأشار الى جماعة فدائية كان قد اتفق معها ورفعوا السيوف فجأة وقتلوا السلطان مبارکشاه ، وكانت أيام سلطنته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما .

ذكر السلطان محمد شاه ابن مبارکشاه بن خضر خان :

هو محمد شاه ابن الأمير فريد بن خضر خان ، وكان مبارکشاه قد تبناه بالرعاية ، وذكر مؤلف تاريخ مبارکشاهى (٤٥٣) الذى ألف فى عهده أنه ابن مبارکشاه ، وذكر صاحب تاريخ بهادرشاهى أنه ابن الأمير فريد ، ولما كان قد أطلق عليه فى التواريخ الأخرى أنه ابن مبارکشاه أيضا ففى هذا الكتاب أيضا اورد ما يوافق المشهور .

المهم ، انه فى آخر يوم الجمعة الذى استشهد فيه السلطان مبارکشاه جلس السلطان محمد شاه بموافقة أفراد وأركان الدولة على عرش السلطنة ، وعلى الرغم من أن سرور الملك قد بايعه فى الظاهر لكنه استحوذ على كل أسباب السلطنة مثل الخزانة والأفيال والأسلحة ، ولقب (محمد شاه) سرور الملك بخانجهان ، وميران ، صدور بأمين الملك ، وعزم ملك الشرق وكمال الملك على أن ينتقما لدماء الملك مبارکشاه من سرور الملك وميران صدور وسائر أولاد الحرام .

استدعى سرور الملك فى اليوم الثانى لجلوس محمد شاه بعض المماليك نوى الشوكة والجماعة الى بيانه وتبض عليهم ، وقتل بعضهم ،

وسجن البعض مثل كرم جفد وملك مقبل وملك فتوح ، وسعى جاهدا لاستئصال أهل بيت مباركشاهى ، واستولى على الولايات والنواحي التى كانت فى ناحية خلاصة زيده ، ووزع القليل على الآخرين ، وسلم ولاية بيانه وأمروه ونارنول وكهرام وعدة ولايات بين النهرين لسيد هارون واقربائه ، وأرسل أبوشه غلامه لتحصيل المال لعدة سنوات من بيانه ، ودخل مدينة بيانه فى الثانى عشر من الشهر المذكور ، وأراد ان يستولى على القلعة ، وعلم يوسف خان أوحدى ، فجاء الى بيانه من الهندوستان ، وحارب أبوشه ، وقتله ، وأسر عياله وزوجاته ، ولما كانت الخسة ظاهرة على سرور الملك لكافة الأنام ، لهذا كان دائم التفكير فى الأمراء السذين كانوا أتباعا لخضر خان والسلطان مباركشاه ، وكان يدبر الأمر أيضا للقضاء عليهم .

علم سرور الملك ، أثناء هذا الحال ان الهداد لودى حاكم سنبل واهار وملك جمن حاكم بداون وأمير على كجراتى وأمير كسل تركبجه قد رفعوا لواء العصيان ، فأرسل سرور الملك وكمال الملك وسيد خان ويوسف ابنه الأصغر وسيد هارون كانكو لدفع فتنتهم ، ونزل كمال الملك على شاطئ نهر جون فى رمضان ، وتوجه من هناك الى قصبة برن ، وتوقف فى برن للانتقام لدم مباركشاه من ابن سرور الملك وسيد هارون ، وعلم ملك الهداد ما فى باطن كمال الملك ، فلم يتقدم من أهار ، ووقف سرور الملك على غدر كمال فأرسل ملك هشيار (٤٥٤) غلامه بحجة مساعدة جيش بهاء الملك لكى يطلع على غدره ويحمى يوسف وسيد هارون ، وأثناء ذلك جاء ملك جمن الى أهار ولحق بالهداد ، وزاد خوف يوسف وسيد هارون وهوشيار وكانوا يعلمون غدر كمال الملك ، وانفصلوا عن الجيش وجاءوا الى دهلى .

وفى آخر رمضان اتحد ملك الهداد وملك جمن والأمراء المؤيدون لملك كمال الملك ، وتوجه كمال الملك مع جمع غفير الى دهلى ، وتحصن سرور الملك فى قلعة دهلى ، وتحاربا لمدة ثلاثة أشهر ، وأثناء ذلك وصل خبر وفاة زيرك خان حاكم سامانه ، وفوض أمر ولايته لابن محمد خان .

ومع أن محمد شاه كان موافقا فى الظاهر مع أهل القلعة لكنه كان يحدث أن أقام سرور الملك وأبناء ميران صدور فى الثامن من المحرم وهو فى قلعة دهلى ، ولهذا أعد كميناً لمحمد شاه .

وحدث أن أقام سرور الملك وأبناء ميران صدور فى الثامن من المحرم

سنة ٨٣٨ هـ برفع سيوف الغدر والمكر ، واقتحموا خيمة محمد شاه ، وكان محمد شاه على حذر طوال الوقت ومستعداً بجيش كبير من اتباعه خوفاً منهم ، فقتل سرور الملك فى مكانه ، واحضر أولاد ميران صدور وقتلهم أمام البلاط :

« الغزال الذى يجد ، لا يخشى النمر ، حتى لو صار الثرى من دمائه شقائق النعمان » .

وتحصن سده باى وأولاد الحرام الآخرون وقتلهم ، وفتح محمد شاه المدينة لكامل الملك ، واشعل سده باى النار فى منزله ، وجعل زوجته وأولاده طعاما للنار (٤٥٥) ، وقتل .

وبحكم محمد شاه قتلوا سيد هارون كانكو وكهرمانى اللذين كانا قد أسرا ، قرب خيمة محمد شاه ، وأطاحوا برؤوس هوشيار ومبارك كوتوال امام بوابة « لعل كردن » جدد كمال الملك وجميع الأمراء الذين كانوا خارج القلعة البيعة لمحمد شاه فى اليوم التالى ، وأجلسوه على عرش السلطنة بموافقة عامة الناس ، ونال كمال الملك منصب الوزارة ، ولقب بكمال خان ولقب ملك جمن بغازى الملك وأمر له بولاية أمروهة ، وبداون كسابق عهده ، ولم يقبل ملك الهداد لودى أى لقب فلقب أخاه « بدرىبا خسان » ولقب ملك كهووبراج مباركخان باقبال خان وعين على ولاية حصار فيروزه كما كان من قبل ، وحظى جميع الأمراء بالانعامات وزيادة فى التكريم ، وتلقب الابن الأكبر لسيد سالم بمجلس على سيد خان وابنه بشجاع الملك صده بعلاء الملك ، ونال ملك ركن الدين نصير الملكى وصار ملك الشرق حاجى « شحنة دهلى » (٤٥٦) .

سافر محمد شاه الى الملتان فى ربيع الأول من السنة المذكورة الى مكان يسمى مباركبور ، ووصل أكثر الأمراء اليه مثل عماد الملك واسلام خان ومحمد خان ومحمود خان بن نصرت خان ويوسف خان وأحمدى وإقبال خان للالزمته ، وزار أحمد خان « مشايخ الملتان » وترك الملتان لخانجهان وجاء الى دهلى فى السنة المذكورة ، وتوجه محمد شاه الى سامانه سنة ٨٤٠ هـ ، وأرسل جيشا لمهاجمة شيخا كهوكهر وخسرب ولايته ، وعاد الى دهلى .

(٤٥٥) وهو ما يعرف باسم « جواهر » عند الهنود ، وهى طريقة كان يتبعها الهنود عندما يضيق بهم الحال فكانوا يشعلون نارا عظيمة ويقذفون بنسائهم وأولادهم فيها ويتقدموا للقتال بكل قوتهم .
(٤٥٦) حاكم دهلى .

وفى سنة ٨٤٠ هـ جاءت الاخبار أن جماعة « لنكاه » يفسدون فى دهلى ، وعلم أن السلطان ابراهيم شرقى قد استولى على بعض الولايات وكف رأى كوالير وملوك آخرون أيديهم عن دفع المال عندما لم يتحرك عرق الحمية عند محمد شاه وغلب عليه المساهلة والغفلة ، وبأن كل سر فى السويداء وأمنية فى القلب .

« عندما يكفل الملك جينا فان الملك يكون أمنية كل شخص »

واستدعى بعض الأمراء السلطان محمود خلجى سلطان مالوه .

وصل السلطان محمود فى سنة ٨٤٤ هـ الى دهلى ، وأعد محمد شاه الجيوش ، وأرسل ابنه ، وجعل ملك بهلول لودى على المقدمة ، وأرسل السلطان محمود خلجى ابنه لمواجهة السلطان غياث الدين قدرخان ، وكان غبار الهيجاء قائما من الصباح حتى المساء ثم عاد الطرفان مساء واستقرا فى أماكنهما ، وفى اليوم التالى أراد محمد شاه الصلح ، وأثناء ذلك علم السلطان محمود أن السلطان أحمد كجراتى آت صوب مندو ، فقبل الصلح وعاد على الفور ، وكان هذا الصلح علامة على زيادة ضعف محمد شاه فى الأنظار والقلوب ، وعندما رحل السلطان محمود تعقبه ملك بهلول لودى وغنم جزءا من الأمتعة القيمة التى يحملونها وعاد ، وسر محمد شاه من فعله ملك بهلول وخصه بالهدايا وجعل ملك بهلول ابنا له بالتبنى .

توجه محمد شاه الى سامانه فى سنة ٨٤٤ هـ ، وعين ملك بهلول على ولاية ديالىبور ولاهور ، وأرسله لصيد جسرت كهوكهر ، وعاد الى دهلى ، وتصلح جسرت مع ملك ، والتحق به ، وبشره بسلطنة دهلى ، ولعب هوى السلطنة فى رأس ملك بهلول فجمع جمعه ، واستدعى الأفغان فى النواحي والأطراف ، ورعاهم ، حتى تجمع حوله فى مدة قصيرة خلق كبير ، واستولى على كثير من الولايات والنواحي ، وكان يضع أسس الخلاف مع السلطان محمد شاه لأقل سبب ، وتوجه الى دهلى بكامل عظمته وأبهته ، وحاصرها مدة ، وعاد دون أن يحقق مأربه ، وهان أمر سلطنة محمد شاه يوما بعد يوم ، ووصل الأمر الى درجة أن لوى الأمراء رأس الطاعة عنه وهم على مسافة عشرين فرسخا من دهلى واستقلوا ، وفى آخر الأمر ودع السلطان محمد شاه الحياة فى سنة ٨٤٤ هـ وكانت مدة أيام حكومته عشر سنوات وعدة أشهر .

« عندما يرفع القانون ، فأحيانا تكون الرحمة وأحيانا يكون الظلم »

« ويكون الوفاء أملا من الزمان ونور العين من السهاد »

« عندما يكون الجنون علامة ظاهرة ، فان علامة الوفاء لها تكون في وجهه »

ذكر السلطان علاء الدين بن محمد شاه بن مبارکشاه بن خضر خان :

عندما توفي السلطان محمد شاه أجلس الأمراء وأكابر الدولة ابنه الملقب بالسلطان علاء الدين على عرش السلطنة ، وبأيعه ملك بهلول وسائر الأمراء ، وخلال فترة وجيزة اتضح أن السلطان علاء الدين اضعف من أبيه وأعجز منه في أمر السلطنة ، فقوى أمل ملك بهلول ، « عندما ترى أنه لا أذى من الحية ، فان العاقل لا يدع الكنز من يده »

توجه السلطان علاء الدين الى سامانه سنة ٨٥٠ هـ ، واثناء الطريق علم أن سلطان جونبور يقصد دهلي فعاد مسرعا الى دهلي ، وقال له حسام خان وزير الممالك ونائب الرعية أنه ليس من اللائق لحال السلطان الأمر بالمجيء لمجرد صوت كاذب عن عدو السلطان ، واستاء السلطان علاء الدين من هذا القول الذي يخالف سجيته ، وتأذى خاطره ، وتوجه الى بداون سنة ٨٥١ هـ وتوقف هناك بعض الوقت ثم عاد الى دهلي ، وقال لقد اسعدتني بداون وأريد أن أقيم هناك دائما فعرض عليه حسام خان مرة أخرى « ان ترك دهلي واتخاذ بداون عاصمة ، أمر ليس في صالح الدولة » ، واستاء السلطان من هذا القول كثيرا ، وابتعد عنه ، وترك دهلي وجعل أخواه لأمه أحدهما « شحنة شهر » (٤٥٧) والثاني « ميركوئي ؟ » (٤٥٨) .

« طالما لم يكن متديرا للأمر ، فانه يستحق الندم أخيرا من الزمان »

وتوجه الى دهلي سنة ٨٥٢ هـ ثانية ، وانشغل باللهو ، وقنع بأقل ولاية كانت في حكمه ، وبعد مدة وقع خلاف بين أخويه لأمه في دهلي وتحاربا سويا وقتل أحدهما ، وفي اليوم التالي اقتص أهل المدينة بتحريض حسام الدين من الأخ الثاني ، وقرر السلطان بوشاية أرباب الفتنة في ذلك الوقت قتل حميد خان وزير مملكته ، فجاء الى المدينة واستولى عليها بسعي حسام خان ، واستدعى ملك بهلول للسلطنة وتفصيل هذا الاجمال المذكور في أحوال ملك بهلول .

المهم ، جاء ملك بهلول لودى مع جيشه الى دهلي واستولى عليها ، وبعد عدة أيام ترك دهلي لجماعة من تابعيه ، وتوجه الى ديالبور ، وجمع

(٤٥٧) حاكم المدينة .

(٤٥٨) من المحتمل أن تكون « مير كبير » أما « مير كوني » فليس هناك وظيفة بهذا

الاسم .

الجيش وعرض على السلطان علاء الدين من أنه تابع للسلطان ومملوك له ورد عليه السلطان علاء الدين أنه « طالما تبنك أبى ولست شاكاً فى بنوتك فاننى أترك لك السلطنة قانعا بولاية بداون » (٤٥٩) .

« تحقيق الهدف الذى كان يتمناه الملك ، دون ألم رأس الحربة والتعامل بالسيف »

ووجد ملك بهلول أن الفتح والأقبال والسلطان يعادلون قامته ، فنال السعادة ، وجاء الى دهلى من ديپالبور وجلس على عرش السلطنة ولقب بالسلطان بهلول ، وأقر الانعام لأمرء السلطان علاء الدين الذين كانوا معه ، وبعد فترة توفى السلطان علاء الدين (٤٦٠) ، ودان الأمر للسلطان بهلول ، وكانت أيام سلطنة (علاء الدين) سبع سنوات وعدة أشهر (٤٦١) .

« نظام العالم هو هذا أيضا وكفى ، لا وفاء لشخص قط »

ذكر السلطان بهلول لودى :

روى عن الثقة أن ملك بهلول هو ابن سلطان شه لودى (٤٦٢) الملقب باسلام خان ، وكان من أمراء خضر خان ومباركشاه الكبار وكان يحكم سهرند ، ولما كان قد وجد دلائل الرشيد فى ابن أخيه ، جعله ابناً له بالتبني ، وأوصى له فى آخر عمره أن يحل محله ، وعندما توفى كان لاسلام خان ابن اسمه قطب خان لودى ، لوى رأسه عن أتباع ملك بهلول وجاء الى السلطان محمد ، وأرسل السلطان محمد حاجى شدنى الملقب بحسام خان بجيش جرار لمهاجمة ملك بهلول وتحارب الطرفان فى قرية كرهه من قرى ولاية خضر آباد وساد هوره ، وهزم حسام خسان وذهب الى دهلى ، وحظى ملك بهلول بالقوة والتمكن تماما .

يروون أن ملك بهلول ذهب ذات يوم الى دياره بسامانه فى أول أمره ، وكان هناك « عزيز » توجه اليه ملك بهلول ورفاقه وجلسوا بأدب ، وجرى على لسان هذا المجنوب « اليس منكم شخص يشتري ملك دهلى

(٤٥٩) ان عالم شاه قد تنحى لبهلول لضغط الأخير ، وان بهلول قد أهمل عالم شاه فاضطر التوجه الى بدوان سنة ٨٥٢ هـ (تاريخ مباركشاه - يحيى بن أحمد . اليوت ج ٧ ص ٨٦ ، ٨٨) .

(٤٦٠) توفى سنة ٨٥٣ هـ .

(٤٦١) ان رابع السادات الخضرخانية هو علاء الدين محمد شاه (بداونى جلد اول ص ٣٠٥) .

(٤٦٢) بهلول بن كالا لودى (بداونى جلد اول ، ص ٣٠٦) .

بألفى تنكة « فأخرج ملك بهلول ألفا وستمئة تنكة ودراهم كانت لديه ،
وقدمها لهذا العزيز ، وقال « ليس لدى أكثر من هذا ، وقبلها العزيز ،
وقال « لتكن سلطانا مباركا » واستهزأ رفاقه فتال لهم « لن تخرج هذه
القضية عن حالين فإذا وقعت فيكفى أن أنالها مجانا وان لم تحدث فلن
يخلو من أجر خدمة الصوفية .

« اذا أردت همة سالكى الطريق فجد بملك كاوس وأفريدون » (٤٦٣)

ونذكر فى بعض القوارىخ أن ملك بهلول كان يعمل فى التجارة وليس
حقيقيا ، ويبدو أن جد أبيه كان يعمل بالتجارة ، وكان يتاجر بالهند .

المهم استولى ملك بهلول مع عمه ملك فيروز وسائر أقربائه على
ولاية سهرند ، وبلغ درجة من القوة والمكنة ، ومن كلام هذا الصوفى
الذى حفظه فى خاطره منذ الصغر واغواء جسرت كهوكهر (٤٦٤) له
وضع طائر السلطنة بيضة على رأسه وصار طالبا للملك .

وبعد الانتصار على حسام خان أرسل ملك بهلول رسالة مشتملة
على سوء أفعال حاجى شدى وإيمانه وإخلاصه للسلطان ، وذكر فيها
أنه لو قتل السلطان حاجى هذا وأعطى منصب الوزارة لحميد خان
ستكون تحت امرته وبخدمته ، وقتل السلطان محمد دون تفكير وروية
حسام خان وجعل حميد خان وزيرا له .

« لا بد أن يسرى العداوة كل من يميظ اللثام عن وجهه »

وجاء اللوديون اليهما طائعين ، ولأزموا السلطان ، وجعلوا ولايتهم
طائعة له ، وبعد ذلك حارب ملك بهلول السلطان محمود مالوى من قبل
السلطان محمد ، ونال لقب « خان خانان » (٤٦٥) وبالتدريج قوى نفوذ
اللوديين فى لاهور وديبالبور وسنام وحصار فيروزه وولايات أخرى ،
ولما بلغ درجة الكمال والعلو استولى على لاهور وديبالبور دون إذن
السلطان ورفع لواء المعارضة وذهب لمهاجمة السلطان محمد فى دهلى
وحاصر السلطان فترة ، ولما لم يتيسر له الاستيلاء على دهلى ، عاد الى
سهرند ، ولقب نفسه بالسلطان بهلول ، وأوقف الخطبة والسكة لحين
تسخير دهلى ، وأثناء ذلك توفى السلطان محمد ، وأجلس السلطان
علاء الدين ابنه على عرش السلطنة بسعى أمراء وأعيان المملكة .

(٤٦٣) كاوس أو كاوه بطل أسطورى ثار على الضحك وجمع الشعب حول رايته
« درفش كاويانى » وسار بها وراء أفريدون .

(٤٦٤) جسرت كهوكهر رئيس جماعة كهوكهر ، وهى جماعة ذات شوكة وغلبة ،
اشتهرت بمناوئها لسلطين دهلى .

(٤٦٥) أمير الأمراء .

« آه من ملك الزمان والرأس فى الحضيض ، وذهب الأب وجاء الابن فى الركاب »

فى هذا الوقت صارت الهند كلها « ملوك طوائف » (٤٦٦) وكانت السيطرة تماما بيد اللوديين وكان أحمد خان ميواتى مسيطرا على مهورتى حتى لاروسراى المتصلة بمدينة دهلى ، واستولى اللوديون على ولاية سهرند ولاهور حتى يانى بت ، وكان دريا خان لودى حاكما على ولاية سنبيل حتى معبر خواجه خضر ، وتنصل بمدينة دهلى ، وسيطر عيسى خان تركبجه على كول ، وكان قطب خان بن حسن خان أفغان حاكما على رابرى وكان راي يرتاب حاكما على قصبة بهون كانو وبيتالى وكنبلا ، وكانت بيانه فى قبضة داود خان أوحدى ، وكان السلطان علاء الدين حاكما على مدينة دهلى وعدة أماكن ، وتسطن عليها ، واستقل حاكم الكجرات والدكن وجونبور والبنغال .

جمع السلطان بهلول جيشه مرة ثانية وتوجه من سهرند الى دهلى ، ولم يفتح دهلى وعاد الى سرهند .

وأثناء ذلك استشار السلطان علاء الدين قطب خان وعيسى خان ورأي برتاب لكى يقوى حاله ، واتفقوا على أنه لو سجن السلطان حميد خان وعزله من منصب الوزارة ، واستولى على عدة ولايات من الأمراء وجعلها خالصة له فان الأمر سيستقيم ، وأمر السلطان علاء الدين بسجن حميد خان :

« من يحاكي الورد من أجل الطيور ، لن يكون لك الا البلبل وما يقول »

ورحل من دهلى وجاء الى برهان آباد قرب باهره حيث لازمه هناك قطب خان وعيسى خان وبرتاب وعرضوا عليه أن يقتلوا حميد خان مقابل أربعين قرية خالصة لهم ، وكان فتح خان والد حميد خان قد انتهب ولاية برتاب من قبل ، واستولى على أمراته وبناء على العداوة القديمة ، رغب السلطان فى قتل حميد خان ، وأمر السلطان علاء الدين ، الذى لم يكن أهلا للسلطنة ، أمرا دون تفكير أو تأمل قتل حميد خان ، فى ذلك الوقت كان صهر حميد خان وخاصته قد تحرروا من سجنهم بالحيلة ، وفروا وجاءوا الى دهلى ، وتعقبهم ملك محمد جمال وهو من

(٤٦٦) أخذت أغلب الولايات الهندية فى الانفصال عقب الغزو التيمورى عن سلطان دهلى ، وقامت حكومات مستقلة فى مالوه والكجرات وجونبور والبنغال ، وظلوا كذلك حتى عهد أكبر .

الملكاهيين (٤٦٧) ووصل الى بيت حميد خان ، وقاتل ولكنهم قتلوا ملك محمد جمال بضربة رمح ، وتجمع رجال كثيرون حول حميد خان ، وارتفعت الغوغاء ، ودخل حميد خان الحرم السلطاني ، وأخرج نساء وبنات وأبناء السلطان عرايا أيضا من قلعة المدينة ، واستولى على خزائن وأمالك السلطنة ، وأجل السلطان علاء الدين لسوء حظه الانتقام من اليوم الى الغد ، وتوقف في بداون بسبب المطر ، وانتهاز حميد خان الفرصة وفكر في أن يجعل شخصا آخر محل السلطان علاء الدين ، ولم ير أن استدعاء السلطان محمود شرقي سلطان جونغور مناسباً لأنه مثل السلطان علاء الدين نفسه بل ان السلطان محمود شرقي كان بعيداً عن الهنود ، فاستدعى اللوديين أقرباء ملك بهلول الذين كانوا في سرهند ، وجاء ملك بهلول بجمعه كاملاً الى دهلي ، وبعد العهد والقسم سلمه حميد خان مفاتيح القلعة ، وجلس في السابح عشر من ربيع الأول سنة ٨٥٥ هـ على كرسي الحكم .

« على هذا العرش فيروزه كل صباح ومساء ، احدهما خرزة البخت الموفق »

« الشخص الذي لا يحمل هذا البخت وهذه الخرزة ، لن يوفق في الملك . » كان للسلطان بهلول في ذلك الوقت تسعة أولاد هم خواجه بايزيد الابن الأكبر نظام خان وهو السلطان سكندر شاه وباريكشاه ومباركخان وعالم خان المشهور بالسلطان علاء الدين وجمال خان وميان يعقوب وفتح خان وميان موسى وجمال خان ، وكان له من الأمراء والأقرباء أربعة وثلاثون شخصاً هم : قطب خان بن اسلام خان لودي ، ودريا خان لودي ، تاتارخان بن دريا خان ، مباركخان نوحاني ، تاتارخان ، يوسف خان ، عمر خان شرواني ، قطب خان بن حسن خان أفغان ، أحمد خان ميواتي ، يوسف جلواني على خان جلواني ، على خان تركبجه الشيخ أبو سعيد قرملي ، أحمد خان شاهي ، خان خانان نوحاني ، شمس خان ، وزير خان ، خان خانان بن أحمد خان شرواني ، نهك خان ، لشكر خان ، شهاب خان ، بيرمبارز خان بهته رستم خان ، جوناخان بن غازي ملك ، ميان جمن بن خانجهان ، بلنكي ، حسين خان دور ، عماد الملك اقبال خان ، ميان فريد ، ميان معروف فرملي ، راي يرتاب ، راي كيلن ، راي كرن .

(٤٦٧) جماعة لنكاه لهادر مشهورة في التاريخ الاسلامي الهندي وسيرد ذكرها أكثر من مرة في طبقات اكبرى .

كان السلطان بهلول ملتزما بالصالح والشرعية الغسراء تمام
الالتزام ، وكان يسلك المسالك الشرعية فى كل الأحوال ويتشدد فى العدل
والانصاف ، ويقضى أكثر الأوقات فى مجالسة العلماء ومصاحبة
الفقراء ، ويتفقد أحوال الفقراء وأهل الحاجة .

المهم ، عندما دخل السلطان بهلول دهلى كان حميد خان لديه القوة
والهيمنة التامة ، فآخذ فى مداهنته استغلالا للوقت ، وكان يذهب يوميا
للسلام عليه ، وذات يوم نزل ضيفا على حميد خان ، ووصى الأفغان
أن يأتوا ببعض الحركات الغربية عن العقل والفهم فى مجلس حميد خان
حتى يسهل عليكم أن تبعدوا عن قلبه الرعب والهيبة وألا يحذركم « وحينما
دخل الأفغان فى المجلس أتوا بحركات غريبة فربط البعض أحذيتهم فى
الخصر ، ووضع البعض أحذيتهم فى طاقة أعلى رأس حميد خان فقال
حميد خان ما هذا العمل ؟ قالوا نحافظ عليك من اللصوص ، وبعد فترة
قال الأفغان لحميد خان ان بساطك العجيب له عدة ألوان فلو أنعمت
علينا بكليم من هذا البسط لنجعله تاجا وطاقية لأولادنا ليعلم أهل
الدنيا اننا فى خدمة حميد خان ويكرمونا ورد حميد خان مبتسما « اننى
أنعم عليكم بالأقمشة الفاخرة من أجل هذا الأمر » وعندما مدوا الموائد
العامرة ، لعق بعض الأفغان « الجوه » (٤٦٨) وأكلوا الورود ، وفتح
البعض زجاجات الجعة وأكلوا الخميرة على حده ، وعندما التهب الفم
ألقوا زجاجات الجعة من أيديهم وسأل حميد خان ملك بهلول ، لماذا
يفعلون هذا ؟ قال انهم قرويون سذج وليس لديهم هم الا الأكل والشرب ،
وفى يوم آخر نزل ملك بهلول ضيفا على حميد خان ، ولما كان قد اعتاد
عليه فحين دخل ملك بهلول منزل حميد خان رافقه عدد محدود ، ووقف
أكثر الناس بالخارج وفى هذه المرة التى استضاف فيها لطم الأفغان
الحراس بتحريض ملك بهلول ودخلوا عنوة وقالوا اننا أيضا خدّم حميد
خان فلماذا نحرم من سلامه ، وعندما حدثت الغوغاء والجلبة سأل
حميد خان عن هذا الحال فقالوا : دخل الأفغان التابعون لملك بهلول وقالوا
نحن أيضا مثل ملك بهلول خدّم حميد خان ودخلوا وقالوا : لماذا لا ندخل
بلا نسلم ؟ قال حميد خان دعوهم !

« لا تتوقع تبديلا لزماننا - لأن فى الجيب والذيل تحل الحية »

وهجم الأفغان ودخلوا ووقف نفر بجوار كل خادم كان يقف حول
حميد خان ، وخلال ذلك أخرج قطب خان لودى قيدا من تحت ابطيسه

(٤٦٨) نوع من الحساء الهندى .

وقدمه لحميد خان وقال « المصلحة فى هذا لأنه ينبغى أن تنزوى عدة أيام ،
وبسبب حق الصلح لا أبغى روحك » وقيد حميد خان وسجنه .

وعندما سيطر ملك بهلول على دهلى دون منازع أو معارض ،
جعل السكة والخطبة باسمه ولقب بالسلطان بهلول ، وكتب الى السلطان
علاء الدين :

« لما كنت ابن أبيكم بالتبني وقد أعدت للسلطنة الرونق والازدهار
الذى سلب منكم بالوكالة ولن أضع اسمكم فى الخطبة ، وأجابه السلطان
« طالما كنت ابنا بالتبني لأبى فاعلم أنك تحل محل أخيك الأكبر ، واننى
أترك السلطنة لك ، واقنع ببداون » وحظى السلطان بهلول بالتوفيق
وشرع فى أمر الملك .

نهض السلطان بهلول فى نفس هذه السنة لضبط ولاية اللتان
ونواحيها ، واستدعى أمراء السلطان علاء الدين الذين لم يكونوا راضين
عن حكم اللوديين السلطان محمود شرقى من جوناپور وجاء السلطان
محمود بجيش جرار الى دهلى وحاصرها وتحصن خواجه بايزيد ابن
السلطان بهلول وأمراء آخرون ، وسمع السلطان بهلول بهذا الخبر ،
فعاد من ديپالبور ونزل بقرية نليره التى كانت على مسافة خمسة عشر
فرسخا من دهلى واستولى جيشه على ايل وبقر كانت ترعى من جيش
السلطان محمود ، وأرسل السلطان محمود فتح خان هريوتى بثلاثين
الف فارس وثلاثين فيلا لمهاجمة السلطان بهلول ، وتعقب اللوديون
الجيش ودخلوا الميدان ، وكلما تقدم فيل من جيش فتح خان هريوتى
شل قطب خان لودى الذى كان ماهرا فى اطلاق السهام ، حركته بسهم
واحد ، وانسحب دربا خان لودى من الحرب وكان قد التحق بالسلطان
محمود وكان مستعدا للقتال حين صاح فيه قطب خان بصوت عال
« ان أمهاتك وأخوتك متحصنون فى القلعة فهل يليق بك أن تحارب بجانب
العدو ولا تحفظ الشرف » فقال دربا خان اننى سأبتعد ولن أتبعك وذكره
قطب خان بالقسم فتحول اليه دربا خان وبمجرد عودته هزم فتح خان
وأسر ، وأخبر هنو راى كرن بقتل فتح خان وفصل راى كرن رأس فتح
خان وجاء بها الى السلطان بهلول ولم يجد السلطان محمود بعدها
ما حدث مقدرة فعاد الى جوناپور .

استقامت الأمور بعد ذلك للسلطان بهلول ، وصارت له القوة
والهيمنة التامة ، وتوجه لضبط البلاد أولا ، وتوجه الى ميوات واستقبله

أحمد خان ميواتى أعلن ولاءه ، وأدخل السلطان سبع قرى تحت سيطرته ، وترك له الباقي وأرسل أحمد خان ميواتى عمه مبارك خان داني فى خدمة السلطان .

توجه السلطان من ميوات الى قسبة برن وأعلن دريا خان لودى حاكم سنبل أيضا الطاعة والولاء له ، وقدم سبع قرى هدية ، وجاء السلطان من هناك الى كول ، وعين عيسى خان على كول كسابق عهده ، وعندما وصل الى برهان آباد أسرع مباركخان حاكم سكيت اليه فلم يغيره عن ولايته أيضا ، وسلم أيضا لراى يرتاب حاكم بهون كانون اليه ولايته ، وتوجه من هناك الى قلعة راى برى ، وتحصن قطب خان ابن حسن خان حاكم رابرى ، وفى مدة وجيزة فتحت قلعة راى برى ، وأحضر خانجهان الى السلطان واستسلمت ولايته أيضا ، وتوجه من هناك الى أتاوه وأطاعة أيضا حاكمها .

عاد السلطان محمود شرقى أيضا مرة ثانية فى ذلك الوقت لمهاجمة السلطان بهلول ، ونزل فى سواد أتاوه ، وتحارب الجيشان فى اليوم الأول وتوسط قطب خان راى يرتاب للصلح ، وفى اليوم التالى قررا أن كل ما كان تحت سيطرة مباركشاه سلطان دهلى تصبح تحت سيطرة السلطان بهلول وما هو فى قبضة السلطان ابراهيم سلطان جونيور يكون تحت سيطرة السلطان محمود ، وأثناء الحرب كان فتح خان هربوى قد استولى على سبعة أفيال من السلطان محمود ووقعوا فى يد السلطان بهلول وأعادهم السلطان بهلول له ، وقررا أن يأخذ السلطان بهلول شمس آباد من جونا خان حاكمها من قبل السلطان محمود وذلك بعد موسم المطر .

توجه السلطان محمود الى جونيور بعد هذا ، وأرسل السلطان بهلول فى الموعد المحدد قرمانا الى جوناخان أن يسلمه شمس آباد ولم يطمعه ، فتوجه السلطان بهلول لمهاجمته ، وفر جونا خان ، وسلم السلطان بهلول شمس آباد لراى كرن ، وسمع السلطان محمود الخبر فتوجه الى شمس آباد لمهاجمة السلطان بهلول ، وأغار قطب خان ودريا خان لودى على جيش السلطان ليلا ، وفجأة أصيب جواد قطب خان بسهم فسقط قطب خان من فوق الجواد ، وقبض عليه ، وأرسله محمود الى جونيور فظل سبع سنوات سجينا ، وترك السلطان بهلول الأمير سكندرو عماد الملك لمواجهة جيش السلطان محمود لمساعدة راى كرن ؟ الذى كان فى القلعة ، واهتم بنفسه لمواجهة ومحاربة السلطان محمود ، وأثناء هذا مرض السلطان محمود ، وخلع رداء الحياة .

« فى هذه القنينة يكون السم أحيانا والسكر أحيانا أخرى ، وخالق الروح يربى الروح »

« يضع انسان تاجا من الذهب على رأسه ، وآخر يطاح رأسه بسيف الحقد »

« ليس البغض مكانا للحب فى هذا الخفاء حيث يكون عدم الوفاء »

أجلست بى بى راجه أم السلطان محمود الأمير بهيكن خان بموافقة الأمراء على سرير الملك ولقب بمحمد شاه ، ووقع الصلح بين السلطانين ، وتعاهدا أن تكون ولاية السلطان محمود تحت سيطرة محمد شاه ، وأن يكون ما فى قبضة السلطان بهلول معقودا للسلطان بهلول ، وذهب محمد شاه الى جونبور ، وعاد السلطان بهلول الى دهلى .

عندما اقترب من دهلى أرسلت شمس خاتون اخت قطب خان رسالة (جاء فيها) طالما أن قطب خان فى سجن محمد شاه فالاستقرار للمراحة والنوم حرام على السلطان ، وتأثر السلطان وعاد من دهنكو وتوجه الى محمد شاه ، وتوجه اليه محمد شاه أيضا من جونبور ، وعندما وصل الى شمس آباد استولى عليها من رأى كرن حاكمها من قبل السلطان بهلول ، وسلمها جونا خان والتحق به رأى برتاب حين رأى غلبة محمد شاه ، وجاء محمد شاه الى سرستى ، ونزل السلطان فى ريدرى قرب سرستى ، وقامت الحرب عدة أيام ، وأرسل محمد شاه رسالة من سرستى الى كوتوال جونبور بأن يقتل أخا حسن خان وقطب خان ابن اسلام خان لودى ، وعرض الكوتوال الأمر على بى بى راجه التى كانت تحافظ عليهما على أنه ليس لدى قدرة على قتلها ، وعندما وصلت الرسالة الى محمد شاه ، استدعى أمه من جونبور التى صالحته على أخيه حسن خان على أن يعط جزءا من ولايته الى حسن خان ، ورحلت بى بى راجى من جونبور ، فقتل محمد شاه الأمير حسن ، فتوقفت بى بى راجى للتعزية فى حسن خان فى قنوج ، ولم يأت الى محمد شاه ، وأرسل محمد شاه الى أمير الأمراء ليقدّموا العزاء لها ، وكان محمد شاه سلطانا ظالما سفاكا للدماء وكان الأمراء فى خوف ووجل منه ، وذات يوم عرض الأمير حسن أخو محمد شاه بالاتفاق مع سلطان شه جلال خان أجودنى على محمد شاه من أن جيش السلطان بهلول قد أغار علينا واستولى على ثلاثين ألف (٤٦٩) جواد وثلاثين فيل ، وانفصلا عن جيش محمد شاه بحيلة لكى يقطعوا الطريق على الأعداء ، ووقفنا على

(٤٦٩) يبدو أن الرقم مبالغ فيه جدا .

شاطيء نهر جهرنه وسمع السلطان بهلول بهذا الخبر ، فأرسل جيشا لمواجهةهما ، وأراد الأمير حسن خان أن يرافق الأمير جلال خان وأرسل شخصا يستدعيه ، وأثناء ذلك علم سلطان شه أنه ليس هناك مصلحة في التوقف وأنه سيتبعهم جلال خان ، وسار صوب قنوج ، وحدث أن وصل جيش السلطان بهلول الذي كان مرسلا لمواجهةهم ، فوقف في مكانه ، وخرج الأمير جلال خان بموجب استدعاء حسين خان من جيش محمد شاه وسار صوت جهرنه ، وظن أن جيش السلطان بهلول هو جيش الأمير حسين خان فاقترب منه ، وأسر السلطان بهلول جلال خان ، وأحضروه إلى السلطان ، فسجنه عوضا عن قطب خان ، ولم يستطع محمد شاه المقاومة فتوجه صوب قنوج ، وتعبه السلطان بهلول حتى نهر الجانج ، واستولى على جزء من أمتعته ، وعاد .

وفي سنة ٨٥٥ هـ جاء الأمير حسين خان إلى بي بي راجي ، وجلس على عرش السلطنة بسعي الوالدة وأعيان الدولة الشرقية ، ولقب بالسلطان حسين خان ، وهكذا سلك ضمن الطبقة الشرقية كما هو مسطور بالتفصيل .

وأرسل السلطان حسين ملك مبارك كنك وملك على كجراتي وسائر الأمراء لمهاجمة محمد شاه الذي كان قد نزل بالقرب من معبر راجكر على شاطئ نهر الجانج ، وعندما اقترب جيش السلطان حسين خان انفصل بعض الأمراء الذين كانوا برفقة محمد شاه ، وفر محمد شاه مع عدد من فرسانه ، ودخل في حديقة كانت في هذه النواحي وحاصروه هناك .

« عندما كانت الدولة معقودة له ، كان الدرع أمام سيفه بارزا »
« في ذلك الوقت الذي يتمسك بحظه ، ولم يجعل خشبة القاسي تمر على الحرير »

ولما كان ماهرا في إطلاق السهام ، فقد قبض على السهم والقوس . وتقدمت بي بي راجي بسلاحها وكان نصل السهام بعيدا عن كنانة محمد شاه . وكلما أخرج محمد شاه سهما من كنانته يكون بلا نصل وأخيرا خرج بالسيف وقتل عدة أشخاص ، وفجأة أصاب سهم من يد مبارك كنك . جنب محمد شاه ، فسقط من فوق جواده جريحا ، ومات .

« نحن لا نملك الدنيا ، ولا نزرع الابن الشجاع ، فلا تضع القلب على حب زال (٤٧٠) هذا واحذر قتل الابن » .

« وعندما لا ترى للملك أجلا فلا تستجد يوم القضاء ، فلن تعطى السلطنة سعادة ولن تأتي السعادة بشيء » .

« اننى استوليت على الدنيا جميعها من شرقها الى غربها ، ولا أريد اخذ الأجل منك يوما بالاضطرار »

بعد هذا تصالح السلطان حسين مع السلطان بهلول ، وعقدوا العهد على أن يقتع كل منهما بولايته لمدة أربعة أعوام ، والتحق رأى برتاق الذى كان من قبل قد التحق بمحمد شاه بالسلطان بهلول بناء على شفاعة قطب خان أفغان ، وعندما رحل السلطان حسين من قنوج نزل على شاطيء معوض يدعونه « هرسه » ، واستدعى قطب خان من جنونبور ، وخصه بالعناية والجياد والخلع والهدايا الأخرى ، وأرسله معززا مكرما تماما الى السلطان بهلول ، وأنعم أيضا السلطان بهلول على الأمير جلال خان بالانعامات الطيبة ، وأذن له بالسفر الى السلطان .

عزم السلطان بهلول التوجه الى شمس آباد بعد فترة ، واستولى على شمس آباد من جونا خان وسلمها لرأى كرن ، وهناك لازم هرسنكة ابن رأى برتاق السلطان بهلول ، وكان رأى برتاق مشغولا بالتحصيل من قبل هذا فى الزمان السابق ، وكان قد استولى على « ظبال » من دريا خان عنوة وقتل دريا خان ابنه هرسنكة انتقاما وبتحويض قطب خان ، وفى هذه الأثناء كان قطب خان بن حسين خان ومبارزخان ورأى برتاق متفقين مع السلطان حسين شرقى ، ولم يستطع مقاومة السلطان بهلول ، وعاد وجاء الى دهلى .

وبعد عدة أيام عزم السلطان بهلول نية السفر لترتيب أمور البنجاب وبغى حاكم الملتان وترك قطب خان لودى وخانجهان نيابة عنه فى دهلى ، وبينما كان السلطان بهلول فى الطريق أخبروه أن السلطان حسين أعاد الجيوش وعزم التوجه الى دهلى بأفيال ضخمة ، وعاد السلطان بهلول الى دهلى مسرعا ، وأسرع لاستقبال غريمه ، وقابله فى جندوار ، وظل الجيشان يتحاربان لمدة سبعة أيام ، وفى هذه الأثناء التحق أحمد خان ميواتى ورستم خان حاكم كول بالسلطان حسين ، واتفق تاتار خان مع

(٤٧٠) زال بن سام البطل الأسطوري ربيب العنقاء الذى القى به فى شعاب جبل البرز لأنه كان بشعر أبيض كالشيوخ ولكنه بعد أن كبر بحث عنه والده وأحضرتة العنقاء .

السلطان بهلول بعد أن طال القتال والجidal وبسعى أعيان الدولة ألا يتحارب الطرفان لمدة ثلاث سنوات ، وأن يقنع كل منهما بولايته ، وبعد الصلح عاد السلطان حسين إلى آتاه و جاء السلطان بهلول إلى دهلي ، وأقام ثلاث سنوات ، اهتم فيها بتنظيم الملك والجيش وذهب السلطان آثناء ذلك إلى أحمد خان ميواتي ، الذي أيد السلطان حسين قبل هذا ، وعندما وصل إلى ميوات ، أكرم أحمد خان خانجهان وكان من أمراء السلطان حسين الكبار ، وحضر إليه في ذلك الوقت ، وكان أحمد خان ابن يوسف خان جلواني حاكم بيانه يقرأ الخطبة باسم السلطان حسين ، وعندما انتهت الثلاث سنوات توجه السلطان حسين بمائة ألف فارس وألف فيل إلى دهلي ، وخرج السلطان بهلول من دهلي ، وتقابلا قرب قصبة تهنواره وتوسط خانجهان ، وتصلح الطرفان ، وبعد الصلح عاد السلطان حسين إلى آتاه ، وجاء السلطان بهلول إلى دهلي .

عاد السلطان حسين إلى السلطان بهلول بعد فترة وجيزة ، وخرج إليه السلطان بهلول من دهلي ، وتقابل الطرفان عدة أيام ، وتقاتلا عدة مرات ، وانتهى الأمر بالصلح بينهما وتوجه السلطان حسين إلى آتاه ، وعاد السلطان بهلول إلى دهلي .

توفيت أم السلطان حسين بي بي راجي في آتاه في تلك الأثناء . وجاء كليان مل بن راي هرسنكه راجه كوالير وقطب خان لودي وكانا قد ذهبا من جندوار إلى كالير عند السلطان حسين ونظرا لأن قطب خان قاتل بجوار السلطان بهلول ضد السلطان حسين لهذا قال له ان بهلول من زمرة تابعيك ولا يمكنه أن يتنفس أمامك ، ولن يهدأ باله ما لم تدخل دهلي تحت سيطرتكم واستاذن بلطائف الحيل السلطان حسين ، وجاء إلى السلطان بهلول ، وقال انني تخلصت بالحيلة والتدبير من قبضة السلطان حسين وانني وجدته مغاليا في معاداتكم ، وكنت دوما في فكره واعتباره .

توفي السلطان علاء الدين في بداون في تلك الأثناء ، فجاء السلطان حسين من آتاه للتعزية في بداون ، وبعد مراسم العزاء أخذ بداون من يد ابن السلطان علاء الدين واستولى عليها ، وأجازها لنفسه بخسة ، وذهب من هناك إلى سنبل ، وسجن سياركخان بن تاتارخان حاكم سنبل وأرسله إلى سارن ، وجاء بنفسه بجيش عظيم وألف فيل من دهلي ، وفي ذي الحجة سنة ٨٨٣ هـ نزل على شاطئ نهر جون قرب المعبر القديم فأرسل السلطان بهلول حسين خان بن خانجهان إلى ميرته وجاء من سهرند إلى دهلي ، وقضى الطرفان فترة في الحرب والنزال وانتصر

الشرقيون بسبب الكثرة والقوة ، وآخر الأمر أرسل قطب خان شخصا الى السلطان حسين وسلمه رسالة « اننى عبد احسان بى بى راجى وعندما كنت محبوسا فى جوبنور أبدت هذا المصونة كثيرا من الاحسان لى والآن الصلاح فى أن تعقد الصلح مع السلطان بهلول وتأمر بالعودة وأن تكون الولاية شرق نهر الجانج لكم وما هو فى غرب الجانج تترك للسلطان بهلول » ، وارتضى الطرفان ، وتركوا النزاع ، وتقهر السلطان حسين معتمدا على الصلح ، ورحل وانتهاز السلطان بهلول الفرصة وتعبه وأغار على مؤخرة جيش السلطان حسين ، وسقط بيد السلطان بهلول جزء من الخزائن والأمتعة التى كان يحملها الجياد والأفيال ، وأسر قرابة أربعين أميرا مشهورا من جيش السلطان حسين مثل قتلخان الوزير الذى كان أعلم علماء عصره « وأويتهو » نائب عرض ، وأمثالهما ، وسجن قتلخان وسلمه لقطب خان لودى ، وتعبه حتى استولى على بعض قرى السلطان حسن مثل قصبة كنبل وبيتالى وشمس آباد وسكيتة وكول وما رهرة وجلالى وعين على كل قرية « شقدار » (٤٧١) وعندما زاد التعاقب عن الحد عاد السلطان حسين ، واستعد للمقاتلة والمقابلة اقرب قرية آرام نجو من أعمال ريرى ، وأخيرا عقد الصلح المشروط بأن يقتنع السلطان حسين والسلطان بهلول بولايتهما وحدودهما القديمة .

عاد السلطان حسين بعد الصلح الى ريرى ، وجاء السلطان حسين الى قرية هرياسو بعد مدة ، ثم عاد بجيش لمهاجمة ابن السلطان بهلول ، ووقعت حروب ضارية فى نواحي قرى « سوتها » ، وعاد السلطان حسين مهزوما .

« عندما تفقد الحظ ، فما فائدة القوس القوى »

« يعمل الحظ عمله فى صف الجيوش القوية ، وكثيرا ما يكون للجيش القوى حظ قليل »

« يكون الحظ قليلا ، ويفقد الجيش الحرب كلية »

وسقطت أموال لا حصر لها فى يد اللوديون مما سبب فى زيادة قوة ومكنة السلطان بهلول وعاد السلطان حسين الى ريرى ، ونزل السلطان بهلول قرب دهرابو .

وصل خبر وفاة خانجهان الذى كان فى دهلى فى تلك الاثناء ، فلقب السلطان ابنه بخانجهان ، وسلمه مكان أبيه ، وجاء من هناك الى

(٤٧١) شقدار : حاكم ناحية وهى مكونة من « شق » وهى عربية ودار بمعنى صاحب .

السلطان حسين بريرى ، وبعد الحرب والقتال حقق النصر والفتح ،
وفى أثناء الفرار وعبور نهر جون غرق عدد من زوجات وأبناء السلطان
حسين فى البحر .

توجه السلطان حسين الى كوالير ، وفى نواحي هتكانت أغارت
طائفة « بهدوريه » على معسكره وانتهبته ، وعندما وصل الى كوالير
اطاعه راي كيرت سنكة راجه كوالير ، وسلك ضمن خدمه وقدم عدة
مئات آلات تنكه (٤٧٢) وعدة خيام وسراياقات وجياد وأفياى وابل هدية
وانتظم ضمن التابعين ، وأعد جيشا لمرافقة السلطان حسين ، وتبعه حتى
كالبي .

توجه السلطان بهلول الى اتاوه خلال هذا ، وتحصن ابراهيم خان
أخو السلطان حسين وهبيت خان المعروف بملك كركر فى اتاوه وقاتلا
ثلاثة أيام ، وأخيرا طلبا الأمان ، وسلموا اتاوه ، وسلم السلطان بهلول
اتاوه لابراهيم خان بن مبارك خان توحسانى ، وأعطى قرية من ولاية
اتاوه تكريما لراى داندو ، وتوجه بجيش جرار الى السلطان حسين
وعندما وصل الى راكانوا من توابع كالبي ، أسرع السلطان حسين أيضا
من كالبي لمواجهة ، وقضى الطرفان عدة أشهر فى القتال ، وأثناء ذلك
جاء راي ملوك جند حاكم ولاية « بكر » الى السلطان بهلول ، وطلب من
السلطان أن يرحل من المكان الذى كان منخفضا ، ولم يكن للسلطان
حسين قدره على المقاومة وتوجه الى بهته .

« الأسد الذى لطم بمخالب هزير (٤٧٣) ، فى المرة الثانية لا يفكر فى
المواجهة »

« الباز الذى يخرج الصيد من كف الشاهين (٤٧٤) ويكفيه من الصيد
حمامه »

استقبله راجه بهته ، وعامله معاملة انسانية ، وقدم عدة مئات
الآلاف تنكه ، وعدة جياد وأفياى هدية ، وأعد جيشا لمرافقته وتابعه حتى
جونبور .

رفع السلطان بهلول لواء الرحيل بعد ذلك ، وتوجه صوب جونبور ،
وعندما اقترب من جونبور تركها السلطان حسين وتوجه الى قنوج من

(٤٧٢) جند لك : عدة مئات الآلاف .

(٤٧٣) هزير : نوع من الأسود القوية .

(٤٧٤) الباز والشاهين نوع من الصقور .

طريق بهرايج ، وتوجه السلطان بهلول أيضا الى قنوج ، وتقابلا على شاطئ نهر رهب ، وبعد الحرب والنزال وقعت الهزيمة على السلطان حسين وكانت متوقعة ، وسقط الحشم وأسباب سلطنته بيد اللوديين ، وأسرت زوجته المحببة بى بى خواندا وهى أخت السلطان علاء الدين حفيد خضر خان ، وحافظ السلطان بهلول على هذه السيدة المصونة لصالحها وعفتها ، وبعد فترة توجه السلطان بهلول ثانية لتسخير ولاية جونبور ، وتخلصت بى بى خواندا بالحيلة ، وصلت الى زوجها واستولى السلطان بهلول على جونبور فى هذه المرة ، وسلمها لمبارك خان نوحانى ، وترك بعض الأمراء الآخرين مثل قطب خان لودى وخانجهان ، وأمثالهما فى قصبة محموتى ، وتوجه الى بداون .

انتهاز السلطان حسين الفرصة وجاء بجيش كبير الى جونبور ، وترك أمراء السلطان بهلول جونبور ، وذهبوا الى قطب خان فى محموتى ، ولم يستقروا هناك أيضا بل دخلوا فى طاعة السلطان حسين وتوسط رجال الدولة حتى تصل المساعدات سرا ، وعلم السلطان بهلول بما أصاب جيشه من ضرر والذي كان برفقة قطب خان لودى ، فأرسل ابنه باريكشاه لمساعدته ، وتوجه أيضا بنفسه بعده الى جونبور ، ولم يستطع السلطان حسين المقاومة ، وتوجه الى بهار ، وعندما وصل السلطان بهلول الى قصبة « بلدى » سمع خبر وفاة قطب خان لودى فانشغل عدة أيام بالعزاء ، وتوجه الى جونبور ، وأجلس باريكشاه على عرش السلطنة الشرقية ، وتركه هناك وتوجه الى ولاية كالبى ، وسلم كالبى الى أعظم همايون ابن الأمير خواجه بايزيد ، وذهب الى دهولبور من طريق جندوار ، واستقبله راي دهولبور ، وقدم عددا من المهن (٤٧٧) ذهبا هدية ودخل ضمن التابعين ، وعندما اقترب السلطان بهلول من قرية بارى قدم اقبال خان حاكم بارى الخدمة ، وانتظم ضمن سلك التابعين ، وأهداه أيضا عددا من المهن ذهبا ، فأقره على بارى ، ومن هناك توجه الى النبور وهى من توابع رنتهيبور ، وانتهب ولاية النبور ، وخرب الحدائق والمزارع ، وجاء الى دهلى استقر .

توجه السلطان بهلول ، بعد عدة أيام الى قلعة فيروزه وأقسام هناك عدة أشهر ، وجاء الى دهلى ، وبعد فترة توجه الى كوالير ، فجاء حاكمها طائعا ، وقدم ثمانية ملايين تنكه (٤٧٦) فأقره على كوالير ، وجاء

(٤٧٥) نوع من العملة تعادل فى قيمتها ووزنها « الهى وجلالى » ونصف سلیمه وأربع عدل كتتكه وهى عملات كانت موجودة فى ذلك العصر وما يليه حتى عصر اكبر (آيين اكبرى ج ١ ص ١٣ ، ١٤) .

(٤٧٦) ثمانون لك : ثمانية ملايين .

الى أتاوه من هناك ، وعزل « سكيت سنكه بن راى داندو » عن حكم اتاوه ،
وعاد وأثناء الطريق مرض بالمقرب من قرية « بلادلى » من أعمال سكيت
وتوفى فى سنة ٨٩٤ هـ وكانت مدة حكمه ثمان وثلاثين سنة وثمانية اشهر
وثمانية أيام .

« لو أن افراسياب وزال تأدبا من يد الأجل » .

« فان الكأس التى قدمها الساقى محال أن تزيد شيئا للانسان »

« لى أن السلطان بائع حمير لبلغ الأجل صوت موته الى الأذن »

« رحل عن العالم فى ثمانمائة وتسعين وأربعة ، مالك الملك وفتح العالم
بهلول »

« كان سيف المملكة لكن سيف الأجل حل محل السيف والخنجر المصقون »
وكانت هذه القطعة قد رويت فى تاريخ وفاته .

السلطان سكندر ابن السلطان بهلول :

عندما أسلم السلطان بهلول لودى الروح لقا بضها ، وكان الأمير
نظام خان فى دهلى فتوجه مسرعا كالريح ، وحمل تابوت السلطان
بهلول بنفسه حتى قصبة جلال ، وأرسل نعش أبيه الى دهلى وجلس
على عرش السلطنة بموافقة خانجهان وخان خانان قرملى وسائر أمراء
أبيه فى يوم الجمعة السابع عشر من شعبان سنة ٨٩٤ هـ قرب قصبة
جلالى على ربوة عالية تقع على شاطئ نهر بياه ويطلقون عليها قصر
السلطان فيروز ، ولقب بالسلطان سكندر .

« عندما أخفى القمر وجهه تحت النقاب الهادى ، ظهر عيانا وجه الشمس
من الأفق »

« نثر الياسمين لكن الأرجوان تفتح ، وتفتحت كل وردة جاء دورها فى
الحديقة »

كان السلطان بهلول فى ذلك الوقت ستة أبناء هم : ابراهيم خان
وجلال خان واسماعيل خان وحسين خان ومحمود خان ونظام خان وأعظم
همايون ، ومن الأمراء البارزين كان لديه ثلاثة وخمسون أميرا هم ،
خانجهان بن خانجهان لودى ، أحمد خان بن خانجهان بن خانجهان
مباركخان نوحانى ، محمود خان لودى ، عيسى خان ، تاتارخان لودى
خان خانان ، شيخزاده ، محمد قرملى خان خانان نوحانى أعظم همايون
شروانى ، وريا خان بن مباركخان نوحانى نائب بهار ، عالم خان

لودى ، جلال خان بن محمود خان لودى نائب كالمى ، شيرخان لودى ، موسى خيل ، أحمد خان بن مباركخان لودى ، عماد بن خان خانسان قرملى ، عمر خان سروانى ، بهكين خان بن عالم خان لودى حاكم اتاوه ، ابراهيم خان سروانى ، محمد شاه لودى ، يابر خان سروانى ، حسين قرملى نائب سارن ، سليمان قرملى بن دوم خان قرملى ، سعيد خان لودى بن مباركخان لودى ، اسماعيل خان توحانى ، تاتارخان قرملى عثمان قرملى شيخزاده ، محمد بن عماد قرملى ، شيخ جمال عثمان ، شيخ أحمد قرملى آدم لودى ، حسين أخو آدم لودى ، كبير خان لودى ، نصير خان لودى ، غازى خان لودى ، تاتارخان حاكم جهتره ، مولانا جمن كنبو حجاب خاص ، مجد الدين حجاب خاص ، شيخ عمر حجاب خاص ، مجد الدين حجاب خاص ، شيخ عمر حجاب خاص ، شيخ ابراهيم حجاب خاص ، مقل حجاب خاص ، القاضى عبد الواحد بن طاهر كاملى حجاب خاص ، خواجى خان بموده بن خواجى خان ، خواجه نصر الله مباركخان ، اقبالخان حاكم قصبه بارى ، خواجه أصغر ابن قوام حاكم دهلى ، شيرخان أخو مباركخان نوحانى ، عماد الملك كنبو تابع دريا خن نوحانى الذى كان « مير عدل » (٤٧٧) .

توجه السلطان سكندر صوب قرية رايرى بعد فترة ، وتحصن عالم خان أخو السلطان سكندر فى قلعة ريرى وجندوار عدة أيام ، وأخيرا فر وتوجه الى عيسى خان بن تاتار خان لودى فى بيتالى ، وعين خان خانان نوحانى على ولاية ريرى ، وتوجه السلطان الى اتاوه ، وقضى هناك سبعة أشهر وجاء عالم خان اليه ، وانفصل عن أعظم همايون ، وسلمه ولاية اتاوه ، وأرسل اسماعيل خان نوحانى لعقد الصلح مع باربكشاه سلطان جوبور ، وتوجه بنفسه لمهاجمة عيسى حاكم بيتالى ، وجرح عيسى خان بعد القتال والنزال ، وأخيرا أبدى الطاعة والولاء بسبب العجز والضعف ، وتوفى أيضا بسبب الجراح ، وجاء راي كنيس الذى كان تابعا لباربكشاه ، والتحق بالسلطان وعينه على اقطاع بيتالى ، وتوجه لمهاجمة باربكشاه ، وجاء باربكشاه من جوبور الى قنوج ، وتقابل الطرفان وبعد الحرب والقتال أسر مباركشاه ، وهزم باربكشاه ، وتوجه الى بداون ، وتبعه السلطان ، وحاصره ، وأطاعه باربكشاه بسبب العجز والضعف ، وسعد السلطان وأخذ برفقته ، ورحل الى جوبور ، وجلس على الشرقية كما كان من قبل لكنه قسم قرى ولاية جوبور على أمرائه ، وأرسل حكاما من قبله على كل مكان تركه حاكمه ، وجاء من

هناك الى كوتله وكالبى ، وأخذ كالبى من أعظم همايون ابن الأمير خواجه بايزيد ، وعين عليها محمد خان لودى ، وتحرك صوب قلعة كوالير ، وأرسل خواجه محمد قرملى بخلعة خاصة الى راجه ماسان يكوالير ، وقدم راجه مان أيضا طائعا ، وأرسل ابن أخيه اليه ، ورافق السلطان حتى بيانه ، وجاء شرف حاكم بيانه ابن أحمد حلوانى أيضا اليه طائعا ، وأمره السلطان أن يترك بيانه وأعطاه جليسر وجندوار ومارهره وسكينه بدلا منها ، وأخذ السلطان شرف عمر خان سروانى معه وجاء الى بيانه حتى يسلمه مفاتيح القلعة ، وعندما دخل بيانه نقض العهد ، وأحكم القلعة ، وجاء السلطان الى اكره ، وتحصن هيبى خان جلوانى فى قلعة اكره التى كانت من توابع السلطان شرفا ، وتسرك السلطان عودا من الأمراء على رأس القلعة ، وعاد الى بيانه وبألف فى أمر الحصار ، وعندما ضاق الأمر على السلطان شرف طلب الأمان بسبب العجز ، وفتحت بيانه فى سنة ٨٩٧ هـ وعين خانخانان قرملى على ولاية بيانه ، وطرده السلطان شرف وتوجه الى كوالير ، وعاد السلطان الى دهلى ، وتقف فى دهلى أربعة وعشرين يوما .

علم السلطان أثناء ذلك ان حكام ولاية جونبور والبهكوتيين وأناس آخرين قد جمعوا قرابة مائة ألف من المشاة والفرسان ، وطسردوا مباركخان ، وقتلوا شيرخان أخا مباركخان ، وعبر مباركخان معبر « جوسى بياك » حيث عمريت هناك مدينة اله آباد وهى من عمارات خليفة الهى (٤٧٨) على نهر الجانج ، وأسر على يد الملاحين ، وعلم فى هذه الأحوال أيضا رأى نهتد راجه بهته أمر مباركخان ، وأدرك باربكشاه غلبة هذه الطائفة ، فجاء من جونبور الى دريا باد لمواجهة محمد قرملى ، والتى تشتهر بكالا بهار ، وعاد السلطان سكندر فى سنة ٨٩٧ هـ الى هذه الناحية ، وعبر الجانج ووصل الى دلتو ، فالتحق به باربكشاه وجميع الأمراء ، ونالوا الرعاية والاهتمام وبسبب مهابة وقوة قدوم السلطان أطلق رأى بيل مباركخان نوحانى من السجن ، وأرسله اليه .

توجه السلطان من هناك الى كهكهر ، واجتمع هناك زمينداران كثيرون ، وواجههم ، وقاتلوه وأخيرا هزموا وصاروا علفا للسيف ، وتفرقوا ، ووقعت غنائم كثيرة فى يد جنود السلطان ، وتوجه السلطان الى جونبور ، وترك باربكشاه فى جونبور مرة أخرى ، وعاد ، وقضى قرابة شهر فى نواحى أوده فى التنزه والصيد ، وعندما وصل الى كهكهر أخبروه أن باربكشاه منعهم من الدخول فى جونبور بسبب غلبة « زمينداران » ، الذين اتفقوا معه ، وأمر السلطان محمد قرملى وأعظم

همايون و خان خانان نوحانى الذهب من طريق اوده ، وأرسل مباركخان من طريق اكره الى جونيور ليقيدوا باربكشاه ويرسلوه الى السلطان ، وذهبوا حسب الحكم الى جونيور ، وفيدوا باربكشاه ، وسجنوه ، وأرسلوه الى السلطان ، وعندما احضروا باربكشاه امام السلطان ، سلمه لهييت خان وعمر خان سروانى ، وتوجه من نواحى جونيور الى قلعة جنار ، وقاتل بعض أمراء السلطان حسين شرقى ، الذين كانوا هناك ، وهزمهم ، وتحصنوا بالقلعة ، ولما كانت القلعة حصينة ، فلم يهتم السلطان بحصارها ، وتوجه الى كنتمنت ، وهى من توابع بهته واستقبله راي بهيل راجا هناك وقدم الطاعة ، وعينه السلطان على كنتمنت ، وتوجه صوب أريل ، وأثناء ذلك توجه راي بهيل منه خوفا فترك أمتعته وحشمه ، وفر الى بهته ، وأرسل كل أمواله وحشمه اليه ، وعندما وصل السلطان الى أريل أطلق يد النهب وخرب الحدائق والمباني ، وتوجه من طريق بكره الى دلتو ، وتزوج زوجة شير خان أخى مباركخان نوحانى ، وجاء الى شمس آباد (٤٧٩) .

وأقام هناك ستة أشهر ، وذهب الى سنبل ، وعاد من سنبل الى شمس آباد ، وأثناء الطريق انتهب وخرب قرية « مددو ناكل » وكانت مأوى ومسكن للمتمردين ، وهجر المتمردون هذا المكان ، وتسلبوا الى مكان « وزير آباد » ، فأمر أيضا بالقتل والأسر فى وزير آباد وجاء الى شمس آباد ، وقضى موسم الأمطار .

توجه السلطان الى ولاية بهته سنة ٩٠٠ هـ لتأديب راجه بهيل ، وأثناء الطريق كان يغير على أماكن المتمردين ويقتل ويأسر منهم ، وعندما وصل الى كهاعون كهاتى حارب هناك نرسنكه بن راجه بهته ، وهزم نرسنكه ، وترك كهاتى وفر صوب بهته ، وعندما وصل السلطان الى بهته فر راجه بهته الى سرکج وتوفى أثناء الطريق ، وتوجه السلطان من سرکج الى سنده من أعمال بهته ، وعندما وصل الى هناك ، ارتفع سعر الأفيون والخشخاش والملح والزيت ، فتوجه السلطان من هناك الى جونيور ، وقد نفقت أكثر الجياد التى استعملوها فى رحلة بهته لدرجة أنه فقد كل من كان يمتلك مائة جواد فى الأصطبل تسعين جودا منها ، وأرسل راي لكهمى عددا من أبناء راي بهيل وسائر زمينداران الى السلطان حسين « انه لم يبق أى جواد فى جيش السلطان سكندر ، وأن الأسلحة البيضاء تالفة ، وعليه أن يغتنم الفرصة » وجمع السلطان حسين جيشه ، وجاء من بهار بمائة فيل لمهاجمة السلطان سكندر ، وعبر

السلطان مدير كنتمنت من نهر الجانج ، ووصل الى جنار ، وجاء من هناك الى بنارس ، وأرسل خان حانان الى سلباهن بن راى بهيل لكى يحضره مكرما ، وفى ذلك الوقت كان جيش السلطان حسين على مسافة ثمانى عشرة فرسخا من بنارس ، فتوجه السلطان سكندر مسرعا ، لمهاجمة هزم السلطان حسين وأثناء الطريق جاء الخبر أن السلطان حسين قد توجه الى بهار ، فعاد السلطان بعد تسعة أيام والتحق بالمعسكر وتوجه السلطان حسين ، وأثناء الطريق وصل الى سالباهن وبعد القتال والحرب الى بهار وترك السلطان حسين ملك كندو فى قلعة بهار وذهب الى كيل كانوا من توابع لكهنوتى ، وأرسل السلطان سكندر شاه لمهاجمة ملك كندو من قرية تدعى « ديوبار » وفر ملك كندو ، ووقعت بهار بيد الولاة السكندريين ، وتركوا محبت خان مع عد من الأمراء فى بهار ، وجاء السلطان الى درويشپور وترك خان حانان وخانجهان لمهاجمة برتال ، وتوجه الى ترهت واستقبله راى ترهت ، وأطاعه فحدد عدة مئات الآلاف تنكه خراجا على راى ترهت ، وترك مباركخان نوحانى لتحصيل ذلك ، وعاد بالمعسكر الى درويشپور .

توفى خانجهان فى السادس عشر من شوال سنة ٩٠١ هـ ، فلقب احمد خان بن كلان بلقب أعظم همايون ، وبعد ذلك هب لزيارة الشيخ شرف منيرى قدس سره ببهار ، وأغدق على فقراء ومساكن هناك ، وعاد الى درويشپور ، وتوجه من هناك لمهاجمة السلطان علاء الدين سلطان البنغال ، وعندما وصل الى تغلقپور من أعمال بهار ، أرسل السلطان علاء الدين ابنه دانيال لاستقباله ، وتوجه السلطان سكندر ومحمود خان لودى ومباركخان نوحانى لمواجهة ، والتقى الطرفان فى « باره » ووقع بينهما الصلح ، وقررا ألا يتدخل السلطان سكندر فى ولاية السلطان علاء الدين ولا يزاحم أيضا السلطان علاء الدين السلطان سكندر فى ولايته وألا يحمى أعداءه ، وبعد الصلح عاد مباركخان نوحانى ومحمود خان الى قصبة بهته من توابع بهار حيث توفى مباركخان ، وجاء سكندر من تغلقپور الى درويشپور ، وتوقف عدة أشهر ، وعين أعظم همايون على هذه الولاية ، ونال دريا خان بن مباركخان نوحانى ولاية بهار ، وفى هذه الأثناء ، تعسرت الغلة ولهذا قرر منع زكاة الغلة فى كل ولايته من أجل التوسيع على الناس ، وأصدر أمرا بمنع الزكاة ، ومنذ ذلك اليوم عادت زكاة الغلة الى هذه الناحية .

جاء السلطان الى قصبة سارن فى ذلك الوقت ، وعزل بعض حكام القرى التى حول سارن ، وعين رجاله محلهم ، وجاء من هناك الى جونپور عن طريق عليكره ، وأقام هناك ستة أشهر وأقام بجانب بهته .

ويرى أن السلطان كان قد طلب من سلباهن رأى بهته اخته ، ولكنه رفض ، فعزم السلطان السفر الى بهته فى سنة ٩٠٤ هـ للانتقام ، وعندما وصل اليها اطلق يد النهب ، ولم يترك أثرا لعامر ، وعندما وصل الى قلعة ماهركر وهى احكم القلاع فى هذه الولاية ، ابدى المقاتلون شجاعة وجلدا ، وبسبب حصانة القلعة توجه السلطان من هناك الى جونيور ، واقام هناك عدة أيام ، واهتم بتنظيم أمور المملكة ، وفى هذه الاثناء حدث شقاق بين مباركخان وموجى خيل لودى وكانا من قبل فى سجن ياريكشاه واحال اليهما جونيور ، وكلما اراد مباركخان أن يدعه بلطائف الحيل ، ويوسط الأمراء للشفاعة ولكن دون جدوى ، وأمر أن يحصل منه ما يحصله السلطان فى عدة سنوات .

وحدث فى هذه الأيام أن خرج السلطان ليلعب لعبة « الجولف » (٤٨٠) وأثناء اللعب ، أصابت عصا الجولف الخاصة بسليمان بن درياخان شروان عصا هيت خان وشجت رأس سليمان وحدث بينهما ، جدال واستاء سليمان وقام خضر أخو سليمان قاصدا الانتقام لأخيه ورفع العصا على رأس هيت خان فقسمت الغوغاء والاضطرابات ، وهذا محمود خان وخان خانان هيت خان وحمله الى المنزل وخرج السلطان من الميدان ، ودخل قصره ، وبعد أربعة أيام عاد الى لعبة الجولف ، وأثناء ذلك وقف شمس خان نامى من أقرباء هيت خان غاضبا عندما رأى خضر أخا سليمان ، وضرب رأسه بالعصا ، فاطمه السلطان كثيرا ، وعاد ودخل فى مكانه ، وبعد هذا ظن السوء فى الأمراء ، فعين بعض الأمراء المخلصين ، والتابعين له فى حراسته ، واستعد الأمراء وكانوا يحرسونه كل ليلة ، وفكروا فى المكر والخداع واتفق اثنان وعشرون أميرا من قادتهم واثاروا الأمير فتح خان ابن السلطان بهلول بهدف السلطنة ، وأقسموا له وعاهدوه ، وقصدوا الفتنة والفساد وأفشى الأمير هذا السر عند الشيخ طاهر وأمه ، وذكر قائمة بأسماء أصحاب الرأى السئ ، فنصحه الشيخ المذكور وأمه ، وحماوا هذه القائمة الى سكندر ، وبرأوا ساحته من تهمة البغى ، وذكر الأمير أيضا هذه الجماعة سيئة التفكير والظالم للسلطان ، واتفق الوزراء على تسكين الفتنة بتشريد كل شخص الى ناحية .

(٤٨٠) هى لعبة جوكان أو البولو ، كان اللاعبون يضربون الكرة وهم يركضون بخيولهم وعليهم أن يقدفوها فى ضربتين خلال حلقين مثبتتين بأوتار الواحدة خلف الأخرى ، وتستلزم هذه اللعبة مرونة فى الجسم .

(تاريخ بخارى : أرمينوس فامبرى ترجمة أحمد الساداتى ص ١١٧) .

توجه السلطان بعد هذا الى سنبل سنة ٩٠٥ هـ وأقام هناك أربع سنوات ، واهتم بأمور المملكة ، وترك اللهو والمجون ، وقضى أكثر الأوقات فى الصيد ولعبة الجولف ، وأثناء ذلك علم بسوء عمل « أصغر » حاكم دهلى ، فأرسل الى خواص خان حاكم ماجهواره أمرا أن يأمر أصغر ويرسله الى البلاط ، وتوجه خواص خان حسب الحكم الى دهلى ، وقبل أن يأتى اليها خرج أصغر فى ليل ، سببت (؟) فى شهر المحرم سنة ٩٠٦ هـ من القلعة ، وذهب الى السلطان فى سنبل ، وسجنه ، واستولى خواص خان على دهلى واستقل بأمر الحكومة .

ويروى أن هندوكيا (٤٨١) اسمه لودهن اتخذ من كانتهن مقرا له . وذات يوم أقر أمام بعض المسلمين أن الاسلام حق وأن دينه أيضا حق ، وشاع هذا الكلام عنه ، ووصل الى مسامع العلماء ، وأفتى القاضى بياره والشيخ يده اللذان كانا فى لكهنوتى بفتوى يناقض كل منهما الآخر ، فأرسل أعظم همايون حاكم هذه الولاية الهندوكى المذكور مع القاضى بياره والشيخ يده الى السلطان فى سنبل ، ولما كان السلطان لديه رغبة تامة فى سماع المناقشات العلمية لذا استدعى العلماء والمشاهير من كل ناحية ، فجاء ميسان قارن بن شيخ جوفو وميان عبد الله بن الهداد بلبنى وسيد محمد بن سعيد خان من دهلى وملا قطب الدين وملا الهداد وصالح من سرهند وسيد أمان وميرانى سيد من قنوج وكان برفقة السلطان دائما جماعة من العلماء دائما وهم سيد صدر الدين قنوجى وميان عبد الرحمن ساكن سيكرى وميان عزيز الله سنبل ، وحضروا جميعا أيضا فى هذه المعركة ، واتفق العلماء على أن يحبسوه ، ويعرضوا عليه الاسلام ، فاذا رفض قتل ، وأبى لودهن الدخول فى الاسلام ، فقتل وأنعم السلطان على العملاء المذكورين . وسمح لهم بالسفر الى بلادهم .

بعد عدة أيام تولى ترك خواص خان دهلى مع ابنه اسماعيل خان وجاء الى سنبل حسب الحكم وحظى بالانعام والاکرام ، وجاء سعيد خان شروانى من لاهور فى ذلك الوقت ولأزمه ، ولما كان من جملة أهل الغدر فقد طرده من ولايته مع قاتار خان ومحمد شاه وسائر أهل الغدر ، وتوجهوا من طريق كوالير ، وأثناء ذلك أرسل مان راجه كوالير ويدعى ريجان خواجه سرا بالتحف والهدايا النفيسة الى السلطان ، وعندما سأل السلطان خواجه سرا عدة أسئلة ورد عليه باجابات غير مناسبة ، فسمح للسفارة بالرحيل وهدد بالاستيلاء على القلعة ، وفى هذا الوقت وصل

(٤٨١) أى اتباع الهندوسية وهى ديانة وضعية لها قدسياتها وتعاليمها وشعائرها ، وليس لها نبي مرسل ، وكتبها المقدسة من وضع البشر ، وهى الديانة التى يتبعها أغلب سكان الهند منذ القدم وحتى الآن .

خبر وفاة خان خانان قرملى حاكم بيانه ، وبعد فترة أرسل عماد وسليمان ولدا خان خانان الى بيانه ، ولما كانت بيانه على الحدود وقلعتها حصينة لذا كانت محل فساد وبغى ، ووصل عماد وسليمان وأتباعهما من بيانه الى سنبل ، وأخذ بيانه من عماد وسليمان وأعطاها لخواص خان ، وبعد عدة أيام عين صفدار حاكم أكره وكانت من توابع بيانه عماد وسليمان الى شمس آباد وجليسر ومنكلور وشاه آباد وقرى أخرى ، وصدر أمر لعالمخان حاكم ميوات وخان خانان حاكم بيرى أن يهتما بتسخير قلعة دهولبور مع خواص خان وأن يسيطرا عليها من يد راي بناكمدي ، وتقدم « الراى » لصددهما ، وأخذا فى القتال والجدال ، واستشهد خواجه هين هناك ، وكان من المقاتلين الشجعان ، واستمر القتال يوميا ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان سكندر ، توجه على وجه السرعة يوم الجمعة السادس من رمضان من السنة المذكورة من سنبل الى دهولبور ، وعندما اقترب من دهولبور ترك راي بيباكدي متعلقاته فى القلعة وتوجه الى كوالير ، ولم يستطع أتباعه صد جيوش اسكندر ، وخرجوا فى منتصف الليل من القلعة وفروا ، ودخل السلطان القلعة صباحا ، وأدى صلاة الشكر ، وقام بلوازم الفتح ، وأطلق الجنود أيديهم فى النهب والتخريب ، وأغاروا على البيوت وقطعوا الغابات من جذورها فى نواحي دهولبور وكانت تمتد سبعة فراسخ ، وتوقف السلطان هناك شهرا ثم توجه الى كوالير وترك آدم لودى مع سائر الأمراء هناك وعبر نهر جنبل وتزل على شاطئ نهر « أس » المعروف « بميندكى » وتوقف هناك شهرين ، وبسبب تلوث الماء هناك انتشر المرض بين الناس ، وجاء راجه كوالير أيضا لملازمته ، وطلب الصلح .

ولجا الى السلطان سعيد خان ويابو خان ورأي لينش : الذين كانوا قد فروا من قبل ، وخرجوا من قلعة كوالير ، وأرسل (راجه كوالير) بكر ماجيت بن كلان ، وأكرمه السلطان بجواد وخلعة فاخرة ، وسمح له بالانصراف ، وعاد الى أكره ، وعندما وصل الى دهولبور ، وسلم هناك الى نيلكدي أيضا وجاء الى أكره وقضى موسم المطر ، ورفع لواء الرحيل بعد طلوع سهيل فى رمضان سنة ١٩١٠ هـ لتسخير مندرائيل ، وتوقف شهرا فى نواحي دهولبور ، وأرسل الجيوش لنهب ما حول كوالير ومندرائيل ، وطلب أهل القلعة الأمان ، وسلموا القلعة ، وخرب السلطان المعابد والكنائس ، وبنى مسجدا ، وولى ميان مكن ، وترك مجاهد خان على قلعتها ، ونهب وسلب هذه النواحي أثناء تحركه ، وأسر خلقا كثيرين ، وانتهب الحدائق والباني وتوجه الى أكره ، وعندما وصل الى دهولبور عمر القلعة ، وخلع راي بنامكدي وسلمها لملك قمر الدين واستقر فى أكره ، وسمح للأمراء بالسفر الى ولاياتهم .

وقع زلزال عظيم فى تلك الأيام يوم الأحد الثالث من صفر سنة ٩١١ هـ فى أكره لدرجة أن اهتزت الجبال وسقطت المباني العالية والحصينة ، وظن الأحياء أنها القيامة ، واعتقد الأموات أنه الحشر .

« فى ٩١١ هـ صار سواد أكره مثل عاليها ، ومع أن مبانيها كانت عالية جدا فصارت من الزلزال عاليها سافلها » .

ولا يذكر شخص قط زلزالا فى الهند مثل الزلزال منذ عهد آدم حتى هذا الحين .

يروون أنه فى نفس هذه الأيام وقع زلزال فى أكثر بلاد الهندوستان ، وبعد طلوع سهيل فى سنة ٩١١ هـ توجه السلطان صوب كوالير ، وتوقف شهرا ونصف فى دهولبور ، ونزل من هناك على شاطئ جينل قرب المعبر القديم ، وأقام عدة أشهر ، وترك شاهزاده خان وجلال خان مع أمراء آخرين هناك ، وتوجه عازما الجهاد والافارة وسفك دماء الذين تسلبوا فى الغابات والجبال ، وأمر بالسلب والأسر ، وبسبب عدم مجيء التجارة وقلة غلة الجيش فأرسل مير سيد أعظم همايون وأحمد خان ومجاهد خان لاحتضار التجارة على الرغم من أن رأى كوالير لم يكن مسيطرا على الطريق .

« لما كانت فراشته تعيش على المصباح ، فقد ختم على قلبه بالحسرة »

وإثناء سير السلطان وعندما وصل الى قرية جناور من قري كوالير ، وأرسل من هناك جيشا من أجل استطلاع جيش العدو ، وتقديم أكثر من العدو ، وأخذ الحذر منه ، وأطلع على جيشه :

« مثل قادة الجيش المحارب حين يلتقى بالأشداء المقاتلين »

« والآن لا يبعد لهم عن قوس طالما أدرك الملك أن الفلك عرشه »

خرج جيش رأى كوالير أثناء العودة من كمين ، وقامت حرب ضارية وكان أوده خان وأحمد خان بن خانجهان على هذه الجماعة وبسبب شجاعة هؤلاء ومساعدة جيش السلطان هزموا (رأى كوالير) وقتلوا وأسروا جمعا غفيرا ، ولقب السلطان أوده خان بملك أوده وتوجه الى أكره بسبب هطول الأمطار ، وعندما وصل الى دهولبور ترك كثيرا من الأمراء البارزين هناك وتوجه بنفسه الى أكره ، واستقر هناك فصل المطر .

وفى سنة ٩١٢ هـ وبعد طلوع سهيل توجه الى قلعة أوتنكر ، وعندما وصل الى دهولبور ، أرسل عماد خان قرملى ومجاهد خان عدة آلاف من

الفرسان ومائة فيل لمهاجمة قلعة أوتنكر ، وتوقف هناك وأرسل حاجب للقاضي عبد الواحد بن طاهر بيك كابل سايكن قصبه نهانيسر والشيخ عمر والشيخ ابراهيم ، وعين جلال خان بن محمود خان على ولاية كابل بعد وفاة محمود خان ولكنه أعلن العصيان وكان له أخوين هما : بهيكن خان وحاجي خان ، وعرضوا أحواله على السلطان ، وأرسل السلطان فيروز أغوان لمهاجمته وأغوان ، طائفة تقارن بالأفغان ، وترك مجاهد خان على دهلور ، ونزل على شاطئ نهر جيقل ولازمه بهيكن خان وحاجي خان وحظيا بالعناية ، وجاء السلطان في الثالث والعشرين من الشهر المذكور الى أوتنكر ، وحاصر القلعة ، وأمر بأعداد الجيش بأكمله للحرب والقتال ، وأعد آلات الحرب والضرب لتسخير القلعة وعين السلطان ميدان الحرب ، وحدد الفلكيون الساعة ، وتقاتل الطرفان ، وعندما التحم الجيشان تماما كالتحام النمل بالجراد ، وأبدوا رجولة وشجاعة ، هبت نسائم الفتح والظفر على أعلام السلطان ، وفتح جدار القلعة من ناحية ملك علاء الدين ، واندفع الشباب المقاتل وجاهدوا ، وكلما ارتفع صوت أهل القلعة بطلب الأمان لم يصل الى أذان أحد ، وتصدعت القلعة من الجوانب ، وسخرت القلعة .

« اذا كانت القلعة بعلو السماء ، فلن يصل القوس اليها »

واستقر الراجبوت في « برخا » وتسلبوا الى ما حولها وتقاتلوا ، وقتلوا زوجاتهم وحرقوا أنفسهم وأصيبت عين ملك علاء الدين بالاضلام ، وأصبحت عيناه مظلمتين ، وقدم السلطان بعد النصر لوازم الشكر وسلم القلعة لمجاهد خان بهيكن ، وحطم المعابد ، وأمر ببناء المساجد .

وعندما علم السلطان أن مجاهد خان قد أخذ رشوة من راجه أوتنكر وتعهد بالتمرد على السلطان لذا سجن السلطان ملاجمن خاص حاجب وكان من خاصة مجاهد خان في السادس عشر من سنة ٩١٣ هـ ، وسلمه لملك تاج الدين كنبو ، وأصدر أمر للملوك الذين كانوا في دهلور أن يقيدوا مجاهد خان .

وفي المحرم سنة ٩١٣ هـ توجه السلطان صوب أكره ، وأثناء الطريق وذات يوم وبسبب ضيق الطريق الذي كان يعلو ويهبط ذهب الى حيث يعبر الناس ونزل هناك ومات اناس كثيرون بسبب نقص الماء ، نفقت حيوانات كثيرة ، وبلغ سعر كوب الماء في هذا اليوم خمس عشرة تنكه ، وعندما وجدوا ماء شرب البعض كثيرا لدرجة أنهم ماتوا من كثرة الشرب ، وعندما أحصوا الموى حسب الأمر كانوا ستمائة شخص ؛

« عندما تشرف أيام الحياة على النهاية ، تجعل الماء فى الفم مثل السم »

جاء السلطان الى دهلپور فى الثامن والعشرين من الشهر المذكور ، وتوقف عدة أيام وجاء الى أكره ، ومضى فصل المطر .

وبعد طلوع سهيل فى سنة ٩١٣ هـ توجه لتسخير قلعة ترور من توابع مالوه ، وأرسل أمرا الى جلال الدين خان حاكم كالبى ليذهب ويحاصر ترور ، وإذا أراد أهل القلعة الصلح فلا تحيد عن الصالح ، وذهب جلال خان لودى ، وحاصر القلعة ، ووصل السلطان بعد عدة أيام الى ترور وفى اليوم الثانى ركب السلطان لتفقد القلعة ، ونظم جلال خان جيشه ، وانتظر فى الطريق لكى يجمع جيشه ، ويكون فى خدمته ، وكان قد قسم جيشه الى ثلاثة فرق الفرقة الأولى من المشاة والفرقة الثانية من الفرسان ، والفرقة الثالثة من الفيلة ، وعاین السلطان كثرة جيشه فقرر أن يخربها بالتدريج وأن يبقى على حصارها ، وكانت القلعة فى غاية الاستحكام فقد كان طولها ثمانية فراسخ ، وأخذ الجنود يهاجمون القلعة يوميا ويقتلون ، ومرت عدة أيام على هذا المنوال ، وأمر السلطان أن يجمع الناس المعاول والساطور والجرافات والأقيال لاقتلاع القلعة وأن يستعدوا للقتال ، وأمر قواد الجيش بالسعى جاهدين وأن يقاتلوا من كل ناحية ، وأبدوا شجاعة وبطولة ، ووقف السلطان على سطح مكان يتفرج ، ورأى أن الناس فى القلعة يسكنون فى ناحية واحدة وأن أناسا كثيرون قد هلكوا ، ولم يتيسر فتح القلعة فى هذا اليوم ، فقاد الجيش ونزل ، وأثناء ذلك علم السلطان بسيطرة ، وتخريب جلال خان وسحب رجاله الأفاضل بجواره واختلط جمعه ، وأصدر بعد ذلك أمرين ، الأول : أمر ابراهيم خان نوحانى وسليم خان قرملى ومالك علاء الدين جلوانى بالقبض على جلال خان ، وأمر آخر باسم ميان بهورة وسعيد خان بن زكو ومالك آدم للقبض على الملوك المذكورين لدى جلال خان ، وحملهم الى قلعة أوتنكر ، وان يحافظوا عليهم .

سار حال أهل القلعة بعد هذه الواقعة بسبب نقص الماء وغلاء الغلال فطلبوا الأمان وذهبوا بأموالهم الى البلاط ، وحطم المعابد وأمر ببناء المساجد وعين للعلماء والطلبة الوظائف والدخول ، وأقام هناك ستة أشهر حول القلعة .

توجه شهاب الدين ابن السلطان ناصر الدين حاكم مالوه الى السلطان فى ذلك الوقت هربا من متاعب أبيه ، وعندما نزل شهاب الدين قرب تيسرى من أعمال مالوه أرسل السلطان اليه جوادا وخلعة ، وأرسل

اليه رسالة « من أنه اذا سلمت جنديرى ؛ وهى من توابع مالوه فسوف أقدم لك المساعدة كى لا يكون للسلطان ناصر الدين سيطرة عليك » .

وحدثت عدة عقبات للأمير شهاب الدين فلم يأت من مالوه الى السلطان وقد ذكر ضمن طبقة مالوه .

رحل السلطان سكندر من قلعة ترور فى السادس والعشرين من شعبان سنة ٩١٤ هـ ونزل فى ذى القعدة من السنة المذكورة على شاطئ نهر سرودة وخطر للسلطان خاطر أنه طالما أن قلعة ترور حصينة جدا فانه لو وقعت فى يد الأعداء فلن يستطع استردادها من أيديهم وينسأ على هذا بنى قلعة أخرى بجوارها حتى لا يفقدها من يده ، وبسبب ما يثيره خاطره فقد خرج الى قصبه « لبهاير » وتوقف بها شهرا واثناء ذلك جاءت نعمت خاتون زوجة قطب خان لودى ومعها الأمير جلال خان والتحقت بالجيش وذهب السلطان لزيارتها وأنعم عليهما ، وبعد عدة أيام أرسل الأمير جلال الى حكومة كالبى ، وأهداه مائة وعشرين جوادا وخمسة عشر فيلا مع خلعة ومبلغ من التكنه وأذن له بالسفر الى كالبى برفقة خاتون ؛

« كن انسانا لأن الانسانية تجعل العبد حرا »

رحلت رايات الدولة من لبهاير فى العاشر من المحرم سنة ٩١٥ هـ ووصلت الى نواحى هتكانت وأرسل الجيوش لمهاجمة المتمردين هناك ، وظهر هذه الأماكن من أهل الشرك والطغيان وانتقل من قلعة الى أخرى ، وعاد الى دار الخلافة أكره .

علم السلطان فى هذا الوقت أن أحمد خان بن مبارك خان لودى حاكم لكهنوتى قد سلك طريق الارتداد بمصاحبته للكفار ، وارتد عن دين الاسلام فأصدر السلطان حكمه الى محمد خان أخى أحمد خان أن يقيده ويرسله اليه ، وعين سعيد خان أخاه على حكومة لكهنوتى .

لجأ محمد خان نواسه فى هذه الأيام الى سلطان ناصر الدين مالوى خوفا من جده فعينه على حكومة جنديرى بدلا من ولايته وأمر الأمير جلال الدين خان بمساعدته ومعاونته حتى لا يصاب بسوء من جيش مالوه .

فى هذا الوقت تاق السلطان للسير والصيد فتوجه صوب دهلبور وكان يبنى فى كل مكان قصرا وعمارة من أكره حتى دهلبور ، ولما كانت ادارته مشغولة بهذا الأمر انشغل هو بالصيد ، وتفصيل هذا مجعلا هو أن على خان وأبا بكر خان من اخوة محمد خان حاكم ناكور ، استوليا

على ملك محمد خان بالحيلة واعتذرا عما أثاره محمد خان ، ولكن محمد خان اطلع على هذا المكر واستطاع التغلب عليهما ففرا منه وجاءا الى البلاط ، ولكن محمد خان تدبر أمر معارضيته اخوته وأقاربه والتجأهم الى هذا السلطان العظيم ، فأرسل الهدايا والتحف الكثيرة ورسائل المودة ، وجعل الخطبة والسكة باسم السلطان ، فأرسل السلطان اليه جوادا وخلعة ، وعاد من دهلپور .

أمر السلطان في هذا الوقت ميان سليمان بن خان قرملى أن يتوجه بجيشه وقوته الى أوتنكر على حدود « تبتى سوير » لمساعدة حسن خان نومسلم « (٤٨٢) » وهو رأى دونكر ، فاعتذر وقال « إننى لن أبعد عن ملازمتك » وكان هذا القول سببا فى اىذاء خاطر السلطان ، فأمره بأن يهجر خدمته ، واستولى على كل ما يمكن أن يحمله من أموال وأشياء تتعلق به من المساء حتى الصباح وعين له قرية « اندرى » وقفا له فذهب وأقام فى هذه القرية .

أرسل بهجت خان حاكم جنديرى وكان تابعا ومواليا أبا عن جد لسلطين مالوه ، وبسبب ضعف حال السلطان محمود مالوى وسوء مملكته ، أرسل فى هذه الأيام التحف الى السلطان وعندما أرسل السلطان عماد الملك يده الملقب بأحمد خان الى جنديرى لكى يقرأ بهجت خان الخطبة باسمه فى جنديرى وهذه النواحي ، أطاعه .

وعاد السلطان بعد هذا من دهلپور ، وجاء الى أكره ، وفى السنة التالية أصدر عدة أحكام تتضمن بشرى وولاء بهجت خان وقراءة الخطبة فى ولاية جنديرى وتحقيق فتوحات جديدة فى أطراف وأكناف البلاد ، وفى هذا الوقت رأى ضرورة تغير بعض الأمراء عن ولاياتهم وأجراء تبديل وتعديل مناسب لمصلحة المملكة فقد عزل بهيكنخان بن عالمخان عن حكومة اتاوة وسلمها لخضر خان أخيه الأصغر ، وعين خواجه أحمد على ولاية خواجه أحمد عماد قرملى أيضا ، وكان الأمراء الآخرون أيضا على هذا المقياس .

أرسل سعيد خان بن مباركخان والشيخ جمال بن عثمان قرملى ورأى جكرسين كجهواهه وخضر خان وخواجه أحمد الى جنديرى ، واستولت هذه الجماعة على هذه الولاية بالحيلة وسيطروا على هذه المملكة حسب الأمر وسجن محمد خان حفيد السلطان ناصر الدين مالوى وكانت سلطنة هذه المملكة معقودة له أيضا ، وعندما رأى بهجت خان هذه المعاملة لم يجد أى مصلحة فى وجوده فى هذا العداء ولازم السلطان .

(٤٨٢) المسلم الجديد .

وفى هذا الوقت تغير خاطر السلطان على حسين خان قرملى حاكم قصبه سارن فأرسل حاجى سارنك الى هذه الناحية بحسن تدبيره ، وسحب جيش حسين خان اليه . وكان يفكر فى تقييده فأدرك ذلك ففر مع عدد من أتباعه الى ولاية لكهنوتى ، ولجا الى السلطان علاء الدين حاكم البنغال .

فى هذا الوقت كان على خان ناكورى الذى أرسل الى ولاية « سى سوبر » قد تعاهد وتآخى وسلك سلوك التابعين مع الأمير دولت خان حاكم رنثبور من قبل السلطان محمود لودى ، وحشه بإتباع السلطان لحسن سلوكه ، وقرر أن يقدم قلعة رنثبور هدية للسلطان ، فأرسل على خان لعرضه هذا الأمر على السلطان ، وسعد السلطان من هذه البشرى ، وعزم السفر الى هذه الناحية ، ووصل الى بيانه ، وقضى مدة أربعة أشهر فى هذه النواحي لسير والصيد وملاقاة العلماء والمشايخ وصحبة سيد زعمى الله والشيخ عبد الله حسنى الذين اشتهروا بالخوارق والمكاشفة ؛

« لا تدع منجم الذهب لهذه البوتقة الذهبية ، فهو أقرب منها للذهب عن الحجر » .

عموما كان الأمير دولت خان ووالدته التى اختارت قلعة رنثبور والتى أصابها الغبن لأن الأمير أسرع وتوجه الى السلطان ، واستقبل السلطان جميع الأمراء وجاءوا جميعا لملازمته ونالوا الاعزاز والتكريم وأكرمه السلطان على عادة الأبناء ، وأهداه خلعة خاصة وعدة جياذ وعدة أفيال وكلفه بحكم قلعة رنثبور ، وحدث أن ماطله على خان وعلم الأمير دولت خان أنه لن يعطيه قلعة رنثبور ، وأنه نقض العهد ، فمالقه الأمير لحماية القلعة ، وعلم السلطان بمماطلة على خان فعزله عن حكومة « سى سوبر » وسلمها لأخيه أبى بكر ، ولم يهتم بعلى خان ولم يخاطبه بأمر رنثبور أيضا ، وعندما وصل السلطان من ولاية بيانه وهذه النواحي أيضا بجيشه نهض صوب تهنكر ، ووصل من هناك الى قصبه بارى ، وعزل ابن مباركخان عن هذه القصبه وسلمها لشيخ زاده بهيكن ، وتوجه الى دهلپور ، وجاء منها الى دار الخلافة وأصدر الأحكام الى الأطراف والنواحي كعادته القديمة ، واستدعى كثيرا من الأمراء من النواحي ولما كان لا وفاء لعمر ولا بقاء لملك ، فقد أصيب السلطان فى هذا الوقت بمرض عارض ، وكان يعقد الديوان متحاملا على نفسه بسبب غيرته وبالتدريج غلبه المرض ، وهكذا لم تدخل حلقومه اللقمة والماء ، وأغلق طريق التنفس .

« أعلم أن السقاة فى هذا المحفل قساة ، لأنه عند الطرب يستولون على جام المروق »

« يصنفون كأس اللهو من طين سكندر ، ويأخذون خمرة اللهو من دم قلب سنجر »

وطوى فراش الوجود يوم السبت السابع من ذى القعدة سنة ٩٢٣ هـ ،

« سكندر شه لم يترك البلدان السبعة ، ولم يبق شخص مثل سكندر »

كانت أيام سلطنته ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر .

لما كانت مناقب ومفاخر السلطان سكندر مذكورة فى بعض التواريخ الى درجة أن الكثيرين يبالغون فيها ، ويوردون ما كان أقرب الى الصحة . ويروى ان السلطان كان يتجمل بالجمال الظاهرى ويتزين بالكمال المعنوى ، وكان متسامحا فى أيام السلطنة للغاية ، وحقق الأمن والأمان وكل عام كان يعلن العفو العام كما كان مشغولا بالعدل والأمان صباح مساء ، وإقرار المعاملات ، وكان يؤدى الصلوات الخمس فى حينها ، وفى أيام حكمه قل تسلط حكام الهند ، وصاروا جميعا فى طاعته وولائه ، وسوى بين القوى والضعيف ، وكان يرمى الانصاف كثيرا فى الأمور ، ولم يكن يسير على هواه ، وكان يخشى الله تماما وعطوفا على الخلق ، ويروى أنه ذات يوم تقاثل مع أخيه باريكشاه وأثناء الحرب ظهر عليه التصوف فكف يده عنه وقال لك الظفر ، وكف السلطان يده عنه كارها ، وقال له صوفى اننى فال حسن ، وأبشرك بالفتح فما سبب كف يدك ، فأجابه : « حينما تقع الحرب بين طائفة اسلامية فلا ينبغى أن يكون الحكم على احدهما بل انه ينبغى أن تقول ما يكون فيه خير الاسلام وكل ما يكون فى صلاح الناس ينبغى أن نطلبه من الله » .

وكان يطلب من الفقراء والمستحقين فى بلاده أن يكتبوا له فى كل عام بالتفصيل ، وكان يرسل الى كل شخص مبلغا على حد سعة حاله ولمدة ستة أشهر ، وكل من جاء لخدمته كان يسأله عن آباءه ، ويوسع عليه ويوليه علاوة على ذلك ولاية ، ويعطيه جوادا وسلاحا ، وكان يقول : انه لم يحمل متاعا من بلاده ، وكان يتعصب للاسلام الى درجة ان بلغ فى هذا المجال درجة الافراط ، وهدم جميع معابد أصنام الكفار وجعلها بلا اسم ولا كسم ، وأقام فى « متوره » وهى مكان غسل الهنود قصرا وسوقا ومسجدا ومدرسة ، وأرسل الوكلاء لكى يمنعوا أى شخص

من الغسل والاستحمام ، وإذا أراد هندی فی مدينة متوره حلق الذقن أو الرأس لا يضع الحجام يده على ذقنه أو رأسه ، وهدم عادات الكفار علانية ، ونهى النساء عن زيارة الأضرحة .

كان قد سمع أنه فی تانيسر حوضو كان ما يزال أميرا صغير السن ، وأنه يتجمع حوله الهنود ويغتسلون فسأل العلماء : ما حكم الشرع فی هذا المجال ؟ قالوا لا يجوز تخريب المعابد القديمة ، والغسل فی الحوض ، والذي كان متبعا منذ القدم لا يجوز النهى عنه فمسك الأمير الخنجر فی يده وتوجه الى هذا العالم ، وقال له انك تنحاز الى جانب الكفار فان كان يدخل فی الشرع ما تقوله فاننى أقول لك : قله ولا تخشانى فی قول الحق وهداه الأمير .

المهم عين السلطان فی جميع بلاده فی المساجد المقرىء والخطيب والكناس ، وقرر لهم الوظيفة والدخل ، وفى الشتاء كان يرسل الملابس سنويا الى الفقراء ، وكان يرسل كل جمعة الى فقراء المدينة مبلغا يطلق عليه « جمعكى » (٤٨٣) وكان يطبخ طعاما كل يوم ويوزع على المدينة عدة خيام ، كما كان ينعم باليومية وجمعكى مرتين فی العام على كل الممالك خاصة على الفقراء وفى الأيام المباركة مثل رمضان وعاشوراء وأيام الشكر على الفتوحات والنصر كان الفقراء والمساكين يسعدون بالتعيم .

« اذا أردت سعادة الهية فضع القلب تحت الأيادى ، وازدهر العلم ، واهتم أولاد الأمراء والعسكريون أيضا بكسب الفضائل ، وكان الناس الأغنياء يرسلون الى الفقراء وأرباب الاستحقاق من مالهم ما يوافق الشربح .

ويروى أنه حين توفى السلطان بهلول ، واستدعى السلطان سكندر للسلطنة توجه من دهلى الى بهاء الدين ، وكان من كبار عصره لقراءة الفاتحة وقال له اننى أريد أن أقرأ كتاب « الميزان » بين يديك ، واستعد ، وعندما قرأ « أعلم أسعدك الله تعالى فى الدارين قال السلطان كرر ثانية وكرر ثلاث مرات وقبل يد هذا العزيز ، وتفاعل بهذا الدعاء وتوجه الى هناك ؛

« ان حديث أهل الفناء هو ترجمان القدر ، وضمير ولسان الملك هو شبيه باللوح والقلم »

(٤٨٣) جمعكى : أى العمل المتكرر أيام الجمع وهى كلمة تتكون من جمعة ثم ياء النسبية مع حذف الهاء الصامتة وإبدالها بحرف ك .

«السعادة الأزلية مضمرة فى شأنه ، الشفاء الأبدى مدعم فى شأنه »
وقرر وظيفة ومعاشا لكل محتاج وفقير من الأمراء وأرباب الدولة ،
وكان يقول « انه لا يمكن بناء شىء فى هذا النقصان ، وكان العيون
يخبرونه بأحوال الرعية والجيش ويبلغونه خصوصيات بيوت الناس ،
وبالتدريج كان يعلم أخبار الناس وحده ، ولهذا ظن الناس أن السلطان
يعرف الجن وأنهم يخبروه بالغيبيات .

يروى أنه حين كان يرسل الى الجيش كان يصله الأمر يوميا وذات
مرة وصل أمره فى الصباح أن يرحلوا ، وأن ينزلوا فى المكان الفلانى
ووصل أمر آخر وقت الظهر ، وآخر اليوم ، وهكذا كان يفعل ولم يتخلف
يوما واحدا عن هذه القاعدة ، فقد كانت جياذ « داكجوكى » (٤٨٤)
مستعدة على الطريق دائما ، وكان أمراء النواحي الذين تصدر اليهم
الأحكام وكانوا يذهبون لاستقباله على مسافة فرسخين أو ثلاثة ، وكان
كل شخص يحمل أمرا ويحمل لقبا ، والشخص يصدر اليه الأمر يأخذه
بيده ويضعه فوق رأسه ، وإذا كان الأمر أن يقرأ هناك ، ويعلم ، فكانوا
يفعلون ، وإذا كان الأمر أن يقرأوه فى المسجد وعلى المنبر فكانوا
يقرأونه ، وإذا كان مخصوصا بشخص كانوا يكتبونه اليه خاصة وأن
يقرأه سرا .

وكانت تعرض صحيفة الأسعار والأحداث فى القرى والولايات
يوميا ، وإذا رأى أمرا غير مناسب تداركه فى الحال ، وكان مهتما
طوال الوقت بفض الخلافات وتنظيم المعاملات والملك ورفاهية الخلق ،
وكان يردد كلاما غريبا لحدة فهمه ، وكان أقرب الى الصحة ، وكان يقلل
من المبالغة والاغراق .

وحينما ضاق الحال بآخرين من أهالى كوالير بسبب العجز والضيق
لازما الجيش الذى أرسل الى الولاية ، وفى أثناء السلب والنهب وقعت
بأيديهما قطعة ذهب وعدة أقمشة ملونة وقطعتين من الياقوت القيم ،
وقال أحد هذين الأخوين : تحقق ما نريد وقال الآخر : لقد أصبنا بالذلة
فلنذهب الى البيت ونبتعد ، وقال الثانى : يا أخى حينما وقع فى أيدينا
أمثال هذا فى المرة الأولى فلربما يقع فى أيدينا أفضل منها فى المرة
الثانية ، وقال اننى لن أذهب الى مكان آخر ، ووزعوا غنائم كثيرة ،
وتسلم الأخ الأكبر حصته أيضا كى يوصلها الى زوجته ، وجاء هذا
الشخص الى منزله وسلم الغنائم لزوجته أخيه ما عدا الياقوت ، وبعد
سنتين جاء أخوه ، وتفحص الغنائم ولم يكن بينها الياقوت فقال الأخ أين

(٤٨٤) وهى خيول البريد .

الياقوت ؟ قال سلمتها لزوجتك ، قالت ما تقوله لم يصل الى فقال : هل تكذب ، وهددها بالوعيد وأساء هذا الرجل الى المرأة وقالت فلتمهلنى الليلة حتى أحضرها صباحا ، وذهبت الى منزل ميان بهود ، وهو من الأمراء الكبار « ومير عدل (٤٨٥) » والسلطان سكندر وكررت ما حدث ، فأحضر ميان بهوده زوجها وآخاه واستفسر وقال أخوه لزوجها اننى سلمتها للياقوت أيضا ؛

قال ميان : الديك شاهد ؟ قال بلى ! أى شخص يكون ؟ قال برهميان (٤٨٦) ٠٠٠ أحضرهما ٠٠٠ فذهب الى بيت القمار وأعطى المقامرين مكافأة وعلمهما بما يشهدان به وألبسهما لباسا طاهرا ، وأحضرهما الديوان ، وعندما شهدا قال ميان بهوده لزوج هذه المرأة : بأى عقاب تريد أن تزجرها فازجرها ، وخذ الياقوت من المرأة ، وخرجت المرأة من هذه المعركة ووصلت الى ديوان السلطان ، وطلبت الانصاف ، واستدعاهما السلطان فاستفسر عن أحوالها وعرضت الامر ، فقال السلطان : لماذا لم تذهبي الى ميان بهوده ، قالت ذهبت ، لكنه لا يصلح أن يكون اماما ؟ فأمر السلطان أن يحضروا الجميع واستدعاهم كل واحد على حدة ، وأعطى كل واحد من هذين الأخوين قطعة شمع وجعل شكلها مثل الياقوت واتفقا على شكلها ، واستدعى الشاهدين على حدة ، وأعطاهما قطع الشمع واختلفا فى وصف شكلها وشهد الجميع فاستدعى المرأة ، وقال : صفى ما كانت عليه شكل هذه الياقوتة قالت المرأة اننى لم أر هذا الشئ فكيف أصفه ؟ وكلما حدثا لم تقبل المرأة ؟ وقال ميان بهوده للشاهدين اذا صدقتما أمنت روحكما واذا كذبتما سأقتلكما ، وعرضا القضية تماما بينهما ، واستدعى أخا زوج المرأة وعرض الواقعة بصدق ، وتخلصت هذه المرأة من التهمة ، وأظهر عقل وفراسة هذا السلطان الحقيقة .

وكان يقرض شعرا فارسيا سلسا بسيطا ، وتخلص بكلرخى ، وكان الشيخ جمال كنيو من محدثيه ورفاقه وذكر هذه الأبيات عنه على سبيل الذكرى ؛

« من تراب قبرك ، الثوب على الجسد ، انه ممزق من الدمع حتى الذيل »

« صار صدرى مليئا من دموعه ، والآن سيطير صوت هذا الحاجب المقوس »

• (٤٨٥) أمير العدل

• (٤٨٦) اثنان من البراهمة

حضرُوا ذات مرة والسُّلطان يؤدي الصلَاة ، وكان خِوَاجة سرا
موجودا هناك ، فأشار السُّلطان إلى خِوَاجة سرا ولم يفهم ، فذهب إلى
البلاط وقال لميان بهوده أن السُّلطان قد أشار إلى ولم أفهم طلبه ، ...
وسأل ميان بهوده إلى أي جانب يقجه السُّلطان ، وبأي شيء كان يهتم
قال بعمارة البداية الجديدة ، قال ميان بهوده ، اطلب درودكر للعمل ،
واستدعي درودكر وكلكار ، وأدرك السُّلطان هذا المعنى البديع فقال من
أين علمت أنني أريد استدعاء هؤلاء ؟ قال ميان بهوده ، فصار السُّلطان
معتقدا في قول ميان بهوده .

ويروى أنه عندما كلف السُّلطان سكندر ميان بهوده « مير عدل »
ووزره قال له (ميان بهوده) أن كثرة الظلم على الناس يوجب تجريب
الرعية فأصاب خاطره الشريف الفكر فترك أي علاج في هذا الصدد ،
وإذا أصاب خاطرك فلتسعد تماما ؟ وعرض ميان بهوده أن العلاج
بالبناء أفضل ، وهو أن تأخذ « جرييا » (٤٨٧) واحدا من الممالك وتعطيه
إلى مملوك ، ويسهل عليك أن تحدد وظيفة لكل واحد .

تذكر السُّلطان إبراهيم ابن السُّلطان سكندر بهلول لودي :

عندما انتقل السُّلطان سكندر إلى رحمة الله ، اتفق الأمراء وأعيان
المملكة على أن يعهدوا بالمنصب الخطير والعظيم لابنه الكبير السُّلطان
إبراهيم الذي كان مشهورا ومعروفا بحسن الفراسة والكياسة والشجاعة
والأخلاق الحميدة ، ولكنه لم يكن مسيطرا تماما على الجيش بسبب
الرجال المشبوهين ، كما كان مبعدا عن الخدم والحشم ، ولم يكن في
مملكته حاكما مسيطرا أو مستقلا إلى درجة كبيرة ، وبناء على هذا
قرروا أن يجلس السُّلطان إبراهيم على عرش دهلي وأن يكون حاكما
حتى حدود ولاية جونبور ، وجلس على عرش سلطنة جونبور الأمير
جلال خان وحكم ممالك هذه الناحية ، ولكن لم يدركوا أنه لا شركة في
السلطنة ولا يسع غمد واحد سيفين .

« لا يسع جسد واحد روحين قط ، ولا يسع بلد واحد حاكمين »

المهم : توجه الأمير جلال خان وأمراء وزمندان قرى جونبو إلى
هذه الناحية واستقل بكرسي حكم هذه الممالك ، وعين فتح خان بن اعظم
همايون شرواني وكيلا لسلطنته .

(٤٨٧) مساحة من الأرض تساوي هكتارين ونصف هكتار .

جاء خانجهان نوحانى من ربرى فى هذا الوقت ملازمة السلطان ابراهيم ، وطعن ولام الوزراء والوكلاء لأنهم جعلوا أمر الحكومة والسلطنة مشتركا ، وهذا خطأ عظيم وسهو جسيم ، وقبول هذا الأمر يبعد عن العقل ، وحاول أركان الدولة تلافى عاقبة هذا ، ورأوا من المصلحة أنه طالما لم يحدث للأمير جلال خان الاستقلال بالأمر لذا ينبغي أن يستدعى الى دهلى وأرسلوا هييت خان كرك انذار لاستدعاء الأمير وصدر فرمان عطف ومكرمة من آن المصلحة بيننا تقتضى أن ترسل رسالة ولاء ، وعندما وصل هييت خان الى الأمير ، أبدى كل أنواع المراهنة والمالقة والخداع ، وغلب على الأمير مظنة غدرهم ومكرهم ، فكان يرد بالاجابات الملائمة ، وتركوه بلطائف الحيل ، وأرسل هييت خان الى السلطان هذا الحال ، فأرسل السلطان شيخ زاده محمد ابن الشيخ سعيد قرملى ومساعد وملك اسماعيل ابن ملك علاء الدين جلوائى والقاضى مجد الدين حجاب مقبل لطلب الأمير ، ولم يصدق أيضا حيلتهم، ولم يقدم الأمير للعودة .

وبمشورة العلماء وفلاسفة العصر أصدر الأوامر الى الأمراء وزمبنداران هذه النواحي ، وأنعم على كل واحد منهم على حدة ، ونال كل منهم درجة عالية حسب حاله وحسب ولايته ، وكان خلاصة هذا المضمون أن يتجنبوا الطاعة والولاء للأمير جلال خان ، ولا يذهبوا اليه ، ولا يقبلوا ملازمته وأرسل الى بعض الأمراء وأصحاب الشوكة الذين كانوا فى هذه الناحية وكان لديهم ثلاثون أو أربعون تابعا مثل دريا خان نوحانى حاكم ولاية بهار ونصير خان حاكم غازى بور وشيخزاده محمد قرملى حاكم أوده ولكهنوتى وغيرهم أيضا ، وأرسل الى كل شخص ذى اعتبار منهم خلعة خاصة وجوادا وانعامات أخرى ، وعندما وصلت هذه الأحكام الى هذه الجماعة ، عدلوا جميعا عن طاعة الأمير ، وسلكوا سبيل المعارضة .

وفى هذا الوقت أقام السلطان عرشا مرصعا بالجواهر النفيسة ومزينا على جدار القصر وجلس على العرش فى يوم الجمعة الخامس عشر من ذى الحجة سنة ٩٢٣ هـ وعقد المجلس العالى وأعلنت العفو العام على الناس ، وخلع على تابعيه وأعيان الدولة وجميع القواد كل حسب درجته بخلعة وغمد سيف وغمد خنجر وجواد وقيل ومنصب ولقب وولاية ؛

« اذا أردت دلال الدولة ولطفها ، فأنعم بالمصيد على قلوب الأصدقاء »

« فقد فاز كاوسى (٤٨٨) بسبب هذا على العدو ، مثلما فعل رستم ، (٤٨٩) » .

« فأنعم انعامات كثيرة على جيش الحرب ، لأنه بالحرب يقتل الانسان الفهد »

لقد علق فى أذانهم حلقات العبودية من جديد وصاروا جميعا فى سعادة من عنايته واحسانه ، ورضى الخاص والعام به ، وفتح أبواب الخيرات على الفقراء والمساكين ، وجدد للحكم رونقه وبهاءه ، واستقام امر الملك على رأسه .

عاد الأمير جلال خان عندما رأى هذا الأمر وخالفه أمراء هذه الممالك الى كالبى ، وأدرك أنه لم يصبح صديقا للسلطان ابراهيم ، وسلك طريق المعارضة ، وبمشورة الجماعة التى أيدته صرف النظر عن ولاية جونيور ، وأقام فى كالبى ، وجعل الخطبة والسكة باسمه ، ولقب بالسلطان جلال الدين ، وعنى برعاية الخدم والحشم واعداد الجيش والمدفعية ، وتوحيد « زميفداران » قرى المنطقة ، وعندما بلغ درجة من القوة الممكنة توجه لمهاجمة أعظم همايون شروانى الذى كان يحاصر قلعة كلينجر بجيش جرار ، وأرسل اليه عدة أشخاص برسالة من أنه سيحل محل أبيه وعمه وعليه أن ينقض العهد قبل السلطان ابراهيم ولا يقصر معه ، وأنه قد أغمض العين عن قليل من الملك والمال وقد أجازته لى ارثا ، ولكنه رفض الموافقة ونقض العهد ، وقطع صلة الرحم بيننا ، ولا ينبغي لك أن تقف بجانب الحق ، وتساعد المظلوم ، ولما كان أعظم همايون فى الأصل سىء المزاج مع السلطان ابراهيم ، وتأثر بقله مال ومسكنة السلطان جلال الدين ومع هذا لم ير فى نفسه مقدرة على مقاومة ومحاربة الأمير فتقهقر عن كلينجر ، وأسرع الى السلطان جلال الدين ، وبعد توثيق العهد والايمان قررا أن تدخل ولاية جونيور حتى هذه النواحي تحت سيطرة الأول ، وبعد ذلك ينبغي أن يفكر الآخر ، وتوجهها بعد هذا الاتفاق لمهاجمة سعيد خان بن مباركخان لودى حاكم أوده ، ولم يكن لديه مقدرة فانسحب الى لكهنؤ ، وعرض خفيقة الأمر على السلطان ابراهيم ، وأراد السلطان ابراهيم أن يتوجه بجيش لدفع ورفع هذه الفتنة .

(٤٨٨) كاوس أو كاوه الحداد البطل الشعبى .

(٤٨٩) رستم بن زال البطل الايرانى الاسطورى .

أمر السلطان رجال دولته بالحفاظ على عدد من اخوته الذين كانوا بالسجن مثل الأمير اسماعيل خان وحسين خان ومحمد خان والأسير دولت خان والذين كانوا في قلعة هانسي ، وأرسل لخدمة كل واحد أيضا اثنتين من حريمه وقرر له من الطعام واللبس وسائر ما يحتاج اليه ، وتوجهت الرايات السلطانية شرقا في الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٢٣ هـ ، ورحلا رحيلًا متواترا ، وعندما وصل الى «هنوكار» توجه من هناك الى قنوج ، واثناء الطريق علم أن أعظم همايون وابنه الرشيد فتح خان قد انفصلا عن الأمير جلال خان وسر من هذه الملازمة واشتد عزم السلطان .

وعندما اقترب أعظم (٤٩٠) همايون أرسل السلطان ابراهيم أكثر الأمراء لاستقباله وخصه بالانعامات الملكية القيمة ، وعلم في ذلك الوقت أن خانجند زمين في أجرتولى ، من توابع قرية كول وهي مشهورة « بمواس » قد تقاتل مع عمر بن سكندرسور واستشهد ، وهجم عليه ملك قاسم خاكم سنبل وحقق الظفر وقتل هذا المفسد ، وسكن هذه الفتنة المفاجئة ، ووصل الى قنوج للملازمة حيث كان جيش السلطان قد نزل هناك .

وجاء أكثر الأمراء وحكام جونبور مثل سعيد خان وشيخزاده محمد قرملی وغيرهم اليه ، ودخلوا ضمن تابعيه ، في هذا الوقت أرسل أعظم همايون شروانى لودى ونصير خان نوحانى وغيرهما مع جيش جرار وأفيال ضخمة لمهاجمة ابن الأمير جلال خان ، وكان الأمير جلال خان في هذا الوقت في كالبى ، ووصل الأمر الى هناك ، وكان (الأمير جلال خان) قد ترك نعمت خاتون واتباعهما وقطب خان لودى وعماد الملك ابن عماد الملك وملك بدر الدين واتباعهم مع جيش في قلعة كالبى ، وتوجه بنفسه بثلاثين ألف فارس وعدة أفيال الى دار السلطنة أكره ، وحاصر جيش السلطان ابراهيم كالبى وقضى عدة أيام في القتال والنزاع بالمدافع والبنادق ، وآخر الأمر عجز أهل القلعة ، وسر قلعة كالبى ، وانتهبوا المدينة ، ووقعت غنائم كثيرة بيد الجنود ، وأرسل السلطان ملك آدم على وجه السرعة بجيش منظم لحماية أكره ، ووصل الأمير جلال خان الى نواحى أكره ، وأراد الانتقام لكالبى في انتهاب أكره ، واثناء هذا الحال وصل ملك آدم خور الى أكره وأخذ يلاطف جلال خان بكلام وحكايات جميلة توافق مزاجه وعطله عن نهب أكره ، حتى وصل ملك اسماعيل علاء الدين جلوانى وكبير خان لودى وبهادر خان نوحانى

(٤٩٠) ورد بالمخطوط « حازم » .

وعدد من الأمراء الآخرين بجيش جرار بعده ، وقوى ملك آدم تماما ، فأرسل رسالة الى جلال خان كى يرتد عن هوسه وهواه الباطل ، وأن يرسل اليه « جتر » ، وأقتاب كير ، ونقارة » (٤٩١) والعلامات الأخرى وأمارات السلطنة ، وأن يسلك سلوك الأمراء حتى يكون ذنبه عند السلطان ، وأن تكون كالبى كسابق عهدا ولاية له ، ورضى جلال خان بهذه الشروط ، وتآمر بامارات السلطنة :

« لا يمكن أن نتكئ على متكأ العظماء جزافا ، الا اذا تهيأت تماما لأسباب العظمة » .

واستولى آدم ملك على « جتر » ، وأفتابكير ، ونقارة خانه » ، ووصل للملازمة السلطان الذى كان قد عاد من قنوج الى اتاوه ، ورأى هذه الأمتعة واستعرض حاله ، ولم يقبل السلطان هذا الصلح وتوجه لطرده جلال خان فلجأ الأمير الى راجه كوالير عند سماع هذا الخبر ، وأقام السلطان فى أكره .

لقد كان أمر السلطنة قد تزلزل بعد وفاة السلطان سكندر ، وعمل (السلطان ابراهيم) على رأب الصدع ، وعاد الأمراء المحالفون تائبين ودخلوا مخلصين وبعد ذلك أرسل جيشه خان كرك انداز وكريمداو ورجال الدولة لحماية وحراسة دهلى ، وأرسل شيخزاده منجهورا لحماية وحراسة قلعة جنديرى ، وهداية الأمير محمد خان حفيد السلطان ناصر الدين مالوى .

انحرف خاطر السلطان عن ميان بهوده وكان من أعظم أمراء ووزراء سكندرى بعد مرور أيام ولأن ميان بهوده أخذ فى اغفال ارضاء خاطر السلطان معتمدا على سابق خدمته حتى وصل الأمر الى درجة أن قيده وسجنه وسلمه لملك آدم ، واهتم بابنه وخصه بالانعام حتى نصبه مكان أبيه ، وودع ميان بهوده حياته فى السجن أيضا .

وفى هذا الوقت خطر للسلطان خاطر انه لما كان السلطان سكندر يقصد دائما تسخير كوالير وباقى قلاع وبلاد هذه النواحي ، وقد قاد الجيوش عدة مرات ولم يحقق المراد ، واذا أقبلت الدنيا ، وجاءت الدولة فأننى اعتزم عزمًا أكيدا على فتح كواليار ، وسائر البلاد التابعة لها ، وبناء على هذا أرسل أعظم همايون شروانى حاكم ولاية كره مع ثلاثين ألف فارس وثلاثمائة فيل لتسخير كواليار ، وعندما وصل أعظم

(٤٩١) جتر : مظلة ترفع فوق السلطان أو الأمير ، آفتابكير ، عاكس الشمس ومو مثل المظلة ، ونقاره : فرقة الطبول الملازمة للسلطان .

همايون الى نواحي كوالير أخرج الأمير جلال خان من هناك ، وتقدم صوب مالوه الى السلطان محمود ، وأرسل بهيكنخان وعالم خان لودى وجلال خان لودى وسليمان قرملى وبهادر خان نوحانى وبهادر خان شروانى ، واسماعيل بن ملك فيروز اعوان وخضر خان نوحانى وخضر خان أخا بهيكن خان لودى وخانجهان على جيش جرار وعدة أفيال لمساعدة أعظم همايون ومحاصرة كوالير وتسخير هذه الناحية .

وحدث أنه كان فى هذا الوقت راجه مان واليا على كواليار ، وكان يمتاز بالشجاعة عن أمثاله وأقرانه ، وقاوم سلاطين دهلى سنوات وكان قويا حل محل أبيه راي بكرما جيت على كوالير ، وبالف فى احكام القلعة ، واستعد أمراء السلطان ابراهيم حسب أمر السلطان واجتمعوا هناك ، واهتموا بالمهام والمعاملات ، وجاهدوا واجتهدوا فى محاصرة القلعة ، وحدث أن كان راجه مان قد أقام تحت القلعة عمارة عالية أقام عليها قلعة حصينة وأحكمها وكانت تسمى « أولكره » وبعد مدة حفر رجال جيش السلطان خندقا وملأوه بالبارود وأشعلوا النيران فيه ، وسقط جدار القلعة ، وفتحوا هذه الناحية ، ووجدوا فيها بقرة حديدية كان يعبدها الهنود لسنوات وحملوا هذه البقرة الحديدية الى دهلى حسب أمر السلطان ونصبوها على بوابة بغداد ، وكانت هذه البقرة على بوابة دهلى حتى أيام دولة خليفة الهى (٤٩٢) وقد رآها مؤلف هذا التاريخ (٤٩٣) .

المهم فى هذه الأيام لم يعتمد السلطان ابراهيم على أمراء سكندرى القدامى ، وقيد وحبس أكثر الأمراء الكبار ، وذهب الأمير جلال خان فى هذا الوقت من كوالير الى السلطان محمود مالوى ، ولم يرض عن سلوكه ، ففر من عند السلطان محمود وتوجه الى ولاية كسره كتنكه ، وأسر هناك على يد جماعة « كوندان » وقيدوه وأرسلوه الى السلطان ابراهيم ، وأرسله السلطان الى قلعة هانسى ، واستشهد فى الطريق :

« شراب السلطنة والجاء يكون حلوا ، ودونه يريق الملوك دم الأخسوة »

« فلا ترق دم القلوب الضعيفة من أجل الملك ، لأنك أيضا ستسقى من نفس الكأس » .

(٤٩٢) السلطان جلال الدين أكبر .

(٤٩٣) نظام الرين أحمد .

وبعد فترة جاء الى دار السلطنة اكبر اعظم همايون شروانى وابنه فتح خان اللذان كانا يحاصران كوالير بناء على الأمر وكان قد اوشكا على تسخير القلعة ، وحبسهما السلطان ، فرفع ازنمر اسلامخان ابن اعظم همايون رأس البغى فى اكبره ، واستولى على أموال وحشم أبيه ، ولم يعط الخراج لأحمد خان الذى كان « شقدارا » هناك ، ونظم الجيش ، وحارب أحمد خان وهزمه ، وأراد السلطان ابراهيم أن يتدارك الأمر بمجرد سماع هذا الخبر وأرسل جيشا لأن اعظم همايون وسعيد خان كانا من الأمراء الكبار ، وفرا من الجيش وذهبا الى ولاية لكهنؤو مقر ولاياتهم ، وبعثا بالرسائل الى اسلام خان وأثارا الفتنة والفساد .

أرسل السلطان ابراهيم أخا أحمد خان وأخا اعظم همايون لودى وأبناء حسين قرملى ومجلس على شيخزاده محمد قرملى وعلى خان ، خان خانان قرملى ومجلس على بهكنارى قرملى ودلاور خان ابن أحمد خان وسارنك خان وقطب خان بن غازى خان مالوى وبهيكى خان نوحانى وسكندر ابن آدم كاكى وغيرهم ، مع جيش جرار لمهاجمة هذه الجماعة ، وعندما وصلوا الى نواحى قصبه بانكر مئو قرب قنوج خرج اقبال خان خاصة خيل همايون لودى فجأة مع خمسة آلاف فارس وعدة أفيال من كمين ، وجهز بجيشه وقتل رجالا كثيرين ، واضطرب جيشهم ، وفروا . وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان كتب موبخا للأمراء توبيخا كبيرا ، وأرسل أمرا اليهم « طالما أنتم لم تستولوا على هذه الولاية من يد أهل البغى فستكونون من جملة المطرودين والمباعدى » ، وأرسل أمراء آخرين وجيشا جرارا لمساعدتهم على سبيل الاحتياط ، وتجمع لدى أهل البغى أيضا قرابة أربعين ألف فارس مسلح وخمسمائة فيل ، وعندما اقترب الطرفان ، وقعت المعركة وتوسط الشيخ راجوى بخارى وكان قدوة عصره ومنع الطرفين واهتدى أهل البغى بالنصائح العظيمة والمواعظ الرفيعة ، وبعد أن التمسست هذه الجماعة العذر من أجل أن يخلص السلطان اعظم همايون شروانى ويكفوا أيديهم عن ولاية السلطان والمعارضة ، وأنهم سيذهبون الى سلطان آخر ، وعندما وصل هذا الخبر الى السلطان لم يتقبله وأرسل الى دربا خان نوحانى حاكم بهار ونصير خان نوحانى وشيخزاده قرملى لكى يتوجهوا أيضا من بلادهم الى هؤلاء المتعربين ويسكنوا هذه الفتنة ، وعندما جاء الجيش من هذه الناحية لم يفكر أهل البغى بسبب الغرور الذى تملكهم وتقدموا للمقتال ، ونظموا الصفوف ، والتحم عساكر الطرفين وجيوش الجانبين وأراقوا الدماء حتى أن عين الزمان اظلمت عن مشاهدة هذا ، وآخر الأمر ، وربما أن أسلوب

البغى والظلم شئوم على أهله وأنه لن يتحقق النصر أبدا لذا قتل اسلام خان الباغي وأسر سعيد خان لودى بيد جنود دريا خان نوحانى ، وأسكنوا هذه الفتنة ، وأدخلوا مالهم وملكهم كله فى يد السلطان ابراهيم :

« لا تكن كافرا للنعمة مع المنعم والمكرم من أحيائك ، لأن النعمة تأتى من البحر »

« ويحيا الانسان وحريته على الضدر وطالما أن البحر اعتاد أداء الحق ، حتى تعطى السحاب بحرا دون قطرة من مطره » .

وحقق السلطان النصر فى آخر الأمر ، ولما كان حقد الأمراء لم يمح من قلبه فقد انصرف مزاجه على الأمراء وزادت المعارضة الظاهرة والباطنة بين الأمراء والسلطان عن الحد ومات كثير من الوزراء والملوك مثل ميان بهوره وأعظم همايون شروانى الذى كان أمير الأمراء فى سجن السلطان ، ورفع دريا خان نوحانى حاكم بهار وخانجهان لودى وميان حسين قرملى وغيرهم رأس المعارضة ضد السلطان بسبب الخوف والرعب الذى سيطر عليهم ، ورفعوا لواء المعارضة .

وحدث أن قتل حيان حسين قرملى خطيب جنديرى بأمر السلطان وبعد فترة من الزمن توفى دريا خان نوحانى ، وارقد ابنه بهادر خان عن السلطان وكان من تابعيه ، وجمع فى بهار قرابة مائة ألف فارس واستولى على ولاية سنبل ، ولقب نفسه بالسلطان محمد ، وجعل السكة والخطبة باسمه .

وفى هذا الوقت هزم نصير خان نوحانى حاكم جوندبور أمام جيوش السلطان ، وقرأوا الخطبة باسم بهادر خان لعدة أشهر فى ولاية بهار وتوابعها .

وخلال هذه الفترة وقعت معارك مع جيوش السلطان (بهار) وقاومها ، وحدث أن جاء ابن دولت خان للالزمة السلطان من لاهور وخاف من السلطان ففر ، وذهب الى أبيه ، ولما لم يجد دولت خان أى خلاص قط من قهر وعقاب السلطان ، توجه الى كابل ، والتحق بحضرة فردوس مكاني بابر يارشاه (٤٩٤ ، ٤٩٥) وحرض جلالة السلطان للقُدوم الى الهندوستان ، وتوفى دولت خان أثناء الطريق ، وتوفى السلطان محمد أيضا فى بهار ، ومع وجود الأسباب التى تدعو لتسخير الهندوستان وتدمير مصالحها العامة ، توكل جلالة السلطان مؤيدا بالتأييد الإلهي

(٤٩٤ ، ٤٩٥) اشتهر السلطان بابر بفردوس مكاني والسلطان همايون بجنت آشياني والسلطان اكبر بخليفة الهى .

وصف الصفوف في نواحى بانى بت لمواجهة السلطان ابراهيم . ووقعت
الهبزيمة على جيش السلطان ابراهيم ، وقتل مع جماعة من الأمراء في
ميدان القتال ، وانتقلت سلطنة الهندوستان من سلسلة الأفغان اللودية
الى هذه الأسرة السعيدة ، وكانت سلطنته سبع سنوات وعدة أشهر .

ذكر فاتح العالم السلطان الغازى ظهير الدين بابر غازى :

هو ابن عمر شيخ بن أبى سعيد بن مرزا محمد سلطان بن ميرزا
ميرانشاه بن مير تيموركوركان (٤٩٦) طيب الله ثراهم وجعل الجنة
مناهم ، وبما أن هذا التاريخ كله مختص بوقائع الهندوستان أحيل
بيان الأحداث التى وقعت لجلالته فى ولاية ما وراء النهر وخراسان
وأماكن أخرى الى تاريخ أكبر نامه وهو من مؤلفات ملاذ الأفاضل العليم
بالحقائق والمعارف المقرب من الحضرة الخاقانية السلطانية ، العلامة
الشيخ أبى الفضل (٤٩٧) وواقعات بابرى (٤٩٨) والتواريخ الأخرى
وهى تبدأ بما نحن بصددده وترتبط بهذه السلسلة الأبدية ، ويشتهر جلالة
السلطان بابر « بفردوس مكاني » ويذكر فى هذه الجماعة أيضا بنفس
هذا الوصف .

ليس خفيا أن دولت خان وغازى خان والأمراء الآخرين الكبار لدى
السلطان ابراهيم قد اتفقوا وأسلموا رسالة من عالم خان لودى (٤٩٩)
تشتمل على التماس فردوس مكاني الى الهند (٥٠٠) ، وأرسل السلطان
بابر جميع الأمراء المشاهير مع عالم خان كى يتقدموا الى حدود الهند ،
وأن يعملوا ما هو صالح ويقوموا به فى حينه ، وتوجهت هذه الجماعة
على وجه السرعة ، وسخرت سيالكوت ولاهور وتوابعهما ، وعرضوا
حقيقة الأمر ، وعزم السلطان بابر على السفر من دار الأمان كابل ترعاه

(٤٩٦) تيمور لك الذى اتخذ من سمرقند حاضرة له ، ومد نفوذه الى بلاد ايران
والعراق والهندوستان ، وقد حكم من ٧٦٥ هـ (١٣٦٣ م) الى ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) .
(٤٩٧) أبى الفضل بن المبارك المتوفى سنة ١٠١٠ هـ ووزير السلطان أكبر وصاحب
تاريخ أكبرى وآيين أكبرى .

(٤٩٨) واقعات بابرى أو بابر نامه من مؤلفات السلطان بابر وهو باللغة التركية
وقم ترجمته الى اللغة الفارسية على يد عبد الرحيم خان ، وإلكتاب سيرة ذاتية لصاحبه .
(٤٩٩) علاء الدين عالم خان عم السلطان ابراهيم (يداونى جلد ٣ ، ص ٣٣٨) .
(٥٠٠) أرسل دولت خان وعالم خان لودى ويوسف كحيل رسائل الى السلطان بابر
يستدعونه من كابل كما أرسل اليه رانا سائكا بأن يتوجه لمقابلته فى أكره (تاريخ
شيوشاه عباس سروانى اليوت ج ٥ ، ص ٣٢٤) .

عناية أذلية وهداية لم تزل ، وفى اليوم الأول أقاموا مضرب الخيام الظافر حول قرية يعقوب ، وقطع مسافة قصيرة فى عدة أيام ، وكان يقيم يوما أو اثنين فى كل منزل ، وانتظر الأمير محمد همايون ميرزا الذى كان قد توقف فى كابل لاحضار جيشه من بدخشان ونواحها ، وانتظر الى أن نظم الأمير الشاب الجيش ، ووصل للملازمة .

ومن الصدف السعيدة فى هذا اليوم الآخر أنه حظى خواجه كلان بيك وهو من عظماء أركان دولة السلطان بشرف « بايوس » (٥٠١) وهو فى غزنين ، وعندما تجمع أتباع الدولة الظافرة فى هذه الناحية أسرع فى طي المنازل ، ورفع أعلام النصر على شاطئ السند الذى يشتهر بنهر « نيل آب » (٥٠٢) وأصدر أمرا فى هذا المقام بالاطلاع على فيالق الجيش العظيمة واستعرض عدد الفرسان والمشاة وجموع الجنود العسكريين والتجار وكابر وأهالى ورجال المجلس والحرب قبلوا عشرة آلاف فارس (٥٠٣) .

« أحيانا لا يكون للأسد حاجة فى الجيش ، ولا أمنية الصيد فى فكره »

« الحب بدون خيل وجيش يجعل العالم واسعا ، طالما أن راية النصر تبدو عيانا من الشرق »

علم أثناء ذلك من أمراء الهند أن دولت خان قد انقلب حظه واختلط غازى خان بالشقاء وعدلا عن جادة البيعة والولاء وحنثا بالعهد والقسم ، وجمعوا قرابة ثلاثين ألف مقاتل أفغانى ورجال الجبل ، واستوليا على قسبة كلانور (٥٠٤) ، وتوجها لمواجهة أمراء لاهور ، وعندما علم « جهانكشاي » (٥٠٥) بهذا الأمر من صحيفة الرأى ، أمر مؤمن على بصدهما الى أن تصل الرايات المنصورة الى الأميرين المذكورين ، ومنعوا الأمراء من الخروج من القلعة حتى وصل شهریار نصرت ، وأوقفوهما عن الحرب والقتال ، وبسرعة عبر الجيش الظافر بأكمله نهر نيلاب ، ووصل الى نواحي « كجة كوت » وعبرت سفينة الأفيال نهر كجة كوت بسرعة ، وقرر أن يستغل الفرصة ويسافر من طريق سفح جبل « منجر »

(٥٠١) تقبيل القدم وهى كناية عن الولاء .

(٥٠٢) نهر النيل .

(٥٠٣) كان بصحبته اثنا عشر ألف فارس (أكبر نامه - أبو الفضل بن المبارك

ص ٩٩) .

(٥٠٤) اغتاز دولت خان وغازى خان من تفضيل بابر لعالم عليها .

(٥٠٥) فاتح العالم والمقصود به بابر .

فى نواحى سيالكوت ، وعندما أقام نواحى قرية « هالى كهكهر » معسكره
العالى ، وقطع الطريق من هذا المكان بسرعة تامة ، وطوى الجبل
والصحرَاء ، وعلى مسافة خمسة فراسخ خفقت الرايات العالية فى نواحى
جبل جودى فى بالونات ، وفى اليوم التالى رفع لواء السفر وعبر نهر
« بهت » ووصل أمير خسرو كوكلتاش ؛ الذى كان حاكما على قلعة
سيالكوت ، فى هذا المكان ، وأخلى غازى خان القلعة لضعفه ، وفر وجاء
الى أمير « دلى قزل » الذى كان مرسلًا لمساعدته من قبل السلطان ،
ونال المشار اليهم العقاب السلطاني بسبب تقصيرهما ، وأخيرا خط
السلطان بقلم عفوهِ على جرائمهما .

علم العيون فى هذا الوقت أن غازى خان الذليل ودولت خسان
المسكين قد استعدا للقتال بأربعين ألف فارس ، فأصدر السلطان بأمر
أوامره بوقف الأمراء البارزين الظافرين الى أن يصل لواء النصر ،
وعلى شاطئ نهر جناب خيم عساكر النصر ، وبعد ذلك انتظمت قسبة
بهلول بور ضمن ممالك السلطان فى سنة ٩٢٢ هـ ، ولما كانت هذه القسبة
على شاطئ نهر جناب تقع على أرض مرتفعة ، لذا أصدر أمرا أن يبنوا
قلعة واسعة فى هذا المكان ، ونعم البذل ، وبنى مدينة سيالكوت التى
كان أهلها يشربون ماء الورد على الرغم من وجودهم بجوار النهر ،
وارتفعت العمارة هناك على هذا المكان الرائع ، وقضى يومين أو ثلاثة
فى هذا المكان الجيد لأهيا ماجنا ونزل الى سواد سيالكوت وأرسل من
هذا المكان المحتسبين (٥٠٦) ، وأمر الأمراء أن يكتبوا بالتفصيل
خصوصيات أحوال المخالفين ويرسلوها الى البلاط .

فى هذا الوقت نال « تاجر سعادة » تقبيل أقدام مسند الجدالة
واستعرض أخبار علم خان الذى تقابل مع السلطان إبراهيم واستقر
مكانه ، وسيطر على هذا الحال ، ولما كان عالم خان لودى قد انفصل عن
مرافقة الأمراء وتوجه الى الهندوستان ، ووصل بسرعة تامة الى لاهور ،
استراح هناك عدة أيام ، وبناء على الأكاثيب التى كان قد سمعها من
فرقة الأفغان وأنه طلب من الأمراء السلطانية الذين كانوا قد أرسلوا
لمساعدته بسبب الحاجة قال لهم : « عندما أرسلكم جلالة السلطان
لمعاونتى أمرنى بتسخير مملكة سكندر وإبراهيم ، وتصلح معى غازى
خان ، ومن اللائق أن ترضوا أيضا على موافقته على هذا الصلح
وتتوجهوا صوب دهلى وأكره » ، ولم يصغ الأمراء الذين كانوا يعلمون

(٥٠٦) المحتسب هو المسئول عن تنفيذ الأمور الشرعية والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، أما المقصود به هنا من يقوم بجمع الضرائب .

مكر هذه الجماعة لهذه الرسالة بأذن الرضا ، وأجازوا : أن غازى خان منافق ولا اعتماد عليه فى قوله وفعله ، وأنه بأقل نفاق ومداهنة يذهب من هناك ويلحق به ، ويخرج عن القلعة وعليك أن ترسل حاجى خان أخاك الى البلاط ، أو أن تأتى الى لاهور بدولت خان « وقال عالم خان ناقص العقل ان جلالة السلطان أمركم باتباعى ولا طاعة لكم عندى » ولم يقبل الأمراء ، وجاء شيرخان بن غازى خان فى ذلك الوقت الى عالم خان ، ووطد أساس موافقة أبيه ، وأطلق عالم خان سراح دولار خان الذى كان قد سجنه غازى خان مدة طويلة . . . وفر وجاء الى لاهور ، ورافق ووافق محمود خان بن خانجهان الذى كان أيضا ضمن تابعى الدولة ، وانفصل عن الجيش والتحق بغازى خان ، وبالاتفاق مع الآخرين توجهوا الى دهلى واتفق معهم بعض الأمراء الآخرين مثل اسماعيل خان جلوانى وغيره ممن ينسبوا من السلطان ابراهيم وكانوا فى نواحي دهلى ، ورفعوا لواء المحاربة فى الحال ضد السلطان ابراهيم ، وعندما وصلوا الى قسبة اندرى التحق سليمان شيخزاده المذكور أيضا بهذه الجماعة ، وبلغ عدد الجيش أربعين ألف فارس اتحدوا وحاصروا دهلى . . .

و بمجرد سماع السلطان ابراهيم لهذه الأخبار عزم على محاربة هذه الجماعة ، وعلم عالم خان وجماعته خبر توجهه بعد ذلك فاندعوا استقباله على أطراف دهلى ، وقرر أنه عندما يتحد الأقوام الأفغان تماما ، فإن الفرار عن ولى النعمة والعداء معه عند الحرب عيب وعار ، وينبذ من هذا أنه اذا وقعت حرب فى النهار فمن يشهدا يخفى ما بيده من متعلقات . . . والمناسب هو أنه بعد انتفاء حمرة الشفق حيث يغطى ثقاب الليل الوجه الحسن والقبيح ، قصد جيش السلطان ابراهيم الذهب ، ولحق به المؤيدون فى الخفاء . . .

المهم ركب عالم خان من مسافة ستة فراسخ من معسكر السلطان ابراهيم حيث كان معسكره ، يعزم الاغارة ، وفى آخر الليل ، نفذوا نيتهم بالقوة ، واضطرب جيش السلطان ابراهيم تماما ، وانتهز جلال خان وبعض الأمراء الآخرين الفرصة ، وكانوا قد وافقوا عالم خان واتفقوا معه وتمكن السلطان ابراهيم وعدد من خاصة خيالته من قصره ، وقا بل حتى طلوع الصبح ، ولم يفروا من مكانهم ، وعندما تفرق أمراء عالم خان والاستيلاء على الغنائم ، وبعد طلوع فجر الصبح من عباءته لم يكن الذين اعتقدوا فى نصره وغلبته وطمعا فى الغارة وسلب الأموال مع عالم خان سوى عدد محدود ، ووقع نظر السلطان ابراهيم على قلة أعدائه فتقدم مع جماعة كانت معه ووجه الفيلة الى عالم خان ، وشمل الهجمة الأولى وجعله يفر ، وسلك كل شخص كان فى هذا المكان مشغولا

بالنهب طريق الفرار ، وتفرق الأمراء الى كل ناحية ، ووصل عالم خان الى ما بين دواب وتوجه من طريق لاهور ، ووصل الى مدينة سهرند ، وسمع وصول اخبار الرايات الظافرة للسلطان بابر الى نواحي سيالكوت وفتح قلعة بلوت ، وأصبحت هذه الفئة الضالة بالمهزائم المتكررة ، فأسرع كل شخص الى مكان والى ناحية ، وكان دلاور خان دائما ضمن رجال الدولة يعمل على تتبع عالم خان للاستيلاء على أهل الفساد ، وسر عند سماع وصول الرايات العالية وتوجه لتقبيل أعتاب السلطنة ، وجاء مع عدد محدود وكان سعيدا كل السعادة ، واعتذر عن موافقته الظاهرية للمعارضين ، ونال العفو والاحسان من السلطان .

لأن عالم خان بالفرار الى قلعة كنكويه وهى قلعة مرتفعة جدا على قمة جبل من توابع بلوت ورافقه حاجي خان ، وحدث أن انفصل عن المعسكر السلطاني نظام الدين على خليفة الذى كان وكيلا للسلطان مع عدد من « هزاره » و « الأفغان » ، وسار صوب كوهبايه ، وعندما وصل رب القلعة ، وشحذ همته ، وملك زمام الحرب بكل جد وجهاد ، ولهذا ضاق الأمر على المحصورين فى الجبل ، واقترب من أجل فتح القلعة ، وعندما وقعت الحرب فى آخر يوم ، انجلى ظلمة الليل عن المحصورين ولم يحقق الشاهد المقصود ، واندفع عالم خان للمواجهة ، وخرج من القلعة مع جيشه متجشما آلاف المشاق حول القلعة ، واضطرب جمعه ، وصاروا حيارى فى الصحراء ، وفى اليوم التالى لم يجد التائهون فى البادية والضالون العصاة مفرا وطريقا للجنة سوى الالتجاء الى بلاط سلطان العالم ملاذ العالمين ، ولا جرم فقد اعتمدوا على كرم حضرة الخاقان ومرغوا الوجه بتراب أعتابه ، وأنعم السلطان بابر عليهم بخلة قيمة لسابق عهدهم فى وقت ملازمته ، ولما بقى لسانهم العاجز قط عن بيان أفضاله ، وعندما قاموا عند مجيئه الى المجلس العالى وانتظم عقد جمعه ، استدعى الرسل الذين كان قد أرسلهم لاستدعاء الأمراء البارزين فى لاهور ووصل خبر وصولهم الى مقربة من المعسكر الظافر .

توجهت الرايات المنصورة فى اليوم التالى الى قصبة « برسرور » ، والتحق جماعة من الأفاضل منهم مهر على جند وخواجه حسن « مشرف ديوان » (٥٠٧) وجماعة من الذين سبقوهم الى الخدمة وتقبيل ركاب السلطان وحسب الحكم توجه جمع من الشباب المقاتل لتفحص أحوال غازى خان ؛ الذى كان مسيطرا على شاطئ نهر راوى بجانب لاهور ،

وعادوا ، وفي اليوم الثالث ذكروا أن المعارضين أسرعوا بالهرب حين سمعوا بخبر قدوم العساكر السلطانية : « محال أن تجد ذرة حب بلا ألم ، الصعوبة كيف تقاتل الباز بمخيلها ؟ » .

وكان جلالة السلطان بابر قد توقف لعدم يقينه بمجيئهم ، وأمر السلطان فاتح العالم بسرعة التحرك ، وعاد يتعقب هذه الجماعة ، ونزل في نواحي كلانور وفي هذا المقام جاء السلطان على المقام محمد سلطان مرزا (٥٠٨) وعاد الأمير همايون مع سائر الأمراء من لاهور ، وتوجهوا مخلصين إلى البلاط العلوي ، وقدموا الهدايا ونالوا أيضا الانعام والاکرام السلطاني كل حسب درجته .

رحل السلطان في اليوم التالي من كلانور ، وتوج الأمير مجمل الدين كوكناش والأمير أحمدی پروانجی والأمير قتلوق قدم والأمير ولي خان وأكثرت الأمراء بجيش عظيم بناء على الفرمان الواجب الانعاز عقب الفارين وحاصروا قلعة بلوت ، وعملوا على ألا يخرج أي شخص من هذه القلعة ، إلا وفقد خزانته ودفائنه ، والهدف الأصلي من هذا الاحتياط كان أسر غازي خان ، وفي اليوم التالي نزل (السلطان) حول قلعة بلوت وأمر الأمراء العظام أن يحاصروا القلعة كي يضيق الحال على المعارضين ، وخرج اسماعيل خان بن علي خان وهو ابن دولت خان في اليوم التالي ، وأخبرهم بخبر اختفاء غازي خان من القلعة وبقاء دولت خان وعلى خان وسائر الأقوام الباغية كما هو في التقرير المشار إليه ، وأرسلوه إلى القلعة ثانية باستمالة السلطان ، واهتم السلطان بتسخير القلعة ، وقربوا المجانيق كثيرا ، وعندما أخذت العساكر الظافرة أماكنها بأحكام للاستيلاء على القلعة طلب دولت خان الأمان لعجزه وضعفه ، فشملته العناية السلطانية ، وعفا عن جرائمه ، وحسب الحكم علق سيفين في رقبتة واجتمعوا للعفو العام ، وعندما اقترب أمر السلطان برفع السيفين وتقدم جلالة السلطان بسبب كمال أصله إليه ، وخط بقلم العفو عن جرائمه :

« الكرم هو أن تحسن إلى السوء ، وأهل الكرم لا يفعلون مع الصديق إلا الاحسان » ، وأصدر فرمانا أعطى دولت خان وأولاده وأتباعه الأمان ، وأحصى أمواله وقسمها على جنود المعسكر الظافر ، وأرسل خواجه مير ميران صدر لحماية وحراسة أهله وزوجاته ، وعندما دخلت القلعة تحت سيطرة أتباع دولة السلطان بابر جاء علي خان لملازمته فأهداه مقدارا من « الأشرفي » (٥٠٩) وآخر اليوم جمع خيوله وحريمه وخرج مع جمعه .

• (٥٠٨) همايون

• (٥٠٩) الأشرفي عملة ذهبية

من القلعة وأرسل أناسا أمامه وتوجه كل هؤلاء الى خواجه مير ميران وسلموه المشار اليه ، وأتم السلطان بابر سيطرته على القلعة فى اليوم التالى ، وترك أمير سلطان جنيد برلاس وأمير محمد كوكتاش وأمير أحمدى بروانجى وأمير عبد العزيز وأمير محمد على خنك وأمير قتلوق قدم وعدد آخر من الأمراء بجانب الأموال التى كانت فى القلعة .

تحركت الرايات العالية من بلوت عندما علم السلطان أن غازى خان لم يكن بالقلعة ، وسجن دولت خان ونفرا آخر من هذه الجماعة الخائفة ، وأمر أن يحموا قلعة بلوت وهى أحصن قلاع هذه النواحي وفى أثناء الطريق ودع دولت خان الحياة ، وبعد ذلك رحل جلالة السلطان بابر جادا فى البحث والقبض على غازى خان لعتابه على أفعاله ، وقطع الطريق الوعر ونزل باجلال على سفح « دون » وهو جبل كبير جدا ودخل سوالك ، وأرسل تردى بك وجماعة ليبحث بحثا كاملا فى الجبل والصحراء ويقبض على هذا الضال ، وعندما دار الزمان وتاه من الخوف فى الجبل والصحراء ، وذهب الى مكان بعيد ولم يقبض عليه ، وبعد قطع مسافة أو مسافتين من « دون » جاءت رسالة شاه عماد الدين الشيرازى الى العرش الظافر ، ووصلت رسائل أرميخان ودرفش خان ومولانا محمد مذهب الذين كانوا منتظمين ضمن أمراء وأفاضل جيش السلطان ابراهيم مشتملة على التحريض للمجيبى واطهار تأييد غيبى للدولة وأرسل السلطان بابر منشور عناية وتكريم الى شاه عماد الدين مع الداهيين الى هناك ، وأذن له بالمثل ، وأرسل من مقامه مبلغا من الفضة والمعدن مع أمير باقى شغاول الذى كان حاكما على حكومة دييالبور الى فقراء ودرأويش وطلبة العلم فى بلخ ، وأرسل الى كابل الأمتعة والأقمشة والهدايا النقدية حيث كان أبناؤه وتابعوه وسائر الخدم هناك .

دخل الجيش الظافر من هذه الأماكن الى الجبل حيث نادلان وقزاقان ، وسخر كثيرا من القلاع والأماكن وجلبوا غنائم لا حصر لها الى المعسكر الظافر ، وانتقل المعسكر الظافر من هناك الى منزل آخر قرب سهرند ، ومن سهرند وصل الى قرية أخرى حول قصبة تنور ، ونزل على شاطئ نهر كهكهر ، وحين رفعت ألوية النصر من هناك الى سامانه وسنام ، عرضوا عليه تسخيرها ، وبمجرد أن استمع السلطان ابراهيم خبر توجه الرايات العالية رحل من نواحي دهلى التى كان قد سيطر عليها بعد هزيمة عالم خان ، وتقصد أكثر ، وصدر فرمان سليمانى أن يتوج الأمير كنه بيك الى نواحي معسكر السلطان ابراهيم ، ويتحقق ما كان عليه هذا الجيش من مقدرة ويعود سريعا ،

(٥١٠) سلمانى : نسبة الى نبي الله سليمان عليه السلام .

وجاء مؤمن على أنه بعد تفحص وتحقيق جيش حميد خان « خاصة خيل: » السلطان ابراهيم ، الذي كان قد جمع جيشا فى قلعة فيروزه ، وأرسل اثنين الى قصبة ابنالة ، وعاد (الأمير كنه) وعرض أحوال الطريق والمخالفين وكيفية التقدم نحوهم ، وفى نفس هذا المكان أمن الأفغان الذين كانوا قد دخلوا فى طاعته وولائه بعد البغى والتمرد ، وسعدوا بتقبيل البساط .

عندما علم السلطان بابر أن حميد خان قد تقدم مسافتين أو ثلاثة من قلعة فيروزه ، أمر الأمير محمد همايون ميرزا بالتحرك الى الناحية المشار اليها ، وسار فى ركاب الأمير العالى المقام . أمير خواجه ، كلان بيك ، وأمير محمود دلدى وأمير ولى خازن وأمير على محمد خنكجيك وأمير شاه منجور بولاس وأمير . محب على بن أمير خليفة وبعض الأمراء الآخرين من « أيجكيان » « ويكها » ، وقطع المسافة فى لمح البصر . وعندما اقترب من جيش الأعداء اختار مائتين من الفرسان ، وجعلهم على مقدمة الجيش ، وتقدموا للقتال حتى وصل جيش الأمير العالم (همايون) وظهت جيوش الأعداء وارتفعت نار الحرب والتحم الطرفان ، وهبت رياح الفتح والظفر على الموكب المنتصر ، وابتعدت عن الأعداء وانتصر على الأفغان ، وأسر مائتين من هؤلاء المخدولين وقتل جمعا آخر :

« مع أن جيش العدو كان بقوة عاد (٥١١) ، لكن النسيم خطف راية ملكه مثل صرصر »

أرسل ميرك مغول رسالة نصر من هذا المكان الذى كان متاحا به الى الأمير الموفق مع ثمانية أفيال ضخمة ، وجماعة أسرى جيش الأفغان ورؤوس القواد ، وسلموا الأسرى حسب الأمر الى أوستاد على قلى فصاروا جميعا هدفا للمدفعية والبنادق ، وأنعم بحكومة قلعة فيروزه وتوايعها وعشرة ملايين تنكه نقدا للأمير العالى المقدار لشجاعته .

نزل الجيش بعد ذلك فى مكان قرب شابه أباد على شاطئ نهر جون ، وعلم بأخبار مؤكدة أن السلطان ابراهيم يتقدم بجيش جرار وقوى لمحاربته ومقاتلته ، وقطع مسافة أخرى من هذا المكان حيث عاد حيدر قلى تابع خواجه كلان بيك والذى كان قد ذهب بناء على الحكم من أجل التجسس وعرف أن داود خان وجماعة من أمراء السلطان ابراهيم وخمسة أو ستة آلاف فارس قد عبروا نهر جون وابتعدوا عن معسكر

(٥١١) يقصد بـ « عاد » الذى ذكره فى قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » الفجر ٦ .

(٥١٢) لم يكن لدى بابر أول مرة سوى مدفع واحد وكان لا يطلق الا مرات قليلة فى اليوم الواحد ، ويستغرق تعبئته مدة طويلة (بابر - ص ٣٣٧) .

السلطان ابراهيم بثلاثة أو أربعة فراسخ ، فأرسل سيد مهدي خواجه
ومحمد سلطان ميرزا وعادل سلطان وسلطان جنيد برلاس وشاه مير
حسين وأمير قتلوق قدم وأمير يونس على وأمير عبد الله كتابدار وأمير
محمدي براونجي وأمير كته بيك لقمع هذه الجماعة ، وعبر هؤلاء المقاتلة
نهر جون ، وفاجأوا جيش العدو ، وجاءت هذه الجماعة للمواجهة ،
وكان ما قدر لهم ، ولم يقصروا في البطولة والشجاعة والثبات ، وفي
ساعة هاجم شجعان الجيش السلطاني على هؤلاء القوم وقتلوا جمعا ؛
« عندما يرافق الحظ الملك ويكون رأسا للدولة ، يكون لجيشه
يوم الوغى الظفر والنصر »

وأسر جماعة ، وأسرع الجنود الشجعان في اثر هذه الجماعة
المعتدية ، ونجت الباقية المتبقية من السيف بألف حيلة ، وذهبوا الى
معسكر السلطان ابراهيم وأثاروا الغوغاء العالية في المعسكر المشار اليه .
أرسلوا جماعة من القواد مع جمع من الأسرى الآخرين وعشرة أفيال
الى العرش الظافر ، فأصدر بناء على سياسته الخاقانية أمرا بقتل
هذه الجماعة .

وعندما رحل من هذا المكان ، واتخذوا حسب الفرمان الواجب
الاذعان الملاذ والملجأ التام ، عرضوا أمام جلالته بناء على مشورته
الصائبة أن يهتموا بالجيش ، وأن يهيئوا عربات نقل وحمل ، وبناء
على هذا أعدوا ثمانمائة عربة في يوم واحد وأمر أستاذ على قلى أن يصنعوا
قواعد مثل قواعد المدافع الرومية على شكل عربة ترتبط بتجترير وجلد
مرقم ومتصل كل منهما بالآخر ، وبين كل عربتين يعبأون ست أو سبع
مخال حتى يستطيع رجال المدفعية أن يلجأوا يوم القتال بالعربة والمخلة
حين تفرغ الذخيرة (٥١٣) ، وأقام خمسية أو ستة أيام في مكان واحد
لأعداد هذه الأدوات ، وبعد هذا الأعداد أمر رجال الدولة بالاستعداد
للمعركة على الرغم من قلتهم أمام جيش يمثل هذه الكثرة ونقشوا على
صحف الباطن مضمون الآية الكريمة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
بإذن الله » (٥١٤) وتوجه الى مدينة باني بت خلف الجيش ، وصف
العربات أمام الجيش ، وأصطف الفرسان والمشاة خلف العربات بالسهم
والمدافع ، واندفع فرسان آخرون من الأطراف والجوانب وقاموا بالقتال
والنزال وكلما وجدوا قوة من الخصم عادوا خلف العربات ، وفي

(٥١٣) وهو ما يسمى باسم تورده : والتورده جوال ملهى بالتراب (بداوني ج ١
ص ٢٤٣) .
(٥١٤) البقرة : ٢٤٩ .

الخميس آخر جمادى الآخر نزل الجيش ببلدة بانى بت على مسافة ستة فراسخ من جيش الأعداء ، وكان عدد جيش السلطان ابراهيم قرابة مائة ألف فارس وألف فيل وعدد الجيش السليمانى خمسة عشر ألف فارس ومشاة وعندما أقام فى بانى بت اقترب الجنود بالتدريج من المعسكر وقاتلوا مع جيشهم وغلبوا ؛

« اللطف الالهى يكون رفيقا لكل ملك ، ما الخوف اذا امتلأ العالم بالجيش »

« السوء العقيدة يكون نصر الله معقودا للملك »

ويكون الغفران من لطف الله على مفرقه » .

وعلقوا رؤوس الأعداء فى أهداب سروج الجياد ، وأحضروهم الى المعسكر الظافر ، وعلى الرغم مما وقع فى أيديهم فقد كرر الجنود السليمانية الكرة عليهم ، ولم تبد أى حركة من ناحيتهم ، ولم يصدر أمرا بالمتقدم أو تعقبهم ، وأخيرا رأى بعض أمراء الهنود الذين سلكوا ضمن رجال الدولة أنه من المصلحة التقهقر والاغارة ، وقبل السلطان هذا الرأى ، وتوجه مهدى خواجه ومحمد ميرزا وعادل سلطان وخسروبيك كوكتاش وشاه أمير حسين وأمير سلطان جنيد برلاس ، وأمير محب على مير خليفة وأمير ولى خازن وأمير محمد بخشى وجان بيك وأمير قرار قودى مع خمسة أو ستة آلاف فارس بناء على الأمر لمهاجمة معسكر السلطان ابراهيم ، وحدث أن وصلوا قرب الصباح الى معسكر الأعداء ، واقتحم الجيش ، وأبدى شجاعة ، وأطلق البعض يد النهب ، حول المعسكر ، وهلك كثير من هؤلاء القوم ، وعاد الجميع سالما ، ولم يصب أى من رجال الدولة بسوء ، ولم يتفرق الأعداء أيضا وثبتوا .

المهم فى يوم الجمعة السادس من رجب المزجب من السنة المذكورة قبضت يد الأجل فى تلابيب السلطان ابراهيم وحضر بجيوشه لمواجهة الجنود السلطانية القاهرة ، فانتظمت الجنود الخاقانية المجندة كسد منيع بلباس حديدى وتزينوا بالفتح والظفر ، وثبت الجنود فى ميدان البطولة ، ورفعوا أعلام النصر ، وسيطر حضرة سليمان بنفسه ونفيسه كالروح فى القلب ، ونظم المقدمة والميمنة والميسرة ، واستعد للقتال والنزال ، وعندما التقى الطرفان ، ورأى كل منهما الآخر بعين العداء ، وأصدر أمرا نافذا أن يحارب أمير قرا قورجى على المسيرة وأمير شيخ على وأمير على أبو الحجة فيزه والشيخ جلال على الميمنة ولى قزل وبابا قشقة مع جماعة المغول مقسمين على دفعتين ليقاتلوا خلف جيش العدو ، وأن يتقدم أمام أمراء الميمنة جيش خاص للأمير محمدى كوكاش وأمير يونس.

على وأمير شاه منصور برلاس وأمير أحمدى بروانجى وأمير عبد الله
كتابدار ، ولما كان الأعداء قد هجموا أكثر على الميسرة فقد صدر أمر الى
أمير عبد العزيز الذى كان احتياطيا ليذهب للمعاونة ، وعندما أذن
لهؤلاء الأسود المحاربين فى الميدان بالقتال أبدوا يقظة فى الميدان وأطلقوا
السهم القاتلة من الأمام والخلف واليمين واليسار ، وسقطت أجساد
الأعداء ، وكانت أرواحهم قد رافقت الطيور الطائفة الى العالم الآخر ،
ولكن لما كان قد قص بمقراض السيوف هذا الريش والجناح مرتين فقد
انتفى احتمال الطيران وارتاحت الرؤوس المتمردة على الدرع وعجلت
يد الأجل فى صف الأعداء ؛

« هكذا سال الدم ولم يذهب هباء ، لأنه عندما سال حمل الرجال الى
حافة الموت »

« النسيم الذى هب من هذا السحر ، يجعل رائحة دم الكبد فى
الأنوف » .

آخر الأمر صار الأعداء الفاسدون الضالون مغلوبين ومقهورين
بيمن الفضل الالهى وعون اللطف غير المتناهى ، القوا فى الفلاة بعض
الذين لم يقتلوا تماما والمثخنين بالجراح والذين كانوا يأملون لو صاروا
طعاما للغربان والحدأة ! وقتلوا السلطان ابراهيم بالسيوف البتارة فى
صحراء مجهولة مع جماعة من المقربين وأحضروا رأسه الى البلاط
السلطانى ، وكانوا قد قتلوا قرابة خمسة أو ستة آلاف جندي من أتباع
السلطان ابراهيم فى نفس المكان ، وتجزع عدة آلاف من الأشخاص
شراب الموت أثناء المعركة ، وجرت كلمات الحمد على لسان السلطان ،
الحمد لله الذى هدانا لهذا ، ورفع لواء الشكر لله .

أرسل السلطان رسالة فتح فى اليوم الأول الى أنحاء البلاد ،
وتوجه الى دار الملك دهلى ، وأضاءت خير البلاد بنور الأنوار السلطانية،
وقرئت خطبة الدولة والسلطنة يوم الجمعة على المنابر والمساجد الجامعة
باسم السلطان السعيد صاحب المجد والسمو .

صدر فرمان السعادة الواجب النفاذ بأن يتوجه الأمير العالم
محمد همايون ، وأمير خواجه كلان وأمير محمد كوكتاش وأمير يونس
على وأمير شاه منصور برلاس وجماعة أخرى الى أكره على وجه
السرعة من أجل الاستيلاء على القلعة ، وأن يحافظوا على خزانة
من سيطرة العوام والخواص ، وسار بعدهم السلطان أيضا الى أكره ،
ونزلوا فى هذه البلدة ، ووزع على كل واحد من المحتاجين ما يناسب

حاله ، وفتح يده كالبحر ، وقسم الخزائن وأنعم على الأمير العالم
محمد همايون ميرزا بسبعة آلاف ، وأنعم على كل واحد من الأمراء ما بين
مائتي ألف وثمانمائة ألف وخمسمائة ألف على تفاوت درجاتهم :

« انثر الذهب بالاحسان على من يبذل الروح فى الميدان »

« فان الرجل صاحب الشجاعة يكون كالشجر المورق المثمر »

وقسم على جميع المقاتلين وسائر التابعين الهبات الملكية من نقود
للخزانة ، ونال جميع الأفراد الأكابر للجيش والسادات والمشايخ وطلبة
العلم والتجار وأهل السوق والأسافل والأعلى نصيب كامل وقسمة
شاملة ، وأرسل للحريم والمحصات الجواهر النفيسة والأقمشة النادرة
والذهب الأحمر والهدايا ، وأرسل الى جميع التابعين للبلاط والمنتظرين
للانعامات السلطانية فى خراسان والعراق وكاشغر الهبات ، وأرسل
النذور الى مكة المكرمة والمدينة المباركة ، والمزارات المباركة ، وأنعم على
جميع أهالى كابل وخسب (٩) وبدخشان الذين كانوا يعيشون هناك ،
ويمتازون بالورع ، وأرسل الى كل رجل وامرأة « شاهرخى » (٥١٥)
وأرسل رجالا أهل دين لتوصيل وتقسيم هذه الانعامات ، ولم يبق أحد
قط من المحتاجين بالبلاط السلیمانى لم يستفد من غنائم الهندوستان .

ولما كان الخاطر الشريف يهتم بالترفيه عن أهالى البقاع ، وتأليف
قلوب أرباب القلاع ، فقد أرسل فرامين الاستمالة الى أطراف النواحي ،
ولكن نظرا لعدم مؤانسة كفرة الهنود الذين كانوا نافرين ومتوحشين ،
ولم يقبلوا مطلقا الاتباع ، وفروا الى الغابات والجبال ، وسلكوا طريق
الادبار وأغلق المتحصنون القلاع فى وجهه ، واستعدوا لحماية القلاع ،
وكان العداء مستحكما فى جميع القلاع الأخرى غير قلعة دهلى وأكره
اللتان فتحتا بالقدوم الشريف للسلطان ، وكان قاسم سنلى يحكم قلعة
سنبل ، ونظام خان فى قلعة بيانه ، وحسن خان نوحانى حاكما على
رابرى ، وقطب خان على تتاوة ، وعالم خان على كالبى ، وكانت قنوج
وسائر بلاد الجانج تحت سيطرة الأفغان البغاة ولم يكونوا طائعين أيضا فى
عهد السلطان ابراهيم ، وبعد ارتفاع شمس الدولة السليمانية ، وانحطاط
لواء الأفغان ظلوا مسيطرين على كثير من الولايات الأخرى ، ورفعوا
ابن بهادر شاه على السلطنة ولقبوه بالسلطان محمد ، وبايعه نصير
خان نوحانى ومعروف قرملى وكثير من كبار الأفغان الآخرين ، وكانوا
يعملون على افساد تفكيره ، ولما كان عدم اطاعته شائعا فان قصبة

(٥١٥) عملة ذهبية .

(٥١٦) بلغ ما وزعه أربعمائة ألف شاهرخى (كلبدن بيكم - همايون نامه ، ص ١١) .

جهاؤن على مسافة عشرين فرسخا من أكره وعلى رأسها غرغوب نامى
غلام السلطان إبراهيم لم يكن يطيعه .

وفى هذه السنة تصادف أن ارتفعت حرارة الهند الى درجة عالية
لدرجة أن مات كثير من الناس فى هذه البلاد ، وكان جلاله السلطان بابر
فى دار الأمان أكره يريح العساكر الظافرة فترة ويرعاهم فى ظل رعايته
السلطانية ، وعندما أخذت حرارة الجو فى الانخفاض ، وتبدلت رياح
السموم العاتية بنسائم اعتدال المطر ، وأنعش هذا النسيم الروح .

توجه الأمراء البارزون صوب فتح ممالك البلاد والقلاع بكل طرف
من البلاد ، وفتحت الأبواب المقصودة بأدنى جهد ، وارتفعت راية العناية
الالهية على مفارق القائمين بأمور الدولة السلطانية حيث ابتعد جميع
الفارين ، وتمنى المتفرقون الدخول نادمين تحت أنوار الفضل والامتنان
وظل نجم العفو والاحسان ، وعاد الى ظل الرأفة الملكية كل من ذهب
الى ناحية ، وجاء فيروز خان وسارنك خان وشيخ بايزيد أخو مصطفى
فرملى وشيخ هية وجمع آخر من الأمراء الأفغان صوب البلاط طائعين ،
وحظوا بالأرزاق والولايات اللائقة ، وأسرع الشيخ كهورن مع جماعة
المقاتلين بين الدواب الى البلاط المعلا عن طريق الصدق والإخلاص ،
وجاء طائعا ، ونال الرعاية من جميع الأمراء ذوى الاقتدار .

وعندما فرغ السلطان من توزيع الخزانة الوفيرة ، اهتم بتقسيم
القرى والحكومات المعمورة وعين على كل ولاية من الممالك المحروسة
واحدا من السلاطين البارزين والأمراء الأكفاء ، فأرسل الأمير العالم
محمد همايون ميرزا على ولاية سنبل ، وأثناء ذلك وصلت رسائل ولاء
قاسم سنبل الى البلاط السلطاني ، وعرض أن « درهيين » أكل الجرام
الذى كان قد فر من معسكر السلطان قد ذهب الى هذه النواحي وجمع
جمعا وحاصر قلعة سنبل ، فصدر فرمان سلطاني بالتوجه الى هذه
الطائفة ومهاجمتها الى كنه بيك وملا قاسم أخى بابا قفشة مغل مع أخيه
مولانا آفاق وشيخ كهورن ومعه جماعة « تركش بندان » ما بين دواب
وأمر هندوبيك ، وتوجه الأمراء فى الحال حسب الأمر ، واهتموا بعبور
نهر الجانج ، وأسرع ملك قاسم مع باقى العساكر المنتصرة ، وكان قد
وصل الى سنبل وقت صلاة الظهر قرابة مائة وخمسين شخصا ونظم
الجيش أيضا ، وتقدم للمواجهة ، وبدأ ملك قاسم دون توقف فى القتال
والمهاجمة وبطرفة العين أخمد الأعداء وحقق النصر ، وقتل كثيرا ،
واستولى على أقيال وجياد وأموال ، ووصل باقى الأمراء الى سنبل
فى صباح اليوم التالى ، وفر قاسم سنبل من القلعة وأسرع لمرافقة
الأمراء ، وفرد بساط الطاعة والامتنان ، وأجلوا فتح القلعة الى الغد

وتذرعوا بالأسباب ، وانشغل الأمراء بتدبير الأمر ، وذات يوم جمع شيخ كهورن مجلس الأمراء من أجل قاسم ولكي يدخل الجنود الظافرين القلعة ، وأرسلوا قاسم وأتباعه الى البلاط السليماني .

وفى نفس هذه الأيام أرسل قوة لتسخير بيانة ، وكان هناك نظام خان الذى كان قد التمس الاستمرار فى الحكم ، وفى نفس المكان أيضا كان راناسنكا وهو من الراجوات الهندو كبار الشأن وكان قد خرج من مكانه وحاصر قلعة كيدار التى كانت تحت سيطرة حسن بن مكن ، وبدأ فى الفتنة والفساد والتمرد والعناد ، واتفق فترة مع حسن بن مكن أن يسلمه قلعة كيدار ، وفى ذلك الوقت أمر السلطان الأمير سلطان برلاس وعادل سلطان وأمير محمد كوكلتاش وأمير شاه منصور برلاس وجماعة كبيرة من سلاطين الملوك البارزين بالاستيلاء على قلعة دهولبور من محمد زيتون وتسليمها للأمير سلطان جنيد برلاس ، وأن يتوجهوا الى نظام خان فى قلعة بيانة ، ويتقدموا لفتحها واستئصال نظام خان بالجد والجهاد .

وأصدر السلطان بأمر أمرا الى كثير من الأمراء أصحاب الرأى كى يتخذوا من بيانة مقرا للخلافة بعد أن أرسل الجيوش القاهرة ، وبعد اجتماع هذه الطوائف انعقد مجلس الرأى والمشورة نظرا لأن متمردي نوحانى قد اقتربوا أكثر من قنوج بخمسة آلاف فارس يقومون بالفساد واستولى رانا سنكا على قلعة كيدار وكان هو الآخر على الناحية الأخرى من الفساد والعناد .

ولما قلت الأمطار التى كانت حائلة للارتصال ، وجب التوجه الى أحد الطرفين ، ونظرا لأنه لم يكن يدرك قوة رانا سنكا وأن طغيانه كان بعيدا فى البداية عما ظهر عليه فى آخر الأمر لذا عرض أهل المشورة أن رانا سنكا يغيد عن البلاد ، واقتربا قدمه مستبعد تماما ، ومن اللائق والأنسب صد النوحانيين الذين اقتربوا أكثر ، واستصوب السلطان رأى الأمراء ، وقرر أن يتقدم صوب الشرق بالنفس والنفيس لصد المخالفين الشرقيين ، وعرض الأمير الموفق محمد همايون ميرزا فى هذا المقام أنه « لو اقتضى رأى السلطان أن يقرر هذه الخدمة الى عهدتى فالرأى حينئذ أن يعتمد السلطان على قوة ساعد الدولة السلطانية لدفع هؤلاء الأعداء » وأرضى هذا الأمر خاطر السلطان ، وقرر أن يرسل الأمراء لفتح دهولبور صوب الشرق فى ركاب الأمير الموفق وأرسل سيد مهدي وخواجه محمد سلطان ميرزا على جيش كان قد أرسله لفتح أتاوه أيضا لمرافقة الأمير العالم وجمع سعادته هؤلاء الأمراء فى جليسر من توابع أكره ، وتوقف السلاطين المذكورين عدة أيام فى هذا المكان

للتجمع ، وتوجه صوب الشرق ، وسفر كل هذه الولاية والبلاد ، ونزل
فى « دارابر » فى جونبور .

اثناء ذلك قوى رانا سنكا وتوجه الى بلاد السلطان بغواية حسين
خان ميواتى والأشرار الآخرين ، وأدرك نظام خان حاكم بيانه شره ،
فأرسل رسائل ولاء الى البلاط ، ولما كان متسما بسيم الاسلام وأنه
لم يطمع رانا سانكا ؛ لذا تشفع له مير سيد رفيع الدين محدث صفوى وكان
من أئمة السليمانية ، ونال انعامات لا حصر لها .

وعندما رأى تاتار خان سارنك خان حاكم قلعة كوالير أن رانا
سنكا قد استولى على قلعة كيدار فى ذلك الوقت ، اقترب من بيانه واتفق
بعض الملوك والراجبوت وزمينداران كوالير وبعض المسلمين على
الاستيلاء على قلعة كوالير ، وأرسل الرسل الى بلاط السلطان ، فأرسل
السلطان خواجه رحيم داود على خيل خراسانية وهندية ، وأرسل سحر
نور قطار الذى كان قد ترقى لسابق خدماته برفقة المشار اليه الى حكومة
كوالير ، وأرسل مولانا آفاق وشيخ كهورن أيضا لمساعدتهما ، وعندما
وصلت هذه الجماعة الى كوالير ، انقلب تاتارخان وأظهر عدم الطاعة .

اثناء ذلك جاء الشيخ محمد غوث ؛ وأحواله مذكورة فى هذا
الكتاب على حده ، مواليا ومعه أفواج قاهرة ، لأن هذه الدولة جديدة
بتنظيم الأمور ، ودخل عدد محدود من الجند القلعة وتحقق المقصود ،
ولما كان هذا الشيخ المذكور عالما بعلم أسماء الله الحسنى ودعا لأرباب
فتح القلعة بمعونة أسماء الله ، ومن اليقين أن سهم دعواته قد أصاب
الهدف سواء بتدبير العقل واقبال الأيام السلطانية أو بدعاء هذا الصوفى
الصافى ، وعندما أرسل هؤلاء الأمراء رسالة الى تاتار خان : أن المقصود
بمجيء العساكر الظافرة هو دفع فساد الكفار ومن أجل تسخير هذه
القلعة ، ولخوفه من اغاراتهم فكر فى أن يدخل جمع محدود القلعة وأن
يحتوى باقى الجيش قرب القلعة ، حتى يتحقق المقصود ، واتفق الجميع
على أن يخرج بمرافقة كل منهما الآخر من أجل إطفاء نيران أهل الخلاف ،
وقبل تاتار خان هذا الأمر بعد جهد كبير ، وكان خواجه رحيم داد قد
قطع الطريق الى القلعة مع رجال قليلين ودخل خواجه المشار اليه ،
وترك عددا قرب بوابة القلعة كى يفتحوا البوابة وقت المساء من أجل
أن يدخل الذين بالخارج أيضا فى اطمئنان ، وفتحوا القلعة ليلا ، ودخل
الجيش ، وجعل تاتار خان يسلم القلعة مجبرا أراد أو لم يرد ، واستولى
على القلعة من قبضته القوية ، وسلم المشار اليه القلعة الى رحيم داد ،

وقد زادت القلعة حصانة وحماية الدولة وهيبتها ، وسلم محمد زيتون
أيضا قلعة دهولبور مجبرا وقبل الاعتاب الملائكية ؛

« صارت الدنيا بعظمة الدولة وحاكمها مثل قصر أرم (٥١٧)
وروضة العالم »

« وصلت اليه بشرى الظفر من كل ناحية ، ودوى صوت الأمان في
كل مكان »

المهم عندما وصل رانا سنكا الى حدود بيانه استولى على الممالك
المسخرة للسلطان ، واستولى على الأموال يوما بعد يوم ، وكان السلطان
مع قليل من الجيش في دار السلطنة أكره ، وكان قد أرسل باقي العساكر
المنصورة الى كل ناحية وأصدر أمرا واجب الامتثال باستدعاء الأمير
محمد همايون ميرزا من الولاية الشرقية وأن يسلم جونبور الى بعض
الأمراء والقواد ، ويعود على وجه السرعة ، ووصل فرسان السعادة
الى الأمير الموفق حين انتصر على الأعداء الشرقيين واستولى على
ممالك جونبور ، واطلع على حقيقة الأمر ، وفي هذا الوقت وصل خبر
نصير خان الذي أراد عبور نهر الكنك والفرار من غازي بور ، وانعطف
الأمير العالم صوب هذه الناحية ومد طريق الفرار أمام نصير خان من
غازي بور ، وأدبه أدبا بالغا ونهب وسلب خير أباد وبهار ، وجعل
عاليها سافلها ، وتحرك لواء الدولة صوب جونبور وحسب الحكم
السلطاني ولى خواجه أمير شاه حسين وأمير جنيد برلاس على حكومة
جونبور ، وتوجه الى البلاط السلطاني ، وأدرك الأمير الشاب أنه من أجل
المصلحة والوقت من المهم تدارك أمر عالم خان كالبى ؛ الذى كان من
عظماء دولة الأفغان سواء بالصلح أو الحرب ، واندفعت العساكر
المنصورة على كالبى وبسبب استيلاء الخوف على عساكر عالم خان
فقد دخل فى سلك تابعى السلطان ، ولازم ركاب الظفر ، ونال الانعامات
الملكية الرفيعة ، وفي نفس هذا اليوم تصادق مع قدوة الأعظم والأكابر
خواجه « محمد غوث » الذى وصل من كابل .

ولما كان الجيش الظافر مستعدا لدفع رانا سنكا أمر أن ينظموا
المدفعية جيدا ، ويهتمون باستعدادهما ، واهتم استاد على قلى بأعداد
هذا الأمر الذى كان مجال اهتمام السلطان .

فى اليوم التالى نصب سرانقات عظيمة فى سواد بلدة أكره بنية
الجهاد مع رانا سنكا فى هذا المكان ، وجاء خبر سيطرة جيش الكفار

(٥١٧) « إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » الفجر ٧ .

مؤكدًا ، واتضح أنه قد وصل الى قرب بيانه بجيش أكثر من النمل والجراد (٥١٨) ، واجتمع في هذا المكان بالعساكر وأرسل الطلائع لجمع المجاهدين ودق طبول الارتحال والسفر في الجهات الست ، وصعد ضجيج الطبل والبنفير الى الفلك وعلى الأثير ، ونزل بعد مسافة حول قصبة مندهاكر ، وفي اليوم التالي أمر بنصب الخيام في نواحي كول سينكري المشهورة حاليا (٥١٩) بفتحبور بمشورة الأمراء أصحاب التدبير ، وأرسل الطلائع لمنع العدو من العبور الى قصبة بسادر ، وأراد أن يتحقق من أخبار مرور ونزول العدو من مكان الى مكان حتى يأتي الجيش الظافر للمواجهة ، ونزل مع وجود فاصل قرابة اثنين أو ثلاثة فراسخ ، وجمع السلطان الأمراء ذوي الاقتدار وسائر أهل الاعتبار وأحادي الرجال ، وعقد مجلس المشورة ورأى أكثر الناس أن يستولى البعض على القلاع ، وأن يتقدم السلطان بالنفس والنفيس وأكثر الجيش الى ولاية البنجاب ، وينتظر الهدية الربانية ، وسمع السلطان كلام كل شخص ، وبعد تأمل طويل قال بلسانه الجوهري الكريم : ماذا يقول سلاطين الاسلام الذين هم في أطراف وأكناف العالم ؟ وبأى لسان يذكروننى ؟ وبماذا اعتذر غدا يوم القيامة الى شفيع يوم الحشر من قول وطعن وملامة أهل الدنيا ؟ ان هذه الملكة انفصلت عن يد سلطان الاسلام ، وقتل خلق كثيرون كانوا قريبين من ملتنا وسأتولى عهدة هذه الولاية ، واليوم وأمام هذا الكافر ليس بيدي أقل عذر شرعى بعدم الغزو كى أبحث عن طريق العودة تاركاً ما يصل خلق هذه الديار من هؤلاء الكفار ، فهيهات أن يكون هذا ، لأنه ينبغي أن يوضع القلب على الشهادة ؟

« عندما يكون ضروريا أن تذهب الروح من الجسد ، فمن الأفضل أيضا أن تصل بالعزة »

« نهاية العالم هي نفس هذا وكفى ، ولكن الاسم يبقى طيبا وكفى »

نادى المنادى الجهاد الجهاد ، ومن تأثير هذا النداء اشتعلت النار بالروح ، واتحد الجميع وقالوا بلسان واحد « سمعنا وأطعنا » (٥٢٠) وصاحوا لتكن القبلة هي المراد وفداؤها الأرواح ، ونحن طوعا لكل أوامرك ، وأخيرا قرر أن يحضروا المصحف الشريف بين الجميع

(٥١٨) كان عدد جيش راناسنكا مائة وعشرين ألف فارس (كلبدين بيكم -

همايون نامه ص ١٨)

(٥١٩) سنة ١٠٠٢ هـ

(٥٢٠) البقرة : ٢٨٥

وإقسموا على الكلام الريانى مورد الثقة والاعتماد على اللطف الالهى ،
ونظم القلب والجناح والمينة والميسرة ، واستمدوا من الفاتحة النصر
والظفر ، واتبتوا القدم على « وجاهدوا فى سبيل الله » (٥٢١) وحاربوا
بكل هذه البهجة والسرور محاربة الأسود الجسورة الهصورة ، وكانما
هو وقت المنه وليس وقت الهيجاء ، وخاصة الأمير العالم محمد همايون
ميرزا الذى أبدى شجاعة ، واقتحم جيوش الكفار مرات ، وهجم عدة
هجمات حتى جعل الحق سبحانه وتعالى الفتح والظفر من نصيب سلطان
الاسلام ، ونكب وانقلب الكفار ...

وكان حسن خان ميواتى الذى كان مرتدا وموافقا لهذا الكافر فى
هذه المعركة ، ووصلوا اليه وعلى الرغم من وجود ثلاثين ألف (٥٢٢)
فارس من جيشه الخاص لكن رجال جيشه فروا وهربوا ، وسجد
السلطان بإبر سجدة شكر لهذا الفتح المبين ، ورفع لواء الحمد الالهى ،
وأرسل رسائل فتح الى أطراف وأكناف ولايته ، وجمع الجميع لتسخير
ممالك الهندوستان كلها ، واهتم يوما بعد يوم بأمور المملكة ، وطهر
الهندوستان من الأراذل والأسافل وأرياب الفتنة والفساد .

وفى سنة ٩٣٧ هـ طرأ على الذات المباركة لبابر بادشاه المؤمن
مرض ، وأسرع فى الخامس من جمادى الأول من السنة المذكورة من عالم
الحن الى العالم المقدس ، وكانت مدة سلطنة هذا السلطان ثمانية
وثلاثين عاما كان فيها خمس سنوات فى الهندوستان ، ووصل الى
السلطنة فى سن الثانية عشرة وودع الدنيا فى سن الخمسين :

« لن يكون للسماء فضل الا بالجور ، أمرها أن تجعل الكبد يدمى كل
لحظة »

« حتى لا تعط للأقحوان التاج ولا تجعل له الشرف وحتى لا يطا من
ظلم الأجل »

« ويبرد هذا القصر المحبوب منها وهو مثل كبدى مقولتك جعلته يرقرف »
« ليس لفلك أسلوب الا الجفاء ، الرفساء فى طينته ليس وقاء »

ان بعض خصوصيات احوال هذا السلطان هى من غرائب الأمور ،
من جعلتها أنه كان يجرى ويقفز بحذاء ذى ساق طويلة على مسننات
القلعة ، وأحيانا كان يتأبط رجلين تحت ابطه ويقفز من سنن الى آخر ،

(٥٢١) التوبة : ٢٠ .

(٥٢٢) اثنى عشر ألف فارس (كلبدن بيكم - همايون تامه ، ص ١٨) .

واخترع خطا أسموه بالخط البابري ، وكتب مصحفا بهذا الخط وأرسله الى مكة ، وكان يقرض شعرا فارسيا وتركيا جيدا ، واعتنى بكثير من الفضلاء والعلماء (٥٢٣) ونظم كتابا في الفقه الحنفي باللغة التركية أسموه باسم « مبین » ورسائله وعروضه مشهورة ، وتفصح وقائمه المكتوبة بالتركية عن فصاحته .

ذكر سلطنة الأمير السعيد همايون بادشاه بابر بادشاه :

لما كانوا قد ذكروا في اصطلاح هذه السلسلة العالية أن هذا السلطان يلقب بـ « جنت آشياني » فأننى أيضا لن أحيده عن الاسم المشهور لهذا السلطان السعيد ، جنت آشياني .

المهم عندما رحل السلطان بابر بادشاه في أكره عن الدنيا الفانية الى الجنة الباقية ، في هذه الأيام كان قد انتظم والد مؤلف التاريخ محمد مقيم الهروي في زمرة تابعى السلطان بابر وكان يعمل بوظيفة « ديوان بيوتات » (٥٢٤) ولما كان الأمير نظام الدين على خليفه ، الذى كان مسئولاً عن حكومة السلطنة كان يخشى ويخاف الأمير الشاب همايون محمد ميرزا بسبب بعض الأمور التى وقعت فى المعاملات الدنيوية ، لذا لم يكن راضيا عن سلطنته ، ولما لم يكن راضيا عن سلطنة الابن الكبير وكان راضيا عن الابن الصغير ونظرا لأنه كان كريما وله علاقة طيبة مع أمير خليفة لذا قرر أمير خليفة أن يرفعه الى السلطنة ، وشاع هذا الكلام بين الناس ، فذهبوا أيضا للسلام على مهدى خواجه ، وأدرك هو أيضا هذا المعنى ، فسلك سلوك السلطنة ، وحدث أن ذهب مير خليفة لملاقاة مهدى خواجه الذى كان فى خيمته ، ولم يكن فى هذه الخيمة سوى مير خليفه ، والد المؤلف محمد مقيم ومهدى خواجه ، وعندما جلس مير خليفه لحظة استدعوه بسبب مرض السلطان بابر المفاجئ وعندما خرج مير خليفه من خيمة مهدى خواجه ظل مهدى خواجه جالسا فى الخيمة وظل والد المؤلف واقفا خلفه مراعاة للأدب ، ولما كان مهدى خواجه مصابا بالحنين ، وكان خالى الذهن من وجود والد المؤلف ، وبعد وداع مير خليفة ، ووضع يده على رأسه وقال :

« أن شاء الله اننى سأسلم جلدك أولا ، وبمجرد قول هذا رأى والد المؤلف ، تغير وأخذ أبى من أذنه ، وقال ، أيها التاجيكى (٥٢٥) »

(٥٢٣) من شعراء وفضلاء عصره مولانا بقائى وخواجه كلان بيك ومير آخوند (منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٤١) .

(٥٢٤) المسئول عن المحال التجارية ويسمى أيضا « ناظر بيوتات » (ماجيدار : تاريخ الهند بالانجليزية ، ص ٥٥٧) .

(٥٢٥) التاجيكى فى الأصل تازيك وكان الايرانيون اول من أطلقها على العرب .

« ان طرف اللسان الأحمر يستخدم فى اللغو »

واستأذن أبى وخرج ، واسرع أبى الى مير خليفه وقال له مع
انك لن تجد افضل من محمد همايون ميرزا واخوته ذكاء ، تغض النظر
عن الحلال وتريد أن تنقل هذا الملك الى أسرة غريبة ، ونتيجة هذا لن
تكون الا ذاك ، وروى كلام مهدي خواجه ، فأرسل مير خليفه من ساعته
شخصا بسرعة فائقة لاستدعاء همايون ميرزا ، وأرسل القواد الى مهدي
خواجه بأن السلطان قد أمر بحمله الى منزله ، وفى هذا الوقت كان مهدي
خواجه يتناول الطعام ومد المائدة ، وتجمع القواد حوله ، وحملوه الى
منزله سواء أراد أم لم يرد ، وبعد ذلك أمر مير خليفه أن ينادى المنادى
بألا يذهب أى شخص قط الى منزل مهدي خواجه ولا يسلم عليه ، وألا
يأتى هو الى البلاط . . .

وعندما انتقل السلطان بابر من العالم القانى ، ووصل همايون
ميرزا من سنبل ، جلس بسعى الأمير نظام الدين على خليفه وكيل
السلطنة على عرش الحكم ومسند الدولة فى التاسع من جمادى الأول
سنة ٩٣٧ هـ (٥٢٦) وجعل أكره مقرا له « ٥٢٧ » وخير الملوك (٥٢٨)
تاريخ لجلوس هذا السلطان وقدم لوازم التكريم ، وحظى الأمراء والأعيان
بالانعامات الملكية العالية ، وقرر المناصب والأشغال التى كانت بعهد
الرجال فى أيام بابر كما هى فى سابق عهده ، وسعد كل واحد بعناية
جديدة ولطف غير محدود ، ووصل ميرزا هندال من يدخشان فى نفس
هذه الأيام ونال الانعامات ، وتباهى بما أنعمه عليه من خزائن السلاطين
السابقين وألقى وقعت فى يده وعندما قسم الذهب بالصندوق صارت
« كشتى زر » (٥٢٩) تأريخا لذلك ، وقسم البلاد بالمرّة وأنعم على ميرزا
هندال بولاية ميوات (٥٣٠) وأقر ميرزا كافران على ولاية البنجاب
وكابل وقندهار (٥٣١) وأنعم على مرزا عسكرى بسنبل ، وخص كل

= وانتقلت الى الصين ، ويحتمل أن تكون قد وصلت للترك حسب النطق التركى « ته زيك » ،
وتغيرت دلالة اللفظ بعد ذلك ، وفى القرن الحادى عشر كانت تطلق على الايرانيين ، وإغلب
الظن أن الأتراك أطلقوها على العرب وحدهم ، ثم أطلقوها على كل المنتسبين الى المدينة
الاسلامية ثم بعد ذلك على الايرانيين خاصة لأن الأتراك كانوا يفرقونهم أكثر من غيرهم
(تاريخ الترك فى آسيا الوسطى - يارتولد ترجمة أحمد السعيد سليمان ص ٣٨-٣٩) .

(٥٢٦) أبو الفضل بن المبارك ، ص ١٣٨ .

(٥٢٧) ولى سنة ٩١٦ هـ فى ٤ ذى القعدة (أكبر نامه ، ص ١٤٩) .

(٥٢٨) خير الملوك = ٩٣٧ هـ .

(٥٢٩) كشتى زر = ٩٣٧ هـ (بداوى ج ١ ص ٢٤٤) .

(٥٣٠) ميوات وآلور (أكبر نامه) .

(٥٣١) ولى كافران على كابل وقندهار وطمع فى البنجاب

أمير من الأمراء بمزيد من الاقطاعات (٥٣٢) وبعد انتظام مهام السلطنة تحركت الرايات العالية الى كاليينجر ، وتقدم راجه هناك طائعا مواليا ، ودخل ضمن مؤيدي الدولة (٥٣٣) ولما كان السلطان محمود ابن السلطان سكندر لودى فى هذه الأيام قد رفع بالقوة والاستعلاء راية العداء والاتفاق مع ابن بايزيد وأمراء الأفغان وكان قد استولى على ولاية جوبنور ونواحها ، ومن هناك توجهت رايات السلطان لدفع ورفع هذا ، وتحقق له النصر والفوز ، وعاد أيضا ركاب النصر والظفر بالنجاح والتوفيق الى آكره (٥٣٤) وأقام حفلا عظيما ، ونال كل أمير من الأمراء وأعيان السلطنة الخلع الفاخرة والجياد ، ويقال أنه فى هذا الحفل الرفيع نال اثنا عشر ألف شخص أردية مرصعة بالذهب .

« كان للملك سيطرة على العدو ، مثل جيش هادى ومنعم »
 « وأسفاه لديهم جيش كبير ، وأسفاه نفس يده من السيف »
 ومن الصدف الغريبة فى تلك الأيام هي أن محمد زمان مرزا بن بديع الزمان مرزا بايقرا (٥٣٥) الذى كان قد لجأ من قبل الى بلخ بالسلطان جابر ، ودعا الى المعارضة ، وأسروه (٥٣٦) وسلموه لياككار طغلا وأرسله الى قلعة بيانه وأمر بسمل عينيه وأعمائه ، ولكن خدم يادكر بذك أنقذوا انسان عينه من ضرر السمل (٥٣٧) وفى مدة وجيزة فر من السجن ، ولجأ الى السلطان بهادر كجراتى وأرسل السلطان همايون الى السلطان بهادر طالبا محمد زمان ميرزا ، ورد السلطان بهادر بجواب غير ملائم بسبب تكبره وتجبره ، وأبدى عدا وتمردا ، وتحرك برق الغيرة والحمية الملكية ، فعزم السفر الى الكجراتات وتأديب السلطان بهادر ، وفى نفس هذا الوقت نهضت رايات الفتح صوب كواليار ، وقضى شهرين فى التنزه والصيد ، وعاد .

وحدث فى هذا الوقت أن حاصر السلطان بهادر بجيوش الكجرات ومالوه قلعة جتور وقاتل راناسنكا ، وأرسل تاتارخان لودى وكان من

-
- (٥٣٢) أنعم على ميرزا سليمان بيدخشان ج ١ ص ٢٤٤ (اكبر نامه ج ١ ، ص ١٥١) .
 (٥٣٣) فتح همايون كاليينجر (بداونى ج ١ ص ٢٤٤) .
 (٥٣٤) ترك سلطان جنيد برلاس على جوبنور (اكبر نامه ج ١ ، ص ١٥٢) .
 (٥٣٥) محمد زمان مرزا بن بديع الزمان ابن السلطان حسين بايقرا (اكبر نامه ج ١ ص ١٥٢) .
 (٥٣٦) سجن محمد زمان ميرزا بسبب قتله حاجى محمد كوكا (كلبدين بيكم ، ص ١١٤) .
 (٥٣٧) سجن محمد زمان ميرزا ومحمد سلطان مرزا وولى خوب مرزا فى بيانه وسمل عينى محمد زمان وولى خوب (اكبر نامه ص ٢٨٩) .

أمرائه ذوى الشأن لشجاعته وقدرته لتسخير قلعة بيانه ، واستولى على قلعة بيانه ، وأخذ يهدد آكره .

أرسل السلطان همايون مرزا هندال لصدده ، وتفرق أكثر جيشه عند معرفة خبر قدوم مرزا هندال ، وواجهه بثلاثمائة شخص وهاجم الجيش جيش الميرزا ، وقامت الحرب ، وقتل جماعة من مرافقيه ، ودخلت بيانه وتوابعها تحت سيطرة رجال الدولة الناهضة ، واضطرب السلطان بهادر عند سماع هذا الخبر .

تقدم السلطان همايون فى هذا الوقت (٥٣٨) لتأديب السلطان بهادر ، وشحن همته ، وتوجه من آكره بعزم صادق ، وجاء السلطان بهادر من الكجرات فى المرة الثانية ، وعمل على محاصرة جتور ، وفى نفس هذه السنة ذهب مرزا كامران من لاهور الى قندهار وفتحها ، وتفصيل هذا الاجمال هو أنه حين عزل شاه طهماسب غروار خان عن حكومة هرات وعين صوفيان خليفه ، أغوى غروار خان سام مرزا أخا الشاه ليرفعه على حكومة قندهار وحتى يرسله لفتحها لتكون ملاذا له ، وتحصن خواجه كلان بيك الذى كان حاكما لقندهار من قبل كامران ، وحاصر سام ميرزا وغروار خان قلعة قندهار ثمانية أشهر ، ونظرا لأن خواجه كلان كان غاية فى الشجاعة والاقدام ، لم يجعل القزلباش (٥٣٩) يتقدمون خطوة ، وأسرع كامران مرزا لمشاهدة خواجه من لاهور واصطف فى نواحي قندهار لمهاجمة سام مرزا وبقتدير وشجاعة خواجه كلان بيك تحقق النصر ، وأسر غروار خان فى المعركة ، وقتل ، وهزم سام مرزا ، وفر المضطربون على حال سيئة الى الشاه ، وهذا المصير تأريخ لهذه الحادثة :

« ضرب السلطان كامران سام » (٥٤٠)

عندما علم السلطان بهادر بتوجه رايات السلطان همايون ، عقد مجلس الحرب ، وقال أكثر جنوده من أنه ينبغى ترك محاصرة القلعة وقال صدرخان وكان من أعظم أمراء عصره اننا نحاصر الكفار وإذا جاء الينا فى هذا الوقت سلطان المسلمين يكون حاميا للكفار وسيشيع.

(٥٣٨) غرة جمادى الاولى سنة ٩٤١ هـ (اكبر نامه ، ص ١٥٩) .

(٥٣٩) القزلباش : كلمة تركية اطلقت على المغول الذى كانوا اتباع الشيخ حيدر ، وكانوا يرتدون القبعات الحمراء والكلمة هنا تطلق على الجنود الفرس (شتايچس) ص ٩٦٩ .

(٥٤٠) « زده بادشه كامران سام را » = سنة ٨٤١ وهى تأريخ خطأ .

هذا الأمر بين المسلمين حتى يوم القيامة ، ومن الأفضل أن نظل محاصرين للقلعة ، ومن العيب أن يأتي السلطان إلينا في هذا الوقت ، وعندما وصل السلطان همايون إلى سارنكبور من بلاد مالوه وصله هذا الكلام ، فتوقف لهذا السبب ، وسعى السلطان بهادر للاستيلاء على جتور ، واستولى عليها قهرا وجبرا ، وغنم مغانم كثيرة ، وأعد حفلا من أجل هذا الفتح العظيم وقسم ما كان قد غنمه على الجنود ، وتوجه إلى السلطان همايون ، وتوجه السلطان أيضا نحوه عند سماع خبر فتح جتور ، وتقابل الجيشان في مندسور (٥٤١) من توابع مالوه ، وهزم السلطان (همايون) على خان وخراسان خان اللذين كانا قد التحقا بالسلطان بهادر وهزمهما الجيش الظافري أول لقاء ، وتحطم جيش الكجرات ، واستشار السلطان بهادر الأمراء وأرباب الحرب ، فقال صدرخان ينبغي أن نحارب غسدا لأن الجنود قد قدموا من فتح جتور أقرباء وحتى الآن لم يروا جيش المغول ، وقال رومي خان (٥٤٢) ، وكان مسئولا عن مدفعية السلطان بهادر ، إن المدفعية والبنادق لها فعاليتها في الجرب ، والمدفعية هامة جدا ، ونظر لأن هذه المدفعية التي لدينا لا مثيل لها إلا عند قيصر الروم ، فإن الصلاح أن يحفر الجيش خندقا حوله ويقاثل كل يوم ، وعندما يصل جيش المغول سيهلك أكثره من ضرب المدافع والبنادق ، وقبل السلطان بهادر هذا الرأي وأمر بحفر خندق حول المعسكر ، وتقابل الجيشان ليومين في مواجهة بعضهما ، وخرج الفتيان في أكثر الأيام في دفعات انتحارية ، وسعوا للحرب والقتال وكان جنود المغول لا يذهبون لمواجهة المدفعية ، وأرسل السلطان همايون الجيوش ، وحاصر أطراف جيش بهادر ، ومنع قدوم الغلة والوقود والحبوب وعندما مرت عدة أيام على هذا المنوال أصيب معسكر السلطان بهادر بالقحط ، ولم يجد غلة ، ونفذ العلف الذي كان في النواحي ، ولم يستطع الكجراتيون بسبب نقص السلاح وخشية السهام الابتعاد قليلا عن المعسكر ، ونفذ العلف ونفقت الجياد والأبل ومات أناس كثيرون من الضعف وهزم جيش الكجرات ، وعندما أدرك السلطان بهادر أن توقفه مرة أخرى سيوجب أسره خرج مع خمسة أشخاص من أمرائه الاعتباريين أحدهما حاكم برهانپور وآخر هو قادر شاه حاكم مالوه من خلف الخيمة ، وفروا صوب مندو ، وعندما علم الجنود بفرار السلطان فر كل منهم إلى ناحية ، وتأريخ هذه الواقعة « ذل بهادر » (٥٤٣) .

(٥٤١) على شاطئ نهر كبير (أكبر نامة ص ١٦٠) .

(٥٤٢) كان لقب « روس خان يطلق على المسئول عن المدفعية لأنهم عرفوا المدفعية

عن طريق أترك آسيا الوسطى أي الروم (اليوت ج ١ ط ١ الهند ص ٢٣) .

(٥٤٣) ذل بهادر يساوي سنة ٩٤٢ .

المهم ركب السلطان همايون بعد أن علم بفرار العدو عازماً تعقبه ، ووصل إلى صدرخان الذي كان قد فر مع جمع غفير بطريق مندو وظن أنه السلطان بهادر ، فقصده ؛ ولم يكن يعرفه سوى ثلاثة آلاف شخص ، وكان باقي الجنود يغيرون على المغول ، وقتل كثيراً من جنود الكجرات وتعقبه السلطان حتى سفيح قلعة مندو ؛ وحاصر السلطان بهادر في قلعة مندو ، وامتد الحصار عدة أيام ، وأخيراً دخل الجيش القلعة ليلاً ، وكان السلطان بهادر نائماً ، وحدثت ضوضاء عالية واضطرب الكجراتيون ، وسلكوا طريق الفرار ؛ وفر السلطان بهادر بخمسة أو ستة فرسان بطريق الكجرات ، ولجأ صدرخان و السلطان عالم إلى قلعة سونكز وهي قصر في قلعة مندو ، وبعد يوم واحد خرجا وحضر سلطان عالم وصدرخان وكان جريحاً للآزمة السلطان همايون وسجنوا صدرخان بامر السلطان (٥٤٤) وقطعوا قدم سلطان عالم ، وترك السلطان القلعة بعد ثلاثة أيام ، وتوجه إلى الكجرات ، وحمل السلطان بهادر الخزانة والجواهر ، التي كان يمتلكها معه من قلعة جانبانير (٥٤٥) وذهب إلى أحمد آباد ، وعندما ترك السلطان قلعة جانبانير وتوجه إلى أحمد آباد ، لم يكن للسلطان بهادر طاقة لمقاومته فذهب من أحمد آباد إلى كنباييت ، واستولى المغول على مدينة أحمد آباد وانتهبت ، وسقطت في أيديهم غنائم وفيرة ، وعجل جلالته بمتابعة السلطان بهادر ، وعندما وصل السلطان بهادر إلى كنباييت بدل الجياد التي معه بجياد جديدة ، وتوجه إلى ميناء ديون ، ووصل السلطان إلى كنباييت في آخر نفس اليوم الذي رحل فيه بهادر (٥٤٦) وفي آخر اليوم التالي جاءت امرأة (٥٤٧) متظلمة وقالت أن رجلاً سيغزون على هذه الناحية الليلة فسألها السلطان ما هو الدافع لهذه الشفقة على هذا الجيش أجابت أن ابني أسير في هذا الجيش ، وأريد أن أثبت حقي عندكم وأخلص ابني ، وقضى السلطان الليلة بطولها حذراً ، وعند الصباح أغار خمسة أو ستة آلاف من المشاة (٥٤٨) وخرج الجنود الذين كانوا على استعداد من المعسكر ، وأطبّقوا عليهم جميعاً ، وأدخلوهم المعسكر ، وانتهبواهم وعندما طلع الصباح حاصر المغول الكجراتيين من الأطراف والجوانب ، وقتلوا الكثير

(٥٤٤) عومل صدرخان معاملة حسنة وقطعت قدم سلطان عالم لأنه أثار التمرد (أكبر نامه ، ص ١٦٤) .

(٥٤٥) أشعل النار في المدينة قبل تركها (أكبر نامه ، ص ١٦٤) .

(٥٤٦) وعسكروا على شاطئ البحر (أكبر نامه ، ص ١٦٥) .

(٥٤٧) امرأة عجوز (أكبر نامه ، ص ١٦٦) .

(٥٤٨) قام بهذا الهجوم ملك أحمد لاد وجمع من أمراء بهادر شاه (أكبر نامه ،

ص ١٦٦) .

منهم ، وكان جام فيروز الذى كان حاكما على تهته وهزم من جيش أرغون وجاء الى الكجرات ، واعطى ابنته للسلطان بهادر ، وكان قد أسر أثناء هزيمة السلطان بهادر بيد جنود السلطان همايون ، وظن حراسه فى هذه الليلة أنه يفكر فى الهرب فقتلوه ، وفى نفس هذه الليلة قتل صدر خان الكجراتى فى قلعة سونكر والذى كان ملاما للسلطان .

رحل المعسكر الظافر فى اليوم التالى الى جوار قلعة جانبانير ، وحاصر القلعة ، واستعد اختيار خان حاكم القلعة للدفاع عنها ، وذات يوم كان السلطان يتجول حول القلعة ، ووقع نظره على جماعة خرجوا من الغاية وعند رؤية الجيش خافوا وعادوا الى الغاية فعهد السلطان همايون الى قوة بمتابعتهم ، وقبضوا على عدد منهم ، وعلم أنهم يحملون الغلة والزيت الى القلعة بمساعدة زمينداران المجاورين ، الى هذا المكان المرتفع العالى (٥٤٩) ورأى همايون بنفسه الهمايونية (٥٥٠) نفس المكان الذى كان يسحبون منه الغلال ، وتفحص هذا المكان وعاد ، وخطر له خاطر ، ان القلعة حصينة من هذه الناحية وسيخطر لأهل القلعة ان يقللوا من حماية هذه الناحية ، فأعد الشيخ فولاد باعداد قوى ، وقاتلوا أهل القلعة نهارا من كل ناحية ، وفى الليل توجه ثلاثمائة شخص ، ودقت المجموعة المسامير الفولاذية ، وأحكموها وصعدوا ولما لم يكن يخطر ببال أهل هذه الناحية فقد صعد تسع وثلاثون رجلا وكان آخرهم بيرم خان وصعد أيضا السلطان الى أعلى (٥٥١) :

« ان شجاعة هذا الانسان هى زينة »

وبقاء الجوهر الأدمى يكون فخرا للرجال المضحين ، جعل من رأسه درعا للشجان .

دخل القلعة ثلاثمائة شخص حتى طلع الصباح ، وكان فى نفس هذا الموضوع محل مخازن الغلال والزيت وما يحتاج اليه أهل القلعة ، وعندما أشرق الصباح ، هجم الجيش كله مرة واحدة على القلعة ، وكبر السلطان من أعلى ، وفتحت القلعة أمام الجنود ، وفتحوا هذه القلعة الحصينة ، ولجأ اختيار خان (٥٥٢) بقصر القلعة وهو مشهور « بقولب » وقتلوا أكثر أهل القلعة ، وأبقى كثير من النساء والشباب أنفسهم من القلعة ،

(٥٤٩) كان ستون أو سبعون قدما ارتفاعا (اكبر نامه ، ص ١٦٨) .

(٢٥٠) همايونية صفة بمعنى السعيدة فهى من كلمة هما وهو طائر يجلب السعادة .

(٥٥١) أراد السلطان أن يصعد مع تسع رجال فطلب منه بيرم خان أن ينتظر حتى

يستجلى الأمر وصعد بيرم خان وتبعه السلطان (اكبر نامه ، ص ١٦٨) .

(٥٥٢) كان اختيار خان شاعرا (اكبر نامه ، ص ١٩٧) .

وهلكوا ، وأخيرا خرج اختيار خان ولازم السلطان ، ولما كان اختيار خان من الكجراتيين الذين يمتازون بالفضيلة ، فقد أنعم عليه وسلك في سلك الندماء ، وقسم جلالة السلطان همايون خزائن سلاطين الكجرات التي كانوا قد جمعوها في سنوات طويلة واستولى عليها الجنود ، وانتهب الأمتعة والأقمشة الرومية والافرنجية والصينية والختائية (٥٥٣) التي كانت مخزونة في خزائن حكام الكجرات ، واستولى الجيش على ذهب وأمتعة لا حصر لها بسبب ذلك ، ولم يستلمع أى شخص قط أن يحصى دخل ولاية الكجرات في هذه السنة .

أرسل أهل الكجرات رسولا الى السلطان بهادر برسالة يخبروه ان أكثر المناطق لم يحتلها المغول ، وإذا أرسلت جيشا فسنرسل لك المال المقرر ، وأرسل السلطان بهادر غلامه عماد الملك الذى كان متصفا بالشجاعة ، وأعد عماد الملك جيشا ، ولما تجمع لديه قرابة خمسين ألف فارس (٥٥٤) ونزل بظاهر أحمد آباد ، وشرع في تحصيل المال ، وعندما علم السلطان همايون بالخبر بعد فتح جانبانير وزع السلطان ذهبا كثيرا على الجيش للمرة الثانية من غنائم الكجرات وسلم جانبانير لتردى بيك وتوجه بنفسه الى أحمد آباد ، وجعل ميرزا بيك وميرزا يادكار ناصر وميرهندوبيك على مقدمة الجيش وتقدموا عنه بمسافة يوم ، وتقاتل عماد الملك مع ميرزا عسكري في نواحى محمود آباد (٥٥٥) على مسافة اثني عشر فرسخا من أحمد آباد ، وهزم وقتل كثير من الطرفين ، وسمعت أنا من أبى (٥٥٦) الذى كان في ذلك الوقت وزيرا لميرزا عسكري ان الجو وقت الظهيرة كان حارا جدا ، وأسرع الكجراتيون من أحمد آباد وكان ميرزا يادكار ناصر قد نزل على الميمنة وميرزا عسكري بمقدار نصف فرسخ وكان هندوبيك على الميسرة بنفس المسافة من الميرزا ونظرا لسرعة الكجراتيين لم تسنح الفرصة لميرزا كي ينظم الجيش ، فدخل مع عدد محدود في منطقة أشواك ، ووقف ، ولم يهتم الكجراتيون بالميرزا ، واهتموا بالسلب والنهب واستولوا على غنائم كثيرة ، وتفرقوا ، وظهر ميرزا يادكار ناصر وميرهندوبيك في ذلك الوقت بجيوش منظمة ، وسلك الكجراتيون سبيل الفرار ، وخرج ميرزا عسكري أيضا من هذه

(٥٥٣) الرومية أى التركية والافرنجية أى الأوربية والختائية من بلاد الختات أو الصين .

(٥٥٤) التحق به مجاهد خان في جناكره باثنى عشر ألف جواد (أكبر نامه ، ص ١٦٩) .

(٥٥٥) بين ناريناد ومحمود آباد (أكبر نامه ، ص ١٧١) .

(٥٥٦) نظام الدين أحمد وأبوه محمد مقيم الهروي .

الآشواك ، وأظهر نفسه ، وتعقبوا الكجراتيين حتى أحمد آباد ، وقتلوا
فى هذه المعركة أكثر من ألفى شخص .

المهم ، أنعم السلطان همايون على ميرزا عسكرى بأحمد آباد
وتوابعها منذ ذلك الفتح (٥٥٧) ، وجعل ميرزا يادكار ناصر مسئولاً عن
نهر واله وبتن ، وعين ميرهندوبيك على بروج وتردى بيك على جانيانير ،
وأنعم على قاسم حسين ببروده ، ونال خانجهان شيرازى وأمراء آخرون
أيضاً الانعامات ، وعاد السلطان همايون بالنصر والفتح ووصل إلى
بهرمانبور ومنها توجه إلى مندو .

بعد فترة قام أحد أمراء السلطان بهادر فى نوسارى قرب سورت
بتحصين المكان ، وسيطر على أهالى نوسارى ، وهاجم رومى خان (٥٥٨)
قابع خانجهان بهروج من بندر سورت ، ولم يستطع قاسم حسين مقاومته
ففر إلى جانيانير ، وشرع الكجراتيون أيضاً فى العصيان فى كل ناحية ،
وحدث خلل فى كل جانب .

وحدث ذات ليلة أن جرى على لسان ميرزا عسكرى فى مجلس
شراب بسبب السكر ، أنتى السلطان ظل الهى ، وغمغم غضنفر الذى
كان من رفاق الأمير وأخو مهدى قاسم قائلاً « انك ثمل » فضحك
تدماؤه ، وأدرك ميرزا حقيقة الضحك ، فغضب ، وألقى غضنفر فى
السجن ، وبعد عدة أيام فر من السجن (٥٥٩) وذهب إلى السلطان
بهادر ، وحرضه للمقدوم إلى أحمد آباد ، وقال : « أنتى أعلم من خلال
مشورتى للمغول أنهم يفكرون فى الفرار ، اسجنى واذهب إلى المغول
فإن جاء المغول للحرب أقتلنى » واتفق السلطان بهادر مع زمينداران
ولاية سورت (٥٦٠) وتوجه إلى أحمد آباد ، وفى هذا الوقت حرّض ابن
هندوبيك ميرزا عسكرى كى يجعل الخطبة والسكة باسمه ، وأن يرفع
لواء السلطنة ، وسوف يضحى الجنود فى ملازمته ويحققوا أمله ، ولم
يقبل ميرزا عسكرى هذه النصيحة ولم يوافق أيضاً وبعد الجسدال
الطويل قرر ميرزا عسكرى وميرزا يادكار ناصر وأمير هندوبيك والأمراء
الآخرون ترك أحمد آباد ، وأقاموا المعسكر خلف أساول (٥٦١) فى

(٥٥٧) لم يسمح بدخول المدينة إلا لرجال مرزا عسكرى (أكبر نامه ، ص ١٧٢) .

(٥٥٨) رومى خان خدا وند ١ .

(٥٥٩) فر بثلاثمائة جواد (أكبر نامه ، ص ١٧٤) .

(٥٦٠) سورت من مقاطعات كاتيوار ١ .

(٥٦١) بظاهر أحمد آباد .

مواجهة سركنج » ونزل السلطان بهادر أيضا في سركنج ، وتقابلا ، وحدثت أن انطلقت قذيفة من جيش ميرزا عسكري ، فقلبت بلاط السلطان بهادر ، واضطرب السلطان بهادر ، واستدعى غضنفر للحضور لمعاقبته ، فقال غضنفر أتعاقبني قبل أن تنظم الصفوف ! ، لقد وصلني أن ميرزا عسكري سيفر ليلا ، وعندما جل المساء ، ترك ميرزا المعسكر بموافقة الأمراء ، وذهب إلى جانبانير ، ونزل على مسافة عشرة فراسخ ، وتعبه السلطان بهادر ، ووصل إليه ، وركب ميرزا عسكري والأمراء الحرب السلطان بهادر ، وقام بحركة انتحارية ، وعاد ، وعندما وصلوا إلى جانبانير ثار تردى بيك عليهم وتحصن ، وأخبر السلطان همايون أن ميرزا عسكري قد سلك طريق العصيان ، ويعتزم الوصول إلى آكره ، ويرفع لواء السلطنة ، وقبل أن يفر ميرزا عسكري من أحمد آباد ، ومع أن العيون وكتاب الوقائع (٥٦٢) قد عرضوا أن الكلام الذي عرضه مير هندوبيك بصدد سلطنة ميرزا عسكري من أن ميرزا لم يقبله ، وكتبوا إلى السلطان همايون أن ميرزا يفكر في المعارضة ، المهم توجه السلطان همايون بسرعة تامة إلى آكره ولازمه ميرزا عسكري في نفس الطريق (٥٦٣) وعرض عليه حقيقة الأمر ، وتصالح السلطان بهادر مع تردى بيك في جانبانير .

وفي أوائل هذه السنة جاء شاه طهماسب (٥٦٤) إلى قندهار للانتقام من ميرزا (كامران) وأخلى خواجه كلان بيك القلعة ، وتوجه إلى لاهور ، ويروون أن كلان بيك كان قد أقام بيتا صينيا بكامل أبهته ، وعند الفرار كان مؤثثا بالأبسطة النفيسة والأواني الجميلة ، مما سر الشاه وسلم الشاه قندهار لأمرائه ، وذهب إلى العراق (٥٦٥) وعاد ميرزا كامران من لاهور إلى قندهار ولم يكن لدى التركمان مقدرة للمقاومة فخرجوا من القلعة آمنين ، وذهبوا إلى العراق ، ودخلت قندهار تحت سيطرته ثانية .

المهم عندما وصل السلطان همايون إلى آكره ، واستقر عاما واحدا ، قضاه في المرح واللهو ، وكان السلطان بهادر قد أرسل محمد زمان ميرزا وقت الهزيمة إلى الهند ليثير الفساد ، وجاء محمد زمان

(٥٦٢) وقائع نويس .

(٥٦٣) قرب جنور (اكبر نامه . ص ١٧٦) .

(٥٦٤) شاه طهماسب صفوى (٩٣٠ هـ - ٩٨٤ هـ) حاكم ايران .

(٥٦٥) يقصد بالعراق « ايران » .

ميرزا الى لاهور (٥٦٦) وقتما كان ميرزا كامران في قندهار ، وحاصرها وعندما سمع خبر عودة السلطان همايون ، عاد الى الكجرات ، وكان شيرخان (٥٦٧) يستولى على ولاية بهار وجونبور وقلعة جنار أثناء رجوع السلطان همايون في ولاية الكجرات ومالوه ، وكان قد قبض نفوذه تماما وأدرك السلطان همايون أنار الله برهانه أنه من الأولى دفع فتنته ، فتوجه في الرابع عشر من صفر سنة ٩٤٢ هـ بجيوش منظمة لصيد شيرخان ، وعندما نزلت رايات السلطان همايون بظاهر قلعة جنار (٥٦٨) جاء رومي خان الذي كان عند السلطان بهادر للالزمة السلطان ونسب الولاية (٥٦٩) ، وتعهد بفتح هذه القلعة ، وسمح له السلطان ، وأمر أن يعدوا ما يطلبه لتسخير القلعة ، وتفقد رومي خان أطراف القلعة ، وعلم أن كل ما يتصل باليابسة من القلعة حصين تماما ولن يتصل يد تدبيره الى القلعة من هذه الناحية ، وبناء على هذا أقام من ناحية النهر سفينة كبيرة ، وشرع في إقامة سابات أعلى السفينة ، وعندما ارتفع السابات لم تستطع السفينة حمله فأقام سفينة أخرى على ناحية أخرى على الناحية الأخرى وربطهما بالأولى ، ورفع السابات مرة أخرى ، ولم تتحمل السفينة أيضا نفس هذه الطريقة فأقام سفينة أخرى ورفع السابات الى القلعة ، ووصل السابات الى القلعة مرة أخرى ، وعندما رأى قواد هذه القلعة أن أمر الحرب ذهب من أيديهم ، ركبوا السفينة ليلا وذهبوا الى البلاط (٥٧٠) ، ونال رومي خان الانعامات من السلطان همايون ، وبأمر السلطان قطعوا يد حملة البنادق الذين كانوا في هذه القلعة .

كان شيرخان أفغان يقاتل حاكم البنغال (٥٧١) وفر حاكم البنغال جريحا أمامه ، ولجأ الى بلاط السلطان همايون ، وتوجه السلطان الى البنغال على عجل ، فأرسل شيرخان ولديه جلال خان وخواص خان (٥٧٢) لحماية كرى الواقعة على طريق البنغال ، وكري مكان حصين يقع على طرفه جبل مرتفع وغابة عظيمة لا يمكن أحد أن يفكر في الصعود

-
- (٥٦٦) ذهب الى لاهور حين كان كامران في قندهار وحاصر شاه حسين بن شاه بيك أرغون وعاد الى الكجرات بمجرد عودة كامران (اكبر نامه ص ١٧٧) .
 - (٥٦٧) شير خان مؤسس دولة الأفغان السورية .
 - (٥٦٨) كانت تحت سيطرة قطب خان بن شير خان .
 - (٥٦٩) بعد هزيمة السلطان بهادر في مندو (اكبر نامه ، ص ١٨٢) .
 - (٥٧٠) منهم حاكم القلعة ولكنه توفي بعد عدة أيام مسموما وتولى أمر جنار بيك ميرك (اكبر نامه ، ص ١٨٤) .
 - (٥٧١) وهو سيد محمود شاه ويدعونه أبا الفضل نصيب شاه ولكنه توفي (اكبر نامه ، ص ١٨٢) .

عليها مطلقا ، وعلى الطرف الآخر يتصل بنهر الجانج ، وكري في الوسط بين بهار والبنغال ، وأرسل السلطان جهانكير بيك مغل لمهاجمة كرى ، وكان هندال ميرزا قد التحق برفقة الركب الظافر حتى منكير ، وبعد ذلك سمح له السلطان بالسفر الى آكره لصعد محمد سلطان ميرزا بوالغ ميرزا وشاه ميرزا الذين كانوا قد فروا من السلطان ، وأثاروا الفساد في الدولة ، ولما لم يحقق محمد زمان ميرزا النجاح في الكجرات أرسل الرسل الى السلطان وطلب الأمان ، ونال الأمان ، وتوجهه الى البلاط (٥٧٣) .

عندما وصل جهانكير بيك الى كرى ، توجه جلال خان بن شيرخان وخواص خان الى هذه الناحية ، ووصلا وقت نزول الجيش ، وهزما جهانكير بيك ، فعاد جهانكير بيك الى السلطان جريحا ، ورحل السلطان ووصل الى بوابة كرى ، ولما لم يكن لدى جلال خان وخواص خان حلاقة للمقاومة فرا ، وترك للسلطات كرى ، ودخل كرى ، ودخل البنغال ، ولم يستطع شيرخان مقاومته فذهب من طريق جهاركنند (٥٧٤) الى رهتاس ، وتوقف السلطان ثلاثة اشهر في البنغال (٥٧٥) وأطلق على مدينة « كور » اسم « جنت آباد » .

انتهز ميرزا هندال الفرصة في آكره سنة ٩٤٣ هـ (٥٧٦) ورفع لواء العصيان بغواية المفسدين (٥٧٧) وقتل الشيخ بهلول وكان من مشايخ عصره وله في علم الدعاء بالأسماء الحسنى ، وكان السنطان يحسن الاعتقاد فيه ، وبوشاية أهل الفتن الذين أرادوا الاساءة للميرزا عند السلطان همايون بحجة أنه متفق مع الأفغان ، وقرا هندال الخطبة باسمه (٥٧٨) .

(٥٧٢) خواص خان ليس ابنا لشيرخان وهو ابن غلام شيرخان (طبقات اكبرى ، ص ٢٢٥) .

(٥٧٣) حدث هذا قبل السلطان الى جنار . (اكبر نامه ، ص ١٧٦) طلب الأمان بعد غرق بهادرخان (بدوانى ج ١ ص ٣٥٨) .

(٥٧٤) حاكمها راجه جيتا من يرهمن (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .

(٥٧٥) فضل همايون طريق البنغال (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .

(٥٧٦) ذهب الى آكره دون وداع (اكبر نامه ، ص ١٨٦) .

(٥٧٧) قال أتباعه اذا صارت الخطبة باسمك فنحن سنخدمك باخلاص ونؤيدك والا نذهب الى كامران فهو يأمل ذلك (اكبر نامه ، ص ١٨٧) .

(٥٧٨) كان السلطان يحب هندال كثيرا في صغره وشيئا فشيئا أخذ لا يطيق رؤيته (همايون نامه كلبدين ، ص ١٠٦) .

عندما وصل هذا الخبر الى مسامع السلطان همايون ترك البنغال لجهانكير بيك وترك معه خمسة آلاف فارس من الفرسان لمعاونته وتوجه الى آكره ، وجاء محمد ميرزا بن بديع الزمان ميرزا من الكجرات فى ذلك الوقت لملازمة السلطان وهو فى خجل شديد ، وعفا السلطان عن جرائمه ولم يعاقبه ، بسبب طول السفر وسوء طقس البنغال نفقت أكثر جياد الجنود ، ووصل الى جوسا دون اعداد كامل ، ولازمه الأحرار الذين كانوا قد توقفوا فى جونيور وجنار وأوده ، وعلم شيرخان بتفكك الجيش ، فاقترب لمواجهة السلطان ، وامتدت مدة المواجهة ثلاثة أشهر .

وعلم مرزا كامران بعد عودته من قندهار الى لاهور بعصيان مرزا هندال وعودة السلطان وقوة وغلبة شيرخان فعزم السفر الى آكره ، وكان ميرزا هندال قد توجه الى دهلى ، ودخل ميرزا فخر على ميرزا يادكار ناصر القلعة ، وتحصنا (٥٧٩) ، وعلى الرغم من سعى ميرزا هندال لم يستطع أن يفتح دهلى ، وعندما وصل ميرزا كامران نواحى دهلى لم يجد ميرزا هندال بدا من لقائه (٥٨٠) ، وخرج مير فخر على أيضا من القلعة ، وزار ميرزا كامران وقال له : « ان ميرزا يادكار ناصر لن يعطيك قلعة دهلى فمن الأفضل أن نتوجه الى آكره ، وإذا استوليت على هذه الولاية ، سوف تكون دهلى لك » ولا جرم توجه ميرزا كامران الى دهلى ، وفى هذه النواحى انفصل ميرزا هندال عن ميرزا كامران وذهب الى كور .

وعندما وصل خبر عصيان ميرزا هندال ومجيء ميرزا كامران الى دهلى الى السلطان همايون فى جوسا ، مما زاد من أسباب الفرقة ، وأرسل شيرخان الشيخ خليل وهو درويش يقال أنه مرشده ، الى السلطان همايون لكى يعقد الصلح على أن يترك كل البلاد لى ما عدا البنغال واقسم على كلام الله ، وطلب الصلح وقبل الخطبة والمملكة السلطانية ، وأرضى ذلك خاطر السلطان همايون ، وفى صباح اليوم التالى غافل شيرخان الجيش السلطانى ، ولم يتح الفرصة لاعداد الجيوش القاهرة ووقعت الهزيمة (٥٨١) ، وتقدم الأفغان الى الجسر ، وحطموه ،

(٥٧٩) عندما علم يادكار ناصر باقتراب هندال من دهلى ترك كالبى وتحصن فى دهلى (اكبر نامه ، ص ١٨٩) .
 (٥٨٠) وصل كامران الى سنبات وتردد هندال فى العودة الى آكره وعند مجيء كامران ذهب الى الور (اكبرنامه) .
 (٥٨١) صعد السلطان الى جبل وأمر بابا جلاير وتردى بيك وكوج بيك أن يؤمنوا السلطانية حاجى بيكم ، وقتلوا دفا على باب خيمتها وأسرت بيد الأفغان (اكبر نامه ، ص ١٩٣) .

وركبوا القوارب ، واتسعت صفحة النهر ، وكانوا يغرقون كل من يجدوه على صفحة النهر أو على رأس الجسر من الجيش ، وأغرق محمد زمان ميرزا فى النهر ، واندفع السلطان الى النهر بجواده ولما أوشك على الغرق أخرجه سقاء (٥٨٢) من النهر ، وتوجه الى أكره .

ولما كان كامران ميرزا قد جاء الى أكره من قبل هذا ، وكان ميرزا هندان يقضى هذه الأيام فى ألور مطمئنا ، ويصدق هذا البيت عليه :
« لا يمكننى أن أرفع الرأس أمامك فجلا ، اذا سألونى ماذا تفعل بعمرى »
وعندما وصل السلطان همايون الى أكره مع عدة فرسان (٥٨٢) ، كانوا قد رافقوه أثناء الهجوم وكان منهم والد العبد الفقير (٥٨٤) ولم يعلم ميرزا كامران أصلا بالخبر ، ودخل السلطان همايون فجأة خيمة ميرزا كامران ، وقبل الميرزا القدم الشريفة ، وامتلات عيون الأخوين بالدموع ، وجاء هندان ميرزا بعد أن عفا السلطان عن جريمته ، ولازمه ، وجاء لملازمته أيضا محمد سلطان ميرزا وأبنائه الذين كانوا قد أثاروا العصيان فترة وفروا ، وبدأ السلطان فى المشورة فأراد ميرزا كامران العودة الى لاهور فى ذلك الوقت ، وأبدى توقعات لا حصر لها ، وقبل السلطان جميع الأعذار ما عدا العودة ، وسعى خواجه كلان بيك من أجل عودة ميرزا كامران ، واستمر الجدل ستة أشهر ، وأثناء هذا مرض ميرزا كامران بأمراض خطيرة (٥٨٥) ووشى له الوشاة ان هذا المرض من السم الذى دسوه له بأمر السلطان همايون ، وتوجه الى لاهور بسبب هذه العلة ، وأرسله أمامه خواجه كلان بيك ، وتعهد أن يترك جيشه فى أكره للمساعدة ، ولكن على الرغم من ذلك قرر أن يذهب معه الجميع ، وترك ألف شخص فى أكره تحت قيادة اسكندر وكان ميرزا حيدر دوغلات كشميرى (٥٨٦) الذى كان برفقة ميرزا كامران قد توقف مع السلطان همايون ونال رعايته ، ووافق ميرزا كامران أيضا كثير من جنود أكره ، وبسبب هذا الشقاق الذى وقع بينهم ، تشجع شيرخان وتقدم الى شاطيء نهر الجانج ، وعبرت جماعة النهر ، وانتبوا كالبى وأتاوة ، وقاتل قاسم حسين سلطان أوزيك ويادكار ناصر ميرزا واسكندر سلطان مع

(٥٨٢) سأل السلطان عن اسمه فقال ، نظام ، فقال له : سأجعل اسمك مشهورا انك نظام الدين وستجلس على عرش دهلí وعندما استرد عرشه أجلسه على العرش ساعتين وطلب منه أن يسأل ما يريد ، وذكرت كلبدن بيكم انه نظام أو سنبل (همايون نامه ، ص ١٩٤) .
(٥٨٣) كان معه مرزا عسكرى أيضا (أكبر نامه ، ص ١٩٤) .

(٥٨٤) والد نظام الدين أحمد .

(٥٨٥) ادعى المرض حتى مرض فعلا (كلبدن بيكم ، ص ٤٤) وكان يشك أن أم السلطان قد دس السم له (كلبدن بيكم ، ص ١٤٠) ولكنه مرض مرضا شديدا وظل ثلاثة أشهر لا يقوى على الحركة (تاريخ رشدى اليوت ج ٥ ، ص ١٣٠) .
(٥٨٦) لم يكن كشميريا ولكنه اكتسب هذا اللقب بعد حكم كشمير بعد ذلك بسنتين .

الأفغان فى نواحى كالبى ، وقتلوا أحد أبناء شيرخان ، وكان قائدا لهذا الجيش ، مع جمع غفير وأرسلوا رأسه الى أكره ، وتوجه السلطان همايون لدفع شيرخان على نهر الجانج ، وعبر النهر من أمام قنوج وظل شهرا فى مواجهة العدو ، وفى هذا الوقت وصل عدد جيش السلطان مائة ألف فارس ولم يكن جيش الأفغان يزيد عن خمسين ألف ، وفى نفس هذا المكان ، أبدى محمد سلطان ميرزا وأولاده عداوة ، وفروا من جيش السلطان للمرة الثانية ، وفر أيضا جماعة كان ميرزا كامران قد تركهم للمساعدة ، وذهبوا الى لاهور (٥٨٧) وسار على هذا المنوال ، وتفرق كثير من الجنود فى أنحاء الهندوستان ، وجاء فصل المطر وأخذت الأمطار تهطل ، وملئ المكان الذى كان قد نزل فيه الجيش بالماء ، وقرر أن يرحل من هذا المكان وينزل فى مكان مرتفع (٥٨٨) وبينما هم يفعلون هذا تقدم شيرخان بالجيش للقتال ، وكانت هذه المعركة فى التاسع من المحرم من هذه السنة ، وفر أكثر الجنود يائسين دون قتال ، واقتحم قليل من الشبان الشجعان الهيجاء ولما كانت المعركة مفقودة ، فقد وقعت الهزيمة على جيش السلطان همايون ، وكان السلطان قد انفصل عن جواده فى نهر الجانج ، وخرج من النهر بمساعدة شمس الدين محمد غزنوى (٥٨٩) الذى صار أخيرا أتكه خان السلطان أكبر ، ونال لقب « خان أعظم » وعاد الى أكره .

ويقال ان شيرخان عندما سمع بعودة السلطان همايون الى البلاط تأسف وقال « كنت أريد له الموت ، ولكنه نجا » ، وعندما اقترب الأعداء لم يتوقف فى أكره ، وتوجه الى لاهور وفى غرة ربيع الأول من هذه السنة جمع جميع سلاطين وأمراء الجغتائية فى لاهور ، وكان محمد سلطان ميرزا وأولاده قد جاءوا الى لاهور ، وفروا منها وذهبوا الى الملتان ، ورأى ميرزا هندال وميرزا يادكار ناصر السلامة فى الذهاب الى ذكر تهنئه (٥٩٠) وكان ميرزا كامران يفكر فى أن يذهب الى كابل على وجه السرعة حين ينفذ هذا الاجتماع .

« فكر الزاهد شىء وسويداء العاشق شىء آخر »

عموما عندما تيقن السلطان همايون أنه من المحال اتحاد الأخوة والأمراء أهل الهوى ، استاء خاطره كثيرا ، وبعد مشاورات طويلة (٥٩١).

(٥٨٧) تاريخ رشيدى : حيدر ميرزا دوغلات اليوت ، ج ٥ ، ص ١٣٥ .

(٥٨٨) كان الجيش فى مكان منخفض وأراد السلطان أن يصعد الى مكان مرتفع على الجبل ولم يستطع (بداونى ج ١ ص ٢٥٥) .

(٥٨٩) انقل ثمانية اشخاص (تاريخ رشيدى اليوت ، ج ٥ ص ١٣٥) .

(٥٩٠) نكر كوت (اليوت ج ١ ط الهند ص ٣٤) .

(٥٩١) نصح دوغلات بأن يحتل الأمراء جبال سرهند وسارنك وكشمير .

أرسل ميرزا حيدر مع جماعة الى كشمير ، وقدر أن يتوجه خواجه كلان بيك أيضا يعد ميرزا حيدر ، وعندما وصل ميرزا حيدر الى « نوشهر » كان خواجه كلان بيك قد وصل الى سيالكوت ، وعلم السلطان همايون أن شيرخان قد عبر نهر سلطان پور (٥٩٢) ووصل لمسافة ثلاثين فرسخا من لاهور ، وفي غرة رجب من السنة المذكورة عبر السلطان همايون نهر لاهور ، وأقسم ميرزا كامران بعد نقض العهد (٥٩٣) بالايمان الغليظة أنه لن يعدل عما اتفق عليه ، ورافقه من أجل المصلحة والغرض حتى نواحي بهيره ، وسمع خواجه كلان بيك بهذا الخبر فجاء من سيالكوت على وجه السرعة والتحق بالمعسكر ، ودخل ميرزا حيدر كشمير ، وجاء جماعة من الكشميريين الذين كانوا مختلفين فيما بينهم ، وزاروا ميرزا حيدر ، ودخلت كشمير دون حرب وقتال تحت سيطرة ميرزا حيدر ، وصار حاكما في مدينة كشمير في الثاني والعشرين من رجب ، ولهذا فهو مذكور في طبقة كشمير .

انفصل ميرزا كامران وميرزا عسكرى عن السلطان همايون في نواحي بهيره وذلك بالاتفاق مع خواجه كلان بيك ، وتوجهوا الى كابل ، وتوجه السلطان همايون الى السند ، (٥٩٤) وكان ميرزا هندال ويادكار ناصر في ركابه ، وبعد عدة أيام أظهر العصيان ، وانفصل عنه لعشرين يوما ، وواجه المتاعب ، فعادا لملازمة السلطان بناء على نصيحة مير أبي البقاء ، وعلى شاطئ نهر السند وقع قحط في المعسكر ، ولم تعبر السفن اليهم أيضا ، وأرسل بخشنوى لنكاه مركبا مملوءة بالغلة الى المعسكر ، ونال كثيرا من الانعام ، وعبر الجيش النهر ، وتوجه السلطان الى بهكر ، وأقام المعسكر في قصبة لهرى (٥٩٥) وعبر ميرزا هندال النهر ، وذهب الى قصبة « باتر » (٥٩٦) لأن كل ما يحتاج اليه الجيش يصل الى هناك بسهولة ، ومن لهرى وهى قرب بكر وحتى باتر طريق بطول خمسين فرسخا ، وذهب مير طاهر صدر برسالة الى شاه حسين أرغون حاكم تهته ، وحمل سمندر بيك الذى كان مقربا من السلطان جوادا وخلعة ورغبه في ملازمة السلطان ، وخلاصة الرسالة هي أن

(٥٩٢) نهر بياض (اليوت ط الهند ص ٣٤) .

(٥٩٣) أرسل كامران الى شير خان أنه يقدم له التأييد بشرط أن يحكم البنجاب

(اكبر نامه ، ص ٢٠٥) .

(٥٩٤) كان يود السفر الى كشمير ولكن الاضطرابات جعلته يتجه الى السند (كلبدين

بيكم ، ص ٥٠) .

(٥٩٥) لهرى أو روهري على الشاطئ الشرقى لنهر السند في مواجهة بهكر (اليوت

ط الهند ٥ ٣) .

(٥٩٦) باتر على مسافة خمسين فرسخا من بهكر (اليوت ٧ الهند ص ٣٥) .

المجىء الى ولاية بهكر وتهته ضرورى والغرض هو استخلاص الكجرات ،
والآن ينبغي ان تاتى للملازمة لكى استشيركم فى تسخير الكجرات ،
وامضى شاه حسين ارغون خمسة او ستة أشهر فى المراوغة ، ورد أن
بهكر لا فائدة منها ولو اقترب المعسكر أكثر من ولاية تهته (٥٩٧) يكون
أفضل ، وانك بذلك تكون قد قضيت خمسة أو ستة أشهر بيننا ، وبعد
ذلك يمكن الاقتراب من أجل الصالح ، ونظرا لأن الغلة فى بهار قليلة ،
فقد رحل السلطان الى باتر التى كان ميرزا هندال يتخذها مقرا له ،
ورحل منها عندما علم أن ميرزا هندال يريد الذهاب الى قندهار ، ونزل
السلطان همايون فى هذه السنة فترة محل معسكر ميرزا هندال ، وعقد
على جلالة مريم مكاني حميدة بانو بيكم والددة خليفة الهى ، وقضى عدة
أيام فى معسكر ميرزا هندال فى اللهو والمرح ، ومنع جلالتة ميرزا هندال
من الذهاب الى كندهار ، وذهب مرة أخرى الى قصبة لهرى ، وأرسل
قراجه خان حكم قندهار رسائل الى ميرزا هندال يستدعية الى قندهار ،
ورحل ميرزا هندال وتوجه الى كندهار ، وعندما علم السلطان بهذا الأمر
تحرير من عدم اتحاد الأخوة وأراد ميرزا يادكار ناصر أيضا ، الذى
كان ينزل على مسافة عشرة فراسخ من معسكر السلطان وكان النهر
أيضا بينهما أراد الذهاب الى قندهار ، واستعرض السلطان هذا الأمر ،
فأرسل ميرابا البقا (٥٩٨) لطماننة خاطر ميرزا يادكار ومنع الأمير الذهاب
الى قندهار ، وعند العودة وعبور النهر خرجت جماعة من قلعة بهكر
وأمطروا ركاب السفينة بالسهم ، وأصاب أبا البقاء سهم فى مقتل ،
واستشهد ، وأبدى السلطان حزنا شديدا على وفاته ، وتاريخ استشهاده
مير هو ٩٤٧ هـ « وسرور كائنات » بحساب أبجد (٥٩٠) .

المهم بعد ذلك عبر ميرزا يادكار ناصر النهر ، وجاء الى معسكر
السلطان ، وبعد مشاورات طويلة قرر أن يذهب ميرزا يادكار ناصر الى
بهكر ، ولم تظهر آثار الموافقة والتأييد من الأمير وعندما توجه السلطان
الى تته (٦٠٠) انفصل عنه جمع غفير من الجنود ، وتوقفوا فى بهكر ،
وتوقف ميرزا يادكار ناصر فى بهكر ، وقويت شوكتة لأن مزروعات ولاية
بهكر لم تصب بأفة من الآفات السماوية والأرضية فى هذه السنة ، ولم
تنقص .

رحل السلطان همايون الى نواحى قلعة « سياهيان » (٦٠١) وخرجت

(٥٩٧) تته او تهته .

(٥٩٨) اتفق مع الأمير على أن ينال ثلث دخل الهندوستان (أكبر نامه ، ص ٢١٢) .

(٥٩٩) أى بحساب أبجد هو حطى كلمن ٠٠٠ تعادل سنة ٩٤٠ هـ .

(٦٠٠) فى غرة جمادى الآخر سنة ٩٤٧ هـ (أكبر نامه ، ص ٢١٢) .

(٦٠١) سياهوان أو سيهوان (اليوت ط الهند ، ص ٢٧) .

من السفينة جماعة من الجنود الذين كانوا على مقربة من القلعة ، وهجموا على بعض الأهالي الذين كانوا قد خرجوا من القلعة ، ولم يكن لدى هذه الجماعة طاقة للمقاومة ، ودخلوا القلعة ، وجاء هؤلاء الجنود الى السلطان متعبين ، ويسروا وسهلوا للسلطان تسخير القلعة ، وعبر السلطان النهر ، وحاصر قلعة سباهيان ، ولكن قبل الوصول تحصن جماعة من أمراء ميرزا شاه حسين (٦٠٢) في القلعة ، وسعوا لتحصين القلعة ، وعندما علم ميرزا شاه حسين باهتمام السلطان بمحاصرة القلعة ، ركب مركبا واقترب من المعسكر ، وسد طريق امداد الغلال عن معسكر السلطان ، وضاق الخناق على الجنود ، ولما كان أكثر الناس يقضون أوقاتهم في تناول لحم الحيوانات وامتد الحصار قرابة سبعة أشهر ولم يتيسر الفتح لذا أرسل السلطان رسولا الى ميرزا يادكار ناصر في بهكر (يخبره) أن فتح القلعة مرهون بمجيئك ، لأننا اذا توجهنا لحرب ميرزا شاه حسين ودفعه سيتخلص أهل القلعة ، ويدخلون المؤن الى القلعة ، ويجددون استعدادهم ويسبب نقص الملح والغلة لن يمكننا التوقف حول القلعة ، واذا توجهت من ناحيتك الى شاه حسين لن نستطيع المقاومة « فأرسل ميرزا يادكار ناصر في البداية جماعة من جنوده للمساعدة لكن مجيء هذه الجماعة لم يفد بشيء ، وذهب شخص للمرة الثانية لاستدعاء المرزا وأرسل عبد الغفور « ميرمال » السلطان لاحتضار الميرزا ، وعندما وصل عبد الغفور عند ميرزا ناصر وذكر أسباب متاعب السلطان ، فان ميرزا يادكار ناصر وجنوده أصرروا على أن الصلاح هو الاستمرار في فتح بهيكر .

وأرسل ميرزا شاه حسين ثلاثة أشخاص الى ميرزا يادكار ناصر واقترب من مقامه ووعدته بالطاعة وإرسال ابنته وقراءة الفتحة باسم الميرزا (٦٠٣) وسر الميرزا تماما من عرضه ، وعمل على معاداة السلطان همايون ، ولما ارتاح خاطر ميرزا شاه حسين من ناحية ميرزا يادكار ناصر وكان يدرك ما عليه جيش السلطان من ضعف ، فاقترب منه أكثر واستولى على سفن معسكر السلطان ومن ناحية أخرى لم يكن ميسرا للسلطان الاستمرار في محاصرة القلعة ، فعاد الى بهكر مضطرا (٦٠٤) وبالقرب من بهكر طلب من ميرزا يادكار ناصر سفينة للعبور ، وأرسل ميرزا اليه رسالة بموافقة أهل تته أن يأتي ليلا ويأخذ السفينة (٦٠٥) وبقي السلطان

(٦٠٢) وصل الى سياهوان في ١٧ رجب سنة ٩٤٨ هـ (أكبر نامه ص ٢١٣) .

(٦٠٣) ذكر شاه حسين « أنه رجل هرم وليس لديه أولاد وسيعطيه ابنته تاركا لها كنوزة ويعتيره وريثا له ، وسيما عده لغزو الكجرات (أكبر نامه ص ٢١٤) .

(٦٠٤) تقهر في ١٧ ذي القعدة (أكبر نامه ص ٢١٥) .

(٦٠٥) قتل له في الصباح : ان العبور استولى على السفن .

.....

عدة أيام متعطلا بسبب السفن ، وآخر الأمر جاء شخصان من « زمينداران » بهكر للملازمة ، وأخرجوا عدة سفن كانوا قد أغرقوها في النهر وعبر السلطان ، وعندما علم يادكار ناصر بعبور السلطان ظل في غاية الحيرة والخجل (٦٠٦) وقبل أن يصل كان جماعة كبيرة من أهالي تته قد خرجوا من السفينة فقتل كثيرا منهم وقبض على جماعة ، وعاد ميرزا شاه حسين بعد هذه المعركة الى تته ، وجاء ميرزا يادكار ناصر خجلا للملازمة السلطان ، ورأى رؤوس القتلى ، ومرة أخرى عفا السلطان عن جرائمه ، بالاضافة الى أنه لم يعاقبه مطلقا .

أرسل ميرزا شاه حسين الى ميرزا ناصر عدة رسائل مرة أخرى ، وجعله في صفه ثانية ، وطلب ميرزا شاه حسين من ميرزا يادكار ناصر هؤلاء - زمينداران » الذين كانوا قد أعطوا السفينة للسلطان همايون ، وعلم هؤلاء « زمينداران » فلجأوا الى معسكر السلطان فأرسل الميرزا رسولا الى السلطان أن لهذين الشخصين معاملات ومال في ولاية بهكر التي أحكمها ، فأمر السلطان أن يذهب عدة أشخاص برفقتهما على أن يصحبوهما ثانية الى معسكر السلطان بعد انتهاء معاملتهما ، وعندما رآهما ميرزا يادكار ناصر انتزعهما فجأة من رجال السلطان ، وأرسلهما الى ميرزا شاه حسين ، وسلك طريق العصيان مرة أخرى ولم يأت للملازمة السلطان ، وأخذ الناس في الالتصاق قرادى وجماعات بميرزا يادكار ناصر وكانوا في غاية التعب في معسكر السلطان ، وفكر منعم خان (٦٠٧) أيضا وأخوه في الفرار ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأمر بحبسهما ، وأراد ميرزا يادكار ناصر بسبب حقه مقاتلة السلطان ، وتوجه عازما القتال ، وعلم السلطان أنه لا مقر من الاستعداد للحرب ، وكان هاشم بيك نامى ذو اعتبار عند الميرزا فأثناه عن هذا العمل الشنيع ، وعاد دون جدوى ، وكان السلطان كلما توقف بمكان انفصل عنه الناس ، وتوجهوا الى ميرزا يادكار ناصر ، وكان هذا أسوأ الضرر الذي يتوقعه ، وأخيرا ذهب الى مالديو ، وكان من حكام الهندوستان المشهورين ، ولم يكن في الهند حاكم مثله في ذلك الوقت بمثل قوته وعدته ، وأرسل مالديو

(٦٠٦) لم ترد هذه الاضافة بنسخة ١ « وتوجه دون انتظار الى شاه حسين بسرعة ، ولما كان الاخير غير مستعد انقض عليه بقوة كبيرة من تته ، وقتل واسر جمعا كبيرا ، وعاد » (اليوتط الهند ص ٢٨) .

(٦٠٧) أصبح خاتخانان في عهد السلطان اكبر وحكم كابل

عدة رسائل عرض فيها اظهار الطاعة وقبول المساعدة لتسخير الهندوستان ، وتوجه السلطان من طريق جنبل مير الى ولاية مالديو (٦٠٨) وسلك حاكم جنبل مير (٦٠٩) سلوكا لا اخلاقيا فأرسل جماعة الى السلطان ، قاتلت هذه الجمع القليل الذى كان برفقة السلطان ، وهزموا هذه الجماعة الفاسدة ، وأصيب جمع من جماعات السلطان بالجروح ، وتوجه السلطان مسرعا بأقصى سرعته حتى وصل الى مالديو ، وأرسل أتكه خان (٦١٠) الى مالديو الذى كان فى جودبور (٦١١) وتوقف عدة ايام فى نفس المكان .

وعندما اقترب ميرزا هندال من قندهار ، واستقبله قراجه خان وسلمه مدينة قندهار ، وعلم ميرزا كامران بهذا الأمر ، وعاد متوجها صوب قندهار ، وحاصر قلعة قندهار أربعة أشهر وأخيرا خرج ميرزا هندال مضطرا للصلح ، وسلم ميرزا كامران قندهار لميرزا عسكرى ، وأعطى غزنين لميرزا هندال ، وبعد عدة ايام عزله أيضا عن غزنين ولما كان ميرزا هندال يعلم أن ميرزا كامران مخادع ، أنزوى تاركا السلطنة ، واستقبل ميرزا كامران بكابل وقندهار وغزنين ، وجعل الخطبة باسمه .

انتظر السلطان همايون على حدود ولاية راي مالديو عودة أتكه خان ، وعلم راي مالديو بوصول السلطان وأن برفقته عددا قليلا متعبا ، ولما كان ليس لديه طاقة لمقاومة شيرخان كما أن شيرخان كان قد أرسل سفارة الى مالديو وكال له بالوعد والوعيد ، وفكر راي مالديو بسبب خسته أن يقبض على السلطان اذا استطاع ويسلمه للعدو من أجل أن يرضى خاطر شيرخان الذى كانت ولاية ناكور وتوابعها قد دخلت فى حوزته ، وأرسل جمعا كبيرا الى السلطان بهذه النية ، ولكى يغافل السلطان لم يأنذ لآتكه خان بالرحيل الى السلطان وأدرك أتكه خان ما فى ضميره فعاد دون إذن منه ، وأرسل أحد أمناء المكتبة الذى كان قد ذهب الى راي مالديو حين هزم السلطان فى الهندوستان أرسل رسالة من أن مالديو يفكر فى الغدر ، ومن الأفضل أن ترحلوا بسرعة من ولايته ،

(٦٠٨) توجه السلطان فى ٢١ المحرم سنة ٩٤٩ هـ الى أوج ، وفى ١٨ ربيع الأول وصل الى ديوروال وواصل على مسافة اثني عشر فرسخا من بيكانير ثم بهلودى ثم خاج جوكى (اكبر نامه ، ص ٢١٩) .

(٦٠٩) وردت باسم جيسالمير (همايون نامه وتذكرة الواقعات لجوهر) وكان حاكمها لون كرن (اكبر نامه ، ص ٢١٩) .

(٦١٠) شمس الدين محمد أتكه الذى صار خان بعد بيرم خان فى عهد اكبر وقصته مذكورة فى احوال اكبر .

(٦١١) جودبور .

وشدد أيضا أتكه خان بهذا الخصوص ، فرحل السلطان فى حينه الى
أمركوت وقبضوا على جاسوسين من الهنود كانا قد جاءا للتجسس
وأحضروهما الى السلطان ، وصدر حكم السلطان بأن يقتل أحدهما الآخر
ويحرر نفسه ، وأمسك كل من الشخصين بسكين وخنجر ، وكانا بالقرب
من الحاضرين ، فقتلا سبعة عشر نفسا من الناس والحياد بطعنهم ، وقتلا
نفسيهما ، وكان من جملتهم الجواد الخاص ، ولما كان خيالة (٦١٢)
السلطان ليس لديهم جواد آخر للسلطان طلبوا من شردى بيك بعض
الحياد والابل ، ولكن لما كانت الخسة ترفرف فوق هامته فقد رفض وركب
السلطان جملا (٦١٣) ، ولما كان الطريق صحراوى والماء شحيح فقد
تجشم جنود السلطان متاعب جمّة ، وكل لحظة كان يصلهم خبر اقتراب
جند مالديو ، وأمر السلطان تيمور سلطان ومنجم خان وجماعة أخرى أن
تسير خلف الجيش بتأن وببطء حتى اذا وصل الأعداء قاتلوهم ، وعندما
حل المساء حدث أن ضلت هذه الجماعة الطريق وعند الصباح رؤوا
جند الأعداء ، فتوجه شيخ على بيك ودرويش كوكه وقوة أخرى قوامها
اثنان وعشرون شخصا من بينهم روش بيك جلائر الى الأعداء ، ولحسن
الحظ وصلوا حين دخل الهنود طريق ضيق فقتل شيخ على بيك الأعداء
بأول سهم ، وكان كل سهم تطلقه هذه الجماعة الصغيرة يصيب واحدا من
الأعداء ، ولم يجد الأعداء طاقة للمقاومة وفر الجيش الكبير من القلعة ،
وإثناء الفرار قتل كثير منهم ، وسقطت ابل كثيرة فى يد جنود السلطان ،
وعندما وصل خبر النصر الى السلطان قدم واجب الشكر .

عسكر السلطان على رأس بئر به ماء قليل حتى وصل الأمراء الذين
كانوا قد ضلوا الطريق ليلا مما أوجب زيادة السرور ، وفى اليوم التالى
أمر السلطان بالرحيل ، ولن يجدوا ماء ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع
وصلوا الى بئر ، وعندما وصل الدليل الى البئر ، وذقوا الطبول حتى
يوقف كل شخص الدابة التى يقودها ، ونظرا لعمق البئر لم تكن الصيحة
تصل اليه .

المهم صار الناس بسبب العطش بلا طاقة ، ورمى أربعة أو خمسة
أفراد أنفسهم على الدلو فانقطع الحبل ، فأنزلوا دلو آخر فى البئر ، وصبح
الناس من التعب ، وألقى كثيرون أنفسهم فى البئر عمدا ، وفقد أناس
كثيرون أرواحهم بهذا الشكل من العطش ، وعاد الرحيل فى اليوم

(٦١٢) تواجيان « المستول عن خيول السلطان » .

(٦١٣) إضافة وردت فى نسخة اليوت ولم ترد بنسخة أ « إن تديم كوكه كان يسير
مترجلا بينما كانت أمه تركب جوادا » ، وعندما رأى السلطان يركب جملا جعل أمه
تركب الجمل ، وأحضر الحصان الى السلطان (اليوت ، ص ٤١) .

التالى وقت الظهيرة ، ووصلوا الى نهر ، وعندما وصلت الجياد والابل التى كانت لم تتذوق الماء عدة ايام ، الى النهر شربوا ماء كثيرا حتى نفق كثير منهم .

عموما عاد السلطان الى امركوت بصعوبة وامركوت على مسافة مائة فرسخ من تقاه ، واستقبله رانا حاكم امركوت (٦١٤) وكان يتصف بالمروءة ، وعرض ما يمكن أن يقدمه من خدمات ، واستراح الجنود فى هذه المدينة من المتاعب عدة ايام ، وقسم السلطان ما كان فى خزينته على الجنود ، ولما لم يكف الجميع أخذ من تردى بيك وآخرين مبلغا مساعدة ، ونال الرانا وأباؤه الذين أحسنوا الخدمة الانعامات من الذهب والخناجر ، ولما كان ميرزاشاه حسين أرغون قد قتل والد الرانا ، فان الرانا جمع جمعا كبيرا من الأطراف والنواحى ، وسار فى ركاب السلطان الى بهكر ، وحسب الأمر توقف فى امركوت وأرسل خواجه معظم أخا مريم مكاني (٦١٥) لحكم هذه الجماعة .

ولما كان عدم الوفاء هو عادة قديمة للزمان فان هذه الايام لم تمر على مرام السلطان ، وقد كان الاقبال عهدا لدولة السلطان الدائمة الاتصال ، ودار الفلك السامى دورته أيضا كى تلتف ما أصاب خاطره من متاعب لعدة ايام ، وحتى يبقى له أثر حتى آخر الزمان على صفحة الايام ، وهو أنه فى يوم الأحد الخامس من شهر رجب سنة ٩٤٩ هـ (٥١٦) رأى ساعة سعيدة وطالعا مباركا وأضيئت دولة السلطان بنور الابن السعيد الذى كان وجوده من زواج آبائه الاعالى وأمهاته الأسافل وترنم لسان حال الزمان بهذا القول :

« حتى تطأ قدمك هذه الدنيا ، عليك أن تتحمل كثيرا من الحرمان لأن الوجود من العدم »

حمل تردى بيك خان الخبر الى امركوت ، وبسمى السلطان بموجب الالهام الغيبي وطبقا لما سيرد تفصيله فى مكانه اسم السلطان شاهنشاه جلال الدين اكبر .

واصل السلطان الرحيل الى بهكر (٦١٧) وأرسل رسائل مشدده لرعاية الأمير العالم وحين وصل السلطان همايون قرية جون توقف

(٦١٤) رانا براساد (اكبر نامه ، ص ٢٢٠) .

(٦١٥) تزوج السلطان همايون حميده بانو بيكم فى جمادى الاول سنة ٩٤٨ هـ اثناء

نزوله فى كهر (همايون نامه ، ص ٥٠) .

(٦١٦) ذكرت كلبدين بيكم يوم الرابع من رجب سنة ٩٤٩ هـ (همايون نامه ، ص ٥٩) .

(٦١٧) حيث كان مرزا مندال هناك فأحسن استقباله (كلبدين بيكم ، ص ٦١) .

فترة هناك ، واستدعى أسرته الى المعسكر ، وفي قرية جون سعدت عيناه برؤية هذا المولود ، وتفرق الجمع الذي كان قد جاء من الأطراف في هذه الأيام للتوقف في جون ، وقتل شيخ على وكان قائدا وابن صاحب جود في احدى قرى تته بيد جنود ميرزا شاه حسين أرغون ، وبدأ جنوده في الفرار من المعسكر واحد تلو الآخر ، حتى منعم خان فر أيضا ، ولم يجد السلطان مصلحة في التوقف في هذا المكان وقرر السفر الى قندهار .

قدم بيرم خان (٦١٨) في هذه الأيام من الكجرات لملازمة السلطان ، وأرسل السلطان رسولا الى ميرزا شاه حسين ، وطلب مراكب لعبور النهر ، وسر ميرزا شاه حسين سرورا عظيما من هذا الطلب ، وأرسل ثلاثين مركبا وثلاثمائة جمل ، وعبر السلطان النهر ، وتوجه الى قندهار . وفي هذا الوقت أرسل ميرزا شاه حسين مسؤلا الى ميرزا عسكري وميرزا كامران ليخبرهما أن السلطان قد توجه الى قندهار ، وأرسل ميرزا كامران الى ميرزا عسكري (٦١٩) ليتتبع أثر السلطان ، ويقبض عليه . ولما كان ميرزا عسكري كافرا بالنعمة ، فحين وصل السلطان قرب « سال وستان » خرج بسرعة من قندهار ، وأرسل « حوالى أوزبك » (٦٢٠) للملاحظة ومراقبة الطريق ، ولما كان « حوالى أوزبك » ربيب نعمة السلطان فقد أخذ جوادا قويا من ميرزا عسكري ، ووصل الى معسكر السلطان ، وعندما اقترب من « دولت خان » نزل من فوق الجواد ، ودخل خيمة بيرم خان وقال له ان ميرزا عسكري قاصدا السلطان ، وأسرع بيرم خان من فوره الى السلطان ، ووقف خلف الخيمة عارضا خبر قدوم ميرزا عسكري ، وقال السلطان : « ما قيمة قندهار وكابل حتى ينازع الأخوة العداء ؟ »

« ليخجل الفلك من مقامك ، وليحثوا التراب والتبن على رأسك » .

ركب السلطان الجواد في الحال ، وأرسل خواجه معظم وبيرم خان لاحضار مريم مكاني (٦٢١) ، وعجلا ، وركبت السلطانة مريم مكاني والأمير أكبر شاه ، وأحضروا الى السلطان ، ولما كانت الجياد قليلة في معسكر السلطان ، طلب جيادا من تردى بيك ، ونظرا لأن طائر

(٦١٨) بيرم خان تركى الاصل من قبيلة قراقيونلو ولد ببخشان ودرس ببلخ والتحق بهمايون في سن السادسة عشر من عمره (همايون نامه لكليدن بيكم ص ٤٤ ، ٤٥ واكبر نامه ، ص ٢٢٤) .

(٦١٩) كان مرزا عسكري في غزني (همايون نامه لكليدن بيكم ، ص ٦٦) .

(٦٢٠) جواتى أوزبك « أكبر نامه » وهى تعنى شاب أوزبكي .

(٦٢١) تركها لصعوبة الطريق (كليدن بيكم ، ص ٦٦) .

نحسه كان يرفرف على هامته فقد رفض اعطاء الجياد وأيضا مرافقته .

توجه السلطان همايون الى العراق مع عدة أشخاص (٦٢٢) ورافقته مريم مكاني ، وكان الأمير أكبر ابن سنة واحدة ، فتركه بسبب حرارة الجو في المعسكر ، واقترب ميرزا عسكري من المعسكر بعد فترة ، وعلم أن السلطان قد سافر سالما ، فأرسل جماعة لحكم المعسكر ، وفي اليوم التالي دخل الديوان بوقاحة ، وأحضر أتكه خان الأمير أكبر شاه الى ميرزا عسكري ، وأسر تردى بيك بأمر ميرزا عسكري ، وأرسل المحصلين لأحصاء خيام السلطان همايون وضبط أمواله ، وحمل ميرزا عسكري الأمير الى قندهار ، وأودعه في رعاية سلطانه بيكم (٦٢٣) التي لم تقصر في العطف عليه .

توجه السلطان همايون دون تحديد للمقصد مع اثنين وعشرين رجلا منهم بيرم خان وخواجه معظم وبابا دوست يخشي وخواجه غازي وخيدر محمد وأخته بيكي وميرزا قلي وشيخ يوسف وإبراهيم أيشك آقاسي وحسن علي بيك أيشك آقاسي ، وقطعوا مسافة من الطريق وفوجيء باثنين أو أربعة من البلوجيين الذين قادوه حتى وصلوا بمشقة بالغة الى قلعة « بابا جاجي » وعرض الأتراك ما يملكونه وأبدوا الطاعة ، وعلم خواجه جلال الدين محمود : الذي كان قد جاء من قبل ميرزا عسكري لتحصيل مال هذه الولاية بمجيء السلطان ، فسر سرورا جما ، وأهداه من الجياد والبغال ما كان معه ، وفي اليوم التالي وصل حاجي محمد كوكي الذي كان قد فر من ميرزا عسكري للامانة السلطان ، وبسبب عام مروءة اخوته وأقربائه لم يكن وقوفه في هذه النواحي مناسبا ، وكان ضروريا أن يتوجه جلالته الى خراسان والعراق ، وعلى حدود ولاية سيستان قام أحمد سلطان شاملو الذي كان حاكما عليها من قبل شاه طهاسب ، بلوازم الخدمة ، وتوقف عدة أيام في سيستان ، وقام أحمد سلطان بلوازم الضيافة بقدر الامكان ، وأرسل نساءه لخدمة السلطانة مريم مكاني والعمل لها كخدم ، وأهداه كل ضروريات وأمتعة الطريق ، ودخل في ملك تابعيه ، وقبل السلطان كل ما يحتاج اليه من الضروريات .

أشار أحمد سلطان على السلطان أنه من الأفضل الذهاب الى العراق عن طريق طيس كيلكي نظرا لأن هذا الطريق أقرب ، وأبدى استعداداه .

(٦٢٢) استقبله على الحدود بهرام مرزا ، والفاس مرزا ، وسام مرزا أخوة الشاه واستقبله الشاه بعد ذلك بنفسه وكانت حميد بانو بيكم مع همايون . (كلبدن بيكم ص ٦٩) .

(٦٢٣) زوجة مرزا عسكري .

للارشاد وان الازمك الى العراق ، وقال السلطان : انه سمع كثيرا عن مميزات مدينة هرات ويفضل الذهاب من هذا الطريق ، وتوجه أحمد سلطان في ركاب السلطان الى هرات ، وفي ذلك الوقت كان سلطان محمد ميرزا ابن شاه طهماسب الكبير حاكما على هرات ، وكان محمد خان شرف الدين اعلى تكلو يشغل منصب « اتاليقى » الأمير ، وعندما علم بقرب وصول السلطان ، أرسل على الفور على سلطان أحد أمراء تكلو لاستقباله ، وبمجرد دخول ولاية هرات لازم السلطان وسار في ركابه الى مدينة هرات ، وجاء أمير ايران مع أتباعه وتابعيه لاستقباله ، ولم تمر دقيقة دون تقديم التكريم والتعظيم وتشرف محمد خان بتقبيل القدم ، ونزل المعسكر المعلا في هرات ، وقام محمد خان بلوازم الضيافة لدرجة أنه لم يحس بمثل هذه السعادة مع اخوته ، وسر السلطان سرورا جما من حسن سلوكه ، وأعد محمد خان جميع أمتعته وأسباب السلطنة وما يحتاج اليه السلطان للسفر حتى لا يحتاج لشيء قط الى أن يلتقى مع شاه طهما سب ، ولما كانت جميع أماكن وحدائق هرات مناسبة للنزهة فقد تفرج عليها السلطان ، ورحل الى مشهد المقدسة ، وسعى شاه قلى سلطان استجلوا حاكم مشهد أيضا لتقديم لوازم الخدمة بموجب أمر الشاه طهما سب من أن يقدم حاكم كل مكان يصل اليه السلطان وما يحتاج اليه ، وتوجه من معسكر الشاه طهما سب وبأمره الملكى جمع غفير من الأكابر والأعيان وأشراف العراق لاستقبال السلطان ، وقرر أن يقدم كل واحد من الأمراء فى كل مكان من دامغان حتى المعسكر لوازم الضيافة ، وأرسل أمتعة الضيافة من المعسكر الملكى ، واستضافوا السلطان من مكان لآخر حتى نزل فى قزوین ، وكان المعسكر الملكى قد توجه من ييلاسورلىق ، وأرسل السلطان بيرم خان الى الشاه ، وذهب « بيرم خان » وأحضر رسالة تشتمل على تهنئة بالقدوم ومسرة جلالته .

تابع السلطان السير ، وفى كل مكان يصل اليه يقدم أهلها الخدمة حتى التقى السلطان همايون مع شاه طهما سب فى مضيف سورلىق ، ولم يدع الشاه طهما سب دقيقة دون مراعاة تقديم مراسيم التعظيم والتبجيل ، وأعد وليمة عظيمة ، وقدم ضيافة لائقة بالطرفين . حدث أثناء حديث الشاه أن سأل ما سبب هزيمتكم ؟ قال السلطان همايون عصيان وعداء الأخوة ، فتأذى خاطر بهرام ميرزا أخى الشاه من هذا الكلام (٦٢٤) وعقد نية العناد ، وحرص الشاه على أن يقتل

(٦٢٤) قال بهرام مرزا هذا الابن مثل أبيه ويعنى بذلك أنه فيه طبع الخيانة حيث أن بابر لم يقم بمعاونة الفرس فى حربهم ضد الازبك أثناء حصار قلعة نخشب . (كش) (بداونى ج ١ ، ص ٤٤٤) :

السلطان ، ولكن أخت الشاه طهما سب سلطانم (٦٢٥) التي كانت لها اعتبار عند الشاه ، ولها تأثير كامل في جميع الأمور الملكية وكانت على خلاف ذلك ، وسعت في معاونة (السلطان همايون) بقدر المستطاع ، ولم يكن القاضي جهان قزويني « ديوان » الشاه وحكيم نور الدين محمد طيب الذي كان له اعتبار ومكانة ، لم يكونا مؤيدين للسلطان همايون لأن التقصير منه ، وسعى الحكيم نور الدين وهو من أهل الشاه المسئول عن رعاية المصالح السلطانية في الداخل والخارج ، وفي هذا الأوقات كان الشاه طهما سب مشغولا بالصيد واطلاق السهام من أجل الترويح عن نفسية السلطان همايون ومعه جمع من الأمراء والأعيان ، وأطلق بهرام ميرزا سهما بحجة الصيد على أبي القاسم خلف بسبب الحقد الذي في نفسه منه ، وأصابه هذا السهم في مقتل ، ومرت هذه الفترة ، وأراد الشاه طهما سب سفر السلطان ، وأعد له جميع ضروريات الرحلة (٦٢٦) وأرسل ابنه شاه مراد وكان طفلا رضيعا (٦٢٧) على عشرة آلاف فارس لمساعدة السلطان ، وقال السلطان همايون : « أريد زيارة تبريز (٦٢٨) فأرسل الشاه الأوامر إلى حكام هذه الأماكن كي يقدموا لموازم التكريم والتعظيم بقدر المستطاع ، وبعد زيارة السلطان لهذه الأماكن توجه إلى قندهار ، وتوجه لزيارة مشهد المقدسة ، وكان برفقته الأمراء القزلباش ، وكان بداغ خان افشار أتاليقي الأمير وقائد الجيش ، وعندما وصلوا إلى قلاع كرمسير ، فدخلت تحت سيطرتهم ، وعندما وصلوا إلى قندهار دافع جماعة كبيرة كانت قد خرجت من القلعة قدر استطاعتهم لكنهم هزموا ، ونزل جيش القزلباش بظاهر قندهار ، ووصل السلطان أيضا إلى ظاهر قندهار بعد خمسة أيام ، وحاصر القلعة ، واستمرت الحرب يوما لثلاثة أشهر وقتل كثير من الطرفين .

توجه بيرم خان برسالة إلى كامران ميرزا في كابل (٦٢٩) وفي الطريق اعترضه جماعة من « هزاره » فقاتلهم ، وانتصر بيرم خان ، ووصل إلى كابل والتقى بميرزا كامران ، وتصادف أن التقى أيضا بميرزا هندال وميرزا سليمان ابن خان ميرزا وميرزا يادكار ناصر الذي كان قد جاء من بهكر بحال سيء ، وأرسل ميرزا كامران مهد علياء خانداده بيكم برفقة بيرم خان إلى قندهار فلربما يعقد صلحا ، وحين وصل بيرم

(٦٢٥) سلطان بيكم (بداوني ج ١ ص ٤٤٥) .

(٦٢٦) بعد أن ارتضى مذهب الشيعة (بداوني ج ١ ص ٤٤٥) .

(٦٢٧) اتفقا على أن تكون قندهار للأمير مراد بعد فتحها (بداوني ج ١ ، ص ٤٤٥) .

(٦٢٨) واربيل (بداوني ج ١ ص ٤٤٦) .

(٦٢٩) أرسله السلطان بسفارة إلى مرزا سليمان بدخشي وميرزا يادكار ناصر الذي

كان قد جاء بهكر مضطربا (بداوني ج ١ ص ٤٤٦) .

خان من خانداده بيكم الى قندهار الى السلطان همايون ، كان ميرزا عسكري أيضا مازال في حرب ونزال ، ومل جيش القزلباش من طول أيام الحصار ، وفكروا في العودة وكانوا يعتقدون أنه عندما يصل السلطان الى حدود قندهار ستلتف القبائل الجغتائية حوله ، وعندما مرت فترة ولم يأت أحد قط وشاع خبر مجيء ميرزا كامران لمساعدة ميرزا عسكري (٦٢٠) تخوف القزلباش ومن الصدف السعيدة في تلك الأيام أن عاد ميرزا كامران ، وفر ميرزا حسين خان وفضائل بيك أخو منعم خان من ميرزا كامران وجاء للالزمة السلطان .

عموما سعد التركمان ، وبعد عدة أيام فر محمد سلطان ميرزا وألغ ميرزا وقاسم حسين سلطان وشيرافكن بيك ، وجاءوا الى السلطان ، واطمأن القزلباش ، وفر مؤيد بيك ؛ الذي كان حبيسا بالقلعة بالحيلة التي ابتدئها ، فقد نزل من قلعة قندهار بحبل ، وأكرمهم السلطان بكثير من الانعام ، وخرج جماعة أخرى أيضا من قلعة قندهار بقيادة أبي الحسن ابن أخي قراجه خان ومنور بيك بن نوربيك ، واضطرب ميرزا عسكري اضطرابا شديدا ، وطلب الأمان وأمنه جلالة السلطان لمروءته ، واستدعا أمراء القزلباش وطلب منهم أنه نظرا لوجود كثير من أهل وعيال قبيلة الجغتائي في قلعة قندهار ، فلا ينبغي أن يضايق أحد من التركمان (٦٣١) أي شخص من أهل القلعة لمدة ثلاثة أيام ، وبموجب ما قرر خرج أهل القلعة بأهليهم وزوجاتهم من القلعة في اليوم التالي ، وجاء ميرزا عسكري الى البلاط في قمة الخجل ، ولم يعانيه قط ولازمه أمراء قبيلة الجغتائي بسعادة ، والسيف على رقابهم والكفن في أيديهم ، ونالوا الانعامات .

لما كان السلطان همايون قد اتفق مع القزلباش على أن تكون قندهار لهم بعد فتحها ، وعلى الرغم من أنه لم يكن لدى السلطان ولاية أخرى تحت سيطرته ، ترك لهم قندهار ، ودخل بداغ خان وميرزا مراد ابن شاه طهما سبب القلعة ، واستولى على قندهار ، وعاد أكثر أمراء القزلباش الذين كانوا قد جاءوا لمساعدته الى العراق ، ولم يبق شخص آخر في خدمة الأمير سوى بداغ خان وأبي الفتح سلطان افشار وصوقي دلي سلطان قدامور (٦٣٢) .

(٦٢٠) تكاد تتفق جمل نظام الدين أحمد مع بدواني .

(٦٣١) لم تقع القلعة تحت سيطرة السلطان ودخلها بداغ خان وميرزا مراد بناء على

الوعد الذي كان قد وعده (بدواني ج ١ ، ص ٤٤٨) .

(٦٣٢) لم يبق مع الأمير مراد سوى بداغ خان وأميرين أو ثلاثة آخرين (بدواني

ج ١ ، ص ٤٤٨) .

عندما حل الشتاء لم يجد الجغتائيون ملجأ ، واضطر السلطان همايون أن يرسل رسولا الي بداغ خان من أن الجنود يحتاجون الى مأوى لهم في هذا الشتاء ، ولئذالته لم يستجب لطلبه وواجه الجغتائيون المتاعب ، وفر عبد الله خان وجميل بيك اللذان خرجا من القلعة ، وذهبا الى كابل ، وانتهاز ميرزا عسكري أيضا الفرصة ، وهرب وتبعه جمع غفير ، وقبض عليه ، وأحضروه الى السلطان فحبسه ، واجتمع القادة الجغتائيون ، وقرروا بعد المشورة أنه نظرا للضرورة ينبغي الاستيلاء على قلعة قندهار من القزلباش وبعد تسخير كابل ويدخشان نعيدها اليهم مرة أخرى وفي نفس اليوم الذي عزموا فيه على هذا ، توفي ميرزا مراد ابن شاه طهما سب وفاة طبيعية (٦٣٣) وأرسلوا جماعة كبيرة لهذا الأمر ، وتقدم حاجي محمد خان بن بابا قشعة مع اثنين من خدمه الى باب القلعة ، وكان التركمان يشكون في أن السلطان سيقصد قندهار ، ولهذا منعوا أي شخص من الجغتائية لعدة أيام من دخول القلعة ، وحدث أن دخلت القلعة قافلة من الابل حاملة العلف الى المدينة فانتهاز حاجي محمد خان الفرصة ، ودخل البوابة ، فمنعه حراس البوابة ، فسل سيفه بشجاعة ، وهاجمهم ، ولم تستطع هذه الجماعة المقاومة ، وفروا ، ودخلت جماعة أخرى وراءه القلعة ، واضطرب القزلباش ، وركب السلطان ودخل القلعة ، وجاء بداغ خان مضطربا الى البلاط ، وسمح له السلطان بالسفر الى العراق (٦٣٤) واستولى الجغتائيون على قندهار واطمان خاطرهم .

توجه السلطان همايون بعد ذلك لتسخير كابل وعين بيرم خان على حكومة قندهار (٦٣٥) واتفق ميرزا يادكار ناصر وميرزا هندال على أن يفرأ الى ميرزا كامران ، وفي الطريق لحق بهم الكثير من الخسائر من قبيلة « هزاره » فجاءا للملازمة السلطان ، واتفقا على الرحيل معه ، ووصل السلطان همايون الى كابل ، ووصل زنبيل بيك أيضا للملازمة وأخذ الجيش ينفصل عنه يوما بعد يوم ، ويلتحق بالسلطان ورحل في هذه الذواحي ، وخرج ميرزا كامران بجيشه وأتباعه عازما الحرب ، مع المعسكر الخالي ونزل على مسافة نصف فرسخ من جيش ميرزا كامران ، وفي هذه الليلة فر أكثر جنود ميرزا كامران وجاءوا الى معسكر السلطان ؟

(٦٣٣) مرض ابن الشاه ومات (همايون نامه - كلبدن بيكم ص ٧٤) .
(٦٣٤) سمح السلطان له بالسفر الى العراق « ايران » (بداوني ج ١ ص ٤٤٨) .
(٦٣٥) ترك السلطان حميد بانو بيكم أيضا في قندهار مع بيرم خان (همايون نامه - كلبدن بيكم ، ص ٧٤) .

« آه عندما يعود الزمان ، ويعود القلب والبخت رفيقان لى »

اضطرب ميرزا كامران ، وأرسل جماعة من المشايخ الى البلاط ، وطلب العفو ، ووافق السلطان على العفو عن جرائمه بشرط أن يأتى للملازمة ، ولم يوافق ميرزا كامران على ملازمته ، وفر الى قلعة كابل ، وجاء جميع جنوده الى معسكر السلطان ، وفى نفس الليلة فر ميرزا كامران من طريق « هستى حصار » الى غزنين ، وعلم السلطان بفراره ، فأصدر أوامره الى ميرزا هندال لتعقبه ، ودخل بالمنفس والنفيس كابل ، وعندما حل المساء ، أضاء جميع الكابليين المدينة كلها بالمصابيح من فرط سعادتهم (٦٣٦) .

« الليلة الظلماء صارت مضاعة ، مما جعل المؤذن يظن أن الصبح قد حان » وبمجرد أن نزل على باب القلعة ، أحضرت حضرة بيكـمان الأمير العالم جلال الدين أكبر ميرزا لرؤيته وأضاءت عين السلطان برؤية قرة العين وقدم لوازم الشكر ، وكان هذا الفتح فى العاشر من رمضان سنة ٩٥٣ هـ وكان الأمير قد بلغ فى ذلك الوقت سن الرابعة وشهرين وخمسة أيام (٦٣٧) وذكر البعض أنه كان فى سنة ٩٥٢ هـ والعلم عند الله .

توجه رسول بعد الفتح الى معسكر الجيش : الذى كان فى قندهار ، وجاء ميرزا يادكار ناصر للملازمة مريم مكاني فى كابل ، ومد السلطان الموائد العظيمة فى هذه الأيام ، وتم ختان الأمير ، وقضى السلطان بقية هذه السنة فى اللهو والمرح ، وفر ميرزا كامران وتوجه الى غزنين ، ولم يسترح فى المدينة فاتجه الى الهزاريين ، وأرسل السلطان ميرزا الخ بيك الى حكومة « زمينداران » لطاردة ميرزا كامران ، ولم يجسد ميرزا كامران مجالا للتوقف فى زمين داور ، وذهب الى بهكر (٦٣٨) عند ميرزا شاه حسين أرغون ، وأعطى ميرزاشاه حسين ابنته الى ميرزا كامران ، وأمدته بالمعونة .

توجه السلطان همايون الى بدخشان فى السنة التالية ، ولما كان ميرزا سليمان بن خان ميرزا لم يحضر للملازمة السلطان على الرغم من استدعائه ، ولذا صمم على التوجه الى بدخشان ، وسافر اليها .

(٦٣٦) كان هذا الفتح فى العاشر من رمضان المبارك سنة ٩٥٢ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٤٩) .

(٦٣٧) استدعى السلطان همايون زوجته الى كابل لختان الأمير الذى بلغ الخامسة من عمره (كلبدن بيكم ، ص ٧٧) .

(٦٣٨) الى تهته وبهكير (كلبدن بيكم ص ٧٦) ، الى بهكر (بداونى ج ١ ص ٤٤٩) .

وكان ميرزا يادكار ناصر قد عاود العصيان مرة أخرى ، وفكر في القرار وعلم السلطان بهذا الأمر فأمر بحبسه ، وبعد عدة أيام قتلوا محمد قاسم بموجب أمره (٦٣٩) وعبر السلطان خلف هندكوه ونزل في « شهر كران » (٦٤٠) وجمع ميرزا سليمان أيضا جيش بدخشان وهارب وفي قول هجوم ، هزم ، وفر في الصحراء وعلى الجبال ، وتوجه السلطان الى « طالقان وكشم » (٦٤١) وبينهما اعتلت صحة السلطان واشتد المرض عليه يوما بعد يوم حتى ضج الناس ، ولم يكن يعلم أحد أنه على قيد الحياة سوى المقربين ، وبدأ تذمر في الجيش لهذا الأمر ، وكان قزاجه خان يحافظ على ميرزا عسكري وشرع أهالي بدخشان في العصيان في كل ناحية ، وبعد شهرين استرد السلطان صحته ، وأرسل خبر الشفاء الى الأنحاء ، فسكتت جميع الفتن ، ووصل مضمون هذا البيت الى مسامع عقل أهل الزمان :

« من هذه العافية التي نالها السلطان الموفق ، تفتحت الحديقة من نسيم الربيع »

انتقل المعسكر السلطاني الى نواحي قلعة ظفر ، وهناك قتل خواجه معظم أخو السلطانة مريم مكائي خواجه رشيد الذي كان قد جاء في ركاب السلطان من العراق ، وفر الى كابل ، ولكنه سجن هناك حسب الأمر .

عندما علم ميرزا كامران في بهكر أن السلطان قد توجه الى بدخشان ، جمع جمعا اتفق معه ، وأغاروا على غور بند وكابل ، وفي الطريق تقابل مع تجار استولى على جياذ كثيرة منهم ، وجعل لكل رجل من جمعه جوادين ، ووصل الى نواحي غزنين ، وجاء اليه جماعة من أهالي غزنين وأدخلوه القلعة (٦٤٢) وقتل زاهد بيك حاكمها والذي كان في نوم الغفلة ، (٦٤٣) وبأمر الميرزا قطعوا طريق كابل حتى لا يطير الخبر الى هناك ، وجمع جمعه في غزنين وتوجه الى كابل على وجه السرعة ، وكان محمد قلى طغار وفضائل بيك والقوة التي معها في كابل في غفلة ، وحين علموا أن ميرزا كامران دخل المدينة ، وقتل محمد قلى طغار على الفور وكان حبيسا في الحمام ، ودخل ميرزا كامران قلعة

(٦٣٩) تم قتل محمد قاسم (اكبر نامه ص ٣٠٠) .

(٦٤٠) تير كران قرية في اندراب (اكبر نامه ، ص ٣٠٠) .

(٦٤١) ان جيش السلطان توجه الى ظفر (كلبدن بيكم ، ص ٧٨) وبين ظفر وكشم

مرض السلطان (أحمد يادكر) .

(٦٤٢) أخذوه بالقوة (اكبر نامه ، ص ٣٠٨) .

(٦٤٣) كان شملا (اكبر نامه ، ص ٣٠٨) .

كابل ، وقبض على فضائل بيك ومهتر وكيل ، وسمل عينيهما ، وأرسل
أناسا لحماية نساء السلطان والأمير العالم .

وصل هذا الخبر للسلطان همايون وهو فى نواحى قلعة ظفر فأرسل
السلطان فرمانا الى ميرزا سليمان بحكومة بدخشان وقندوز اللتين كانتا
قد أعطيتا لميرزا هندال ، وتوجه على الفور الى كابل ، وجمع ميرزا
كامران ما يستطيع جمعه من قوة ، والتحق به شيرافكن ، وجاء شير على
نامبى من قواد ميرزا كامران من « ضحاك وغوربند » ، واهتم بتحصين
الطريق ، وعبر السلطان نهر « وادى الضحاك » وقاتل شير على كما
هو محدد ، وهزمه ، وعبر الجيش سالما من المضيق ، وأساء شير على
مؤخرة الجيش مرة أخرى ، فنزل السلطان فى قرية « أفغانان » وفى
اليوم التالى خرج شير أفكن بيك وجميع رجال ميرزا كامران للقتال ،
ووقعت المعركة فى « النك يرت جالاك » وفى البداية تعب رجال السلطان
همايون ، وأخيرا وبسبب بسالة ميرزا هندال وقواجه خان وحاجى محمد
خان ، هزم رجال ميرزا كامران هزيمة منكرة ، وأسر شيرافكن بيك ،
وبعد ما رآه السلطان قتله الأمراء ، وقتلوا كثيرا من جيش ميرزا كامران
فى هذا اليوم ، وأطاح السيف بالبقية التى هربت الى القلعة ، وقاتل شير
على الذى كان متصفا بالشجاعة يوميا بقدر استطاعته ، وذات مرة
التقى شير على بحاجى محمد خان وجها لوجه ، وأصيب حاجى محمد
خان بطعنة ، وتصادف أن علم أن قافلة معها جياذ كثيرة قد وصلت
الى جاركان (٦٤٤) فأرسل ميرزا كامران شير على لهذه المهمة ، وذهب
مع جماعته لاحتضار هذه الجياذ الى المدينة ، وذهب أكثر رجال ميرزا
كامران لمرافقة شير على لهذه المهمة ، وعلم السلطان همايون بهذا الأمر ،
فاقترب من القلعة ، وسد طريق الذهاب والاياب على أهل القلعة تماما ،
ولم يجد شير على وهذه الجماعة طريقا عند العودة لدخول القلعة ،
وكلما أراد ميرزا كامران أن يقاتل من أجل أن يدخل شير على وهذه
الجماعة التى كانت خارج القلعة الى القلعة وكلما أراد الناس الخروج
يواجهون بضرب المدفعية والبنادق ، وجاء باقى صالح وجلال الدين بيك ،
وهما من الرجال أصحاب الشأن لدى ميرزا كامران لملازمة السلطان
همايون ، ويئس شير على ورفاقه من دخول المدينة ، وأضاف الحصار
على القلعة فأمر ميرزا كامران بنذالته أن يعرضوا الأمير أكبر على شرفة
القلعة وعلى الأماكن التى تصل اليها القذائف والطلقات ، وكانت مهم

(٦٤٤) فى مدخل وادى غوربند شمال كابل (البيوت ط الهند ، ص ٥٦)

أنكه تحتضنه وتجلس ، وتعرض نفسها للمواجهة (٦٤٥) وتجعل ظهرها ناحية العدو وحفظه الحق سبحانه وتعالى .

المهم خرج جماعة من أهل كابل من القلعة وفروا ، وتوجه كل واحد الى ناحية ، وأرسل السلطان همايون جيشا لتعقبهم (٦٤٦) وقتلوا كثيرا منهم ، وأسروا طائفة ، واضطرب ميرزا كامران ، وحضر الجنود من الأطراف والنواحي للالزمة السلطان همايون ، وأرسل ميرزا سليمان مساعدة من بدخشان ، وجاء ميرزا الغ من قندهار ، ووصل قاسم حين سلطان وجماعة من رجال سترطغاني (٦٤٧) من قندهار للمساعدة .

أراد ميرزا كامران الصلح ، فقبل السلطان بشرط أن يلزمه ، ولكن ميرزا كامران كان خائفا من الالزمة وفكر في الفرار ، ولما كان الأمراء الجغتائيون غير راضين بأسر ميرزا كامران لكرم أصله لذا أرسلوا رسالة من أن السلطان همايون سيضرب القلعة خلال يومين ، وليس هناك مصلحة في التأخير وكان ميرزا كامران يكره مايوس بيك (٦٤٨) وقراهه بيك فقتل أبناء مايوس بيك الثلاثة الصغار ، ورماهم من أعلى جدار القلعة الى أسفلها واستاء الناس في الداخل والخارج من خسة ميرزا كامران ، وربط سردار بيك بن قراهه بيك خان على جدار القلعة ، وكان السلطان همايون يحب قراهه خان كثيرا ، واقترب قراهه خان من القلعة ، وصاح انه اذا قتل ابني فانتني سأقتل ميرزا كامران وميرزا عسكري عوضا عنه بعد الاستيلاء على القلعة ، ويئس ميرزا كامران من كل شيء ، وفتح فتحة في جدار القلعة من ناحية خواجه خضر وعبر منها وكان الأمراء خارج القلعة قد أشاروا عليه بذلك ، وأرسل السلطان حاجي محمد خان على جماعة لتعقب جان بيك في الخارج ، واقترب حاجي محمد خان من ميرزا كامران وقال ميرزا كامران بلهجة تركية « لقد قتلت والد بابا قشعة » وكان حاجي محمد مستعدا دائما للقتال ، ولكنه عندما علم بذلك عاد ، (٦٤٩) ولزم الأمير العالم أكبر شاه والده ، وقدم السلطان الشكر لله ، وتصدق كثيرا على الفقراء والمساكين .

عندما وصل ميرزا كامران الى سفح جبل كابل متعبا وفي حالة يرثى لها ، واجه « الهزاربيبين » وانتهبوا كل ما كان معه ، وأخيرا عرف

(٦٤٥) نفس عبارات بداوني (منتخب التواريخ ج ١ ، ص ٤٥٠) .

(٦٤٦) بقيادة حاجي محمد خان (بداوني ج ١ ، ص ٤٥٠) .

(٦٤٧) سرم طغاني (اليوت ط الهند ، ص ٥٧) .

(٦٤٨) ناموس بيك (اليوت ط الهند ، ص ٥٧) .

(٦٤٩) لازم مرزا كامران السلطان همايون (بداوني ص ٤٥١) .

أحدهم ميرزا كامران ، فأخبر قائده ، وحمله قواد الجماعة الى الضحاك . وباميان حيث كان هناك شير على تابع الميرزا مع قلة من رجاله ، ومكث . فى هذه النواحي لمدة أسبوع ، واجتمع قرابة مائة وخمسين فارسا حول الأمير ، وتوجه ميرزا كامران الى غورى ، وقاتل ميرزا كامران ، ومعه ثلاثمائة فارس وألف من المشاه ميرزا بيك بيرلاس حاكم غورى ، وهزم حاكم غورى ، ووقعت جياذ وأسلحة هذه الجماعة بيد جيش الميرزا .

عموما جمع الأمير كامران جيشا وتوجه من هناك الى بلخ ، والتقى مع بير محمد خان حاكمها ، وجاء بير محمد خان بنفسه لمساعدة الميرزا فى بدخشان ، واستولى كامران على غورى بغلان (٦٥٠) وقدم الجنود من الأطراف والنواحي لللازمة بكامران ، وعاد بير محمد خان الى ولايته . وتوجه الميرزا الى سليمان ميرزا ابراهيم ميرزا (٦٥١) ولم يستطيعا مقاومته ، وذهبا من طالقان الى كولاى ، واهتم ميرزا كامران بحكم بعض ولاية بدخشان .

أصاب الغرور قواجه وأمراء آخرين من الذين التحقوا فى هذه الأيام بالسلطان وقدموا خدمات جليلة ، وارتكبوا أعمالا غير متوقعة مع السلطان همايون منها : قتل خواجه غازى الوزير والسعى لتعيين خواجه قاسم محله ، وأساء هذا التصرف اساءة بالغة ، لخاطر السلطان . ولم يجب السلطان دعواهم واتفق الأمراء فيما بينهم ، أن يركبوا وقت تناول الطعام ، ويرمون شارة السلطان التى كانت فى « خواجه ريواج » ويتوجهون الى بدخشان ، وبعد طلوع الصباح تجمع جميع الجيش وركب السلطان همايون وتبعهم ، وطارد المعارضون بهجومه حتى غوربند ، وعبروا من كابل ، وجاء أناس الى السلطان همايون ومعهم جماعة منهم ، فعاقبهم جميعا ، وعندما حل المساء عاد السلطان الى كابل لأن هذه الجماعة سافرت الى بدخشان وتوجهت الى مرزا كامران ، وتركوا ثمر على شعالى لكى يرسل لهم أخبار المعسكر السلطانى ، وعزم السلطان السفر الى بدخشان ، وأرسل فرامين الى ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم وميرزا هندال ، وتوجه ميرزا ابراهيم من طريق قلعة برنان (٦٥٢) ولما كان مطلعا على أمر ثمر على شعال فقد توجه اليه وقتله ، ووصل لللازمة السلطان فى قراباغ كابل .

(٦٥٠) بعض ولايات بدخشان (بداونى ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥١) استولى على بدخشان من مرزا سليمان وابنه ابراهيم دون قتال (بداونى

ج ١ ، ص ٤٥١) .

(٦٥٢) بريان (اليوت ط ١ الهند ، ص ٥٩) .

أرسل ميرزا كامران شير على في هذه الأيام بكامل استعداد له لصد ميرزا هندال ، وقبض جنود ميرزا هندال على شير على ، وفي هذا الوقت وصل ميرزا هندال لملازمة السلطان ، ورأى السلطان شير على وهو مقيد ، وعفا عنه السلطان لمروءته ، وأنعم عليه بغوري ، وترك ميرزا كامران قراجة خان مع جماعة كانوا قد جاءوا من كابل في كشم ، وذهب هو الى طالقان (٦٥٣) وأرسل السلطان همايون ميرزا هندال وحاجي محمد كوكي مع جماعة الى كشم ، وأرسل قراجة خان الى ميرزا يخبره أن ميرزا هندال برفقته قوة قليلة والسلطان بعيد عنه ، لذا ينبغي الأغارة عليهم ، ولو وافقه على صد ميرزا هندال فان الحرب ستكون سهلة بعد ذلك مع السلطان أيضا ، وجاء ميرزا كامران بسرعة الى كشم ، ووصل الى شاطئ نهر طالقان حيث عبر النهر ، وفي أول هجوم حقق النصر ونهب جميع أمتعة ميرزا وجماعته ، ووصل السلطان أيضا في ذلك الوقت الى شاطئ النهر ، وتوقف فترة حتى تم أعداد المعبر ، وبعد عبور النهر ، وصلت مقدمة الجيش الى ميرزا كامران ، وقبضت على شيخهم خواجه خضري واسماعيل بيك دولدي (٦٥٤) وأحضروهم عند السلطان وعاد ميرزا كامران قاصدا طلائع السلطان ، وعندما وصل كل منهما الى الآخر ، ورأى الميرزا الرايات السلطانية فر الى طالقان ، تاركا خلفه ما كان قد نهبه وما كان يمتلكه ، وفي اليوم التالي وصل الى طالقان ، وجاء ميرزا سليمان في ذلك الوقت لملازمة السلطان ، وطلب ميرزا كامران المساعدة من الأوزبك ، ولما يئس منهم اضطرب أشد الاضطراب ، وصار عاجزا فطلب الاذن (٦٥٥) وأنعم عليه السلطان وقبل التماسه ، بشرط أن يرسل الأمراء المتمردين (٦٥٦) الى البلاط ، وطلب ميرزا كامران العفو عن جريمة مايوس بيك ، وأرسل الأمراء الآخرين اليه ، وجاءوا الى البلاط بخجل وندم ، وعفا السلطان عن جرائمهم مرة أخرى .

خرج ميرزا كامران من القلعة ، وابتعد فرسخين ، ولما لم يعد في خطر من أن يلحقه ضرر من السلطان ، وخجل أشد الخجل من هذا الكرم ، عزم ملازمة السلطان ، وعاد ، وعندما عرضوا على السلطان هذا الأمر ،

(٦٥٣) وردت بالمخطوط طالقان ، ص ٢١٥ .

(٦٥٤) وردت بالمخطوط رولدي ، ص ٢١٥ .

(٦٥٥) سمح له بالسفر الى مكة (بداوني ج ١ ص ٤٥١) .

(٦٥٦) منهم قراجة خان ، جاء والسياف على رقبته (أكبر نامه ص ٣٣٥) .

سر السلطان سرورا جما ، وأرسل الأمراء (٦٥٧) لاستقباله ، وعند إقائه عطف عليه كثيرا وأعد أسباب إمارة ميرزا كامران مرة أخرى ، وتوقف في نفس هذا المكان ثلاثة أيام وأعد الولائم والاحتفالات ، وبعد عدة أيام أقطع ميرزا كامران ولاية كولا (٦٥٨) وأبقى ميرزا سليمان وميرزا إبراهيم في كشم ، وتوجه المعسكر العظيم الى كابل (٦٥٩) ونزل في أوائل فصل الشتاء في كابل وطلب العناية بالجنود واعداد الجيش .

توجه السلطان همايون من كابل في آخر هذه السنة لتسخير بلخ ، وأرسل رسولا لاستدعاء ميرزا كامران وميرزا عسكري من كولا ، ولما نزل السلطان في بدخشان ، جاء ميرزا هندال وميرزا إبراهيم للزومة السلطان ، وتوقف ميرزا إبراهيم بموجب التماس ميرزا سليمان في كشم ، وعاد ميرزا كامران وميرزا عسكري ثانية الى العصيان ، ولم يأتيا للملازمة ، وتوجه السلطان الى نواحي قلعة أيبك وتحصن أتاليق بير محمد حاكم بلخ (٦٦٠) مع مجموعة من الأمراء ذوي الشأن في قلعة أيبك ، وحاصر السلطان القلعة ، واضطرب الأوزبك ، وخرجت الأمهات ، ولم يأت ميرزا كامران اليه ، وجمع السلطان الأمراء واستشارهم من أنه ربما يتوجه ميرزا كامران الى كابل عندما يتوجه الجيش الى بلخ ، وقال السلطان عندما نعزم على الهجوم فلنتوكل ، وتوجه ركب السلطان الى بلخ ، وكان الأمراء والقواد قد اضطربوا بسبب عدم مجيء ميرزا كامران ، وعندما وصل الى نواحي بلخ ، ووقت نزول الجيش وصل شاه محمد سلطان أوزبك مع ثلاثمائة فارس ، وتوجهت جماعته لصددهم ، ووقعت معركة حامية ، وقتل كابل أخو محمد قاسم خان فوجي في المعركة ، وأسر أحد قواد الأوزبك ، وفي اليوم التالي خرج بير محمد خان من المدينة ، وكان عبد العزيز خان بن عبيد خان سلطان حصار (٦٦١) قد جاء أيضا لمساعدته وبعد منتصف النهار وصل الجيشان في المواجهة ، ووقعت المعركة ، وأعد السلطان نفسه ، وأوقع ميرزا سليمان وميرزا هندال وحاجي محمد سلطان الهزيمة على طلائع المتمردين الذين فروا الى المدينة ، وتراجع بير محمد خان ورفاقه أيضا ، ودخلوا المدينة ، وعاد الجيش الجفتائي الذي كان قريبا من المدينة وقت غروب الشمس ، ولما كان أهل وزوجات الأمراء الجفتية

(٦٥٧) عسكري وهندال .

(٦٥٨) عرفت باسم ختلان (أكبر نامه ، ص ٣٢٨) .

(٦٥٩) أراد عسكري أن يذهب معه وأخذ مقاطعة كاراتاجن (أكبر نامه ص ٣٣٧) .

(٦٦٠) وهو جواجه ماك (أكبر نامه ، ص ٢٤٧) .

(٦٦١) وردت بالخطوط : سلاطين حصار ، ص ٢١٧ .

فى كابل قد استاءوا بسبب عدم مجيء ميرزا كامران ، واجتمع امراء السلطان فى هذه الليلة التى دخلت فى صباحها بلغ تحت سيطرة السلطان وعرضوا عليه : « أنه ليس مناسبا للسلطان أن يمر على نهر بلغ والصلاح فى أن تذهب الى جانب « دره كز » وتحدد مكانا حصينا للمسكر ، وسوف يأتى أهالى بلغ وحصار فى وقت قصير للالزمتك » ، وتشددوا الى درجة أن قبل السلطان الرحيل ، ولما كان « دره كز » بجانب كابل واعتقد العدو والصديق أنه لن يعود ، وتشجع الأوزيك وتعقبوه ، وكان ميرزا سليمان وحسين قلى سلطان مهسزوا يؤمنون مؤخرا الجيش ، فقاتلا طليعة الأعداء ، وهزما ، وكان الجنود الذين ذهبوا الى كابل قد سار كل واحد منهم الى الناحية التى يريدونها ، وأنفلت الأمر ، ووصل ثلاثون ألف شخص من الأعداء ، وهجم السلطان فى هذه المعركة على الأعداء بالنفس والنفيس ، وأصيب السلطان بجرح من حربة شخص كان قريبا ، وترجل السلطان وخرج بقوة ساعده من بين الجميع ونجا ميرزا هندال وتردى بيك خان ومنعهم بيك خان ومجموعة أخرى من الأمراء المقاتلين بالسلامة وأبدى شاه بداغ خان وتولك خان قوجين شجاعة فى هذه المعركة .

جاء السلطان سالما الى كابل ، وقضى بها بقية هذه السنة ، وكان ميرزا كامران ما يزال فى كولاى وعارض جاكى على بيك كولاى ميرزا كامران وأغار بجيش كبير على نواحي كولاى ، وأرسل مرزا كامران ميرزا عسكرى لقتاله ، وهزم ميرزا عسكرى ، وتوجه مرة أخرى بأمر أخيه للقتال ، وعاد مثل المرة السابقة ، وتوجه ميرزا سليمان وميرزا ابراهيم من كشم وقندوز اليه ، ولم يكن لدى مرزا كامران من طاقة لمقاومتها ، واقترب من « روستاق » وهاجمته جماعة من الأوزيك ، وسلبوا أكثر جياده ، وعرض ميرزا كامران على مرافقيه أن يسلكوا طريق ضحاك وباميان الى « هزاره » ، وعلم السلطان بهذا الأمر ، فأرسل جماعة كبيرة من أمرائه وجيشه الى ضحاك وباميان لى يحافظوا على هذه الولاية ، وأرسل قراجه خان وقاسم حسين سلطان وجماعة أخرى من الأمراء المتمردين الذين كانوا فى ملازمة السلطان ، وأرسلوا شخصا الى ميرزا كامران كى يسلك طريق قىجاق حتى يلتحقوا به وقت المعركة ، وعندما اتجه ميرزا كامران وانفصل قراجه خان ورفاقه الذين تمرغت رؤوسهم فى تراب الخسة عن السلطان ، ووقفوا يقاتلون بجوار ميرزا كامران ، ومع أنه كان مع السلطان عدد قليل من الرجال الا أنهم ثبتوا بشجاعة ، ووقعت معركة حامية ، وقتل فى هذه الحرب بير محمد اخته بيكى وأحمد بن ميرزا قلى وجرح ميرزا قلى ، وسقط عن ضهوة جواده ، وعلى الرغم من بسالة السلطان لكته أصيب بجرح سييف فى

رأسه المباركة ، وجرح أيضا جواده الخاص ، وأبعد السلطان عنه الأعداء بضرب السهام وخرج سالماً ، وتوجه إلى ضحاك وباميان ، والتحقته به القوة التي كانت قد ذهبت إلى هذا الطريق ، واستولى ميرزا كامران مرة أخرى على كابل .

توجه السلطان مع حاجي محمد خان وجماعة أخرى في ركابه إلى بدخشان ، وأرسل شاه بداخ وتولك قوجين ومجنون فاقشال وجمع آخر مجموعهم عشرة أشخاص للاستطلاع بجانب كابل ولم يعد للزمسة السلطان من هذه الجماعة سوى تولك قوجين ، وتعجب السلطان من خسة تابعيه ، وأقام في نواحي اندراب ، وعندما علم سليمان ميرزا وإبراهيم ميرزا وميرزا هندال بمجيء السلطان جاءوا للالزمتهم بجيوشهم ، وبعد أربعين يوماً توجه السلطان إلى كابل ، وفي المنطقة التي هزم فيها ميرزا كامران ، وقواجه خان وجيش كابل (٦٦٢) مصطفى الطرفان ، وفي ذلك الوقت فر خواجه عبد الصمد المصور من جيوش ميرزا كامران ولازم السلطان ونال التكريم ، وهزم كامران ميرزا الذي رفض الطاعة ، وفر بحال سيء إلى سفح جبل مندو (٦٦٣) ، وأسر قواجه خان الغدار وقت هروبه ، وأحضره عند السلطان ، وأثناء الطريق رأى قنبر على بهاري الذي كان قد قتل أخوه بأمر خواجه قواجه خان في قندهار فانتهاز الفرصة وقتل قواجه خان ، وسقط ميرزا عسكري في هذه المعركة ، بين جنود السلطان ، وسار السلطان ظافراً منصوراً إلى كابل ، وقضى سنة في كابل للراحة .

فر جماعة من المتمردين مرة أخرى وتوجهوا إلى ميرزا كامران وتجمع حوله قرابة ألف وخمسمائة فارس ، وذهب حاجي محمد خان دون إذن السلطان إلى غزني ، واضطر السلطان التوجه إلى لغمان لصيد ميرزا كامران ، ولم يستطع مقاومته ، وفر إلى السند بمساعدة أفغان مهندوخيل داودي وزمينداران لغانات وقام السلطان بالصيد لفترة في نواحي لغانات وعاد إلى كابل ومرة أخرى دخل ميرزا كامران بين الأفغان ، وتوجه السلطان مرة ثانية لدفعه ، وأصدر أمراً إلى بيرم خان حاكم قندهار لكي يتوجه بسرعة إلى غزني ويقبض على حاجي محمد خان ، وأرسل حاجي محمد خان رسولا إلى ميرزا كامران حتى يصل إليه في غزني : « لأنني عبد تابع لك وولاية غزني تتعلق بكم » ، وتوجه ميرزا كامران من ولاية بشاور إلى طريق بنكش وكردين إلى

(٦٦٢) أكبر نامه ، ص ٣٦٣ .

(٦٦٣) مندود (اليوت ط الهند ، ص ٦٤) .

غزنین ، وكان بیرم خان قد وصل الى غزنین قبل وصوله ، وذهب حاجی محمد خان اليه مضطرا ، وعادا سويا الى كابل ، وعلم ميرزا كامران فى الطريق بخبر توجه حاجی محمد خان الى كابل فعاد الى بشاور .

عاد السلطان همايون من لغمان الى كابل ، وقبل أن يدخل السلطان كابل بعدة أيام فر حاجی محمد خان منها وتوجه الى غزنین ، وأرسل السلطان بیرم خان مع أكثر الأمراء لمطاردته ، وجاء حاجی محمد خان ثانية مع بیرم خان الى البلاط ، وأكرمه السلطان ، وحسب الأمر حمل خواجه جلال الدين محمود ميرزا عسكرى الى بدخشان وسلمه لميرزا سليمان حيث أذن له بالسفر الى مكة عبر بلخ ، وأرسله ميرزا سليمان الى بلخ ، وانتهت أيام حياة ميرزا عسكرى فى هذه الرحلة فى بلاد الروم (٦٦٤) واحتفظ الأفغان بميرزا كامران بينهم حتى يتكون لديه جيش ، وعزم السلطان همايون مرة أخرى على مطاردته ، وقتل حاجی محمد وأخاه بسبب كثرة جرائمهما ، وفى هذه المرة أغار ميرزا كامران بالاتفاق مع الأفغان على معسكر السلطان ليلا ، واستشهد ميرزا هندال فى هذه الليلة (٦٦٥) وتاريخ شهادته يؤخذ من « شبيخون » (٦٦٦) .

لم تفد حملة ميرزا كامران بفائدة ، وهزم ، وأنعم السلطان همايون بخيل وحشم ميرزا هندال للأمير العالم جلال الدين أكبر ميرزا ، وعينه على غزنین وتوابعها .

توجه السلطان بعد ذلك الى الأفغان الذين لم يستطيعوا أن يوفروا الحماية لميرزا كامران ، ويئس من الجميع ، ففر الى الهندوستان ، وذهب الى سليم خان (٦٦٧) ونهب السلطان جميع تابعيه وعاد الى كابل ، وبعد عدة أيام استراح فيها الجنود ، عزم السلطان التوجه الى الهندوستان من طريق بنكش وكرديز ، وأدب جميع المتمردين الذين كانوا فى أطراف النواحي وعبر السلطان نهر السند من بين دنكوت ونيلاب .

عندما أحس ميرزا كامران بالنية السيئة لسليم خان حاكم الهندوستان ، فر ولجا الى جبل سيالكوت ، ووصل بجهد جهيد الى ولاية سلطان آدم كهكهر ، واعتنى سلطان آدم به ، وعرض الحقيقة خفية على السلطان (٦٦٨) فأثنى عليه السلطان ، وأمر باحضاره ، وذهب منعم

(٦٦٤) توفى عسكرى بين دمشق ومكة ولم يصل الى هدفه (بداونى ص ٤٥٣) .

(٦٦٥) ذكر بداونى ذلك (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٤) .

(٦٦٦) أى « غارة » وهى تعادل سنة ٩٥٨ هـ .

(٦٦٧) وأخيرا ذهب يائسا الى سليم شاه (بداونى ، ص ٤٥١) .

(٦٦٨) قبض آدم كهكهر عليه وأرسله الى السلطان (همايون نامه لكليدن بيكم ،

ص ٩٥) .

خان الى منزل سلطان آدم ، وأحضر ميرزا كامران الى نواحي برهاله
 لملازمة السلطان ، وعفا عنه السلطان بناء على القول « عفو الاقتدار من
 علو الاقتدار ، وتسام السلطان لمروءته عن جرائم ميرزا كامران العديدة ،
 لكن القواد والأمراء الجفتائية الذين أضيقوا بالمتاعب والمحن بسبب
 الخلاف مع ميرزا كامران اتفقوا أن يحضروا عند السلطان ويقروا أن
 بقاء أصل قبيلة الجفتائي في أمان ينحصر في فناء ميرزا كامران ،
 وما أكثر ما شهدت من العصيان المتكرر ونقض العهد من ميرزا كامران ،
 وأنه لا شك أن السلطان يوافق على سمل عينية وفسام على دوست
 باريكي وسيد محمد بكنه ، وغلام على شش انكشت بفصد عين
 أميرزا من محلها (٦٦٩) ووجدوا تأريخ هذه الواقعة في « بيتشر » (٦٧٠)
 وسمح لميرزا كامران بالسفر الى الحج بعد هذه الموافقة ، وزوده
 بأمتعة الرحلة ، ووصل الى مكة ، وهناك ودع الحياة (٦٧١) .

وصل السلطان الى جوار قلعة رهناس (٦٧٢) وأراد تسخير
 كشمير وفي هذه الأثناء ، عرفوا أن بيرانه حاكم هذه الجبال لا ينقاد
 الى أي من السلاطين بسبب مناعة بلاده ، وربما يحمي طريق الخروج ،
 ولم تسقط كشمير أيضا بيده ، وسيصعب أمره ، ولم يهتم السلطان
 بكلامهم لعلو همته وسار ، وفي ذلك الوقت وصل خبر مجيء سليم خان
 أفغان الى الهندوستان من هذه الناحية ، وبسبب قلة الجيش توجه
 السلطان فجأة الى كابل بالأمراء والقواد الذين لم يكونوا موافقين على
 التوجه الى كشمير ، وعندما علم السلطان أنه ليس هناك شخص يوافق
 على هذا الهجوم عاد الى كابل ، وعبر نهر السند ، وأشار بتعمير قلعة
 بكرام ، وأتم جميع الجنود هذه القلعة بجهد تام في وقت قصير ،
 وعين اسكندر خان أوزيك لحكم هذه القلعة ، وجاء السلطان الى كابل ،
 وأذن للأمير جلال الدين أكبر ميرزا بالسفر مرتين الى غزني ، وذهب
 خواجه جلال الدين محمود وجماعة أخرى من الأعيان في ركاب الأمير
 الظاهر الى غزني .

وصل خبر وفاة سليم خان بعد مدة والخلافات بين الأفغان في
 الهندوستان (٦٧٣) ، ولما كان الوشاة قد عرفوا أن بيرم خان يريد

(٦٦٩) أمر السلطان سيد محمد بسمل عيني مرزا كامران (كلبدن بيكم ، ص ٩٦) .

(٦٧٠) تاريخ خطا لأن بيتشر = ٩١٢ .

(٦٧١) توفي سنة ٩٦٤ هـ (بداوني ج ١ ص ٤٥٣) .

(٦٧٢) رهناس الجديدة في نواحي البنجاب وقد بناها شير خان .

(٦٧٣) ساد الهرج والمرج بين الأفغان في الهندوستان وملوك الطوائف بعد وفاة

سليم شاه (بداوني ج ١ ص ٤٥٥) .

العصيان (٦٧٤) - فقد أمر السلطان بالتوجه إلى قندهار واستقبله بيرم خان ، وأظهر الولاء والاخلاص ، وعند العودة عين السلطان منعم خان على قندهار ، وعرض عليه منعم خان أنه طالما ينوى مهاجمة الهندوستان فإن تغيير وتبديل الحكام سيكون سببا في تفرقة الجيش ، وبعد فتح الهندوستان فإن هذا العمل يكون لائقا كما يقتضيه الحال ، وهكذا عين بيرم خان على حكومة قندهار وأقطع بها درخان أخى على قلى خان سيستان (٦٧٥) وعاد المعسكر العظيم إلى كابل ، واهتم بالأعداد لمهاجمة الهندوستان .

ركب السلطان ذات يوم للتنزه والصيد كما هو معتاد ، وقال طالما إن عزيمة السفر إلى الهندوستان في خاطري الآن فالأشخاص الثلاثة الذين يقع نظري عليهم سأخذ فالا من السؤال عن أسمائهم وسأل أول شخص عن اسمه الذى يسمى به فقال اسمى « دولت خواجه » فاستبشر السلطان ، وعندما قطع مسافة ظهر قروى آخر سألته عن اسمه قال اسمى « مراد خواجه » ، قال السلطان ما أسعدنى لو يكون الثالث « سعادت خواجه » وعندما قطع مسافة أخرى من الطريق ، رأى شخصا قال إن اسمه « سعادت خواجه » وتعجب الجميع من هذه القضية العجيبة واستبشروا بفتح الهندوستان .

وفى ذى الحجة سنة ٩٦١ هـ ، وضع السلطان همايون قدم السعادة فى الركاب وعزم تسخير الهندوستان ، وعندما نزل فى بشاور ، وصل بيرام خان حاكم قندهار بموجب الأمر (٦٧٦) وعبرت الرايات الظافرة نهر السند ، وتقدم بيرام خان وخضر خواجه خان وتردى بيك خان واسكندر ، سلطان وجماعة أخرى من الأمراء فى المقدمة (٦٧٧) وفر تاتار خان كاشى حاكم رهتاس ، وعلى الرغم من حصانة القلعة إلا أنه لم يجد طاقة للمقاومة ، ولم يأت آدم كهكهر مع سابق خدمته للالزمة السلطان لخسته ، وواصل السلطان رحلته إلى لاهور ، وبمجرد أن علم الأفغان بوصول الموكب الظاهر إلى لاهور ، فروا :

-
- (٦٧٤) وشى الوشاة أن بيرم خان قد ظهر عليه عدم الوفاء (بداونى ج ١ ص ٤٥٥) .
(٦٧٥) أكد ذلك بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٥٦) .
(٦٧٦) أراد السلطان أن يعزل بيرم خان عن قندهار ويسلمها لمنعم خان ، ونظرا لأنه صار وشيكا فتح الهندوستان فقد رأى من المناسب أن يعيده لحكم قندهار ضمانا لاتحاد القواد (بداونى ج ١ ص ٤٥٨) .
(٦٧٧) خرج بيرم خان من قندهار وعبر السند والتحق بخضر خواجه وتردى بيك واسكندر أوزبك (بداونى ج ١ ص ٥٤٥٨) .

« مع أن الراية العالية الظاهرة كانت ما تزال بعيدة ، لكن النصر والظفر كان مرددا في الأفواه »

ودخل السلطان المدينة دون نزاع (٦٧٨) وتوجه الأمراء بسرعة إلى جالندهر وسرهند ، وسقطت قرى البنجاب وسرهند وحصار تماما في يد الجنود الجغتائية بالقتال ، وفي ذلك الوقت تجمع جمع من الأفغان بقيادة شهباز خان ونصير خان أفغان في ديبالبور ، وأرسل السلطان مير أبا المعالي وعلى قلى سيستانى لصد ههما ، وبعد القتال وقعت الهزيمة على الأفغان ، وتهبوا أموالهما وأهليهما وزوجاتهما ، وأرسل سكندر أفغان الذي كان يسيطر على دهلي ثلاثين ألف شخص بقيادة تاتار خان وحبيب خان (٦٧٩) لصد أمراء سرهند ، وتجمع الأمراء الجغتائية في جالندر وعلى الرغم من كثرة العدو وقلة الصديق قرر الحرب ، ورحل السلطان وعبر نهر ستلج ، وعلم جيش الأفغان بعبورهم آخر اليوم ، فتوجهوا بهزيمة قتالهم ، واستعد الأمراء الجغتائية للقتال على الرغم من قوة اعداء ، وتقابل الجيشان وقت الغروب ، ووقعت معركة حامية وبدأ المغول في إطلاق السهام ، وبسبب ظلمة الليل لم يكن حملة السهام يرون المغول ، وأضرم الأفغان النار في كل مكان كان قريبا منهم لاضطرابهم ، ولما كانت أكثر بيوت الهندوستان مغطاة بالقش فقد استعلت النيران ، وأضاءت الميدان أكثر ، وخرج حملة السهام المغول على ضوء النار واستعدوا بجميع أسلحتهم :

« هكذا صنعت لنفسك فجا ، وما دام عطشنا فانه حفر بئرا وسقط فيه »

ولم يستطع الاعداء الذين كانوا هدفا للسهام في ضوء النهار المقاومة وقروا ، ووقع الفتح العظيم وسقطت أقيال وأمتعة كثيرة في يد جيش المغول ، وعندما وصلت بشرى الفتح إلى لاهور سر السلطان سرورا جما ، وأثنى على الأمراء كثيرا ، واستولى على البنجاب كلها وسرهند وقلعة فيروزه واستولى المغول أيضا على بعض قرى دهلي (٦٨٠) .

عندما علم سكندر أفغان بهزيمة جيشه ، توجه بثمانين ألف فارس وأقيال كثيرة ومدافع عديدة عازما الانتقام ، ووصل إلى سرهند ، وأقام حول معسكره خندقا وقلعة ، وأحكم الأمراء الجغتائية قبضتهم على مدينة سرهند ، وأظهروا استماتته بقدر المستطاع ، وأرسلوا رسائل إلى

(٦٧٨) في ٢ ربيع الثاني سنة ٩٦٢ هـ .

(٦٧٩) حبيب خان وتاتار خان كاسى ونصير خان طنوجى (بداونى ج ١ ص ٤٥٩) .

(٦٨٠) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٦٠) .

لاهور ، وطلبوا مجيء السلطان همايون (٦٨١) فتوجهت الرايات العالية بالفتح والظفر الى سرهند وعند اقتراب الوصول استقبله الأمراء ونظموا الصفوف ، وتقدموا بكامل الاستعداد لمواجهة العدو الذي كان أضعافا مضاعفة لجيش المغول ، وبعد عدة أيام أبدى الطرفان شجاعة وجلدا واستماتة ، وذات يوم اصطفت الطلائع التابعة للأمير العالم جلال الدين محمد أكبر ميرزا ، وهجم من ناحية بيرام خان خان خانان وهجم من الناحية الأخرى سكندر خان وعبد الله خان أوزيك وشاه أبو المعالي وعلى قلى وبهادر خان على الأعداء ، وأبدى كل أمير من أمراء في هذا اليوم شجاعة واستماتة الى درجة كبيرة وتفوق طاقة البشر ، وحققوا النجاح ، ووقعت الهزيمة (٦٨٢) على جيش الأفغان الذي كان قرابة مائة ألف شخص من طائفة قليلة ، وفر سكندر ، وتعقب الجيش الظافر الأعداء ، وقتل كثيرا منهم ، واستولوا على غنائم كثيرة ، وعاد الجيش ظافرا ومنتصرا الى السلطان ، وقام بمراسم التهاني وكتب الأدباء بموجب الحكم رسالة فتح باسم الأمير العالم الذي تحقق النصر بحسن شجاعة تابعة وأرسلها الى الأطراف والأكناف ، وتوجه سكندر خان أوزيك الى دهلي ، وتوجه المعسكر الظافر من طريق سمانه الى عاصمة الهندوستان ، وفرت جماعة من الأفغان الذين كانوا في دهلي بأقصى سرعة ، ودخل سكندر خان المدينة ، وأرسل مير أبا المعالي الى لاهور لدفع سكندر الذي فر الى جبال سواك (٦٨٣) .

جاء السلطان دهلي في رمضان (٦٨٤) وجعل الخطبة والسكة مرة أخرى في أكثر سواد الهندوستان باسم جلالته ، وقضى بقية هذه السنة في اللهو والمرح :

لما كان شاه أبو المعالي الذي ذهب لدفع سكندر لم يسلك سلوكا طيبا مع الأمراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم ، وأطلق يده أيضا في الخزانة العامرة ، وقوى نفوذ سكندر يوما بعد يوم ، ووصل هذا الخبر الى السلطان فأرسل بيرام خان « اتاليقي » الأمير العالم في ركب.

(٦٨١) استدعى الأمراء السلطان من لاهور الى سرهند (بداوني ج ١ ص ٤٦٠) .

(٦٨٢) أقاموا منارة من رؤس القتلى (بداوني ج ١ ص ٤٦١) .

(٦٨٣) فر اسكندر أفغان الى جبل سواك (بداوني ج ١ ص ٤٦١) .

(٦٨٤) اتجه المعسكر العظيم من طريق سمانه الى حاضرة الهندوستان ، ووصل الى دهلي في رمضان سنة ٩٦٢ هـ (بداوني ج ١ ص ٤٦١) .

الأمير لدفع سكندر ، وأصدر أوامره أن يتوجه شاه أبو المعالي إلى حصار فيروزه (٦٨٥) .

جمع قنبر ديوانه جماعة من دواب وسنبل في هذه الأيام ، وقام بالتهب والسلب ، وتجمع حوله أناس من المغامرين ومحدودي التفكير من كل جانب ، فأرسل السلطان على قلى خان سيستانى لصدده وتحصن فى قلعة بداون ، وسعى على قلى عدة أيام وأخيرا استولى على القلعة ، وأسر قنبر بيك ، وقتله ، وأرسل رأسه إلى البلاط (٦٨٦) .

ومن الحوادث العجيبة ما كان فى السابع من ربيع الأول ، وقرب صلاة المغرب وحين كان السلطان همايون قد صعد أعلى سلم المكتبة ، ومكث فترة ، وحين النزول كان المؤذن قد بدأ يؤذن للصلاة ونزل السلطان على الدرجة الثانية مكبرا ، وحين نقل قدمه المباركة التوت وانفلتت عن السلم وهوى على الأرض (٦٨٧) واضطرب أهل المجلس ، وأدخلوا السلطان الذى كان فاقد الوعي إلى داخل القصر ، وبعد لحظة أفاق ، وتحدث ، وسعى الأطباء فى معالجته كثيرا ، ولكن لم تأت بفائدة وفى اليوم التالى ساء حال السلطان ، وانقضى أمر العلاج ، وأرسلوا نظر شيخ جوتى (٦٨٨) إلى الأمير العالم فى البنجاب ، وأطلعه على الحقيقة ، وفى الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٦٣ هـ وعند الغروب أجاب داعى الحق ملبيا ، وسعد بالرياض الرضوانية ، ومن الصدف العجيبة أن هذا الصراع صار تاريخا لوفاة السلطان .

« هوى السلطان همايون من السطح » (٦٨٩)

امتدت أيام سلطنة السلطان همايون خمسة وعشرين سنة ، وبلغ عمره المبارك احدى وخمسين سنة ، وكانت ذاته المليكة وصفاته مزينة بالكمال الانسانى ، وامتنان عن سلاطين الآفاق بالشجاعة والبطولة ، وإن تف ثروة الهندوستان كرمه ، وكان فريدا فى علم النجوم والرياضة .

(٦٨٥) أبدى شاه أبو المعالي سلوكا سيئا مع الأمراء المساعدين واستولى على اقطاعاتهم وعلى الخزائن والخالصة ولهذا عين السلطان همايون بيرا خان لدفع اسكندر وشاه أبا المعالي لحصار فيروزه (بداونى ج ١ ص ٤٦٣) .

(٦٨٦) كان هذا فى ربيع الأول سنة ٩٦٣ هـ (بداونى ١/٤٦٥) .

(٦٨٧) سمع الناس صرخة وحاول الجلوس فلم يستطع (كلبدن بيكم ص ٥٥) .

(٦٨٨) نظر شيخ جولى (بداونى ١/٤٦٦) .

(٦٨٩) « همايون بادشاه از بام افتاد » وهى سنة ٩٦٢ هـ . وذكر أبو الفضل ذلك

سنة ٩٦١ هـ (اكبر نامه ص ٤٤٢) . وذكر بداونى أن تاريخ وفاته هو « أى آه بادشاه من

از بام او افتاد » أى سقط سلطاني من على السطح - وهى تغادل سنة ٩٦٠ هـ .

يفرض شعرا جيدا ، ويقضى دائما أول الليل حتى الصباح فى صحبة قدوة الناس من الفضلاء والعلماء والأكابر وكانت الآداب مرعية فى مجلس السلطان رعاية كاملة ، وزين جل وقته بالبحث العلمى فى عهده وكانت مروءته عالية لدرجة أن ميرزا كامران وأمراء الجغتائية كرروا العصيان ، وأسروا ، وعفا عن جرائمهم ، وكان فى كل الأوقات متوضئا ، ولم يكن يذكر اسم الله (٦٩٠) على لسانه قط دون وضوء ، وذات يوم استدعى مير عبد الحى صدر الملقب بعبدل (٦٩١) ، وعندما فرغ من الوضوء طلب بالمعذرة لأنه طالما لا أكون متوضئا لا أستطيع أن أقول اسمك وحى هو اسم الله ، كانت ذاته المليكة صفات جامعة للكمالات الصورية والمعنوية ، رحمة الله عليه .

المهم كان شيخ جونى الذى توجه الى البنجاب وقت شدة مرض السلطان قد وصل الى كلانور الى الأمير العالم ، وعرض القصصة الغربية ، ولكنهم أرسلوا بعده خبر وفاة السلطان ، واتفق الأمراء الذين كانوا فى الركاب الظافر للأمير تحت قيادة بيرام خان خانان أن يجلسوا الأمير على السلطنة بعد تقديم التعازى ، وفى الثامن من ربيع الثانى ، أعدوا احتفالا عظيما فى قسبة كلانور (٦٩٢) .

« وطأ السلطان مسند الحكم ، وأمن الناس والعالم من ارضائب »
« دخل الى بلاط الله ، وفتح الأمن الملكى الأبواب »

ولما كان ذكر تغلب وتسلط شيرخان أفغان وسليم خان وسائر الأفغان على بلاد الهندوستان سابقا لأيام حكم السلطان أكبر فلا مفر من أن يذكر المؤرخ هذا ، ولا جرم من أن ينعطف عنان القلم الى ذكرهم ، وسيذكر أحوال خير العالمين السلطان بعد اتمام أحوال هذه الجماعة .

ذكر أحوال شيرخان :

هو شيرخان شاه المذكور على الألسنة والأفواه ، اسمه فريد واسم أبيه حسن ، وحسن من طائفة افغان السورية ، وحين ارتقى السلطان

(٦٩٠) لم يكن اسم الله أو الرسول يجرى على لسانه مطلقا دون وضوء (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩١) وكان يقول لأصحاب الاسماء المركبة من « عبد » والاسماء الحسنى مثل عبد الله ، فكان يكتفى فقط « بعبدل » اذا لم يكن طاهرا . (بدوانى ٤٦٧/١) .

(٦٩٢) سعد بيرم خان بالآ يفشر الخبر بين الجنود الذين يطاردون سكندر فى جبل سواك وأجلس جلال الدين محمد أكبر على العرش فى يوم الجمعة الثانى من ربيع الاول سنة ٩٦٢ هـ (بدوانى ٨/٢) .

بهلول السلطنة ، استدعى كثيرا من الأفغان من ولاية « روه » وهى موطن الأفغان ، وروه عبارة عن جبل يمتد من سواد « ديجور » الى قصبة « سور » من ناحية الطول وهى من توابع بهكر ، ومن ناحية العرض فهى من « حسن ابدال » حتى « كابل » وتقع قندهار على حدود هذا الجبل .

جاء والد حسن سور ويدعى ابراهيم الى الهندوستان ، وكان يعمل فى خدمة أمراء السلطان بهلول (٦٩٣) وقضى فترة فى حصار نيروزه وفترة أخرى فى قرية نارنول ، وعندما انتهى عهد بهلول ووصل ابنه اسكندر الى السلطنة ، حكم جمال خان وكان من أمراء السلطنة سكندر جونبور (٦٩٤) ، وقضى حسن أبو فريد عمرا فى ملازمته ، واهتم جمال خان بحسن سور وأقطعته قرية بهرام من خواص بور تانده وهى من توابع رهتاس ، وجعل برفقته خمسمائة فارس ، وكان لحسن ثمانية أبناء هم : فريد ونظام من أم واحدة وأمهما من نسل الأفغان ، والأبناء الآخرون كانوا من الجوارى ، ولم يكن حسن يالف والدته فريد كثيرا ، ولم يهتم به مثل ابنائه الآخرين (٦٩٥) ، واستاء فريد من أبيه ، وترك خدمته وذهب للملازمة جمال خان ، وكتب حسن الى جمال خان أن يطيب خاطر فريد ، ويرسله اليه « فانى أريد أن أعلمه شيئا وأهذب أخلاقه » ، وكلما طلب جمال خان من فريد أن يذهب الى أبيه الذى كان رأسمال سعادته ، لكنه لم يقبل ، وقال : ان جونبور مدينة مثل سهرام وهناك علماء أكثر ، وسوف أهتم هناك بطلب العلم » ، وقضى فترة هناك ، وقرأ أشياء كثيرة ، واطلع على الكافية مع الحواشى الأخرى والكتب ، وقرأ أيضا الكلستان والبوستان وسكندرنامه التى كان أهل الهند يقرأونها هذه الأيام ، واطلع أيضا على السير والتواريخ ، وبعد سنتين أو ثلاثة جاء حسن الى جونبور ووسط أقربائه كى يحضروا فريداً ، ويزيلون الخلاف ، وعين حسن فريد على رئاسة العمل فى مقاطعته ، وأرسله الى المقاطعة ، وقال لوالده وقت السفر : « انه لكى أحكم العالم وخاصة الامارة فلا بد من العدل ، وإذا أرسلتني الى المقاطعة فلن أتجاوز عن العدل ، وأكثر تابعيك وأقربائهم يتجاوزون طريق العدل ، وأنا لا أريد المحاباة ، وأقسم على هذا » ، وذهب الى المقاطعة ، وسلك بينهم

(٦٩٣) عمل فى خدمة محبت خان حاكم البنجاب (تاريخ شير شاه . عباس خان سروانى اليوت ج ٤ ص ٣٠٧) .

(٦٩٤) عمل حسن والد شير خان لدى جمال خان فى ولاية سهرام وخواصبور (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) .

(٦٩٥) كان حسن لا يحب أم فريد ويفضل عليها الجوارى (تاريخ شير شاه ، ص ٣١٠) .

سلوك العدل والكفاءة ، ورعا العدل بين الأقرباء ولم يكن قد رأى « مقدمو » (٦٩٦) بعض القرى الذين كانوا متمردين وأهل فتنه فريدا ، فحذر هذه الجماعة ، واستشار رجاله ، وقالوا جميعا ان الجيش برفقة أبيك وينبغي أن تصبر حتى يأتي أبوك ، وأمر فريد أن يصنعوا مائتين من السروج وطلب من « مقدم » كل قرية جوادا عاريا ، واستدعى جزء من الجيش كان يقيم فى هذه النواحي وكان بعضهم من المشاة ، وزودهم بالنفقة واللباس ووعدهم بالخير ، وأركب كل واحد على جواد عار ، وذهب الى المتمردين ، وخرب أملاكهم ، وأسروهم .

كان بعض المتمردين الذين اشتهروا فى نواحي الولاية بالقسوة والمكانة والمتانة اعتمادا على الغابة ، لم يكن قد رأوا فريدا ، فالحقوا الضرر بولايته وقراها ، وقويت شوكتهم ، فذهب اليهم ، ونزل على مقربة من أماكنهم ، وأقام لنفسه قلعة ، وأخذ يقطع كل يوم من الغابة حتى وصل الى القلعة وحاصروهم وهزمهم وأسر وقتل خلقا كثيرين وعندما فعل هذا صار جميع المتمردين فى هذه النواحي طائعين له ، وفرض عليهم المال ، وعمر بركناته ، وصار صاحب مكانة وشوكة .

وجاء حسن الى المقاطعة بعد فترة وشاهد تعمير القرى وتنظيم الطرق ، فسر وأثنى عليه ويروون أنه كان لحسن جارية له منها ثلاثة أبناء هم : سليمان وأحمد ومدا ، وكان حسن عاشقا ومحبا لهذه الجارية ، وذات يوم قالت لحسن : كنت قد وعدتني أنه حينما يكبر أبناؤك سأوليهم « داروغى » الولاية (٦٩٧) ، وآآن قد وصلوا سن البلوغ ، وينبغي أن تفى بوعدك ، وكان حسن قد أخبر ابنه فريد أكبر الأبناء وأطلععه على الأمر ، فهم فريد هذا المعنى ، وعزله عن حكومة الولاية ، وعين حسن سليمان وأحمد بوظيفة « داروغى » وأعتذر لفريد ، وقال : « طالما أصبحت صاحب تجربة وخبرة فاننى أريد أن يصير أخوتك أيضا ناضجين » ، وفى آخر الأمر ستحل أنت محلى .

المهم عندما استقر سليمان وأحمد على حكومة الولاية ، يؤس فريد ، وترك ملازمة والده ، وتوجه الى أكره ، واستقر فى خدمة دولت خان وكان من أمراء السلطان ابراهيم الكبار ، وقام بخدمته مسدة طويلة (٦٩٨) ، وسر منه ، وذات يوم سأل دولت خان فريد ، قل لى أى

• (٦٩٦) رؤساء القرى

• (٦٩٧) حاكم

• (٦٩٨) وعهد اليه ببعض القرى (تاريخ شير شاه ، ص ٢٢٤)

مطلب أو أمنية تتمناها أقدمها لك ، قال فريد : ان أبى صار هرما ، وابتلى بسحر جارية هندية ، وبسبب سيطرة هذه الجارية فان ولاية ومقاطعات أبى وجيشه قد ساء حالهم واضطرب ، فلو أن الولاية لى ، وكل من الأخوين أحدهما يكون بخدمة السلطان مع خمسمائة فارس والآخر يكون مسئولا عن قرية والجيش ويكون فى خدمة أبى ، وذات يوم عرض دولت خان هذا الكلام على السلطان فقال أى رجل سىء ذلك الذى يستولى على التاج والسلطان من الأب ، فقال دولت خان هذا الكلام لفريد ، وسرى عنه وقال اننى سأعرضه عليه ثانية فى وقت مناسب ، وسيحقق طلبك ، وعين له وظيفة يومية زيادة ، وظل فريد برفقة دولت خان لخلقه الطيب ومعرفته الواسعة ومروءته ، حتى توفى حسن والده ، وعرض دولت خان خبر وفاة حسن على السلطان ابراهيم ، فأقطع مقاطعة أبيه الى فريد وأخيه ، وصدر لفريد فرمانا بحكومة سهرام وخواص بورتانده ، وذهب فريد الى مقاطعته ، واهتم بتنظيم الجيش والزراعة ولم يستطع سليمان مقاومة فريد (٦٩٩) وفر ، وذهب الى محمد خان سور الذى كان يحكم جونه ولديه ألف وخمسمائة فارس وقال محمد خان سليمان : « شاع الخبر أن بابر بادشاه قد دخل الهندوستان وستقع الحرب بين السلطان ابراهيم والبادشاه ، فاذا انتصر السلطان ابراهيم ، فسأحملك اليه فى سفارة ، واستاء سليمان وقال : « اننى لا أستطيع أن أنتظر كل هذا ، وأنهم يتبعون أمى وزوجاتى وأرسل محمد خان الى فريد ، وأشار بالصلح بين الأخوين » ، وقال فريد « « اننى أقبل ما ورثه سليمان فى حياة أبيه ، ولكننى لا أرضى أن يشاركنى فى حكومتى ، فما من سيفين يوضعان فى غمد واحد ، وما من حاكمين فى مدينة واحدة ، ولما لم يرض بمطلب سليمان لمشاركته فى الحكم سرى محمد خان عن سليمان وقال له : « هدىء من روعك فاننى سأخذ الحكومة من فريد بالقوة ، وأعطيها لك » .

وعندما علم فريد بهذا الأمر ، تدبر أمره ، وكان منتظرا ما يحدث بين السلطان بابر والسلطان ابراهيم وعندما سمع بخبر مقتل السلطان ابراهيم ونصر البادشاه ، ذهب للالزمة بهادر (٧٠٠) ابن دريا خان الذى كان قد لقب نفسه بالسلطان محمد ، واستولى على ولاية بهار ورفع لواء السلطنة ، وانتظم فى ملك تابعيه .

(٦٩٩) صدر فرمان السلطان ابراهيم لودى بأن يستولى فريد على البلاد التى كانت فى حوزة أبيه ، ولم يكن يناصبه العداء سوى أخيه سليمان الذى أراد مقاسمته ، فقال له : ليست هذه بلاد روه حتى تقاسمنى فيها (تاريخ شير شاه ، ص ٣٢٧) .

(٧٠٠) بهادر خان (أكبر نامه ص ١٧٠) ، بهار خان بن دريا خان نوحانى (بداونى ٢٥٨/١) .

ذات يوم ذهب السلطان محمد للصيد ، وفجأة برز أسد ، وواجه فريد الأسد ، وقتل الأسد بطعنة سيف ، وأثنى عليه السلطان محمد ولقبه بشير خان (٧٠١) ، وبالتدريج حظى شيرخان بالقرب تماما من السلطان ، وفوض السلطان محمد شيرخان بالنيابة عن ابنه جلال الذي كان صغيرا فى السن ، وجعله أتاليق (٧٠٢) ، وبعد مدة سمح لشيرخان بالسفر الى مقاطعته على أن يزوره فى المواعيد المحددة حسب الاتفاق ، وذات يوم شك السلطان محمد من شيرخان وقال فى المجلس : « لقد تخلف عن الموعد ولم يأت للزيارة » ، قال محمد خان حاكم جونه : « انه ينتظر قدوم السلطان محمد بن السلطان سكندر » ، فتغير مزاج السلطان محمد وقال (محمد خان) ان علاجه هو أن سليمان أخاه الذى كان يحل محل أبيه فى حياته ، وفر منه مدة وهو الآن عندي ، فلو أنعمت عليه بمقاطعة شيرخان ، فإن شيرخان سيأتى اليك سريعا ولم يرض السلطان محمد بعزله عن ولايته ، بسبب حقوق خدمته وعدم وجود جريمة ظاهرة ، وقال لمحمد خان : ان الطريقة المناسبة هو أن نقسم المقاطعة بين الأخوين لكى تهدأ الفتنة والفساد ، ولما كان محمد خان قد جاء من ولاية جونه وأرسل شادى علامة الى شيرخان ، وأرسل معه رسالة من أن أحمد وسليمان أخواك منذ مدة عندي فأرسل حصتهما ونصيبهما الى ، فرد شيرخان انها ليست بلاد روه التى هى ملك لكل شخص ولكنها بلاد الهندوستان ، كل من يستحق السلطان تكون له ، وحتى اليوم فان أسلوب السلاطين انهم يقسمون مال الميت بين الأخوين حسب المشرع ، لسكن لا يجوز على ما حققته من عملى وأنعموا به على من حكومة وانعام .

« لا يورث الملك للانسان دون أن يقاتل ويصادق كثيرا »

واننى أحكم سهرام وخواصبور تانده بأمر السلطان ابراهيم ، وعندما ذهب شادى الى محمد خان روى له ما ذكر ، فاضطر محمد خان ، وأمر أن يذهب شادى بكل قوته مع سليمان ، ويستولى على خواصبور تانده ، ويسلمها لسليمان ، وإذا امتنع شيرخان حاربه ، وهزمه ، وخذ منه المقاطعة وسلمها لسليمان ، واترك قوة كبيرة لمساعدة سليمان ، وتعال .

حدث أنه فى ذلك الوقت ان كان « سكه » غلام شيرخان وهو أبو خواص خان وكان « داروغه » خواص بور تانده من قبل شيرخان ، وسمع شيرخان بمجىء شادى سليمان فكتب الى « سكه » لا تقصر فى

(٧٠١) ورد نفس القول عند بداونى (٣٥٨ / ١) .

(٧٠٢) جعله أتاليق ابنه جلال خان (بداونى (٣٥٨ / ١) .

المقاومة والدفاع ، ووصل شادى وسليمان الى خواصبور ، وخرج ملك سكه للحرب ، وقتل وهزم جيش شيرخان ، فجاء الى سهرام ، ولم يبق لشيرخان طاقة للمقاومة ، وأراد أن يتوجه الى ناحية أخرى ، وقال البعض ينبغي أن تذهب الى السلطان محمد ، ويعلم شيرخان أن محمد خان من الأمراء الكبار ، والسلطان محمد لن ينساني ، وعزم أن يتوجه الى السلطان جنيد برلاس (٧٠٣) الذى كان يحكم كره مانكبور من قبل السلطان بابر بادشاه ، وتشاور مع أخيه نظام (٧٠٤) واستقر رأيه على ذلك ، وأرسل الرسل والرسائل الى السلطان جنيد ، وتعاهد وقدم الهدايا الكثيرة ، وأعد السلطان جنيد جيشا ، أخذ شيرخان للمساعدة ، وتوجه الى مقاطعته ، ولما لم يكن لدى محمد خان مقدرة للمقاومة ، فر ، وتحصن بجبل رهتاس ، واستولى شيرخان على قريتين بالاضافة الى قرية جونه ، رقرى اخى فى هذه النواحي ، وأثنى شيرخان على مساعدته وأنعم بالانعامات والذهب وأرسلهم بالتحف والهدايا اللانثقة الى السلطان جنيد ، واستدعى أقوامه وقبيلته الذين كانوا قد هربوا وتحصنوا وفي الجبل ، وقويت شوكته تماما ، كتب الى محمد خان حيث كان الهدف الانتقام من الأخوة ، وقال : « أعلم انك بمثابة عمى فاخرج من متاعب الجدل ، ويكفينى مقاطعتى وما أخذته من السلطان ابراهيم » وجاء محمد خان أيضا وصار رهينة لمئة شيرخان (٧٠٥) وعندما تجمع لشيرخان قوته ، ترك نظام أخاه على المقاطعة ، وذهب الى السلطان جنيد برلاس فى كره .

تصادف فى هذه الأيام أن ذهب سلطان جنيد لملازمة السلطان بابر بارشاه ، ورافقه ، ولزم شيرخان السلطان بابر ، ودخل ضمن أتباعه ، وكان شيرخان فى الركاب الظافر فى رحلة جنديرى ، وعندما قطع الجيش مسافة ، اطلع على نظام وسلوك المغول ، وذات يوم قال لرفاقه : انه من السهل اخراج المغول من الهندوستان ، قالوا وما دليلك ، قال : ان السلطان نفسه يقلل المعاملات ويثق فى الوزراء ، والوزراء ينفذون بالرشوة ولا يراعون حق السلطنة ، وعيب الاتفاق أنهم لا يتفقون مع بعضهم ، فلو تحقق المراد ، وأوحد الأفغان سويا ، وأرفع النفاق من بينهم ، فضحك رفاقه من هذا الادعاء الذى يستحيل فى هذا الوقت ، وسخروا منه .

(٧٠٣) كان جنيد برلاس ملازما للسلطان بابر وحاكما لكره ومانكبور (بداونى

١/٣٥٨-٣٥٩) .

(٧٠٤) أخوه الشقيق من أم وأب واحد (بداونى ١/٣٥٨) .

(٧٠٥) نفس عبارات بداونى (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٨) .

وذات يوم فى مجلس السلطان بابر ووقت تناول الطعام ، كانوا قد وضعوا طبقا من عضلة الحيوان أمام شيرخان عجز عن تناوله فسل سكيننا ، وجعل لحم العضلة قطعاً ، وتناولها بالملعقة ، ووقف السلطان على هذا الأمر ، فقال لمير خليفة : « ان هذا الأفغانى يتصرف تصرفات غريبة » ، وعندما علم بما كان قد قام به مع محمد خان أثنى على ذكائه وفهمه ، وعلم شيرخان بحديث السلطان لمير خليفه ، وادرك أن هذه النظرة نظرة غيرة وبالإضافة الى ما لديه من وهم منه ، ففر من المعسكر فى نفس الليلة ، وذهب الى مقاطعته وكتب الى السلطان جنيد برلاس : « انه وصلنى أن محمد خان قد قال للسلطان محمد أن شيرخان عند المغول وينبغى أن ترسل الى مقاطعته جيشنا ، ولما كنت أعلم أنه لن يتيسر لى فرصة السفر بسرعة وكان الوقت ضيقاً ، ووصلت بسرعة الى المقاطعة ، واننى لم أخرج من زمرة تابعى الدولة » (٧٠٦) .

الهم لما كان شيرخان خائفاً ويائساً من ناحية المغول فقد ذهب بموافقة أخيه ثانياً الى السلطان محمود ، وأكرمه السلطان محمود وعينه أتابيقى ابنه جلال خان ، وحسب المقدور فقد توفى السلطان محمود فى هذه الأيام ، وحل جلال خان الصغير السن محله ، وسيطرت والدته جلال خان دود أنام (٧٠٧) على المهام ، وبموافقة شيرخان ، وفى نفس هذه الأيام توقفت أم جلال خان أيضاً واستقرت حكومة ولاية بهار من حيث الاستقلال بشيرخان (٧٠٨) وأرسل مخدم عالم وهو من أمراء البنغال وحاكم أمانة حاجى بور الى شيرخان موافقته ، فتغير خاطر سلطان البنغال منه ، وأرسل قطب خان وكان من الأمراء الكبار لتسخير ولاية بهار واستئصال مخدم عالم ، وكلما أراد شيرخان عقد الصلح لا يجد فائدة ، وأخيراً اتفق مع الأفغان على القتال ، وقرر الحرب ، وعندما التقى الطرفان ، ووقعت معركة حامية ، قتل قطب خان ، وانتصر شيرخان ، واستولى شيرخان على أفيال وخزائن وحشم البنغال ، وزادت قوته وسيطرته ، ومن ناحية أخرى كان النوحائيون الذين كانوا فى الأصل لا يقبلون شيرخان ويقصدون قتله ، وسعوا عند جلال خان الذى كان نوحانياً أيضاً ، وانفصلت جماعة من أتباعه ، وعلم شيرخان بهذا الأمر ، فأبعده جلال خان فقال لجلال خان ان أمراك ينافقون لأنهم يحسدوننى ، فان لم تسع فى علاج الأمر فانه ينبغى أن أبتعد عنك ، قال

(٧٠٦) أيد بداونى هذه الرواية (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٥٩) .

(٧٠٧) سيطرت دودى على مهام البلاد ولكن سرعان ما توقفت (عباس خان : تاريخ

شير شاه ، ص ٢٤٣) .

(٧٠٨) كان شيرخان وصياً على جلال خان الذى كان طفلاً (بداونى ج ١ ص ٣٦٠) .

جلال خان ، هل يكون صالحا لك الا اخرج ؟ قال شيرخان ، ينبغي تقسيمهم الى فرقتين فترسل فريقا لتحصيل ذهب القرى والأخرى لمواجهة العدو الذى فى البنغال ، واراد تابعى جلال خان والنوحانيين من جلال خان ان يترك شيرخان أيضا تحت سيطرة حاكم البنغال ويذهب هو الى البنغال ، وان يرسل الى سلطان البنغال ابراهيم خان بن قطب خان لمساعدته ضد شيرخان ، وتحصن شيرخان فى القلعة التى أقامها حوله ، وكان يرسل كل يوم قوة للقتال وهزم جيش الأعداء حتى طلب ابراهيم خان مساعدة أخرى من البنغال ، وعلم شيرخان بعد ذلك أنه سيحضر الى العدو مساعدة أخرى فأعد رجاله واستعد للقتال ، وهيا رجاله وقت السحر ، وخرج من القلعة ، وتوجه الى جيش البنغال ، ونظم الفرسان وحملة البنادق والأفيال ، وتقابلا وهجم شيرخان ورجاله عليهم ، وجعل خاصة رجاله فى خلف تل فى الخفاء ، وقرر أن يحتموا بالتل وهم يمتطرون العدو أثناء المواجهة حتى يخرج فرسانهم عن مرمى البنادق ، فيهاجموهم ، وحدث هذا حين هجم الجيش الذى كان مختفيا فجأة ، أحدث دمارا على البنغاليين ، واحتفى ابراهيم خان ولقى حتفه (٧٠٩) وخرج جلال خان جريحا من تحت الأقدام ، وذهب الى البنغال ، واستولى شيرخان على كل حشم وأفيال ومدفعية البنغاليين ، وصار ملك بهار خالصا ، وارتقى السلطنة .

يروون أن تاج خان كان يحكم فى ذلك الوقت حكومة قلعة جنار من قبل السلطان ابراهيم لودى ، وكان له امرأة وهى « لادمك عقيمة » كان تاج خان يحبها ويعشقها كثيرا ، وكان أبناء تاج خان من النسوة الأخريات بصدد قتل « لادمك » حقا وحسدا ، وحدث أن كان أحد أبناء تاج خان وهو أشجعهم جميعا قد رمى لادمك بسهم ، ولم تصبها الرمية ، وقامت جلبة من أنهم قتلوا لادمك ووصل تاج خان والسيف مسلولا فى يده ، وقصد ابنه ، ولما أيقن الابن أنه لا خلاص من أبيه فبادر بقتل الأب ، واغمد أسفا سيفه ، وقتل تاج خان ، ولما كان أولاد تاج خان غير قادرين على حكم القلعة والولاية والجيش ، وعلم شيرخان بهذا الأمر وكان مجاورا ، وتحدث مع مير أحمد ترکان ، وبعد عودة الرسل قرر أن يعقد شيرخان عقد زواج على لادمك (٧١٠) واستولى على قلعة جنار ، واستولى شيرخان بزواجه لادمك على القلعة بخزائنها ودفائناتها .

(٧٠٩) الحق ابراهيم خن بابيه واستولى شيرخان على حشم وأفيال ومدفعية البرتغاليين واستقل بولاية بهار (منتخب التواريخ ج ١ ، ص ٣٦٠) .
(٧١٠) وكانت امرأة ذات جمال ، فتزوجها وأضاف ذلك قوة الى قوته وشوخته (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦١) .

« عندما يضيق الأمر ، يجعل زمام قلبه تحت إرادة رجاله »
« يصل نور العين من الريحان ، ولا يتيسر للمشاهدين الرؤية من بعيد »
لجأ السلطان محمود بن سكندر لودي خلال هذه الأحوال الى سنكا
من صدمة جيوش السلطان بابر وجاء مع راناسنكا وحسن خان ميواتي
وحكام آخرين لمهاجمة السلطان بابر ، ووقعت الحرب في نواحي خانوه ،
وهزموا ، وقد ذكر ذلك في محله ، وحدث أن أرسل السلطان محمود الى
أكثر أمراء اللوديين الكبار الذين كان يسمع عنهم في ولاية تهته ، ولبوا
طالبه ، وجاء السلطان محمود الى تهته ، وجلس بسعى الأمراء ثانياً على
كرسي الحكم ، ودخل ولاية بهار من هناك بجيش جرار وعندما رأى
شيرخان أنه لا مفر من أن يتبع الأفغان السلطان محمود ، فذهب لملازمته ،
وقدم الطاعة ، وقسم السلطان محمود ولاية بهار بينهم أيضاً ، وترك
قسماً لشيرخان ، واعتذر من أنه ترك ولاية جونغبور تحت سيطرة المغول ،
وأريد منك ولاية بهار مستقلة ، وأخذ شيرخان من السلطان محمود موثقاً ،
وبعد فترة سمح له بتنظيم شئون جيش مقاطعته ، وجاء الى سهسرام ،
وكان السلطان محمود قد ذهب لحرب المغول في ولاية جونغبور ، وأرسل
رسولاً لاستدعاء شيرخان ، فأرسل شيرخان إليه رسالة : اننى سأتبعك
بعد اتمام شئون الجيش » ، وقال أمراء السلطان محمود : انه طالما أن
شيرخان رجل مكار ومحتال فمن المناسب أن تذهب الى مقاطعته وتأخذه
معك ، وتوجه السلطان محمود الى سهسرام بجيشه ، واستقبله شيرخان ،
وقدم لموازم الخدمة والضيافة ، وتوقف السلطان محمود هناك عدة أيام ،
ثم توجه الى جونغبور ، ولم يستطع أمراء السلطان بابر الذين كانوا في
جونبور مقاومته ، ورحلوا ودخلت جونغبور ونواحيها تحت تصرف
الأفغان ، واستولوا حتى ولاية لكهنوتى .

توجه السلطان همايون في ذلك الوقت الى نواحي كلينجر ، وعندما
عرضوا عليه ، غلبة وطغيان الأفغان فلوى عنان السفر لدفع ورفع هذه
الطائفة ، وواجه السلطان محمود وبين بايزيد وأمراء الأفغان ، واستاء
شيرخان من قيادة بين بايزيد وتمنى له الهزيمة ، وأن يرى رأى العيان
هزيمته فأرسل رسالة فى الخفاء لأمير هندوبيك (٧١١) وكان من أمراء
وقواد المغول الكبار من أنه لما كانت تابع للسلطان بابر فأننى سأسعى
لهزيمة الأفغان وقت الحرب ، وسأنسحب بجيشى ، ونفذ ما قاله وقت

(٧١١) أرسل رسالة الى هندوبيك فوجين بأنه سيتقهقر وقت الحرب (بداونى : منتخب
التواريخ ج ١ ، ص ٣٦١) .

الحرب واثناء اصطلاف صفوف الطرفين ، وتقهر وهر ، وتسبب قراره في ان حقق جيش اتباع السلطان همايون الفتح والنصر ، وذهب السلطان محمود الى ولايسة تته ، وانزوى ، وترك القتال حتى توفي سنة ٤٤٩ هـ (٧١٢) في ولاية اوريسا ، وتوجه السلطان همايون بعد الفتح الى آكره ، وارسل مير هندوبيك الى شيرخان لكي يسلمه قلعة جنار ، واعتذر شيرخان عن تسلم القلعة المذكورة ، وعاد مير هندوبيك للالزمة السلطان ، وعندما بلغ هذا الخبر الى السلطان همايون ، توجه بالنفس والنفس لفتح جنار وارسل جماعة من الأمراء في المقدمة لكي يقوموا بالحصار ، وارسل شيرخان رسالة الى السلطان همايون ، «اننى وصلت الى الحكم بمساعدة ورعاية السلطان بابر ، وكنت سببا في نصر جلالتك في حرب السلطان محمود وبين بايزيد ، فاذا سلمتنى جنار سارسل قطب خان ابنى مع جيش اليكم ليقدم لوازم الخدمة » ، ولما كانت غلبة واستيلاء السلطان بهادر كجراتى قد وصلت الى مسامع السلطان في ذلك الوقت فكان من اللائق أن يتركه ، وارسل شيرخان ابنه قطب خان مع عيسى خان حجاب الذى كان بمثابة وزير له اليه (٧١٣) ، وعاد السلطان همايون ، واهتم بالسلطان بهادر ، وكان ابن شيرخان في الركاب الظافر حتى الكجرات ، وفر من الكجرات وذهب الى أبيه ، وانتهاز شيرشاه الفرصة ونظم ولاية بهار ، وجمع جيشا كبيرا وبلغ درجة كبيرة من القوة والشكيمة (٧١٤) .

عندما عاد السلطان همايون من رحلة الكجرات ، جاء الى آكره وعلم بخبر طغيان وغلبة شيرخان ، ورأى أن دفعه مهما ، وتحركت راية الفتح الى جنار ، وترك شيرخان غازى خان وقوة لحراسة قلعة جنار ، وذهب الى جبال « مهره كند » وعندما مرت ستة أشهر في حصار القلعة ، أقام رومى خان المسئول عن مدفعية السلطان ، ومدفعية على المرتفعات ، وأصاب أهل المدينة بالاندى ، وتدخل أولياء الدولة للصلح مع القلعة كما ذكر ، وترك السلطان همايون دوست بيك على القلعة ، وتوجه الى شيرخان ، وفي المدة التى كان مشغولا فيها بحصار جنار ارسل شيرخان ابنه جلال خان وخواص خان وأكثر جنوده لتسخير البنغال واستولى عليها .

(٧١٢) توفي في بته سنة ٩٤٩ هـ (بداونى ، منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٦٢) .

(٧١٣) منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٢ .

(٧١٤) حتى أصبح جيشه يعادل جيش السلطان مرتين (منتخب التواريخ ج ١ ،

ص ٣٦٢) .

عندما وصل السلطان همايون الى كرى وهى على حدود البنغال أرسل جهانكير قلى بيك وأمراء آخرين على الطلائع ، وكان جلال خان ابن شيرخان فى كرى ، وتقاتل مع أمراء السلطان وهزم ، وأرسل السلطان همايون جيوشه مرة أخرى ، واقترب بنفسه أيضا ، وفتحت كرى ، وذهب جلال خان الى أبيه ، وعندما ترك السلطان همايون كرى ، أخلى شيرخان المدينة المذكورة وذهب الى « جاركند » وأرسل رسالة الى راجه قلعة رهناس (٧١٥) من أنه نظرا لأن المغول خلفى فاعطنى مأمنا فى القلعة ، وارضاه بالكلمة والحكاية وأعد ألف كيس ووضع فى كل كيس مقاتل شجاع بالسلاح ، وصعد الى أعلى القلعة ، ووضع النساء فى بعض الأكياس التى كانت فى المقدمة ، وتسرع حراس القلعة بفحص الأكياس ، فأرسل شيرخان رسالة الى راجه لكى لا يعلم أحد بالمحصنات اللاتى هن سبب عزتنا ، وأمر راجه بمنع الفحص وعندما دخلت جميع الأكياس ، أخذ الأفغان فى القتال ، وتوجهوا الى بيت راجه ، وأرسلوا قوة الى البوابة ، واستعد شيرخان أيضا بجيوشه ، ووصل الى البوابة ولم يكن فى الهندوستان قلعة حصينة مثل قلعة رهناس ، واستولى عليها فى النهاية بسهولة ، وترك نساءه وماله فى القلعة ، وارتاح خاطره .

« يفتح الأمر الصعب بالقوة ، فالازهار تزهر بعد فترة فى الشجر »

توقف السلطان همايون ثلاثة أشهر فى مدينة كور المذكورة (٧١٦) فى كتب السلف بلكنوتى ، قضاهما فى لهو ومرح ، وفى هذا الوقت وصل خبر أن ميرزا هندال قد رفع لواء العصيان فى آكره وميوات وقتل الشيخ بهلول ، وجاء مرزا كامران لتسكين هذه الفتنة فى آكره ، وترك السلطان جهانكير قلى بيك وخمسة آلاف فارس قوى فى كور ، وعاد .

ولما كان جيش السلطان قد تعب بسبب كثرة الأمطار والأوحال ، ونفقت وضاعت أكثر الجياد والجنود ، وكان الجيش يسير بحالة سيئة انتهز شيرخان الفرصة ، وانتظر بجيش جرار على الطريق ، وتقابل فى نواحي « جوسا » ، وأقام حول جيشه حصنا ، وانتظر ، وبعد أن أرسل الرسل مع الشيخ خليل الى السلطان همايون ، وأرسل رسالة « انك تركت اتباع الدولة حتى كرى ولاية بهار واننى جعلت الخطبة والسكة باسمك ، ولما كان قد سبق أن اتفقنا على الصلح ، وأمن جنود

(٧١٥) قلعة رهناس الشرقية فى بهار .

(٧١٦) وكان السلطان همايون قد عقد صلحا بأن يكون البنغال ملكا لشيرخان ثم توغل فيها (تاريخ شيرشاه ، ص ٣٦٨) .

السلطان فى الأيام السابقة (٧١٧) ، ولم يكن هناك جسراً على نهر جوشان ، وفى صباح يوم السبت سنة ٩٤٦ هـ حارب شيرخان بجيوش منظمة وأفيال ضخمة ، ولم تتح الفرصة للسلطان للاستعداد ووقعت الهزيمة ، وتوجه السلطان همايون فى غاية التعب الى آكره .

« لا يستخرج الجواهر من الحجر طول العام ، فأحياناً يعقد الصلح وأحياناً القتال »

« لا يتحقق النجاح طول العام ، وأحياناً تستذل العروس »

عاد شيرخان الى البنغال ، وقاتل جهانكير قلى بيك الذى كان هناك مع جيش عدن مرات ، وجعلهم طعاماً للسيوف ، ولقب نفسه بشيرشاه ، وجعل السكة والخطبة باسمه ، وتوجه فى السنة التالية بقوة وكثرة كى آكره ، وفى هذا الوقت الذى ينبغى أن يتضافر الجميع حتى الغرباء ، ونفصل مرزا كامران عن خدمة السلطان همايون ، وذهب الى لاهور ، ورفع الأمراء الجغتية أس الفساد بالاضافة الى ما سبق ، وعلى الرغم من هذا الحال فقد خرج السلطان همايون لمواجهة شيرشاه وأسرع الى قنوج ، وعبر النهر ، وفى هذا المكان وصل جيش السلطان قرابة خمسين ألف فارس ، وفى يوم عاشوراء سنة ٩٤٧ هـ انتقل جيش السلطان واراد النزول فى مكان ، لكن شيرخان قام بالقتال ، ولم يحارب جيش المغول ، ووقعت الهزيمة ، وقفز السلطان همايون بفرسه فى النهر ، وواجه متاعب جمّة وتوجه الى لاهور ، فتعقبه شيرخان حتى لاهور ، فتوجه السلطان همايون الى السند وأسرع مرزا كامران الى كابل ، ولما كان شيرخان قد تعقبه حتى وصل الى خو شاب ، وجاء اسماعيل خان وغازى خان وفتح خان من بلوج ودوالى وكانوا قادة طائفة بلوج ، وزاروا شيرخان ، وتفقد شيرخان جبال تته وحول جبل بالناتيه ، وأقام قلعة فى المكان الذى عليه قلعة رهتاس الحالية ، وترك خواص خان وهيبى خان ونيازى مع جيش كبير ، وعاد الى الهندوستان .

عندما عاد شيرخان الى آكره علم أن خضر خان ترك وكان حاكماً من قبله على البنغال ومتزوجاً من أخت السلطان محمود البنغالى قد استقر وأراد أن يسلك سلوك السلاطين ، ورأى شيرخان أنه من الواجب تدارك هذه الواقعة قبل وقوعها ، وتوجه الى البنغال ، وأسرع خضر خان المکور لاستقباله ، فحبسه ، وأقطع شيرخان ولاية البنغال (٧١٨) لعدة

(٧١٧) هجم شيرشاه على المعسكر بينما السلطان همايون يقرأ الفاتحة مع رجاله الذين جاءوا لعقد الصلح (بداونى ج ١ ص ٣٥١) .

اشخاص ، وقسمها على ملوك الطوائف ، وجعل قاضى الفضيلة الذى كان من علماء ولاية كره ويتصف بحسن الدين والأمانة ومشهورا على الألسنة والأفواه بقاضى النصيحة ، أمينا للولاية ، وترك صلاح وفساد الولاية فى قبضة اقدار وعاد الى آكره .

توجه شيرخان فى سنة ٩٤٩ هـ لتسخير ولاية مالوه وعندما وصل الى كواليار ، حاصر شجاع خان وهو من امراء كواليار ، وجاء ابو القاسم بيك الذى كان فى القلعة من قبل السلطان همايون وزار شيرخان وسلمه القلعة (٧١٩) وعندما وصل الى مالوه ، دخل ملوخان حاكم مالوه الذى كان من اتباع سلاطين الخلق فى الصلح ، وبدون سابق انذار جاء للهجوم وبعد عدة ايام تسدل الخوف اليه فسلك طريق الفرار ، فترك شيرخان حاجى خان على حكومة مالوه ، وجعل شجاع خان أيضا على حكومة سوانى ، وتركه هناك ، وتوجه الى رنتهپور ، وعاد لتعقب ملوخان ، وقاتله ، وهزمه حاجى خان شجاع خان ، وعندما انعقد النصر باسم شجاع خان استدعى شيرخان حاجى خان اليه ، وأرسل شجاع خان على حكومة مالوه ، وعندما وصل الى نواحى رنتهپور أرسل الرسل البلغاء واستولى على القلعة من ولاية السلطان محمود خلجى سلما ، وعاد من هناك الى آكره .

يروون أنه عندما وصل خير فرار ملوخان الى شيرخان ، قال شيرخان مصراعا على البديهة وقال الشيخ عبد الحى ابن الشيخ جمال كنبو المصراع الثانى ، ولما لم يكن خاليا من الظرف فيجدر اثباته .

« ماذا فعل معنا ملوغلام عبيدى ، انه حديث المصطفى لا خير فى العبيد » (٧٢٠)

عموما استقر شيرخان فى آكره عام كامل ، نظم فيه ملك بلاده وأرسل الى هيبب خان فرمانا بان يتوجه الى الملتان الى ملوخان ويستولى على الملتان ، وتوجه هيبب خان وقاتل فتح خان بلوج وانتصر ، واستولى على الملتان وعندما وصل هذا الخبر الى شيرخان أثنى عليه ولقبه بأعظم همايون .

رفع بورن مل بن راجه سلهدى بوربيه فى سنة ٩٥٠ هـ ، وهو من طائفة راجبوت كهلوت بور ، ورفع علم السيطرة فى قلعة رايسين ، واستولى على أكثر قرى هذه الناحية ، وأدخل ألفين من النساء الهند

(٧١٩) ورد هذا أيضا عند نعمت خان (مخزن افغانى اليوت ج ٥ ص ١١٤) .

(٧٢٠) أورد بداونى نفس البيت (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٥) .

والمسلمات ضمن حريمه ، وكان يستخدمهم فى حفلات الرقص (٧٢١) وتحرك عرق الحمية عند شيرخان ، وتوجه لتسخير قلعة رايسين ، ولما طال الحصار عقد الصلح ، ونزل من القلعة بورن مل وزوجاته ونساؤه مع أربعة آلاف راجبوتى (٧٢٢) من البارزين ، وأفنى علماء عصره خاصة أمير سيد رفيع الدين صفوى بقتل بورنمل على الرغم فى وجود القسم والأمان ، نظم شيرخان الجيش والأفيال الضخمة ، وأرسلهم الى حيث ينزل بورنمل ، وهجموا على جيشه ووضع بورنمل والراجبوت قلوبهم على الموت ، ٠٠٠ وقتلوا أنفسهم بأيديهم ، وقتلوا أبناءهم وحرقوهم وأفنؤهم ، وعاد شيرخان الى آكره ، واستقر عدة أشهر ، وجدد تنظيم الجيش ثانية ، بالقلعة والخندق ، وكان يقدم لهم كل لوازم السعادة والأمان ، وعندما وصل الى الصحراء ، تعذر إقامة القلعة ، فأمر يفكره الصائب وعقليته السديدة أن يملأوا أجولة بالرمال ، ويضعوها فوق بعضها البعض ويقيمون تحصينا ، وتوجه أولا الى مالديو الذى كان حاكما على ولاية مكور وجودبور ويمتاز بين ملوك الهندوستان بكثرة الجيش والحشم ، وفى ذلك الوقت اجتمع خمسون ألف فارس راجبوتى تحت لواء راى مالديو (٧٢٣) ، وأرسل شيرخان وهو فى نواحي أجمير ولمدة شهر عدة رسائل الى راى مالديو ، وجعل هذه الرسائل تصل بشكل ما الى راى مالديو ، وقال أمراء الراجبوت ان هذا العمل هو نتيجة لمكر وزيف شيرخان فانه يريد أن يخضع راى مالديو حتى لا نستطيع أن نقوم على الحرب ، وفى النهاية قرر كوبتا وأمراء مالديو الآخرون الحرب وانفصلوا عن راى مالديو بعشرين ألف فارس ، وأسرعوا لمواجهة ومقاتلة شيرخان وأرادوا الاغارة ليلا ، فضلوا الطريق ، وعند الصبح الصادق وصل خمسة أو ستة آلاف شخص (٧٢٤) وبعد المواجهة وقعت معركة حامية ، ووصل الأمر الى القتال بالخناجر والسكاكين ، ونزل الراجبوت عن الجياد ، وجمعوا أنفسهم ، والتفت حولهم جيش شيرخان من كل ناحية ، وقتل كوبتا وأكثر الراجبوت ، ويروون أنه فى هذه المعركة قتل احدى عشر ألف نفر من الراجبوت ، وقتلوا أيضا جمعا كبيرا من الأفغان ، وبعد هذا النصر الذى لم يكن له بدا ، عاد ، وجاء الى رنتهبور ، ولما كانت قلعة رنتهبور قد اقطعها لابنه الكبير عادل

(٧٢١) استخدم بداونى نفس العبارة (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٦٦) .

(٧٢٢) عشرة آلاف (بداونى ج ١ ص ٣٦٦) .

(٧٢٣) بينما كان شيرشاہ يحصن نفسه (بداونى ج ١ ص ٣٦٧) .

(٧٢٤) أربعة آلاف شخص أرادوا الاغارة ليلا فضلوا الطريق حتى شروق الشمس

(بداونى ج ١ ص ٣٦٨) .

خان (٧٢٥) استأذن عادل خان عدة أيام ليضع أمتعته هناك حتى يصل بعدها ، ونهض شيرخان من هناك الى قلعة كاليانجر وهى من قلاع الهندوستان الحصينة .

تحصن راجه كاليانجر الذى كان مخالفا ، وحاصر شيرخان القلعة وسعى لعمل النقب واعداد المجانيق والساباط ، وعندما وصل الساباط الى القلعة ، وقاتل شيرخان من جميع النواحي ، وأمر الجفنائية الذين دخلوا القلعة أن يضعوا البارود فى المكان الذى يقف فيه ، وتصادف أن هوى جزء من جدار القلعة ، وانكسر ، واشتعلت النيران فى الأجزاء الأخرى ، وأصيب شيرخان والشيوخ خليل (٧٢٦) وملا نظام داندشمند ، ودريا خان سروابى بالحروق ، وبلغت حاله الى درجة الرجل ، وفى كل نفس كان يتنفسه كان يصيح ويرغب الجيش فى القتال ، وأرسل المقربين منه للاهتمام بالحرب ، وفى آخر اليوم سمع خبر فتح القلعة ، وودع الحياة (٧٢٧) وقضى خمس عشرة سنة فى الحكم والامارة وحكم الهندوستان خمس سنوات .

امتاز شيرخان بالعقل والدهاء والتدبير الصائب . امتدت دولته من البنغال وستاركانو حتى نهر السند الذى يشتهر بنهر نيلاى وهى ألف وخمسمائة فرسخ ، وأقام فى كل فرسخ عمارة ، وحفر بنرا ، وبنى مسجدا من الطوب والكلاس ، وعين له اماما ومقرئا ، وجعل لهما وظيفة محددة وعين على أحد أبواب العمارة مسلما لخدمة المسلمين بالماء والطعام ، وعلى الباب الثانى هنديا لخدمة الهنود الذين كانوا يترددون دائما (٧٢٨) وترك فى كل عمارة جوادين يشتهران بلغة أهل الهند باسم « داك جوكى » (٧٢٩) حيث كانوا يرسلون خبر نيلاى يوميا الى أقصى البنغال ، وأقام على هذا الطريق من الجانبين أشجارا مثمرة من أشجار « أبنة وكهرشى » وغيرها كى يستظل بها الناس القاسمون والغادون ، وفعل نفس الحال فى الطريق من آكره حتى مندو ، وكان قد أقام أيضا فى كل فرسخ عمارة ومسجدا ، وبلغ الأمن درجة أنه لو أن تاجرا يحمل حملا مليئا بالذهب نام فى الصحراء ليلا لم يكن فى حاجة الى حارس ، ويروون أنه عندما رأى « أبنة » قال لقد وصلت بالسلطنة

(٧٢٥) قطع شيرشاہ رنتھنبور لابنه عادل خان بعد فتحها (بداونى ج ١ ص ٣٦٩) .

(٧٢٦) أورد بداونى نفس هذا الاسم مجردا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٢٧٢) .

(٧٢٧) لم يأت الحنديل وماء الورد بفائدة (بداونى ج ١ ص ٢٧٣) .

(٧٢٨) للغرباء والفقراء وأهل السبيل (بداونى ج ١ ص ٣٦٣) .

(٧٢٩) خيول البريد .

الى صلاة العشاء وتحسر ، وكان يروى شعرا هزليا بلهجة هندوستانية ، وهذا البيت المسجوع عنه « ليكن الله باقيا لك دائما أيها الملك ، طالما أن شيرشاه بن حسن سور قائم » وكان يقضى كل أوقاته في تصريف أمور الناس وتنظيم الجيش ورعاية الرعيصة ، وكان يسلك طريق العدل والانصاف والاستقامة .

« يبقى لكل شخص اسما بعد الموت ، مهما كان في الحياة موفقا »

« وكلمة « زآتش مرد » (٧٣٠) هي تاريخ وفاته » .

نذكر أحوال سليم خان بن شيرخان :

حين توفي شيرخان كان ابنه جلال خان في قسبة ديوان وتوابع تبهته ، وكان عادل خال ابنه الكبير وليا للعهد ، ومازال في قلعة رنجهبور ، ورأى الأمراء أنه ليس ضروريا مجيء عادل خان بسرعة وان وجود حاكم أمر ضروري ، وأرسلوا رسولا لاستدعاء جلال خان ووصله الخبر بعد خمسة أيام وجلس في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٩٥٢ هـ في قلعة كالينجر بسعي عيسى خان حجاب والأمراء الآخرين (٧٣١) ولقب بإسلام شاه ، وهو مشهور على لسان أهل الهند باسم سليم شاه ، وعلى لسان جيش المغول بسليم خان .

المهم عندما حل سليم خان محل أبيه ، وأرسل الى أخيه الكبير عادل خان عوضا مكتوبا من أنه طالما أنت بعيد وأنا قريب فأننى أحافظ على الجيش لتسكين الفتنة حتى مجيئك ، ولا مناص لى من طاعتك والولاء لك ، وتوجه من كالينجر الى آكره ، ووصل الى نواحي قسبة « كوره » ، ووصل خواص خان من مقاطعته ، ولأزمه ، وأقام الحفلات ، واجلس سليم خان (٧٣٢) .

أرسل سليم خان وكان محبا للدنيا (٧٣٣) رسالة أخرى الى عادل خان بعد ذلك أظهر المحبة وطلب ملاقاته ، وكتب عادلخان الى سليم خان الذى كان مؤيدا من قطب نائب وعيسى خان نيازي وخواص خان وجلال خان أنه ما هو الصالح الذى تراه فى مجيئك وبقائى أنا ؟ وكتب الى

(٧٣٠) مات من النار - وهى تعادل سنة ٩٥٢ هـ .

(٧٣١) أكد بداونى ما ورد بهذه العبارة (منتخب التواريخ ج ١ ص ٣٧٤) .

(٧٣٢) جلس على العرش ١٥ ربيع أول سنة ٩٥٢ هـ (عبد الله : تاريخ داودى اليوت ج ٥ ، ص ٤٧٨) .

(٧٣٣) أبدي ولعه بالأمور الدنيوية (بداونى ج ١ ص ٣٧٦) .

سليم خان أنه لو جاء هؤلاء الأربعة أشخاص فانهم يسروون عني ، وأستطيع أن أستعد للقائك ، وأرسل سليم خان الأربعة أشخاص الى عادل خان ، وسروا بالقول والفعل عن عادل خان ، وانتظروا حتى يأذن لهم بالسفر في أول لقاء ، حتى يذهب كل واحد الى مقاطعته في الهندوستان ، وتوجه عادل خان لملاقاة سليم خان برفقة الأمراء ، وعندما وصلوا الى فتحبور سيكري ، واستقبل سليم خان في سنكاربور (٧٣٤) وكانوا قد أعدوا هذا المكان للقاء بأمر سليم خان ، وظهرت علامات المحبة الأخوية بين الطرفين وجلسا سويا فترة ، وتوجها الى آكره ، وعندما اعتذر سليم خان عن سوء تفكيره في أخيه وقرر ألا يسمح بمرافقة عادل خان أكثر من شخصين الى قلعة آكره ، وأن يمنعوا رجاله على البوابة من الدخول ودخل جمع كبير بموافقة وتدبير سليم خان ، وكان ضروريا أن يظهر سليم خان النفاق ، وقال انني أهتم بأمر الأفغان والآن أتركهم لك ، وأجلسه على العرش ، وأظهر السرور والمداينة ، ولما كان عادل خان يفضل المجون واللهو ويعلم مكر وخداع سليم خان ، فلم يقبل ونهض وأجلس سليم خان على العرش ، وسلم عليه وبارك له بالسلطنة ، وقام الأمراء بتقديم لوازم التأييد ، وقرر أن يبقى في مكانه وأثناء ذلك عرض قطب خان وعيسى خان وخواص خان العهد والقسم الذي وقع بينهم وهو أن يستأذنوا عادل خان في أول لقاء ، وأن يذهبوا الى مقاطعاتهم ، وأصدر سليم خان فرمانا بأن يكون لهم ما أرادوا ، ورافق عيسى خان خواص خان وسميح لعادل خان بالسفر ، وبعد شهرين أرسل سليم خان غازي محلدار (٧٣٥) الذي كان من المقربين ومن أقربائه لكي يقبض على عادل خان ويقيده ، وأرسل معه قيادا من الذهب وسمع عادل خان بهذا الخبر (٧٣٦) فذهب الى خواص خان الذي كان في ميوات ، وأخبره بنقض سليم خان للعهد ، وعرض عليه الأمر فاغتاظ خواص خان وطلب غازي محلدار ، وقيده بنفسه القيد ، ورفع لواء العصيان وأرسل الأمراء الذين كانوا برفقة سليم خان رسائل واتفق معهم في الخفاء وتوجهوا بجيش جرار الى آكره ، واغتاظ قطب خان وعيسى خان من سليم خان وكانوا ضمن أهل العهد والقسم ، وأرسلوا لعادل خان للمجيء ، وقرر أنه عندما يحل الليل يصل عادل خان الى آكره حتى يبتعد الناس العزل عن سليم خان ، ويستطيعوا أن يأتوا

(٧٣٤) شكاربور (بداوني ج ١ ص ٣٧٥) .

(٧٣٥) غازي محلي (بداوني ج ١ ص ٣٧٧) .

(٧٣٦) ففر من بيانه الى ميوات عند خواصخان ، وطلب غازي محلي وتيده بنفسه

القيد (بداوني ج ١ ص ٣٧٧) .

اليه ، وتصادف أنه عندما وصل عادل خان وخواص خان الى فتحپور سيكرى ، ذهبوا الى هناك للقاء الشيخ سليم (٧٣٧) وكان من مشايخ عصره ، ولما كان المغرب قد حل ، توقف خواص خان لأداء الصلاة التي كانت في هذه الليلة ، ووصلوا عشاء الى نواحي آكره (٧٣٨) ، وعلم سليم خان بالمجيء ، فاضطرب وقال لقطب خان والأمراء الآخرين ، اذا كنت قد ارتكبت خطأ في حق عادل خان فلماذا لم يكتب الى خواص خان وعيسى خان كي أتراجع عن تفكيرى ؟ ورأى قطب خان اضطراب سليم خان فقال : لا تخف لم يتعسر الأمر عن العلاج واننى أتعهد بتسكين هذه الفتنة ، وأذن سليم خان لقطب خان والأمراء الآخرين الذين كانوا متفقين مع قطب خان لكى يذهبوا الى عادل خان ، وكان هدفه أن يبعد هذه الجماعة عنه ، ويفر الى قلعة جنار لاحتضار الخزانة ، وبعد الجيش مرة أخرى ، ويهتم بالحرب والنزال ، ونهاه عيسى خان عن هذا العزم وقال له : لو أنك لا تعتمد على أناس آخرين فإن ألفين من أتباعك الخواص فى أيام الامارة ليسوا أهلا للثقة ، وعلى الرغم من هذه القدرة والقوة فإن من العجب ألا نعتد على الله ولا نفر دون قتال ، وكل ما يملكه الأمراء من معارضة فى الخفاء سينعكس على العدو بالحزم والحدز ، ومن اللائق أن تسبقهم بنفسك بكل الجيش وتقف فى ميدان الحرب ، وتثبت القدم ، وإن يخالفك أى شخص قط .

قوى قلب سليم خان ، فقرر الهجوم ، فاستدعى قطب خان والأمراء الآخرين الذين أذن لهم وقال : سأسلمكم بيدى للعدو ، وفكروا فى الحق ، وبعد ذلك خرج مستعدا للقتال ، ووقف ورأى الرجال الذين اتفقوا مع عادل خان أن سليم خان فى المعركة فتقهقروا عن الذهاب ، وعادوا اليه فى الحال ، ووقعت معركة فى ظاهر بلدة آكره ، وأنعم التأييد الالهى على سليم خان ، ووقعت الهزيمة على عادل خان وخواص خان وجيشهما وتوجه عيسى خان وخواص خان الى ميوات وذهب عادل خان وحيدا الى تهته ، ولم يعلم أحد قط بأمره .

أرسل سليم خان بعد ذلك جيشا لتعقب خواص خان وعيسى خان تيازى ، ووقعت معركة فى فيروزپور وميوات ، ووقعت الهزيمة على جيش سليم خان ، ولم يستطع مقاومة عيسى خان وخواص خان بعد

(٧٣٧) الشيخ سليم جشتى المقيم فى سيكرى (بداونى ج ١ ص ٣٧٧) .

(٧٣٨) اتفق الأمراء مع عادل خان على أن ينسحب من الميدان فى ظاهر آكره ، فيتعقبه سليم خان وعند العودة يخرج عليه الأفغان فى كهاتم بور من كمين (بداونى ج ١ ص ٣٧٨) .

ذلك ، وذهبوا الى جبل كماؤن ، وأرسل سليم خان قطب خان نائبه وجيش
لهاجمتهما واستقر في سفح كماؤن ، وكان قد أغار على ولاية دامن كوه
وانتهبها وخربها ، وعزم سليمان خان السفر الى جنار في هذا الوقت ،
وأثناء الطريق قتل جلال خان خداد لاهتمام عادل خان به ، وعندما وصل
الى جنار استولى على الخزانة وأرسلها الى كواليار ، وعاد ، واستقر
في آكره .

ولما كان قطب خان ضمن أحداث فتنة استدعاه عادل خان فقد فر
من الخوف والوهم الذي سيطر عليه من جبل كماؤن (٧٣٩) وأرسل
سليم خان الى أعظم همايون بلاهور أمرا يطلب فيه قطب خان ، وأرسل
أعظم همايون قطب خان ، وحبسه سليم خان ، وسجنه مع شهبازخان
نوحاني زوج أخت سليم خان وعدة أشخاص آخرين مجموعهم أربعة
عشر شخصا ، وأرسلهم الى قلعة كواليار ، واستدعى شجاع خان حاكم
مالوه وأعظم همايون ، وجاء شجاع خان لزيارته ، واعتذر أعظم
همايون ، وسمح لشجاع خان بالسفر ، وعاد الى مالوه .

توجه سليم خان بعد ذلك لاحتضار الخزانة من قلعة رهتاس وجنار ،
وكان سعيد خان أخو أعظم همايون قد قدم اليه والتحق به وأثناء الطريق
فر منه (٧٤٠) وذهب الى لاهور ، وعاد سليم خان أيضا من الطريق
وجاء الى آكره ، وأمر بإعداد الجيش وتوجه الى دهلي ، وعندما وصل
هذا الخبر الى شجاع خان ، جمع قوة من خاصته ، وتقدم الى سليم
خان ، واستماله ، وكان سليم خان قد قضى عدة أيام في دهلي يعيد
الجيش وعزم السفر الى لاهور ، وأسرع أعظم همايون وطائفة من
المتمردين (٧٤١) بالاتفاق مع خواص خان وجيش البنجاب لاستقباله ،
وتقابل الطرفان في نواحي قصبه ابناله .

ويقولون : أنه عندما اقترب سليم خان من جيش النيازيين نزل ،
وذهب مع عدد من المقربين لاستطلاع الجيش النيازى ، وصعد ربوة ،
وعندما وقعت عيناه على الجيش النيازى ، وقف مكانه وقال : سأنزل
في مواجهة الجيش المتمرد ، وصف الجيوش وعزم التوجه الى الحرب ،

(٧٣٩) فر قطب الى لاهور عند هيبه خان نيازى الذى سلمه الى سليم شاه مع
ثلاثة عشر أو أربعة عشر اميرا منهم محمود خان بن عادل خان ، وجبسه في كواليار
(بداونى ج ١ ص ٢٧٩) .

(٧٤٠) وسد طريق لاهور (بداونى ج ١ ص ٢٨٠) .

(٧٤١) سعيد خان وأعظم همايون وخواص خان وعيسى خان (بداونى ج ١ ص ٣١٠) .

وجمع أعظم همايون اخوته وخواص خان للمشورة فى ليلة الحرب ،
وتحدثوا فى مجال تنصيب حاكم ، وكان خواص خان يريد أن تكون
الحكومة لعادل خان ابن شيرخسان الكبير ، واتفقوا على ما يقسوله
النيازيون .

« الملك لا يورث لأحد ، دون أن يضرب سيف وله أصدقاء كثيرون »

وكان خواص خان يستاء من رغبتهم ، وحين اصطفت الصفوف ،
وتقاتل الطرفان انسحب خواص خان دون قتال ، وحارب النيازيون كما
هو محدد ولم يقصروا فى القتال ، ولما لم يكن هناك اخلاص فقد وقعت
الهزيمة على جيش النيازيين (٧٤٢) وانتصر سليم خان .

« يصادق الشخص الذى يكون له السلطان والذى يسلطه الرحمن »

أراد سعيد خان أخو أعظم همايون ومعه عشرة أشخاص من
رفاقه المسلحين أن يصل الى سليم خان بحجة التهنئة ولم يكن معروفا
لأحد ، وعرفه سائس الفيل ، فأطلق عليه حربته من وسط حلقة الأفيال
والجيش الخاص لسليم خان فأصابه .

المهم فر اليازيون ، وذهبوا الى دنكوت قرب موه وتعقبهم سليم خان
حتى وصل الى قلعة رهناس (٧٤٣) وأرسل خواجه ولبس شروانى (٧٤٤)
وجيش جرار لمهاجمة النيازيين (٧٤٥) وعاد الى آكوه ، وجاء من هناك
الى كواليار .

وفى هذا الوقت كان شجاع خان قد ذهب ذات يوم الى سليم خان
على سطح قلعة كواليار ، وأعد عثمان (٧٤٦) وهو شخص كان شجاع
خان قد قطع يده أثناء الطريق أمد كميناً وانتهاز الفرصة ، وهجم عليه
فجأة ، فأصاب شجاع خان بجرح ، وعاد شجاع خان الى منزله جريحاً
واستغل هذه الحادثة للغواية بالخروج على سليم خان ، وفر من كواليار
وتوجه الى مألوه وتعقبه سليم خان حتى منهر (٧٤٧) وعبر شجاع خان

(٧٤٢) فر عيسى خان الى دار من كوه وفر خواص خان مع خمسمائة أو ستمائة
الى لاهور (بداونى ج ١ ص ٢٨٢) .

(٧٤٣) رهناس الغربية .

(٧٤٤) ويس شروانى (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٥) فى دنكوت سنة ٩٥٥ (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٦) سزوال خان (بداونى ج ١ ص ٢٨٣) .

(٧٤٧) حتى بانس وله حيث دخل سزوال خان بين الأهالى (بداونى ج ١ ص ٢٨٣) .

نهر نرسواله ، وترك عيسى خان سور مع عشرين ألف فارس فى أجين وعساد .

ومن القضايا التى حدثت فى سنة ٩٥٤ هـ أنه أرسل خواجسه ويتسى (٧٤٨) لمهاجمة أعظم همايون ، وحارب (الرانا) فى نواحي دنكوت ، وأصابهم بهزيمة ، وتعقبه أعظم همايون حتى وصل الى سهرند ، وعندما وصل هذا الخبر الى سليم خان ، أعد جيشا عظيما ، وأرسله لصد النيازيين ، وعاد أعظم همايون وذهب الى دنكوت ، وعندما اقترب بجيش سليم خان ووقعت معركة فى نواحي دنكوت قرب سنبله ، ووقعت الهزيمة على الفئة الباغية ، وأسرت زوجات وأم أعظم همايون ، وأرسلوا الأسرى الى سليم خان (٧٤٩) ، ولجأ النيازيون الى « كهكران » ودخلوا فى جبل يتصل بكتمير (٧٥٠) وتحرك سليم خان بجيش جرار لتسكين فتنة النيازيين ، وجاء الى البنجاب ، وقاتل كهكران لمدة سنتين ، وفى نفس هذا الوقت صعد شخص من ممر ضيق الى أعلى قلعة مانكوت حيث كان سليم خان وبيده سيف مسلول ، وضرب سليم خان ، وقفز سليم خان بكل قوته ومهارته وضربه وقتله وعرف سيفه الذى كان قد أهدها الى اقبال خان ، وعندما غلب كهكران ولم يبق لهم قوة ، دخل أعظم همايون كشمير ، وتعقبهم سليم خان ، وتحمل المشقة حتى قتل أعظم همايون وسعيد خان وشهباز خان ، وأرسل حاكم كشمير رؤوسهم الى سليم خان ، وعاد سليم خان بعد أن جمع جيشه .

فى هذا الحين كان مرزا كامران قد فر من السلطان همايون ولجأ الى سليم خان ، ولم يسلك سليم خان معه سلوكا طيبا بسبب التكبر (٧٥١) ، وفر مرزا كامران من عنده ، ودخل جبل سواليك ومن هناك ذهب الى ولاية كهكر ، وهذه القضية مذكورة بالتفصيل فى وقائع السلطان همايون .

عموما توجه سليم خان الى دهلى واستقر عدة أيام ، وإثناء ذلك وصل الخبر أن السلطان همايون قد وصل الى ششاپوى نهر نيالاب ،

(٧٤٨) ويس سروانى (بداونى ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٤٩) الذى أرسلهم الى كواليار (بداونى ج ١ ص ٢٨٦) .

(٧٥٠) دخل النيازيون كشمير حيث وقعوا فى مصيدة الكشميريين (بداونى ج ١ ، ص ٢٨٨) .

(٧٥١) أبدى سليم شاه تكبرا ولم يحسن استقباله (بداونى ج ١ ص ٢٨٠) واستهان الأفغان به عندما أقام مائدة وحضرها المرزا كان الأفغان يتهمون عليه بلهجة هندية ويقولون « موروا » فلما سأل عن معناها قالوا تعنى شخص عظيم الشأن « فقال كامران لسليم شاه أنت موروا » فعدلوا عن ذلك (بداونى ج ١ ص ٤٠١) .

ويقولون أن سليم خان قد نهض وركب من ساعته وتوجه إليه ونزل في اليوم الأول على مسافة ثلاثة فراسخ ، وعندما أُنْعِد المدفعية التي برفقته ، وأسرع بتوجيه نيران العريات في هذه المواضع ، وأمر أن يصطف المشاة محل نيران العريات ، وأخذ كل « تولى » ألف أو ألفين من المشاة ، وتوجه بسرعة فائقة إلى لاهور ، وعاد السلطان همايون سريعاً ، وعاد سليم خان أيضاً من لاهور ، واستقر في كواليار .

وقطع جماعة من المفسدين طريقه بحجة تقديم الاعتذار وحسب الاتفاق

ذات يوم حدث أن ذهب سليم خان إلى هذه النواحي للصيد ، عاد سليم من طريق آخر ، وبقيت هذه الجماعة الفاسدة محلها ، وعندما علم سليم خان بحقيقة الأمر ، قتل بهاء الدين محمود الذي كان قد ذهب معهم ، واستقر سليم خان في كواليار ، وسجن وقتل كل أمير من أمرائه أصحاب الشوكة والغلبة .

في أول سنة ٩٦٠ هـ ظهر خراج في مقعده ، ومن شدة ما نزل دم توفى ، ومدة حكومته تسع سنوات .

أقام سليم خان من نيل آب حتى البنغال عمارة أخرى بين عمائر (٧٥٢) شيرخان ، وفي كل عمارة كان يطبخ الطعام ويقدمه للمفترء ، وتوفي في هذه السنة السلطان محمود كجراتي ونظام الملك بحري وتاريخ هذه الواقعة هي « زوال خسروان » (٧٥٣) .

ومن القضايا الغربية التي وقعت في زمان سليم خان حادثة الشيخ علائي وتفصيلها على سبيل الاجمال هي أن والد الشيخ علائي ويسمى الشيخ حسن وهو غير الشيخ سليم وكان في قسبة بيانه ويقوم بارشاد الطلاب على طريق المشيخة ، وعندما طوى لباسه إلى عالم البقاء ، كان الشيخ علائي هو أرشد أولاده ويتصف بالفضائل والكمال ، وحل محل أبيه ، وعمل بارشاد الطلاب وحدث أن كان الشيخ عبد الله نيازي وكان من المؤيدين المشهورين للشيخ سليم جشن عائداً من السفر من مكة ، واختار دعوة المهدوية (٧٥٤) وهي عقيدة سيد محمد جونيوري.

(٧٥٢) أمر أن يبتو في كل فرسخ يفصل بين كل قصرين بناها شيرشاه بناية أخرى بنفس الأسلوب بها مسجد ومقريء وسقاية وطعام يعده مسلم وهندي (بداوني ج ١ ص ٢٨٥) .

(٧٥٣) زوال خسروان تعادل سنة ٩٦١ هـ .

(٧٥٤) حسب المهدى المنتظم الذي سيأتي آخر الزمان ويملا الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وهي عقيدة شيعية تقوم على الاعتقاد في امام خلفي سيظهر آخر الزمان (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٦٤) .

المهدى الموعود ، وأقام فى بيانه ، ولما كان الشيخ علائى قد خدع به ، رحب به ورافقه ، وترك طريق الأباء والأجداد وأخذ يدعو الناس بدعوة المهدوية ، وعلى عادة هذه الطائفة أقام خارج المدينة بجوار الشيخ عبد الله وكان يقضى مع الجماعة الكبيرة من أحبائه وأصحابه الذين التقوا القرآن المجيد حتى يدع أى شخص كان حاضرا مجلسه من أداء عمله حوله على الطريقة والتقنية وكان يقوم كل يوم وقت الصلاة بتفسير أو يترك أهله وزوجاته ويدخل دائرة المهدوية ، أو يتوب عن المعاصى ويجعله مريدا مجازا لسيد محمد وإذا كان مشغوا بالزراعة والتجارة فينفقها فى سبيل الله ، وفرق كثيرا من هؤلاء حتى فرق الأب عن الابن والأخ والمرأة عن زوجها وسلكوا طريق الفقر والفناء ، وكان شريكا فى النذور والفتوح التى تأتى اليه ، ويشتركون فى الأكل سويا ، حتى إذا لم يصلهم شىء لدرجة أنهم كانوا يقضون يومين أو ثلاثة فى فاقة ، ولا يظهرون ، ويقضون أوقاتهم فى حرمان ، وكانوا دائما مستعدين بالسيوف ، والدروع وسائر الأسلحة ، وإذا رأوا فى المدينة والسوق شيئا غير مشروع ، منعه بالرفق والهدوء أولا فإن لم يستجب أصحابه كانوا يمنعون قهرا وجبرا ، وكانوا يحاولون مساعدة كل شخص يوافق أحكامهم . . . ولكثرة النزاع مع العوام والخراس فكر الشيخ عبد الله السفر الى الحجاز ، ولما كان الشيخ علائى نفس الوضع والحالة فقد توجه بستمائة أو سبعمائة ، ووصل الى خواص بور الواقعة على حدود . . . بور ، خرج خواص خان المعروف لاستقباله ، ودخل ضمن مريديه ، وأخيرا استاء منه بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفى هذا الوقت الذى كان سليم خان يحكم آكره وعاد الشيخ علائى لبعض الأمور التى استدعت عودته ، وجاء الى بيانه ، وحضر بموجب طلب سليم خان الى بلاطه (٧٥٥) ولم يلتزم بعبادات وآداب الملوك وسلم على سليم خان السلام المشروع ورد عليه السلام كآرامها ، وكان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانپورى المشهور بمخدوم الملك ينكر الشيخ وكان قد أفتى بقتله ، وأحال سليم خان هذا المعنى صعبا على المقربين منه ، وكان ملا عبد الله سلطانپورى الفتح تانىسرى والعلماء الآخرين لهذه العصر ، وفى هذه المجالس غلبهم الشيخ علائى بقوة طبعه ، وأحيانا كان يغير ويبدل معانى القرآن ، وأثر فى سليم خان ، وقال له اجعلنى محتسبا لك فى بلادى عن هذه الدعوة ، واعطنى الآن لحكم هذه البلاد ، ولم يقبل الشيخ علائى هذا الأمر حتى

(٧٥٥) كان سليم شاه يخشاه ويهابه (بداونى ج ١ ص ٤٠٢) .

أن سليم خان نفذ فتوى ملا عبد الله بطرده الى « هندية » (٧٥٦) ودخل بهار خان شروانى الذى كان يحكم هناك من قبل سليم خان ، ومعه جيش كبير فى دائرة الاعتقاد والاخلاص له ، فأشار مخدوم الملك على سليم خان بأن يستدعيه من هذه الحدود ، وجمع سليم خان العلماء مرة ثانية وعرض القضية ، فقالوا لسليم خان ان هذا الرجل يدعو بدعوى المهدوية ، وسيصير السلطان المهدى لكل البلاد ، وقد التف الجيش كله حوله وأنهم يسارعون فى الدخول فى دعوته ، وهناك احتمال للفساد فى الدولة ، ولم يستمع سليم خان لكلام مخدوم الملك ، وأرسل الشيخ علائى مرة ثانية الى بهار عند الشيخ بده طبيب دانشمند الذى كان يعتقد فيه شيرخان ، ووضع يده أمام قدمه حتى يعمل بفتواه ، وتوجه سليم خان الى البنجاب واهتم بتعمير مانكوت وعندما وصل الشيخ علائى الى بهار تبعه الشيخ بده ، وأرسل مخدوم الملك رسالة الى سليم خان ، وأصيب الشيخ علائى فى هذه الأثناء بمرض الطاعون الذى شاع فى ذلك الوقت ، وأصيب فى حلقه بجرح بمقدار ما كان يفتى ، وأحضروه متألما وعندما أحضروه الى سليم خان لم يكن لديه قوة للكلام ، فلم يسمع حديثه ، ويئس سليم خان فأمر أن يضربوه بالسوط ، وأسلمت روحه لقابض الأرواح فى السوط الثالث (٧٥٧) وكانت هذه القضية فى سنة ٩٥٥ هـ وتاريخها ، « ذاكر الله » (٧٥٨) .

ذكر احوال السلطان محمد عدلى :

عندما توفى سليم خان جلس ابنه فيروز خان وكان فى سن الثانية عشر (٧٥٩) على العرش بموافقة الأمراء فى قلعة كواليار ، ولم تمر ثلاثة أيام حتى نهض مبارزخان ابن نظام خان سور وهو ابن اخو شيرخان وعم سليم خان واخو زوجته وقتل فيروز خان ابن اخته (٧٦٠) وتمكن من كرسى الحكم والبلاد بموافقة الوزراء والأمراء ، وروى عن الثقة أن سليم خان قبل أن يموت قال لزوجته المسماة « بى بى بانى » فى أكثر من مرة « اذا كنت تحبين ابنك فيروز خان فاسمحي لى ان أقضى على اخيك مبارزخان لأنه أذى فى طريقه ، ولو كنت تحبين اخيك

(٧٥٦) على حدود الدكن (بداونى ج ١ ص ٤٠٣) .

(٧٥٧) اضطرب سليم شاه عندما قرأ الشيخ قوله تعالى « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » فسأل سليم معنى قوله من الحاضرين فقالوا : « انه يدعوك بالكفر » فأمر بضرب مدة ساعة حتى لفظ أنفاسه . (بداونى ج ١ ص ٤٠٥) .

(٧٥٨) هذا تأريخ خطأ لأنه يعادل سنة ٩٧٨ هـ .

(٧٥٩) العاشرة من عمره (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

فانفضى يدك من ابنك لأن الأخطار تكون عليه من مبارز خان « وكانت زوجته تقول « دع مبارز خان يقضى عمره النفيس فهو يقضى أوقاته في التسبيح ، وليس له في السلطنة شيء ، وكلما لامها سليم خان في هذا الصدد ، لا فائدة ، وفي النهاية بعد وفاة سليم خان بثلاثة أيام اقتحم مبارز خان محل فيروز خان ، وأراد قتله ، وعلى الرغم من أن أخته كانت تقاوم وتتشفع لابنها ، وتقول : « دع الطفل وسأحمله الى مكان بعيد ولن يحمل اسم السلطنة مطلقا » (٧٦١) ولم يرحمه مبارز خان الظالم ، وهذا هو المضمون :

« ان ملك العالم كله لا يساوى عند الانسان قطرة دم تقطر على الأرض » وقتل هذا الطفل المسكين الضعيف بقسوة (٧٦٢) وقرا الخطبة باسمه ، ولقب نفسه بالسلطان محمد عادل ، وكان عوام الناس يسمونه « عدلى وأندبلى » (٧٦٣) .

ولما كان قد سمع في الأساطير والتواريخ من بذل وكرم السلطان محمد تغلق ، ففكر في تقليده وفي أول جلوسه فتح الخزينة فترة ، وأنعم على الناس ، واستمال الناس ، وكان كل عقد يرميه من الذهب لا يقل عن خمسمائة قطعة من العملة ، وأرسل لكل بيت عقدا ، وأعطى كل صاحب بيت خمسمائة قطعة .

جعل (عدلى) وزارته في يد شمسير خان غلام شيرخان ، وهو أخو خواص خان المشهور ، ودولت خان نوحانى « نومسلم » مربيه مسئولاً عن النوحانيين ، وفي هذه الأيام رفع « هيموى » (٧٦٤) وهو يقال يقطن قصبه ريوارى من توابع ميوات ، الى درجة اوسئول (٧٦٥) عن الأسواق وأمور الجيش ونال مركز مرموق عند عدلى ، وصار من المقربين للبلاط ، ولم يكد يمر شهر واحد من جلوس عدلى حتى هبت الفتنة من سبقاتها في أطراف ولايات الهند (٧٦٦) وقام ملوك الطوائف

(٧٦٠) بربرباى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦١) دع روح هذا الطفل البريء وخذ روحا بدلا منه لأنه لا شأن له بالسلطنة.

(بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٢) وقد سعى سليم شاه لقتل عادل خان عدة مرات وأثنته عن ذلك زوجته.

أخت عادل خان (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٣) حرفة العامة « أندھلى » بمعنى أعمى (بداونى ج ١ ص ٤١٦) .

(٧٦٤) هيمون (بداونى ج ١ ص ٤١٧) .

(٧٦٥) شحتكى (بداونى ج ١ ص ٤١٨) .

(٧٦٦) رفض الأمراء الأفغان طاعته (بداونى ج ١ ص ٤١٨) .

عند استماع خبر وفاة سليم خان وقتل فيروز خان وعدم انتظام أمور عدلى حتى استقل كل واحد بولايته ، وذات يوم عقد عدلى حكومته فى قلعة كواليار ، وحضر الأمراء البارزين اليه ووزع عليهم المقاطعات ، وأمر عدلى أن يعزل شاه محمد فرملى الذى كان على ولاية قنوج وسلمها الى سرمست خان سربتى (٧٦٧) ، واثناء الحديث نهض سكندر خان بن شاه محمد المذكور وكان شابا شجاعا وصاح فى الديوان قائلا « الآن تبدل حالنا ، تسحب منا الولاية وتسلمها لطائفة السويتين باعة الكلاب » وقامت معركة كلامية ، وكان أبو شاه محمد مريضا فى ذلك الوقت ، وكان يمنع ابنه عن الحديث الخشن والحاد ، وكان الابن يقول للأب ان شيرخان وضعك ذات مرة فى قفص حديدى قاصدا قتلك ، وفى النهاية تشفع لك سليم خان ليخلصك من الموت ، والآن فان طائفة سور تريد استئصالك ، ولا تريد أن تفهم هذا المعنى ، ولا يريدون أن يتركوك فى سلام ، فلماذا ينبغي أن تتحمل هذا الضرر عنهم » ووضع سرمست سربتى وكان طويل القامة قوى الجثة يده على كتف سكندر يتملقه ويداهنه وهو يقول « لماذا كل هذه الصحبة يابنى » وهو يقصد أن يقبض على سكندر بهذه الوسيلة ، فأدرك سكندر قصده فأمسك الخنجر بيده ، وطعن كتف سرمست عدة طعنات حتى مات بيد الأجل (٧٦٨) وفقد وعيه وقتل أيضا البعض وجرح البعض الآخر ، ونهض عدلى فى هذه الجلبة ، وفر الى الحرم ، وتعقبه سكندر ، وأغلق عدلى الباب من الداخل بالمزلاج ، وتخلص بمائة حيلة وألقى أكثر أمراء عدلى فى الديوان سيوفهم ، وفروا ، وظل سكندر مثل المجنون فكان يضرب ويقتل ويرمى فى كل مكان يذهب اليه ، وظل ساعة أو اثنين على هذا الحال ، واثناء ذلك سل ابراهيم خان زوج أخت على سيفه وضرب سكندر (٧٦٩) وهجم عليه آخرون أيضا واقتصوا من سكندر ، وأنهى دولت خان نوحانى أيضا على شاه محمد فرملى بضربة سيف واحدة .

حدث أنه فى نفس هذا اليوم الذى وقعت فيه المعركة ، كان تاج خان كررانى أخو سليمان وعماد كررانى قد خرج من ديوان عدلى ، وخرج من قلعة كواليار ، وعندما سار فى الطريق مع شاه محمد سأل كل منهما الآخر عن أحواله ، وقال تاج خان له « لقد خرجنا من هذه المعركة تعال معى ورافقنى فان الأمر قد تغير » ، ولم يقبل شاه محمد

(٧٦٧) بداونى ج ١ ص ٤١٩ .

(٧٦٨) بداونى ج ١ ص ٤٢٠ .

(٧٦٩) ضرب اسكندر ابراهيم خان سور ودولت خان (بداونى ج ١ ص ٤٢٠) .

حديثه وذهب الى عدلى (٧٧٠) وذكر له ما حدث ، ففر تاج خان من كواليار ، وتوجه الى البنغال ، وعين عدلى جيشا لتعقبه ، وسافر أيضا بنفسه ، ووصل عدلى الى تاج خان فى نواحى « جهترامو » (٧٧١) ، وهى على مسافة أربعين فرسخا من آكره ، وثلاثين فرسخا من قنوج ، وقاتل تاج خان ، ووقعت الهزيمة على تاج خان ، فذهب الى جنار وفى الطريق قبض على بعض عمال عدلى ، واستولى على ما وجده من نقد وأجناس أخرى .

كان عماد وسليمان وخواجه الياس يحكمون بعض قرى شاطيء نهر الجانج وخواصبور تانده ، فالتحقوا به ، وأعلنوا العصيان ، وذهب عدلى من كواليار الى جنار ، وقاد الجيش الى الكرانيين ، وتقابل الطرفان على شاطيء النهر ، وفى هذا الوقت قال هيمون البقال لعدلى ذات يوم : « اذا جعلت برفقتى قطيع الفيلة ، اعبى النهر ، واذهب الى الكرانيين ، واقضى عليهم » ، وفعل عدلى ما طلب ، وانتصر هيمون على الكرانيين ، وفى هذا المكان علم ابراهيم خان بن غازى خان سور ، وزوج أخت عدلى وهو من بنى أعمام شيرخان ، علم من زوجته أن عدلى بصدد سجنه ، ففر من جنار ، وتوجه الى أبيه غازى خان الذى كان يحكم حكومة بيانه وهندون ، وأرسل عدلى عيسى خان نيازى لتعقب ابراهيم والتقى سويا بالقرب من كالبى ، وتقابلا ، وهزم عيسى خان نيازى ، وانتصر ابراهيم خان فتوجه الى دار الملك دهلى ، وقرا الخطبة باسمه ، وتوجه من هناك الى آكره ، واستولى على أكثر البلاد (٧٧٢) .

عندما رأى عدلى أن ابراهيم استولى على نصف بلاده ، نفخ يده من الكرانيين ، وتوجه الى ابراهيم خان ، وعندما وصل الى نهر جون ، أرسل ابراهيم رسولا الى عدلى ، « اذا أرسلت راي حسن جلوانى وبهادر خان سروانى ، الملقب بأعظم همايون وعدة أمراء كبار آخرين ، فأننى أستطيع أن أحضر اليك بناء على العهد والميثاق » ، وأرسل عدلى هذه الجماعة ، واتفق ابراهيم خان معهم جميعا على عصيان عدلى ، وعلم عدلى بهذا الأمر ، ولم يكن مستعدا للقتال ، وعاد الى جانب جنار ، ولقب ابراهيم خان نفسه بالسلطان ابراهيم ، ورفع لواء السلطنة .

(٧٧٠) بداونى ج ١ ص ٤٢٠ .

(٧٧١) جهيرا منو (بداونى ج ١ ص ٤٢١) .

(٧٧٢) بعد معركة كالبس لقب نفسه بالسلطان ابراهيم ورفع لواء المعارضة ،

وقرأوا الخطبة باسمه فى آكره وبعض الديار (بداونى ج ١ ص ٤٢٢) .

وفى هذه الأيام لقب أحمد خان سور نفسه بالسلطان سكندر (٧٧٣) وهو أيضا من بنى عمومة شيرخان ، وزوج الأخت الثانية لعدلى ، وكان من أمراء البنجاب الكبار ، وبمساعدة وعون تاتار خان كانسى وحبيب خان ونصيب خان ، وكانوا من أمراء سليم خان الكبار ، رفع لواء الفتنة والفساد ، وذهب الى ابراهيم خان ، والتقى الفريقان قرب قرية « مزه » ، وهى على مسافة عشرة فراسخ من آكره ولما كان جيش سكندر لم يتعد العشرة آلاف (٧٧٤) وكان ابراهيم خان صاحب سبعين ألف فارس ، ويروون أن ابراهيم خان كان قد سلم الاعلام والطبول لمائتى شخص ، والتمس سكندر الدخول فى الصلح على أن يدع له البنجاب ، وكان ابراهيم خان مغرورا معتمدا على كثرة حشمه ، فلم يهتم بعرض سكندر ، وصف الصفوف للحرب ، وانقصر سكندر فى نهاية الأمر بمقتضى قوله تعالى : « كم من فئة قليلة (٧٧٥) ٠٠٠٠٠٠ الخ » وهزم ابراهيم ، وفر وذهب الى سنبل (٧٧٦) ، ووفق اسكندر واستولى على آكره ودهلى .

وعلم أن السلطان همايون قد خرج من كابل الى الهندوستان اثناء ذلك ، واستولى على لاهور ، ونظم سكندر الجيوش ، وتوجه الى لاهور ، وكان ابراهيم الذى ذهب الى سنبل (٧٧٧) قد أعد جيشا جديدا وتوجه الى كالبى ، وتصادف أنه فى ذلك الوقت أرسل عدلى هيمنون البقال الذى كان وزيرا له بجيش جرار وخمسمائة فيل ضخمة ومدفعية الى آكره ودهلى ، وعندما وصل هيمنون الى نواحى كالبى أدرك أن صد ابراهيم لهم فأسرع لمواجهة ، ووقعت معركة حامية انتصر فيها هيمنون ، وفر ابراهيم ، وذهب الى أبيه فى بيانه ، وتعبه هيمنون ، وحاصر بيانه ، وامتدت أيام الحصار ثلاثة أشهر ، وعندما رفع سكندر خان حاكم البنغال راية العصيان وكان قد توجه بجيوش مئذنة البلاد لتسخير جوندبور وكالبى وآكره ، واستدعى عدلى هيمنون ، وترك هيمنون الحصار ، وتوجه اليه (٧٧٨) وعندما وصل الى قرية منداكر على مسافة ستة فراسخ من آكره تعقبه ابراهيم من آكره ، ووقعت معركة ، هزم فيها

(٧٧٣) (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٧٤) اثنى عشر ألف فارس (بداونى ج ١ ص ٤٢٣) .

(٧٧٥) البقرة : ٢٤٩ .

(٧٧٦) بداونى ج ١ ص ٤٢٥ .

(٧٧٧) ذكر بداونى هذا أيضا (منتخب التواريخ ج ١ ص ٤٢٥) .

ابراهيم فعاد الى ابيه ثانية (٧٧٩) ومن هناك دخل ولاية تهته (٧٨٠) وقاتل راجه مجند تهته ، وأسر ، وأجلسه الراجه على العرش بكل تعظيم ، وقدم له لوازم الخدمة على طريقة التابعين ، وظل ابراهيم خان هناك حتى استدعى جماعة من قوم « ميانى » ، الذين كانوا يقيمون على حدود رايسين بسبب النزاع الذى كان بينهم وبين بازبهادر حاكم مالوه ، وأرادوا أن يجعلوه حاكما ، واستعدوا لمواجهة بازبهادر ولحق ابراهيم وتحرك من ولايته ودركاوتى رانى حاكم ولاية كرهه أيضا لمساعدة ابراهيم ، وأرسل بازبهادر عدة أشخاص الى رانى لكى ترتد عن هذا الادعاء ، وأن تعود الى ولايتها فليس لابراهيم مصلحة أيضا فى هذا ، وذهب ابراهيم من هناك الى أوديسه سنة ٩٥٥ هـ ، وجاء اليه بالعهد وامان ، ورأى سليمان ، وقتل بيد سليمان (٧٨١) .

المهم ذهب هيمون الى عدلى منتصرا ظافرا ، ووصل عدلى ومحمد خان كوريه (٧٨٢) الى قرية جرخته وهى على مسافة خمسة عشر فرسخا من كالبى ، ووقعت معركة حامية ، وقتل محمد خان (٧٨٣) وحظى عدلى بالنصر والفتح ، وذهب عدلى بعد ذلك الى جنار ، وأرسل هيمون لمقابلة جيش السلطان أكبر فى آكره ودهلى ، وترك سكندر خان أوزبك وقياخان كذك والأمرأء الأخرى الذين كانوا فى آكره المدينة وتوجهوا الى دهلى ، وتوجه عيسى الى دهلى ، وتقاتل مع تردى بيكه وهزم (هيمون) فى بانى بت وقتل بيد رجال الدولة المغاوير ، طبقا لما ذكر فى محله ، وكان عدلى فى نواحى جنار حيث كان ابن محمد خان كوريه الملقب بخضر

(٧٧٨) ورد هذا عند بداونى ج ١ ص ٤٢٧ .

(٧٧٩) أسهب بداونى فى سرد المعارك التى وقعت بين ابراهيم خان وغازى خان واسكندر خان وهيمون بينما اقتصد نظام الدين أحمد فى روايته (بداونى ج ١ ص ٤٢٤ - ٤٣٣) .

(٧٨٠) آلور (بداونى ج ١ ص ٤٣١) .

(٧٨١) استدعاه سليمان كررانى بالعهد القسم وعندما ذهب اليه أسره وقتله سنة ٩٥٥ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٣٣) .

(٧٨٢) خضرخان بن محمد كوريه الذى حل محل ابيه على كور (بداونى ج ١ ص ٤٣٣) .

(٧٨٣) أى سنة ٩٦٢ هـ (بداونى ج ١ ص ٤٣٤) .

خان قد جعل الخطبة والسكة باسمه ، وسمى نفسه بالسلطان بهادر ،
وجاء الى عدلى للانتقام لدماء أبيه وقاتل عدلى وقتله (٧٨٤) وزالت
دولة الأفغان وصعد كوكب الدولة وعظمة جلالة السلطان اكبر على
ممالك الهند ، وكانت مدة حكومته (عدلى) قرابة ثلاث سنوات •

(٧٨٤) تاريخها « كوريه بكشت » أى قتل كوريه وتعادل سنة ٩٦٣ هـ • وقد أوردها
بداونى سنة ٩٦٢ هـ (منتخب التواريخ) •

الفهرس

الموضوع	الصفحة
امسداء	٣
منهج ترجمة طبقات اكبر	٥
مصطلحات	٩
ترجمة طبقات	١٣
ديباجة	١٥
مقدمة	٢١
طبقة سلاطين دهل	٤٩

مطابع الهيئۃ المصریۃ العامۃ للکتاب

ص.ب: ٢٣٥ الرقم البریدی: ١١٧٩٤ ومسیس

www.maktabetelosra..org

E-mail: info@egyptianbook.org

رقم الإیداع بدار الکتب ١٠٠٥٣ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9586 - 3



إن القراءة كانت ولا تزال وسوف تبقى، سيدة
مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام والرؤية
الواضحة... وعلى الرغم من ظهور مصادر
حديثه للمعرفة، وبرغم جاذبيتها ومنافستها
القوية للقراءة، فإننى مؤمنة بأن الكلمة
المكتوبة تظل هى مفتاح التنمية البشرية،
والأسلوب الأمثل للتعلم، فهى وعاء القيم
وحافظة التراث، وحاملة المبادئ الكبرى
فى تاريخ الجنس البشرى كله.

نورانه مازار



Bibliotheca Alexandrina



0541614